

العلم

في التاريخ

لأبي الأشعث

دار الكتب والوثائق
بيروت

الكامل
والتاريخ

التكامل في

فالتاريخ

للامام العلامة عمده المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد

الشيبياني المعروف بابن الاثير

الجزري الملقب بعز الدين

المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

للجزء الثامن

عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه

نخبة من العلماء

وتميزت هذه الطبعة بفهراس شاملة

الناشر

دار الكتاب العربي

صرب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الخامسة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكات سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨١١ ٨٠٠٨٢٢ ٨٠٥٤٧٨
تلکس ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقیاً: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بیروت - لبنان

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة)

(ذكر وثوب الأجناد بجلال الدولة وإخراجه من بغداد) في هذه السنة في ربيع الأول تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين الأتراك فأغلق بابہ فجاءت الأتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وأرباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا إسحق السهلي فهرب إلى حلة كمال الدولة غريب بن محمد، وخرج جلال الدولة إلى عكبرا في شهر ربيع الآخر وخطب الأتراك ببغداد للملك أبي كاليجار وأرسلوا إليه يطلبونه وهو بالأهواز، فمنعه العادل ابن مافنة عن الإصعاد إلى أن يحضر بعض قوادهم فلما رأوا امتناعه من الوصول إليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا إليه وسألوه العود إلى بغداد واعتذروا فعاد إليها بعد ثلاثة وأربعين يوما ووزر له أبو القاسم ابن ماكولا ثم عزل ووزر بعده عميد الدولة أبو سعد بن عبد الرحيم فبقي وزيراً أباناً ثم استتر، وسبب ذلك أن جلال الدولة تقدم إليه بالقبض على أبي المعمر إبراهيم بن الحسين البسامي طمعا في ماله، فقبض عليه وجعله في داره فثار الأتراك وأرادوا منعه وقصدوا دار الوزير وأخذوه وضربوه وأخرجوه من داره حافيا ومنزقوا ثيابه وأخذوا عمامته وقطعوها وأخذوا خواتيمه من يده فدميت أصابعه وكان جلال الدولة في الحمام فخرج مرتاعا فركب وظهر لينظر ما الخبر، فأكب الوزير يقبل الأرض ويذكر ما فعل به فقال جلال الدولة: أما ابن بهاء الدولة وقد فعل بي أكثر من هذا، ثم أخذ من البسامي ألف دينار وأطلق واختنق الوزير.

(ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين) قد ذكرنا انهزام علاء الدولة أبي جعفر من الري ومسيره عنها، فلما وصل إلى قلعة فردجان أقام بها لتندمل جراحه ومعه فرهاذ ابن مرداويج كان قد جاءه ممدداً له وتوجهوا منها إلى بروجرد فسير تاش فزاش مقدم عسكر خراسان جيشاً إلى علاء الدولة واستعمل عليهم علي بن عمران فسار يقص أثر علاء الدولة، فلما قارب بروجرد صعد فرهاذ إلى قلعة سليمان ومضى أبو جعفر إلى سابور خواست ونزل عند الأكراد الجوزقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فرهاذ الأكراد الذين مع علي بن عمران واستمالهم فصاروا معه وأرادوا أن يفتكوا بعلی فبلغه الخبر فركب ليلاً في خاصته وسار نحو همدان ونزل في الطريق بقرية تعرف بـ "كسب"، وهي منيعة فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره والأكراد الذين صاروا معه وحصروه في القرية، فاستسلم وأيقن بالهلاك، فأرسل الله تعالى ذلك اليوم مطراً وثلجاً فلم يتمكنهم المقام عليه لأنهم كانوا جريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء، فرحلوا عنه وراسل علي بن عمران الأمير تاش فزاش يستنجده ويطلب العسكر إلى همدان، ثم اجتمع فرهاذ وعلاء الدولة بروجرد واتفقا على قصد همدان وسير علاء الدولة إلى أصهبان وبها ابن أخيه يطلبه وأمره بإحضار السلاح

والمال ففعل وسار ، فبلغ خبره علي بن عمران فسار إليه من همدان جريدة فكبسه بجر باذقان وأسر كثيرا من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاح ومال وغير ذلك ، ولما سار علي عن همدان دخلها علاء الدولة وملكها ظنا منه أن عليا سار منهزما ، وسار علاء الدولة من همدان إلى كرج فأتاه خبر ابن أخيه ففت في عضده وكان علي بن عمران قد سار بعد الوقعة إلى أصبهان طامعا في الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة وأهله فتعذر عليه ذلك ومنعه أهلها والعسكر الذي فيها فعاد عنها فلقية علاء الدولة وفرهاذ فاقتلوا فانهزم منها وأخذوا ما معه من الأسرى إلا أبا منصور بن أخي علاء الدولة فإنه كان قد سيره إلى تاش فراش وسار علي من المعركة منهزما نحو تاش فراش فلقية بكرج فعاتبه علي تأخره عنه واتفقا على المسير إلى علاء الدولة وفرهاذ وكان قد نزل بجبل عند بروجرد متحصنا فيه فاقترب تاش وعلى وتصداه من جهتين : أحدهما من خلفه والآخر من الطريق المستقيم ، فلم يشعر إلا وقد خالطه العسكر فانهزم علاء الدولة وفرهاذ وقتل كثير من رجالها ، فضى علاء الدولة إلى أصبهان وصعد فرهاذ إلى قلعة سليمان فتحصن بها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفي قدرخان ملك الترك بما وراء النهر ، وفيها ورد أحمد بن محمد المنكدرى الفقيه الشافى رسولا من مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى القائم بأمر الله معزيا له بالقادر بالله ، وفيها نقل تابوت القادر بالله إلى المقبرة بالرصافة ، وشهده الخلق العظيم ، وحجاج خراسان ، وكان يوما مشهودا ، وفيها كان بالبلاد غلاء شديد ، واستسقى الناس فلم يسقوا ، وتبعه وباء عظيم ، وكان عاما في جميع البلاد بالعراق والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغزنة والهند وغير ذلك ، وكثر الموت فدفن في أصبهان في عدة أيام أربعون ألف ميت^(١) ، وكثر الجدرى في الناس فأحصى بالموصل أنه مات به أربعة آلاف صبي ، ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت ، ومن جدر القائم بأمر الله وسلم ، وفيها جمع نائب نصر الدولة ابن مروان بالجزيرة جمعا ينيف على عشرة آلاف رجل وغزا من يقاربه من الأرمين وأوقع بهم وأثنى فيهم وغنم وسبي كثيرا وعاد ظافرا منصورا وفيها كان بين أهل تونس من أفريقية خلف ، فسار المعز بن باديس إليهم بنفسه فأصلح بينهم وسكن الفتنة وعاد ، وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بأفريقية وساروا إلى أعمال نفطة ، فاستولوا على بلد منها وسكنوه ، فجرد إليهم المعز عسكرا فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوا أجمعين ، وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوا وحج الناس من سائر البلاد إلا من العراق ، وفيها توفي أبو الحسن ابن رضوان المصرى النحوى في رجب ، وفيها قتل الملك أبو كاليبجار صندلا الخصى ، وكان قد استولى على المملكة وليس لأبي كاليبجار معه غير الاسم ، وفيها توفي علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن النعمى البصرى : حدث عن جماعة وكان حافظا شاعرا^(٢) فقيها على مذهب الشافى .

(١) في هذه السنة رأى رجل من أهل أصبهان في منامه مناديا ينادى بصوت جهورى : يا أهل أصبهان سكت . نطق - سكت . فانتبه الرجل مذعورا فلم يدر أحد تأويلها ما هو ؟ حتى قال رجل : احذروا يا أهل أصبهان ،

فإني قرأت في شعر أبي العتاهية . قوله : (سكت) الدهر زمانا عنهم . ثم أبكاهم دما حين (نطق) فا كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقا كثيرا حتى قتل الناس في الجوامع .

(٢) مما يروى من شعره قوله : إذا أظمأتك أكف اللثام . كفتك القناعة شجبا وريا

فكن رجلا رجلاه في الثرى . وهامة هم في الثريا . أيبا لنا نل ذى نعمة تراه بما في يديه أيبا . فإن إراقة ماء الحيا . دون إراقة ماء الحيا

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة)

(ذكر عود مسعود إلى غزنة والفتن بالرى وبلد الجبل) في هذه السنة في رجب عاد الملك مسعود بن محمود ابن سبكتكين من نيسابور إلى غزنة وبلاد الهند ، وكان سبب ذلك أنه لما كان قد استقر له الملك بعد أبيه أقر بما كان قد فتحه أبوه من الهند نائباً يسمى أحمد بن التكين ، وقد كان أبوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرست قدمه فيها ، وظهرت كفايته ، ثم إن مسعوداً بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له سار إلى خراسان عازماً على قصد العراق ، فلما أبعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود إلى العود فأرسل إلى علاء الدولة بن كاكويه وأمره على أصبهان بقرار يؤديه كل سنة وكان علاء الدولة قد أرسل يطلب ذلك فأجابه إليه وأقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان على مال يؤديه إليه ، وسير أبا سهل الحمدوني إلى الرى للنظر في أمور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها ، وعاد إلى الهند فأصلح الفاسد وأعاد المخالف إلى طاعته وفتح قلعة حصينة تسمى سرستي على ما نذكره ، وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهياً له فتحها ، ولما سار أبو سهل إلى الرى أحسن إلى الناس وأظهر العدل ، فأزال الأقساط والمصادرات ، وكان تاش فراش قد ملأ البلاد ظلماً وجوراً حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق أهلها فلما ولي الحمدوني وأحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية أمنت ؛ وكان الإرجاف شديداً بالعراق لما كان الملك مسعوداً بنيسابور ، فلما عاد سكن الناس واطمأنوا .

(ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله) فيها قبض عسكر السلطان مسعود بن محمود على شهر يوش بن واكين فأمر به مسعود فقتل وصلب على سور ساوة ، وكان سبب ذلك أن شهر يوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحي ، فلما اشتغل مسعود باخيه محمد بعد موت والده جمع شهر يوش جمعاً وسار إلى الرى محاصراً لها فلم يتم ما أرادته ، وجاءت العساكر فعاد عنها ، ثم في هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وعمهم أذاه وأخذ منهم ما لم تجر به عادة وأساء إليهم وبلغ ذلك إلى مسعود فتقدم إلى تاش فراش وإلى أبي الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه يطلب شهر يوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع في قتاله ، فسارت العساكر في أثره فاحتسى بقلعة تقارب قم تسمى فستق وهي حصينة عالية المكان وثيقة البنيان فأحاطوا به وأخذوه ، وكتبوا إلى مسعود في أمره ؛ فأمرهم بصلبه على سور ساوة .

(ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته) في هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة في جمادى الأولى ، وكان سبب ذلك أن بختيار متولى البصرة توفي ، فقام بعده ظهير الدين أبو القاسم خال ولده جلد كان فيه وكفاية وهو في طاعة الملك أبي كاليجار ، ودام كذلك ، فقيل لأبي كاليجار إن أبا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذر عليك وبلغ ذلك أبا القاسم فاستعد للامتناع وأرسل أبو كاليجار إليه ليعزله فامتنع ، وأظهر طاعة جلال الدولة ، وخطب له وأرسل إلى ابنه وهو بواسط يطلبه ، فأنحدر إليه في عساكر أبيه التي كانت معه بواسط ودخلوا البصرة وأقاموا بها وأخرجوا عساكر أبي كاليجار منها وبقى الملك العزيز بالبصرة مع أبي القاسم إلى أن دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه أمر والحكم إلى أبي القاسم ، ثم إنه أراد القبض على بعض الديلم فهرب ودخل دار الملك العزيز مستجيراً فاجتمع الديلم إليه وشكوا من أبي القاسم فصادف شكواهم صدىراً

موغراً حنقاً عليه لسوء صحبته ، فأجابهم إلى ما أرادوه من إخراجهم عن البصرة ، واجتمعوا وعلم أبو القاسم بذلك فامتنع بالآبلة وجمع أصحابه وجرى بن الفريقيين حروب كثيرة انجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده إلى واسط وعود أبي القاسم إلى طاعة أبي كاليجار .

﴿ ذكر إخراج جلال الدولة من دار المملكة وإعادته إليها ﴾ في هذه السنة في رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره ثم سألوه ليعود إليها فعاد ، وسبب ذلك أنه استقدم الوزير أبا القاسم من غير أن يعلموا ، فلما قدم ظنوا أنه إنما ورد للعرض إلى أموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا إلى داره وهجوا عليه وأخرجوه إلى مسجد هناك ، فوكلوا به فيه ، ثم إنهم أسعموه ما يكره ونهبوا بعض ما في داره ، فلما وکلوا به جاء بعض القواد في جماعة من الجند ومن انضاف إليه من العامة والعيارين فأخرجوه من المسجد وأعادوه إلى داره فنقل جلال الدولة ولده وحرمه وما بقي له إلى الجانب الغربي وعبر هو في الليل إلى الكرخ ، فلقية أهل الكرخ بالدعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثم إن الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا ونملك غيره ، وقال بعضهم ليس من بنو يه غيره وغير أبي كاليجار وذلك قد عاد إلى بلادهم ولا بد من مداراة هذا فأرسلوا إليه يقولون له نريد أن تنحدر عنا إلى واسط وأنت ملكنا وترك عندنا بعض أولادك الأصغر ، فأجابهم إلى ذلك وأرسل سرا إلى الغلمان الأصغر فاستمالهم وإلى كل واحد من الأكبر وقال إنما أثق بك وأسكن إليك واستمالهم أيضاً فعبروا إليه وقبلوا الأرض بين يديه وسألوه العود إلى دار الملك فعاد وحلف لهم على إخلاص النية والإحسان إليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر في داره .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة توفي الوزير أحمد بن الحسن الميمندي وزير مسعود بن سبكتكين ، ووزر بعده أبو نصر أحمد بن علي بن عبد الصمد وكان وزير هرون التوتاش صاحب خوارزم ، ووزر بعده هرون ابنه عبد الجبار ، وفيها ثار العيارون ببغداد وأخذوا أموال الناس ظاهراً وعظم الأمر على أهل البلد وطمع المفسدون إلى حد أن بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين لجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد : قد أخذت من أصحابك أربعة فإن أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندي وإلا قتلتم وأحرقت دارك فأطلقهم القائد ، وفيها تأخر الحاج من خراسان ، وفيها خرج حجاج البصرة بخنزير فقدر بهم ونهبهم ، وفيها في جمادى الأولى توفي أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن البيضاوي الفقيه الشافعي عن نيف وثمانين سنة ، وفيها في شوال توفي أبو الحسن بن السماك القاضي عن خمس وتسعين سنة (١) .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند ﴾ في هذه السنة فتح السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستي وماجاورها من بلد الهند ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من عصيان نائبه بالهند أحمد بنالتكين عليه

(١) هو أبو الحسن الواعظ المعروف بابن السماك ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسمع جعفر الخلدی وغيره ، وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي ، ويتكلم على طريقة الصوفية . ولما مات دفن بباب حرب .

ومسيره إليه ، فلما عاد أحمد إلى طاعته أقام بتلك البلاد طويلاً حتى أمنت واستقرت وقصد قلعة سرستي وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها لحصرها وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتبأ له فتحها ، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجاب به إلى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها إلى مسعود من جملة القرار عليه ، فكتب التجار رقعة في نشابة ورموا بها إليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وأنه إن صابروا ملكها ، فرجع عن الصلح إلى الحرب وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبي ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد وكان عازماً على طول المقام والجهاد فأتاه من خراسان خبر الغز ، فعاد على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر حصر قلعة بالهند أيضاً) لما ملك مسعود قلعة سرستي رحل عنها إلى قلعة نغسي ، فرصل إليها عاشر صفر وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير إلا أنه أقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلاً وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها إلى جهة عسكر المسلمين فرض وأصبح ولا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفاً شديداً فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقتها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية إليه وسار نحو غزته .

(ذكر الفتنة بنيسابور) لما اشتد أمر الأتراك بخراسان على ما ذكره تجمع كثير من المفسدين وأهل العبث والشر وكان أول من أثار الشر أهل أيورد وطوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا إلى نيسابور لينهبوها وكان الوالي عليها قد سار عنها إلى الملك مسعود فخافهم خوفاً عظيماً وأيقنوا بالهلاك فبينما هم يترقبون البوار والاستصال وذهاب الأنفس والأموال إذ وصل إليهم أمير كرمان في ثلثمائة فارس قدم متوجهاً إلى مسعود أيضاً فاستغاث به المسلمون وسألوه أن يقيم عندهم ليكف عنهم الأذى ، فأقام عليهم وقاتل معهم وعظم الأمر واشتدت الحرب وكان الظفر له ولأهل نيسابور ، فانزمت أهل طوس وأيورد ومن تبعهم وأخذتهم السيوف من كل جانب وعمل بهم أمير كرمان أعمالاً عظيمة وأثخن فيهم وأسر كثيراً منهم وصلبهم على الأشجار وفي الطرق ، فقيل إنه عدم من أهل طوس عشرون ألف رجل ثم إن أمير كرمان أحضر زعماء قرى طوس وأخذ أولادهم وإخوانهم وغيرهم من أهلهم رهائن فأودعهم السجون وقال : إن اعترض منكم واحد إلى أهل نيسابور أو غيرهم أو قطع طريقاً فأولادكم وإخوانكم ورهائتكم مأخوذون بجناياتكم ، فسكن الناس وفرج الله عن أهل نيسابور بما لم يكن في حسابهم .

(ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان) في هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مرداويج ، واتفق على قتال عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ، وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع أبي سهل الحمدوني فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان ، ثم انهزم علاء الدولة وقتل فرهاذ واحتفى علاء الدولة بجبال بين أصبهان وجر باذقان ، ونزل عسكر مسعود بكرج وأرسل أبو سهل إلى علاء الدولة يقول له ليبدل المال ويراجع الطاعة ليقره على ما بقي من البلاد ويصلح حاله مع مسعود ، فرددت الرسل فلم يستقر بينهم أمر فسار أبو سهل إلى أصبهان فملكها وانهمز علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطلب إلى ابدج وهي للملك أبي كالبجار ، ولما استولى أبو سهل على أصبهان نهب خزائن علاء الدولة وأمواله وكان

أبو علي بن سينا في خدمة علاء الدولة فأخذت كتبه وحملت إلى غزنة ، فجعلت في خزائن كتبها إلى أن أحرقتها عساكر الحسين بن الحسين الغوري على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت) في هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس ابن علي بن يزيد وأخيه أبي قوام ثابت بن علي بن يزيد . وسبب ذلك أن ثابتا كان يعتضد بالبساسيري ويتقرب إليه ، فلما كان سنة أربع وعشرين وأربعمائة سار البساسيري معه إلى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى أعمال نور الدولة ، فسير نور الدولة إليهم طائفة من أصحابه فقتلواهم فانهزموا ، فلما رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقى ثابت فيه إلى الآن ، فاجتمع دبيس وأبو المغر اعناز بن المغر وبنو أسد وخفاجة وأعاه أبو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لإعادة دبيس إلى بلده وأعماله وتركوا حللهم بين خصا وحربي ، فلما ساروا لقيهم ثابت عند جر جرابا ، وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس إلى أعماله ويقطع أخاه ثابتا أقطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيري نجدة لثابت ، فلما وصل إلى النعمانية سمع بصلحهم فعاد إلى بغداد .

(ذكر ملك الروم قلعة بركوى) هذه قلعة متاخمة للأرمن في يد أبي الهيجاء بن ريب الدولة بن أخت وهودان بن مملان ، فتنافر هو وخاله فأرسل خاله إلى الروم فأطمعهم فيها فسير الملك إليها جمعا كثيرا فلكوها فبلغ الخبر إلى الخليفة فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنوا من استعادتها ، واجتمع إليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدرُوا على ذلك لثبات قدم الروم بها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهي الوزارة الخامسة ، وكان قبله في الوزارة ابن ما كولا ، ففارقها وسار إلى عكبرا فرده جلال الدولة إلى الوزارة وعزل أبا سعد فبقي أياما ثم فارقها إلى أوانا ، وفيها استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لأن العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم وعجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته ، وفيها توفي أبو سنان غريب بن محمد بن مقن في شهر ربيع الآخر في كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالامر بعده ابنه أبو الريان وخلف خمسمائة ألف دينار وأمر فنودي قد أحلت كل من لى عنده شيء فخللوني كذلك فخللوه وكان عمره سبعين سنة ، وفيها توفي بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فأقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين وكان بنو نيمر قد طعموا فيها وحصروها فسار إليهم ابن بدران فدفعهم عنها ، وفيها توفي أرمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صير في ليس من بيت الملك ، وإنما بنت قسطنطين اختارته ، وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان أكثرها بالرملة ، فإن أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير ، وفيها كان بأفريقية جماعة شديدة وغلاء ، وفيها قبض قرواش على البرجى العيار وغرقه ، وكان سبب ذلك أن قرواشا قبض على ابن القلعي عامل عكبرا فحضر البرجى العيار عند قرواش مخاطبا في أمره لمودة بينهما ، فأخذ قرواشا قبض عليه فبذل مالا كثيرا ليطلقه فلم يفعل وغرقه وكان هذا البرجى قد عظم شأنه وزاد شره وكبس عدة مخازن بالجانب الشرقى وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهي مجاورة دار الوزير وثار العامة بالخطيب برم الجمعة وقالوا : إما أن تخطب للبرجى وإلا فلا تخطب لسلطان ولا غيره وأهلك الناس ببغداد ، وحكاياته كثيرة ، وكان مع هذا فيه فتوة وله مرواة لم يعرض إلى امرأة ولا إلى

من يستسلم إليه ، وفيها هبت ریح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيراً من الأشجار ، وكان في بعض البساتين قصر مبنی بخص وأجر وكلس فقلعته من أصله ، وفيها كثر الموت بالحوادث في كثير من بلاد العراق والشام والموصل وخرزستان وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها لموت أهلها ، وفيها في ذى القعدة انتقض كوكب هال منظره الناس وبعده بليتين انتقض شهاب آخر أعظم منه كأنه البرق ملاصق الأرض وغلب على ضوء المشاعل ومكث طويلاً حتى غاب أثره ، وفيها توفي أبو العباس الأبيوردي الفقيه الشافعي قاضي البصرة ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن غالب البرقاني المحدث الإمام المشهور (١) وكانت وفاته في رجب ، والحسين بن عبد الله ابن يحيى أبو علي البندنجي الفقيه الشافعي وهو من أصحاب أبي حامد الإسفرايني . وعبد الوهاب بن عبد العزيز ابن الحرث بن أسد أبو الفرج النخعي الفقيه الخنيلي .

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة)

(ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد) في هذه السنة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى إن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحيى فلقبهم أكراد فأخذوا دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة القائم بأمر الله فتهبوا شيئاً من ثمرته وقالوا للعالمين فيه أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك ، فتقدم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى ، فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل أولئك الأجناد ليجيبوه إلى أن يحملهم إلى ديوان الخلافة ففعلوا ، فلما وصلوا إلى دار الخلافة أطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم ، لأن الجند يحمون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم ، وانتشر العرب في البلاد فهبوا النواحي وقطعوا الطريق وبلغوا إلى أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء في المقابر .

(ذكر إظهار أحمد بن التستكين العصيان وقتله) في سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الفز كما ذكرناه ، فعاد أحمد بن التستكين إلى إظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالأذى ، فسير إليه مسعود جيشاً كثيفاً ، وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول إلى بلادهم وسد منافذ هربه ، ولما وصل الجيش

(١) ولد سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وسمع الكثير ورحل إلى البلاد ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وكان عالماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة نافعة . قال الأزهري : لما مات البرقاني ذهب هذا الشأن وما رأيت أفتن منه . وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث . ولما مات صلى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ودفن في مقبرة الجامع ببغداد . وقد أورد ابن عساكر له من شعره :

أعلل نفسي بكتب الحديث • وأجل في لها الموعدا • وأشغل نفسي بتصنيفه
وتفريجه دائماً • فطورا أصنفه في الشيو • خ وطورا أصنفه مستدا
وأقفو البخاري فيما حوا • وصنفه جاهدا مجهدا • ومسلم إذ كان زين الأنام
بتصنيفه مسلماً مرشدا • ومالي فيه سوى أتى • أراه هوى صادف المقصدا
رأرجو الثواب بكتب الصلاة • ع على السيد المصطفى أحدا

المقتد إليه قاتلهم قاتلهم وهنئ هاربا إلى الملتان وقصد بعض ملوك الهند بمدينة جهاطية ومعه جمع كثير من عساكره الذين سلخوا ، فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فأحضر له السفن وكان في وسط النهر جزيرة ظنها أحد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا أن الماء محيط بها فتقدم ملك الهند إلى أصحاب السفن يائزاهم في الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقى أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعام إلا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففتى زادم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم ، فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فمير الهند إليهم عسكره في السفن وهم على تلك الحال فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولداً لأحد أسيراً فلما رآه أحمد على تلك الحال قتل نفسه واستوعب أصحابه القتل والأسر والغرق (ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان) كان الملك مسعود قد أقر دارا بن منو جهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضا بابنة أبي كاليجار القوهي مقدم جيش دارا والقيم بتدبير أمره استماله فلما سار إلى الهند سعوا ما كان استقر عليهم من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوى عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان ، فلما عاد مسعود من الهند واجلى الغز وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار إلى أمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسلك فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فأجابهم إلى ذلك وحملوا من الأموال ما كان عليهم وعاد إلى خراسان .

(ذكر مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان) فيها جمع ابن وثاب النيرى جمعا كثيرا من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره وأتته الجنود من كل ناحية ، فلما رأى ابن وثاب ذلك وأنه لا يتم له غرض عاد عن بلاده ، وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعانبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذي كان بينهما وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة فكثرت جمعه من الجند والمنطوعة وعزم على قصد الرها ومحاصرتها ، فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف أنه لم يعلم بما كان وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى إلى نصر الدولة هدية سنوية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المجتمعة عنده .

(ذكر عدة حوادث) فيها خرج أبو سعد وزير جلال الدولة إلى أبي الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبو القاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فأخرج وحمل إلى دار المملكة مكشوف الرأس في قيص خفيف ، وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيام ، وعاد أبو سعد بن عبدالرحيم إلى الوزارة ، وفيها في ذى الحجة وثب الحسن ابن أبي البركات ابن شمال الخفاجي بعنه على ابن شمال أمير بني خفاجة فقتله وقام بإمارة بني خفاجة وفيها جمعت الروم وسارت إلى ولاية حلب فخرج إليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهمزمت الروم وتبعهم إلى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما ، وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن ابن أبي البركات بن شمال فنهبها وأرادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك أكثره ، وفيها هرب الزكي أبو علي النهر ساسي من محبسة ، وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقى سنتين إلى الآن ولم ينج هذه

السنة من العراق أحد ، وفي هذه السنة توفي أحمد بن كليب الأديب الشاعر الأندلسي وحديثه مع أسلم بن أحمد ابن سعيد مشهور ، وكان يهواه فقال فيه :

أسلمني في هوى • أسلم هذا الرشا • غزال له مقلة • يصيب بها من يشا
وشي بيننا حاسد • سيئال عما وشى • ولو شاء أن يرتشى • على الوصل روحى ارتشى
ومات كدا من هواه ؛ وتوفى في جمادى الأولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأديب الأندلسي ،
ومن شعره :

إن الكريم إذا نالته نخصة • أبدى إلى الناس شبا وهوطيان

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا • والوجه غمر بماء البشر ملآن

كتبت لها لاني عاشق • على مهرق اللثم بالناظر

وله أيضا :

فردت على جواب الهوى • بأحور عن مائه حائر

منعمة نطقت بالجفون • فدلّت على دقة الحاطر

كان فؤادى إذا عرضت • تعلق في مخلي طائر

وفيهما توفي أبو المعالي بن سخطة العلوي النقيب بالبصرة وأبو محمد بن معية العلوي بها أيضا وأبو علي الحسين ابن أحمد بن شاذان المحدث الأشعري مذهبيا ، وكان مولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وحمزة بن يوسف الجرجاني وكان من أهل الحديث .

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة)

(ذكر وثوب الجند بجلال الدولة) في هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وأرادوا إخراجه منها ، فاستنظروهم ثلاثة أيام فلم ينظروه ورموه بالآجر فأصابه بعضهم واجتمع الغلمان فردوهم منه فخرج من باب لطيف في سمارية متكررا وصعد راجلا منها إلى دار المرتضى بالكرخ وخرج من دار المرتضى وسار إلى رافع ابن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الأتراك أبواب داره ودخلوها ونهبوها وقلعوا كثيرا من ساجها وأبوابها فأرسل الخليفة إليه وقرّر أمر الجند وأعادته إلى بغداد .

(ذكر الحرب بين أبي سهل الحمدوني وعلاء الدولة) في هذه السنة سار طائفة من العساكر الخراسانية التي مع الوزير أبي سهل الحمدوني بأصبهان يطلبون الميرة فوضع عليهم علاء الدولة من أطعمهم في الامتياز من النواحي القريبة منه فساروا إليها ولا يعلمون قربه منهم ، فلما أتاه خبرهم خرج إليهم وأوقع بهم وغنم مامعهم وقوى طمعه بذلك فجمع جمعا من الديلم وغيرهم وسار إلى أصبهان وبها أبو سهل في عساكر مسعود بن سبكتكين فخرجوا إليه وقاتلوه ففقد الأتراك بعلاء الدولة فانهزم ونهب سواده فسار إلى بروجرد ومنها إلى الطرم فلم يقبله ابن السلار وقال لا قدرة لي على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه .

(ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر) في هذه السنة في منتصف شعبان توفي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن أبي علي المنصور الحاكم الخليفة العلوي بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما ، وكان له مصر والشام والخطبة له بأفريقية وكان

جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية إلا أنه مشغول ببلذاته محب للدهة والراحة قد فوض الأمور إلى وزيره أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ^(١) لمعرفة بكفايته وأمانته، ولما مات ولي بعده ابنه أبو تميم معد، ولقب المستنصر بالله ومولده بالقاهرة سنة عشر وأربعمائة : وفي أيامه كانت قصة البساسيري وخطب له ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وكان الحاكم في دولته بدر بن عبدالله الجمال الملقب بالأنفيل أمير الجيوش، وكان عادلاً حسن السيرة، وفي سنة تسع وسبعين وصل الحسن بن الصباح الإسماعيلي في زى تاجر إلى المستنصر بالله وخاطبه في إقامته الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فأذن له في ذلك فعاد ودعا إليه سرا وقال للمستنصر من إمامي بعدك؟ فقال ابني نزار، والإسماعيلية يعتقدون إمامة نزار، وسيرد كيف صرف الأمر عنه سنة سبع وثمانين إن شاء الله تعالى.

(ذكر فتح السويداء وربض الرها) في رجب من هذه السنة اجتمع ابن وثاب وابن عطيير وتصارها وجما وأمدهما نصر الدولة ابن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعهم إلى السويداء وكان الروم قد أحدثوا همارتها في ذلك الوقت واجتمع إليهم أهل القرى المجاورة لها فحضرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلفاء كثيراً وقصدوا الرها لحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة ديناراً واشتد الأمر فخرج البطريق الذي فيها متخفياً ولحق بملك الروم وعرفه الحال، فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكنا لهم، فلما قاربهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر مثلهم وأسر البطريق وحمل إلى باب الرها وقالوا لمن فيها: إما أن تفتحوا البلد لنا وإما قتلنا البطريق والأسرى الذين معه، ففتحوا البلد للعجز عن حفظه وتمحصن أجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلات أيديهم من الغنائم والسبي وأكثروا القتل وأرسل ابن وثاب إلى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصراً للقلعة ثم إن حسان بن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار إليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم إلى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المهزومون إلى الرها.

(ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج وإعادة ما أخذه) في هذه السنة ورد خلق كثير من أذربيجان

(١) يروى أن أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، كان مقطوع اليدين من المرفقين، في سنة ثمان عشرة، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر، ثم لولده المستنصر، حتى توفي الوزير الجرجرائي المذكور في سنة ست وثلاثين، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة، وكان الذي يعلم عنه القاضي أبو عبدالله القضاة صاحب كتاب الشهاب، وكانت علامته الحمد لله شكراً لنعمه، وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم، لجناية ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة، ثم استعمله في بعض الأعمال سنة تسع، فلما فقد الحاكم في السابع والعشرين من شوال، سنة إحدى عشرة، تنقلت بالجرجرائي المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمان عشرة كما ذكرنا، وقد هجاه بعض الشعراء

فقال
يا أجمعا إسمع وقل • ودع الرقاعة والتحامق
أقتت نفسك في الثقا • ت وهبك فيما قلت صادق
أمن الأمانة والتقى • قطعت يداك من المرافق

وخراسان وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحج وجعلوا طريقهم على أرمنية وخراسان ، فوردوا إلى آبي (١) ووسطان فثار بهم الأرمين من تلك البلاد وأعانهم الساسانية وهم من الأرمين أيضا إلا أنهم لم حصون منيعة تجاور خراسان وهم صلح مع صاحب خراسان ، ولم تزل هذه الحصون بأيديهم منفردين بها إلا أنهم متعاهدون إلى سنة ثمانين وخمسمائة ، فلما هلك المسلمون منهم وأزالوهم عنها على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فلما اتفقوا مع الأرمين من رعية البلاد وأخذوا الحاج فقتلوا منهم كثيرا وأسروا وسبوا ونهبوا الأموال وجلوا ذلك أجمع إلى الروم وطمع الأرمين في تلك البلاد فسمع نصر الدولة ابن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا ذلك ورأوا جده فيه راسله ملك الساسانية وبذل إعادة جميع ما أخذ أصحابه وإطلاق الأسرى والسبي فأجابهم إلى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضائق في بلادهم ، ولأنهم بالقرب من الروم يخاف أن يستجدوهم ويمتنعوا بهم فصالحهم .

(ذكر الحرب بين المعز وزنانة) في هذه السنة اجتمعت زنانة بإفريقية وزحفت في خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقبهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفنة قريب من القيروان ، فافتلوا قتالا شديدا وانهمزمت عساكر المعز ففارت المعركة وهم على حامية ، ثم عاودوا القتال وحرص بعضهم بمضا فصبرت صنهاجة وانهمزمت زنانة هزيمة قبيحة وقتل منهم عدد كثير وأسر خلق عظيم وتعرف هذه الواقعة بوقعة الجفنة وهي مشهورة لعظمتها عندهم .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في رجب انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس وشهد في آخرها مثل التنين يضرب إلى السواد ويبقى ساعة وذهب ؛ وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت ، حتى إن الإنسان كان لا يبصر جليسه وأخذ بأنفاس الخلق ، فلو تأخر انكشافها لهلك أكثرهم ؛ وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبدالرحيم وزير جلال الدولة وهي الوزارة السادسة ؛ وفيها في رمضان توفي رافع بن الحسين ابن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فلما هلكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريداً في أيام عمه ، وحمل إلى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فأصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بني عمه كان يشرب معه ، فخرى بينه وبين آخر خصومة وجر دوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها غلطا ولرافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال ، عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقا تل ، وله شعر جيد من ذلك قوله :

لها ريقة أستغفر الله إنها ه الذ وأشهى في النفوس من الخمر
وصارم طرف لا يزال جفنه ه ولم أر سيفاً قط في جفنه يفرى
فقلت لها والعيس تحدج بالضحى ه أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبية آ نفا ه على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن لياليا ه تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وفيها في صفر أمر الزائم بأمر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وأمر الشهود أن لا يشهدوا في كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب ، فعدل الناس إلى القادرية والسابورية والقاسانية .

(١) آبي - بالنون المكسورة : قلعة حصينة ومدينة بأرض إرمينية بين خراسان وكنجة .

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان) في هذه السنة كانت الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان وهو من أكابر الأمراء ، ويلقب حاجب الحجاب وكان سبب ذلك أن جلال الدولة نسيبه إلى فساد الأتراك والأتراك نسيوه إلى أخذ الأموال بخاف على نفسه فالتجأ إلى دار الخلافة في رجب من السنة الخالية ، وترددت الرسل بين جلال الدولة والقائم بأمر الله في أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان يرسل الملك أبا كاليبجار ، فأرسل أبو كاليبجار جيشاً فوصلوا إلى واسط واتفق معهم عسكر واسط وأخرجوا الملك العزيز بن جلال الدولة فأصعد إلى أبيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع أصاغر الماليك ونادوا بشعار أبي كاليبجار وأخرجوا جلال الدولة من بغداد فسار إلى أوانا (١) ومعه البساسيري وأخرج بارسطغان الوزير أبا الفضل العباس ابن الحسن بن فسائجس فنظر في الأمور نيابة عن الملك أبي كاليبجار وأرسل بارسطغان إلى الخليفة يطلب الخطبة لأبي كاليبجار ، فاحتج بمهود جلال الدولة فأكره الخطباء على الخطبة لأبي كاليبجار ففعلوا ، وجرى بين الفريقين مناوشات وسار الأجناد الواسطيون إلى بارسطغان ببغداد فكانوا معه وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدولة إلى بغداد ونزل بالجانب الغربي ومعه قرواش بن المقلد العقيلي ودبيس بن علي

(١) أوانا - بالفتح والنون : بليدة كثيرة البساتين والشجر ؛ نزهة من نواحي دجيل ببغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلعاء في أشعارهم . حدث بعض الظرفاء قال : حصلت يوماً بعكبرا في بعض الحانات فشربت أياماً بها وكان فيها ابن خمار يحكى الشمس حسناً فلم أزل من عنده حتى نفدت نفقتي وبلغت الغرض الأقصى من عشرته فقرأت يوماً على جدار البيت الذي كنا فيه : حضر الفارغ المشغول المغرم بحامات الشمول وهو إلى من دخل إلى هذا الموضع بقول :

أيها المغرورون بالحامات • والمغنون في هوى الفتيات • ومن استنفدت كروم بزوغى
 فأوانا ، أهواله فالفرات • قد شربنا المدام في ديرمارى • ونكحنا البنين قبل البنات
 وأخذنا من الزمان أمانا • حيث كان الزمان طوعاً وموآتى • تحت ظل من الكروم ظليل
 وغريب من معجبات النبات • بادروا الوقت واشربوا الراح واحظوا • بمنساق الحبيب قبل الفوات
 ودعوا من يقول حرمت الخمر علينا في محكم الآيات • فافعلوا مثل ما فعلنا سواء
 وأجيبوا عن هذه الآيات

قال : فكنت تحت هذه الآيات بعد أن تحرقت على إجابته ولم يكن الشعر من عملي : أما فلان ابن فلان فقد عرف صحة قولك ففعل مثل فعلك جزاك الله عن إخوانك فاقدم قلت فنصحت وحضضت فنفعت . وينسب إلى أوانا ، قوم من أهل العلم منهم : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الأوانى الضرير المعروف بالموصلى : شيخ مستور سمع أبا الحسن علي بن أحمد الأنبارى . كتب عنه أبو سعد ببغداد وتوفي سنة ٥٣٧ .

وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأوانى : كاتب سديد وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان ؛ منها : رسالة في حسن الربيع أجاد فيها ؛ وله غير ذلك ، ومات بأوانا سنة ٥٥٧ . وأبو زكرياء يحيى بن الحسين بن جميلة الأوانى المقرئ الضرير : سمع أبا الفضل محمد بن عمر الأرموى وأبا غالب بن الداية وأبا محمد عبدالله بن علي المعروف بابن بنت الشيخ أبي محمد وأبا الفضل بن ناصر وغيرهم ، وهو مكثر صحيح السماع ، مات في

ابن مزيد الأسدي وخطب لجلال الدولة به وبالجانب الشرقي لآبي كاليبجار وأعان أبو الشوك وأبو الفوارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة آبي كاليبجار، ثم سار جلال الدولة إلى الأنبار وسار قرواش إلى الموصل وقبض بارسطغان على ابن فسانجس، فداد منصور بن الحسين إلى بلده وأتى الخبر إلى بارسطغان بعود الملك آبي كاليبجار إلى فارس ففارقه الديلم الذين جاؤا نجدة له، فضعف أمره فدفن ماله وحرمه إلى دار الخلافة وانحدر إلى واسط، وعاد جلال الدولة إلى بغداد وأرسل البساسيري والمرشد وبنى خفاجة في أثره، فتبعهم جلال الدولة وديس بن علي بن مزيد فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه فسقط عن فرسه فأخذ أسيراً وحمل إلى جلال الدولة بمقتله وحمل رأسه، وكان عمره نحو سبعين سنة، وسار جلال الدولة إلى واسط فلما كها وأصعد إلى بغداد فضعف أمر الأتراك وطمع فيهم الأعراب واستولوا على إقطاعاتهم، فلم يقدر واعي كف أيديهم عنها وكانت مدة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة إلى أن قتل ستة أشهر وعشر أيام.

(ذكر الصلح بين جلال الدولة وآبي كاليبجار والمصاهرة بينهما) في هذه السنة تردت الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه آبي كاليبجار سلطان الدولة في الصلح والاتفاق وزوال الخلف، وكان الرسل أفضى القضية آبا الحسن الماوردي وآبا عبدالله المردوستي وغيرهما فاتفقا على الصلح وحاف كل واحد من الملكين لصاحبه، وأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى آبي كاليبجار الخلع النفيسة، ووقع العقد لآبي منصور بن آبي كاليبجار على ابنة جلال الدولة، وكان الصداق خمسين ألف دينار قاسانية.

(ذكر عدة حوادث) فيها توفي أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم صاحب عمان، وكان جواداً مدحا، وقام ابنه مقامه، وفيها توفي الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة باليمن وولى ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد أن يملك فجرى بينهما حروب كثيرة تمادت أيامهما ففارق أهل تهامة أوطانهم إلى غير مملكة ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الأمر؛ وفيها توفي مهيار الشاعر، وكان مجوسيا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة، وصحب الشريف الرضي. وقال له أبو القاسم بن برهان يامهيار، قد انتقلت ياسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، قال: كيف؟ قال: لأنك كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شرك^(١) وفيها توفي أبو الحسين القدوري الفقيه الحنفي، والحاجب أبو الحسين هبة الله بن الحسين المعروف

(١) هو مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي، ويقال له الديلمي، كان مجوسيا فأسلم، إلا أنه سلك سبيل الرافضة، وكان ينظم الشعر القوى الفحل في مذاهبتهم من سب الصحابة وغيرهم، وقد كان منزله بدر برباح من الكرخ، وله ديوان شعر مشهور، فن مستجاد قوله:

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب • وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب • وأبتغي عنكم قلبا سمحت به
وكيف يرجع شيء وهو موهوب • ما كنت أعرف مقدار حبكم • حتى هجرت وبعض الهجر تأديب
ولمهيار أيضاً: أجارتنا بالفور والركب منهم • أي علم خال كيف بات المتيم
رحلتهم وجرم القلب فينا وفيكم • سواء ولكن ساهرون ونوم
فبتم عنا ظاعنين وخالفوا • قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حذرته • ولم يبق إلا نظرة لي تغتم
بكيك على الوادي وحرمت ماءه • وكيف به ماء وأكثره دم

قال ابن الجوزي: ولما كان شعره أكثره جيداً اقتصر على هذا القدر. توفي في جمادى الآخرة.

ابن أخت الفاضل وكان من أهل الأدب وله شعر جيد، وأبو علي بن أبي الريان بمطير أباد ومولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة، وقد مدحه الرضى وابن نباتة وغيرهما. وفيها عاود المعز بن باديس حرب زناتة بأفريقية فهزمهم وأكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم، وفي شعبان توفي أبو علي بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف السائرة على مذاهب الفلاسفة، وكان موته بأصبهان، وكان يخدم علاء الدولة أبا جعفر بن كاكويه، ولا شك أن أبا جعفر كان فاسد الاعتقاد، فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الإلحاد والرد على الشرائع في بلده.

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر محاصرة الأبخاز تفليس وعودهم عنها ﴾ في هذه السنة حصر ملك الأبخاز مدينة تفليس وامتنع أهلها عليه فأقام عليهم محاصراً ومضيقاً فنفتت الأقوات وانقطعت الميرة فأنفذ أهلها إلى أذربيجان يستنقرون المسلمين ويسألونهم إعانتهم؛ فلما وصل الغز إلى أذربيجان وجمع الأبخاز بقربهم وبما فعلوا بالأرمن رحلوا عن تفليس مجفئين خوفاً؛ ولما رأى وهو ذان صاحب أذربيجان قوة الغز وأنه لا طاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم؛ وقد تقدم ذكر ذلك.

﴿ ذكر ما فعله طغرل بك بخراسان ﴾ في هذه السنة دخل ركن الدين أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور مالكا لها؛ وكان سبب ذلك أن الغز السلجوقية لما ظهرها بخراسان وأفسدوا ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا على ما ذكرناه وسمع الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين الخبر فسير إليهم حاجبه سباشي في ثلاثين ألف مقاتل، فسار إليهم من غزنة فلما بلغ خراسان ثقل على ما سلم من البلاد بالإقامات، فخرّب السالم من تخريب الغز فأقام مدة سنة على المدافعة والمطارلة، لكنه كان يتبع أثرهم إذا بعدوا ويرجع عنهم إذا أقبلوا استعمالاً للحاجزة وإشفاقاً من المحاربة؛ حتى إذا كان في هذه السنة وهو بقرية بظاهر سرخس والغز بظاهر مرو مع طغرل بك وقد بلغهم خبره أسروا إليه وقاتلوه يوم وصلوا فلما جنهم الليل أخذ سباشي ما خلف من مال وهرب في خواصه وترك خيمه ونيرانه على حالها، قيل فعل ذلك موافقاً للغز على الهزيمة فلما أسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغز على ما وجدوه في معسكرهم من سوادهم، وقتلوا من الهنود الذين تخلفوا مقتلة عظيمة وأسرى داود آخر طغرل بك وهو والد السلطان ألب أرسلان إلى نيسابور وسمع أبو سهل الحمدوني ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه إليها فدخاها بغير قتال ولم يغيروا شيئاً من أمورها، ووصل بعدهم طغرل بك؛ ثم وصلت إليهم رسل الخليفة في ذلك الوقت وكان قد أرسل إليهم وإلى الذين بالرى وهمدان وبلد الجبل ينهائم عن النهب والقتل والإخراب ويعظهم، فأكرموا الرسل وعظموهم وخدموهم، وغاطب داود طغرل بك في نهب البلد فمنعه فامتنع، واحتج بشهر رمضان فلما انسلخ رمضان صم داود على نهبه فمنعه طغرل بك واحتج عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود إليه وقوى عزمه على النهب؛ فأخرج طغرل بك سكينا، وقال له والله لئن نهبت شيئاً لأقتلن نفسي فكف عن ذلك وعدل إلى التسوط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرقها في أصحابه وأقام طغرل بك بدار الأمانة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعد للمظالم يومين في الأسبوع على قاعدة ولاية خراسان وسير أخاه داود إلى سرخس فلكها

ثم استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة أخوة طغرل بك وداود ويغو وكان ينال واسمه ابراهيم أخا طغرل بك وداود لأمهما ثم خرج مسعود من غزنة وكان ما ذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك ﴾ في هذه السنة سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله ليحاطب بملك الملوك فامتنع ثم أجاب إليه إذا أفتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى إلى العقهاء في ذلك فأفتى القاضي أبو الطيب الطبري والقاضي أبو عبد الله الصيمري والقاضي ابن البيضاري وأبو القاسم الكرخي بجوازه . وامتنع منه قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال الدولة بملك الملوك وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد إلى دار المدائنة كل يوم ، فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفاً ، وأقام منقطعا من شهر رمضان إلى يوم عيد النحر ، فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفاً فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاهاً وقرباً منا ، وقد خالتهم فيما خالف هواي ؛ ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك واتباع الحق ، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك وجعلت إذن الحاضرين إليك لتتحقنوا عودي إلى ما نحب فشكره ودعاه له ، وأذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة قتل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب قتله الذبيري وعساكر مصر وملكوا حلب وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم وحضر أبو الحسن القزويني الزاهد بجامع المنصور وتكلم في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ؛ وفيها صالح بن وثاب النيرى صاحب حران الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم إليهم ربض الرها وكان تسلمه على ما ذكرناه أولاً فنزلوا من الحصن الذي للبلد إليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران منهم وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها وفيها هادن المستنصر بالله الخليفة العلوي صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه أن يعمرها بيعة قامة فأرسل الملك إليها من عمرها وأخرج عليها مالا جليلاً ، وفي هذه السنة سارت عساكر المعز ابن باديس بأفريقية إلى بلد الزاب ففتحوا مدينة تسمى بورس وقتلوا من البربر خلقاً كثيراً وفتح من بلاد زنانة قلعة تسمى كروم وفيها توفي اسحق بن ابراهيم بن مخلد أبو الفضل المعروف بابن الباقرحى في ربيع الآخر (١)

(١) ومن توفي في هذه السنة من الأعيان : الثعالبي صاحب يتيمة الدهر ، وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأكبر كتبه يتيمة الدهر في عاين أهل العصر : وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمه • أبكار أفكار قديمه • ماتوا وعاشت بعدهم • فلذلك سميت اليتيمه
ولما سمى الثعالبي لأنه كان رفاً يخط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، ومات في هذه السنة الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادي الفقيه الشافعي ، أحد الأئمة في الأصول والفروع ، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذا مال وثروة أنفقها على أهل العلم ، وصنف ودرس في سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الإسفرائيني ، وأخذ عنه ناصر المروزي وغيره

(ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة)

﴿ ذكر وصول الملك مسعود من غزنة إلى خراسان وإجلاء السلجوقية عنها ﴾ في صفر من هذه السنة وصل الملك مسعود إلى بلخ من غزنة وزوج ابنه من ابنة بعض مارك الخلمية. كان يتقى جانبه وأقطع خوارزم لشاهمك الجندي فسار إليها وبها خوارزمشاه إسماعيل بن التوتناش فجمع أصحابه ولقى شاهمك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدة شهر وانهمز إسماعيل والتجأ إلى طغرلبيك وأخيه داود السلجوقية وملك شاهمك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمان وعشرين وسبب خروجه ما وصل إليه من أخبار الغزو ما فباوه بالبلاد وأهلها من الإخراب والقتل والسبي والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراح واستراح وفرغ من أمر خوارزم والخانية ثم أمد سبامشي الحاجب بعسكر ليتقوى بهم ويهتم بأمر الغزو واستتصالحهم فلم يكن عنده من الكفاية ما يتقوى به بل أخذ إلى المطاولة التي هي عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه بقصد سرخس فتجنب الغزلاء وعدلوا إلى المراوغة والمخاتلة وأظهروا العزم على دخول المفازة التي بين مرو و خوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم إذ لقوا طائفة منهم فقابلوهم وطغروا بهم فقتلوا منهم ثم أنه واقعههم بنفسه في شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فأبدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحي مرو فواقعههم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسة قتل وهرب الباقون فدخلوا البرية التي يحتمون بها وثار أهل نيسابور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضها وانهمز الباقون إلى أصحابهم بالبرية وعدل مسعود إلى هرات ليتأهب في العساكر للسير خلفهم وطلبهم أين كانوا فعاد طغرلبيك إلى الأطراف النائية عن مسعود فتهبهم وانحنى فيها وكان الناس قد تراجعوا فملؤا أيديهم من الغنائم فحينئذ سار مسعود يطلبه فلما قاربه انزاح طغرلبيك من بين يديه إلى استوا وأقام بها وكان الزمان شتاء ظنا منه أن الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود إليها ففارق طغرلبيك وسلك الطريق على طوس واحتتمى بجبال منيعة ومضائق صعبة المسلك فسير مسعود في طلبه وزيره أحمد بن محمد بن عبد الصمد في عساكر كثيرة فطوى المراحل إليه جريدة فلما رأى طغرلبيك قربه منه فارق مكانه إلى نواحي أيبورد وكان مسعود قد سار ليقطعه عن جهة إن أرادها فلقى طغرلبيك مقدمته فواقعههم فانتصروا عليه واستأمن من أصحابه جماعة كثيرة ورأى الطلب له من كل جانب فعاد دخول المفازة إلى خوارزم وأرغل فيها فلما فارق الغز خراسان قصد مسعود جبلا من جبال طوس منيعة لا يرام وكان أهله قد وانقوا الغز وأفسدوا فلما فارق الغز تلك البلاد تحصن هؤلاء بجبلهم ثقة منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود إليهم جريدة فلم يرعهم إلا وقد خالطهم فتركوا أهلهم وأموالهم وصعدوا إلى قلة الجبل واعتصموا بها وامتنعوا وغنم عسكر مسعود أموالهم وما أدخروه ثم أمر مسعود أصحابه أن يزحفوا إليهم في قلة الجبل وباشر هو القتال بنفسه فزحف الناس إليهم وقاتلوهم قتالا لم يروا مثله وكان الزمان شتاء والثلج على الجبل كثيرا فهلك من العسكر في مخازم الجبل وشعبه كثير ثم أنهم ظفروا بأهله وأكثروا فيهم القتل والأسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرهم وسار مسعود إلى نيسابور في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغز ويطلبهم في المفاوز التي احتتموا بها وكانت هذه الوقعة وإجلاء الغز عن خراسان سنة إحدى وثلاثين على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر ملك أبي الشوك مدينة خولنجان ﴾ كان حسام الدولة أبو الشوك قد فتح قرميسين من أعمال الجبل

وقبض على صاحبها وهو من الأكراد القوهية فسار أخوه إلى قلعة أرنية فاعتصم بها من أبي الشوك وجعل أصحابه في مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضاً فلما كان الآن سير أبو الشوك عسكرياً إلى خولنجان فحصرها فلم يظفروا منها بشيء فأمر العسكر فعاد فأمن من في البلد بعود العسكر عنها ثم جهز عسكرياً آخر جريده لم يعلم بهم أحد وسيرهم ليومهم وأمرهم بنهب ربض قلعة أرنية وقتل من ظفروا به والإتمام لوقتهم إلى خولنجان ليسبقوا خبرهم إليها ففعلوا ذلك ووصلوا إليها ومن بها غير متأهبين فاقتتلوا شيئاً من قتال ثم استسلم من بالمدينة إليهم فتسللوا وتحصن من كان بها من الأجناد في قلعة في وسط البلد فحصرها أصحاب أبي الشوك فلكوها في ذي القعدة من هذه السنة .

﴿ ذكر الخطبة العباسية بجران والرقعة ﴾ في هذه السنة خطب شبيب بن وثاب النيرى صاحب حران والرقعة للإمام القائم بأمر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوى وكان سببها أن نصر الدولة بن مروان كان قد باغى عن الدزبرى نائب العلويين بالشام أنه يتهدده ويريد قصده بلاده فراسل قرواشا صاحب الموصل وطلب منه عسكرياً وراسل شبيبا النيرى يدعو إلى الموافقة ويحذره من المغاربة فأجابه إلى ذلك وقطع الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية فأرسل إليه الدزبرى يتهدده ثم أعاد الخطبة العلوية بجران في ذي الحجة من السنة .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ فيما توفي مؤيد الملك أبو علي الحسين بن الحسن الرخجى وكابوزيراً لملوك بني بويه ثم ترك الوزارة وكان في عطلة يتقدم على الوزراء وفيها أيضاً توفي أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة وفيها توفي الوزير أبو القاسم بن ماكولا محبوباً بهيت وكان مقامه في الحبس سنتين وخمسة أشهر ومولده سنة خمس وستين وثلثمائة وكان وزير جلال الدولة وهو والد الأمير أبي نصر مصنف كتاب الإكمال في المؤلف والمختلف وكان جلال الدولة سلمه إلى قرواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد است بقين من ربيع الأول فارتفع على الأرض شبراً ورماه الناس عن السطوح إلى الشوارع وجد الماء ستة أيام متوالية وكان أول ذلك الثالث والعشرين من كانون الثانى وتوفي هذه السنة أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق الأصبهاني الحافظ وأبو الرضا الفضل بن منصور بن الظريف الفارقي الأمير الشاعر له ديوان حسن وشعره جيد فنه: (١)

ومخطف الخصر مطبوع على صاف • عشقته ودواعى البين تعشقه
وكيف أطمع منه في مواصلة • وكل يوم لنا شمل يفرقه
وقد تسامح قلبى في مواصلى • على السلو ولكن من يصدقه

(١) ويروى له أيضاً :
ياقالة الشعر قد نصحت لكم • ولست أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى • ذاك أمور طويلة الشرح
أتطلبون النوال من رجل • قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف • وجوها فى غاية القبح
من أجل ذا تحرمون رزقكم • لأنكم تكذبون فى المدح
صونوا القوافى فما أرى • أحداً يغير فيه بالنجح
فإن شككتكم فيما أقول لكم • فكذبونى بواحد سمح

أماه وهو طلق الوجه مبتسم . وكيف يطمعني في السيف رونقه (١)

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

في هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة بخراسان كانت بيد الغز و قتل فيها جماعة منهم وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خراسان إلى البرية ، وقد ذكرناه سنة ثلاثين .

(ذكر ملك الملك أبي كاليجار البصرة) في هذه السنة سير الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل أبي منصور ابن مافنة إلى البصرة فلحقها في صفر وكانت بيد الظهير أبي القاسم وقد ذكرنا أنه وليها بعد بخنيار وأنه عصى

(١) ومن توفي أيضا في هذه السنة الحسن بن حفص أبو الفتح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو علي البرجمي ، وزير لشرف الدولة سنتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذي بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفي في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله . وتوفي في هذه السنة أيضا الحسين بن محمد بن الحسن بن علي بن عبدالله المؤدب ، وهو أبو محمد الخلال ، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميني ، وسمع غيره ، توفي في جمادى الأولى ، ودفن بباب حرب . وتوفي أيضا : عبد الملك ابن محمد بن عبدالله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والآجري وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله ، ومات في ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه في جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيرا حافلا ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي ، وكان قد أوصى بذلك ، وتوفي أيضا محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء ، أبو حازم القاضي أبو يعلى الحنبلي ، سمع الدارقطني وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لا بأس به ، ورأيت له أصولا سماعه فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بصر واشترى من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان يذهب إلى الاعتزال . توفي بتنيس من بلاد مصر . وتوفي أيضا محمد بن عبدالله أبو بكر الدينوري الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزويني يثني عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطاق للناس مكث الملح ، وكان مبالغه ألفي دينار فتركه من أجله ، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنائزه وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . وتوفي أيضا : هبة الله بن علي بن جعفر أبو القاسم بن ماكولا ، وزير لجلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بالشعر والأخبار ، خنق بهيت في جمادى الآخرة منها . وتوفي أيضا : أبو زيد الدبوسي عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قال ابن خلكان ، وكان يضرب به المثل ، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخاري قال : وله كتاب الأمرار والتقويم للأدلة ، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق ، قال وروى أنه ناظر فقيها فبقي كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تبسم أو ضحك ، فأنشد أبو زيد في ذلك :

مالي إذا ألزمته حجة . قابلني بالضحك والقهقهه

إن ضحك المرء من فقهه . فالدب بالصحراء ما أفقهه

وتوفي أيضا : الحوفي صاحب إعراب القرآن أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي ، له كتاب في النحو كبير ، وإعراب القرآن في عشر مجلدات ، وله تفسير القرآن أيضا ، وكان إماما في العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة ، انتفع بها الناس . قال ابن خلكان : والحوفي نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية ، وقصبتها مدينة بليس ، لجميع ريفها يسمون حوف ، واحدهم حوفي وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة ، من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله .

على أبي كاليبجار مرة وصار في طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد إلى طاعة الملك أبي كاليبجار وكان يترك محاقته ومعارضته فيما يفعله ويضمن الظهير أن يحمل إلى أبي كاليبجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه ، واتفق أنه تعرض إلى أملاك أبي الحسن بن أبي القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليبجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث في قصد البصرة فصادف قلبا موغراً من الظهير فحصلت الإجابة وجهز الملك العساكر مع العادل أبي منصور فسار إليها وحصرها وسارت العساكر من عمان أيضاً في البحر وحصرت البصرة وطلكت وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها في إحدى عشر يوماً بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليبجار إلى البصرة فأقام بها ثم عاد إلى الأهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس ولما سار أبو كاليبجار عن البصرة أخذ معه الظهير إلى الأهواز .

﴿ ذكر ماجرى بعمان بعد موت أبي القاسم بن مكرم ﴾ لما توفي أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش وأقر على بن هطال المنوجاني صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ في احترامه فكان إذا جاء إليه قام له فأناكر هذه الحال عليه أخوه المهذب فطعن على ابن هطال وبلغه ذلك فأضمر له سوءاً واستأذن أبا الجيش في أن يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له فأذن له في ذلك فلما حضر المهذب عنده خدمه وبالغ في خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه قال له ابن هطال إن أخاك أبا الجيش فيه ضعف وعجز عن الأمر ، والرأي أننا نقوم منك وتصير أنت الأمير وخذعه فقال إلى هذا الحديث فأخذ ابن هطال خطه بما يفوض إليه وبما يهبطه من الأعمال إذا عمل معه هذا الأمر فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبي الجيش وقال له إن أخاك كان قد أفسد كثيراً من أصحابك عليك وتحدث معي واستماني فلم أوافقك فلماذا كان يذمني ويقع في وهذا خطه بما استقر هذه الليلة فلما رأى خط أخيه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته إلى منخفض من الأرض وأظهر أنه سقط فمات ، ثم توفي أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطال أن يأخذ أخاه أبا محمد فيوليه عمان ثم يقتله فلم يخرج إليه والدته وقالت له أنت تتولى الأمور وهذا صغير لا يصلح لها ففعل ذلك وأساء السيرة وصادر التجار وأخذ الأموال وبلغ ما كان منه مع بني مكرم إلى الملك أبي كاليبجار والعادل أبي منصور بن مافنة فأعظما الأمر واستكبراه وشد العادل في الأمر وكاتب نائباً كان لأبي القاسم بن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى وأمره بقصد ابن هطال وجهز العساكر من البصرة لتسير إلى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا إليه وخرجوا عن طاعة ابن هطال وضعف أمره واستولى المرتضى على أكثر البلاد ثم وضعوا خادماً كان لابن مكرم وقد التحق بان هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له فلما سمع العادل بقتله سير إلى عمان من أخرج أبا محمد بن مكرم ورتبه في الإمارة وكان قد استقر أن الأمر لأبي محمد في هذه السنة .

﴿ ذكر الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك وبين عمه مهلهل ﴾ في هذه السنة كان بين أبي الفتح بن أبي الشوك وبين عمه مهلهل حرب شديدة وكان سبب ذلك أن أبا الفتح كان نائباً عن والده في الدينور وقد عظم محله وافتتح عدة قلاع وحمل أعماله من الغزو قتل فيهم فأعجب بنفسه وصار لا يقبل أمر والده فلما كان هذه السنة في شعبان

سار إلى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من الأكراد فعلت أنها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عناز وهو بحلله في نواحي الصامغان واستدعته لتسلم إليه القلعة فسأل الرسول عن أبي الفتح هل هو بنفسه على القلعة أم عسكره ، فأخبره أنه عاد عنها وبقي عسكره فسار مهلهل إليها فلما وصل رأى أبا الفتح قد عاد إلى القلعة فقصده موضعاً يوم أبا الفتح أنه لم يرد هذه القلعة ثم رجع عائداً وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراوت الفتنان فعاد مهلهل إليه فاقتلوا فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيراً فخافهم فولى منهزماً وتبعه أصحابه في الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان في عسكر أبي الفتح من الرجال وساروا في أثر المنهزمين يقتلون وبأسرون ووقف فرس أبي الفتح به فأسر وأحضر عند عمه مهلهل فضربه عدة مقازع وقيده وحبسه عنده وعاد ، ثم إن أبا الشوك جمع عسكره وسار إلى شهرزور وحصرها وقصد بلاد أخيه ليخلص ابنه أبا الفتح فطال الأمر ولم يخلص ابنه وحمل مهلهل اللجاج على أن استدعى علاء الدولة بن كاكوبه إلى بلد أبي الفتح فدخل الدينور وقرميسين وأساء إلى أهلها وظالمهم وملكها ، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

(ذكر شعب الأتراك على جلال الدولة ببغداد) في هذه السنة شغب الأتراك على الملك جلال الدولة ببغداد وأخرجوا خيامهم إلى ظاهر البلد ثم أوقعوا النهب في عدة مواضع فخافهم جلال الدولة فعبّر خيامه إلى الجانب الغربي وترددت الرسل بينهم في الصلح وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فراسل ديبس بن يزيد وقرواشا صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكر فاستقرت القواعد بينهم وعاد إلى داره وطمع الأتراك وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا وفسدت الأمور بالسكينة إلى حد لا يرجى صلاحه .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في جمادى الآخرة ولد للخليفة القائم بأمر الله ولده أبو العباس وهو ذخيرة الدين وفيها توفي شبيب بن وثاب النيرى صاحب الرقة وسروج وحران وفيها توفي أبو نصر بن مشكان كاتب الإنشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتاب المملقين رأيت له كتابة في غاية الجودة (١) .

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة) في هذه السنة اشتد ملك السلطان طغرل بك محمد وأخيه جعفرى بك داود ابني ميكائيل بن سلجوق بن تفاق فنذروا حال آباءهم ثم نذروا حاله كيف ينقلب حتى صار سلطاناً على أننى قد ذكرت أكثر أخبارهم متقدمة على السنين وإنما أوردناها ههنا مجموعة لترد

(١) وعن توفي في هذه السنة إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الخيرى ، من أهل نيسابور كان من أعيان الفضلاء الأذكياء ، والثقات الأمناء ، قدم بغداد حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخارى في ثلاثة مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهنى ، عن الفربرى عن البخارى توفي فيها وقد جاوز التسعين . وتوفي أيضاً : بشرى الفاتنى : وهو بشرى بن مسيس من سبي الروم ، أهداه أمراء بني حمدان الفاتن غلام المطيع ، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ ، وروى عنه الخطيب . وقال : كان صدوقاً صالحاً ديناً ، توفي يوم عيد الفطر منها رحمه الله . وتوفي أيضاً : محمد بن على بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطى ، وأصله من قم الصالح ، سمع الحديث وقرأ القراءات ورواها ، وقد تكلموا في رواية في القراءات والحديث ، فأنه أعلم . توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

سياقا واحدا فهي أحسن فأقول : فأما تقاق فعناه القوس الجديد وكان شهما ذا رأى وتدير وكان مقدم الأتراك الغز ورجعهم إليه لا يخالفون له قولا ولا يتعدون أمراً فانفق يوماً من الأيام أن ملك الترك الذي يقال له بيغو جمع عساكره وأراد المسير إلى بلاد الإسلام فنهأ تقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهما فيه فأغلظ له ملك الترك الكلام فلطمه تقاق فشحج رأسه فأحاط به خدام ملك الترك وأرادوا أخذه فأنعمهم وقتلهم واجتمع معه من أصحابه من منعه ففرقوا عنه ثم صلح الأمر بينهما وأقام تقاق عنده وولد له سلجوق فإنه لما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشي ومعناه قائد الجيش وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من تقدمه وطاعة الناس له والانقياد إليه وأغرته بقتله وبالغت في ذلك وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب إلى ديار الإسلام وسعد بالإيمان ومجاورة المسلمين وازداد حاله علواً وأمره وطاعة وأقام بنواحي جند وأدام غزو كفار الترك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين في تلك الديار وطرد سلجوق عماله منها وصفت للمسلمين ثم إن بعض ملوك السامانية كان هرون بن أيلك الخان قد استولى على بعض أطراف بلاده فأرسل إلى سلجوق يستمده فأمدته بابنه أرسلان في جمع من أصحابه فتوى بهم الساماني على هرون واسترد ما أخذه منه وعاد أرسلان إلى أبيه وكان لسجلوق من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى وتوفي سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودفن هناك وبقي أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكفار الأتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهد في سبيل الله وخلف من الأولاد بيغو وطرغربك محمداً وجغري بك داود فأطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيمهم ونزلوا بالقرب من بخارا على عشرين فرسخاً منها فخافهم أمير بخارا فأساء جوارهم وأراد إهلاكهم والإيقاع بهم فالتجؤا إلى بغراخان ملك تركستان وأقاموا في بلاده واحتسوا به وامتنعوا واستغفر الأمر بين طغرلبك وأخيه داود أنهما لا يجتمعان عند بغراخان إنما يحضره عند أحدهما ويقيم الآخر في أدله خوفاً من مكر يمكره بهم فبقوا كذلك ثم إن بغراخان اجتهد في اجتماعهما عنده فلم يفعله فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود في عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه فأنفذ إليه بغراخان عسكراً فافتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم وخلص أخاه من الأسر وانصرفوا إلى جند وهي قريب بخارا فأقاموا هناك فلما انقرضت دولة السامانية وملك أيلك الخان بخارا عظم محل أرسلان بن سلجوق عم داود وطرغربك بما وراء النهر، كان على تكين في حبس أرسلان خان فهرب وهو أخو أيلك الخان ولحق ببخارا واستولى عليها واتفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعوا واستفحل أمرهما وقصدهما أيلك أخو أرسلان خان وقتلها فهزماه وبقيا ببخارا وكان على تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره في بلاده ويقطع الطريق على رسله المترددين إلى ملوك الترك فلما عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب على تكين من بخارا وأما أرسلان بن سلجوق وجماعته فانهم دخلوا المفازة والرمل فاحتسوا من محمود فرأى محمود قوة السلجوقية وما لهم من الشوكة وكثرة العدد فكانت أرسلان بن سلجوق واستماله ورغبه فورد إليه فقبض يمين الدولة عليه في الحال ولم يمهله وسجنه في قلعة ونهب خركاهاته واستشار فيما يفعل بأدله وعشيرته فأشار أرسلان الجاذب وهو من أكبر خواص محمود بأن يقطع أباهم لئلا يرموا بالنشاب أو يفرقوا في جيحون فقال له ما أنت إلا قاسي القلب ثم أمر بهم فمروا نهر جيحون ففرقهم في نواحي خراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمال عليهم وامتدت الأيدي إلى أموالهم وأولادهم فانفصل منهم أكثر من ألفي رجل وساروا إلى كرمان ومنا

إلى أصبهان وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كويه حرب قد ذكرناها فصاروا من أصبهان إلى أذربيجان وهؤلاء جماعة أرسلان فأما أولاد أخوته فإن علياً تكين صاحب بخارا أعمل الخيل في الظفر بهم فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرلبك محمد وجفري بك داود ووعدته الإحسان وبالغ في استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوض إليه على تكين التقدم على جميع الأتراك الذين في ولايته وأقطعه إقطاعاً كثيرة ولقب بالأمير إينانج بيغو وكان الباعث له على ما فعله به وبمشيرته وأصحابه على طغرلبك وداود ابني عمه ويفرق كلتهم ويضرب بعضهم ببعض فعملوا مراده فلم يطعه يوسف إلى شيء مما أراد منه فلما رأى على تكين أن مكره لم يعمل في يوسف ولم يبلغ به غرضاً أمر بقتله فقتل يوسف تولى قتله أمير من أمراء على تكين اسمه ألب قرا فلما قتل عظم ذلك على طغرلبك وأخيه داود وجميع هشائرها ولبسوا ثياب الحداد وجمعوا من الأتراك من قدروا على جمعه للأخذ بثأره وجمع على تكين أيضاً جيوشه وسيرها إليهم فانهزم عسكر على تكين وكان قد ولد السلطان ألب أرسلان بن داود أول محرم سنة عشرين وأربعمائه قبل الحرب فتركوا به وتيمنوا بطلعته أوقيل في مولده غير ذلك فلما كان سنة إحدى وعشرين قصد طغرلبك وداود... ألب قرا الذي قتل يوسف ابن عمهما فقتلاه وأوقعا بطائفة من عسكر على تكين فقتل منها نحو ألف رجل فجمع على تكين عسكره وقصدهم هو وأولاده، ومن حمل السلاح من أصحابه وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير فقصدوهم من كل جانب وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل كثير من عساكر السلجوقية وأخذت أموالهم وأولادهم وسبوا كثيراً من نساءهم وذريتهم فالجأتهم الضرورة إلى العبور إلى خراسان فلما عبروا جيحون كتب إليهم خوارزمشاه هرون بن التونتاش يستدعيهم ليتفقروا معه وتكون أيديهم واحدة فسار طغرلبك وأخوه داود ويغو إليه وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين ووثقوا به واطمأنوا إليه فغدر بهم فوضع عليهم الأمير شاهملك فكبسهم ومعه عسكر من هرون فأكثر القتل فيهم والنهب والسبي وارتكب من الغدر خطة شنيعة فسار عن خوارزم بجمعهم إلى مفازة (نسا) وقصدوا (مرو) في هذه السنة أيضاً ولم يتعرضوا لأحد بشر وبقي أولادهم وذريتهم في الأسر وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها كما ذكرناه فراسلوه وطلبوا منه الأمان وضمنوا أنهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده ويدفونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم أعوانه عليهم وعلى غيرهم فقبض على الرسل وجهز عسكراً جراراً إليهم مع إيلتغدي حاجبه وغيرهم من الأمراء الأكار فساروا إليهم والتقوا عند نسا في شعبان من السنة واقتلوا وعظم الأمر وانهزم السلجوقية وغنمت أموالهم فجري بين عسكر مسعود منازعة في الغنيمة أدت إلى القتال واتفق في تلك الحال أن السلجوقية لما همزوا قال لهم داود إن العسكر الآن قد نزلوا واطمأنوا وآمنوا الطلب والرأي أن نقصدكم لعلنا نبلغ منهم غرضاً فعادوا فوصلوا إليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف وقتال بعضهم بعضاً فأوقعوا بهم وقتلوا منهم وأسروا واستردوا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم وعاد المنهزمون من العسكر إلى الملك مسعود وهو بنيسابور فقدم على رده طاعتهم وعلم أن هيبتهم قد تمكنت من قلوب عساكره وأنهم قد طمعوا بهذه الهزيمة وتجرؤوا على قتال العساكر السلطانية بعد الخوف الشديد وخاف من أخوات هذه الحادثة فأرسل إليهم يهددهم ويتوعددهم فقال طغرلبك لإمام صلواته اكتب إلى السلطان دقل اللهم مالك الملك توفى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، ولا تزدد على هذا

فكتب ما قال فلما ورد الكتاب على مسعود أمر فكتب إليهم كتاب مملوء من المواعيد الجميلة وسير معه الخلع النفيسة وأمرهم بالرحيل إلى آمل الشطا وهي مدينة على جيحرن ونهايم عن الشر والفساد وأقطع دهستان لداود و(نسا) لطغرلبك وفراوة لبيغو ولقب كل واحد منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول لو علمنا أن السلطان يبقى علينا إذا قدر لأطعناه ولكننا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لانطيعه ولا نثق إليه وأفسدوا ثم كفوا وتركوا ذلك فقالوا إن كان لنا قدرة على الاتصاف من السلطان وإلا فلا حاجة بنا إلى إهلاك العالم ونهب أموالهم وأرسلوا إلى مسعود يخادعونه بإظهار الطاعة له والكف عن الشر ويسألونه أن يطلق عنهم أرسلان بن سلجوق من الحبس فأجابهم إلى ذلك فأحضره عنده ببلخ وأمره بمراسلة بن أخيه بيغر وطغرلبك وداود يأمرهم بالاستقامة والكف عن الشر فأرسل إليهم رسولا يأمرهم بذلك وأرسل معه إشفنا وأمره بتسليمه إليهم فلما وصل الرسول وأدى الرسالة وسلم إليهم الإشفنا نفروا واستوحشوا وعادوا إلى أمرهم الأول في الغارة والشر فأعاده مسعود إلى محبسه وسار إلى غزنة فنقصد السلجوقية ببلخ ونيسابور وطوس وجوزجان على ما ذكرناه وأقام داود بمدينة مرو وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرة بعد مرة واستولى الرعب على أصحابه لاسيما مع بعده إلى غزنة فتمرت كتب نوابه وعماله إليه يستغيثون به ويشكون إليه ويذكرون ما يفعل السلجوقية في البلاد وهو لا يجيبهم ولا يتوجه إليهم وأعرض عن خراسان والسلجوقية واشتغل بأمر بلاد الهند فلما اشتد أمرهم بخراسان وعظمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وأرباب الرأي في دولته وقالوا له إن قلة المبالاة بخراسان من أعظم سعادة السلجوقية وبها يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ونحن نعلم وكل بما قل أنهم إذا تركوا على هذه الحال استولوا على خراسان سريعا ثم ساروا منها إلى غزنة وحينئذ لا ينفعنا حركاتنا ولا تمكن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطرب فاستيقظ من رقدته وأبصر رشده بعد غفلته ووجه العساكر الكثيرة مع أكبر أمير عنده يعرف بسباشي وكان حاجبه وقد سيره قبل إلى الغز العراقية وقد تقدم ذكر ذلك وسير معه أميراً كبيراً اسمه مرداويج بن بشو وكان سباشي جباناً فأقام بهراة ونيسابور ثم أغار بغتة على مرو وبها داود فسار مجداً فوصل إليها في ثلاثة أيام فأصاب جيوشه ودوابه التعب والكلال فانهزم داود بن يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جوزجان فقاتله داود فقتل صاحب جوزجان وانهزمت عساكره فعظم قتله على سباشي وكل من معه ووقعت عليهم الذلة وقويت نفوس السلجوقية وزاد طمعهم وعاد داود إلى مرو فأحسن السيرة في أهلها وخطب له فيها أول جمعة في رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمئة ولقب في الخطبة بملك الملوك وسباشي يمادى الأيام ويرحل من منزل إلى منزل والسلجوقية يراوغونه مراوغة الثعلب فقيل إنه كان يفعل ذلك جبناً وخوراً وقيل بل راسله السلجوقية واستمالوه ورغبوه فنفس عنهم وتراخى في تتبعهم والله أعلم. ولما طال بمقام سباشي وعساكره والسلجوقية بخراسان والبلاد منهوبة والدماء مسفوكة قلت الميرة والاقوات على العساكر خاصة فأما السلجوقية فلا يبالون بذلك لأنهم يقنعون بالقليل فاضطر سباشي إلى مباشرة الحرب وترك المحاجزة فسار إلى داود وتقدم داود إليه فالتقوا في شعبان سنة ثمان وعشرين على باب سرخس ولداود منجم يقال له الصومعي فأشار على داود بالقتال وضمن له الظفر وأشهد على نفسه أنه إن أخطأ قدمه مباح له فانتقل العسكران فلم يثبت عسكر سباشي وانهزموا أقبح هزيمة وساروا أخزي مسير إلى هراة فتبعهم داود وعسكره إلى طوس يأخذونهم باليد وكفوا عن القتل وغنموا أموالهم فكانت هذه الواقعة هي

الوقعة هي التي ملك السلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبيك نيسابور وسكن الشاذياخ وخطب له فيها في شعبان بالسultan المعظم وفرقوا النواب في النواحي وسار داود إلى هراة ففارقها سباشي ومضى إلى غزنة فعاتبه مسعود وحجبه وقال له ضيقت العساكر وطاولت الأيام حتى قوى أمر العدو وصفا لهم مشربهم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بأن القوم تفرقوا ثلاث فرق كلها تبعت فرقة سارت بين يدي وخافي الفريقان في البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود إلى المسير إلى خراسان لجمع العساكر وفرق فيهم الأموال العظيمة وسار عن غزنة في جيوش يضيق بها الفضاء ومعه من الفيلة عدد كثير فوصل إلى بلخ وقصده داود إليها أيضا ونزل قريبا منها فدخلها يوما جريدة في طائفة يسيرة على حين غفلة عن العساكر فأخذ القبيل الكبير الذي على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدة جنائب فعظم قدره في النفوس وازداد العساكر هيبته له ثم سار مسعود من بلخ أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سري الأتباع وسار على جوزجان فأخذ إليها الذي كان بها للسلجوقية فصلبه وسار منها فوصل إلى مرو والشاهجان وسار داود إلى سرخس واجتمع هو وأخوه طغرلبيك ويغزو فأرسل مسعود إليهم رسلا في الصلح فسار في الجواب يغزو فأكرمه مسعود وخلع عليه وكان مضمون رسالته إنا لا نثق بمصالحك بعد ما فعلنا هذه الأفعال التي سخطتها كل فعل منها موبق مهلك وآيسوء من الصلح فسار مسعود من مرو إلى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلها عليه فحصرها سبعة أشهر وضيق عليهم وألح في قتالهم فلما سمع مسعود هذا الخبر سقط في يديه وسار من هراة إلى نيسابور ثم منها إلى سرخس وكلما تبع السلجوقية إلى مكان ساروا منه إلى غيره ولم يزل كذلك فأدركهم الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون الربيع فلما جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولا ببلهوه وشربه فتقضى الربيع والأمر كذلك فلما جاء الصيف عاتبه وزرأوه وخراعه على إهماله أمر عدوه فسار من نيسابور إلى مرو يطلب السلجوقية فدخاوا البرية ندخلها وراهم مرحلتين والعساكر الذي له قد ضجروا من طول سفرهم ويكادهم وسثموا الشد والترحل فإبهم كان لهم في السفر نحو ثلاث سنين بعضها مع سباشي وبعضها مع الملك مسعود فلما دخل البرية نزل دنزلا قليل الماء والحر شديد فلم يكف الماء للسلطان وحواشيه وكان داود في معظم السلجوقية بإزائه وغيره من خشيرته مقابل ساقه عساكره يتخطفون من تخلف منهم فاتفق لها يريد الله تعالى أن حواشي مسعود اختصموا هم وجمع من العساكر على الماء وازدحموا وجرى بينهم فتنة حتى صار بعضهم يتقاتل بعضا وبعضهم نهب بعضا فاسترحش لذلك أمراء العساكر ومشى بعضهم إلى بعض في التخلي عن مسعود فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف فتقدم إليهم وحمل عليهم وهم في ذلك التنازع والقتال والنهب فولوا منهزمين لا يلوي أول على آخر وكثر القتل فيهم والسلطان مسعود ووزيره يناديانهم ويأمرانهم بالعود فلا يرجعون وتمت الهزيمة على العساكر وثبت مسعود ثقيل له ما تنتظر قد فارقك أصحابك وأنت في برية مهلكة وبين يديك عدو وخلفك عدو ولا وجه للمقام فمضى منهزما ومعه نحو مائة فارس فتبعه فارس من السلجوقية فمطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شيء حتى أتى فرشتان وأما السلجوقية فإنهم غنموا من العساكر المسعودي ما لا يدخل تحت الإحصاء وقسمه داود على أصحابه وآثرهم على نفسه ونزل في سرادق مسعود وقعد على كرسيه ولم ينزل عسكره ثلاثة أيام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها إلا لما لا بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك خوفا من عود العساكر وأطلق الأسرى وأطلق خراج سنة كاملة وسار طاعة لك إلى نيسابور فلما

ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب أصحابه الناس فقبل عنه إنه رأى لوزينجا فأكله وقال هذا قطماج طيب إلا أنه لا ثوم فيه ورأى الغز الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مرو نقل عنهم أشياء من هذا كثيرا وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم وزادت البلية بهم على أهل نيسابور فهم ينهبون الأموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام ويفعلون كل ما يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع ولا يزرهم زاجر فلما دخل طغرل بك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السلجوقية حينئذ على جميع البلاد فسار بيغو إلى هراة فدخلها وسار داود إلى بلخ وبها التوتناق الحاجب واليا عليها لمسعود فأرسل إليه داود يطلب منه تسليم البلد إليه ويعرفه عجز صاحبه عن نصرته فسجن التوتناق الرسل فنازله داود وحصر المدينة فأرسل التوتناق إلى مسعود وهو بغزة يعرفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهز مسعود العساكر الكثيرة وسيرها فجاءت طائفة منهم إلى الرخج وبها جمع من السلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجل وأسر كثير وخلا ذلك الصقع منهم وسار طائفة منهم إلى هراة وبها بيغو فقاتلوه ودفنوه عنها ثم إن مسعوداً سير ولده مودود في عسكر كثير مددا لهذه العساكر فقتل مسعود وهو بخراسان على ما ذكره إن شاء الله تعالى فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قاربوا بلخ سير داود طائفة من عسكره فأوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطلائع وتبعهم عسكر داود فلما أحس بهم عسكر مودود رجعوا إلى وراثهم وأقاموا فلما سمع التوتناق صاحب بلخ الخبر أطاع داود وسلم إليه البلد ووطى بساطه .

﴿ ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد ﴾ قد ذكرنا عود مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى غزنة من خراسان فوصلها في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على سباشي وغيره من الأمراء كما ذكرناه وأثبت غيرهم وسير ولده مودود إلى خراسان في جيش كثيف لينزع السلجوقية عنها فسار مودود إلى بلخ ليرد عنها داود أجا طغرل بك وجعل أبوه مسعود معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبر الأمور وكان مسيرهم من غزنة في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بغيرهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليشتوبها على عادة والده فلما سار أخذ معه أخاه محمد مسمولا واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية ثقة بيهودهم فلما عبر سيحون وهو نهر كبير نحو دجلة وعبر بعض الخزائن اجتمع أنوشتكين البلخي وجمع من الغلمان الدارية ونهبوا ما تخلف من الخزانة ، وأقاموا أخاه محمد أئامث عشر ربيع الآخر ، وسلوا عليه بالإمارة فامتنع من قبول ذلك فهددوه وأكرهوه فأجاب وبقى مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتلوا وعظم الخطب على الطائفتين ثم انهزم عسكر مسعود وتحصن هو في رباط ماريكلة فحصره أخوه فامتنع عليه فقالت له أمه إن مكانك لا يعصمك ، ولأن تخرج إليهم بعهد خير من أن يأخذوك قهراً فخرج إليهم فقبضوا عليه فقال له أخوه محمد والله لا قابلتك على فعلك بي ولا عاملتك إلا بالجبل فانظر أين تريد أن تقيم حتى أحملك إليه ومعك أولادك وحرملك فاختر قلعة كيكي فأنفذه إليها محفوظا وأمر بإكرامه وصيافته وأرسل مسعود إلى أخيه محمد يطلب منه مالا ينفقه فأنفذه له خمسمائة درهم فبقي مسعود وقال كان بالأمس حكى على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليوم لا أملك الدرهم الفرد فأعطاء الرسول من ماله ألف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرسول لأنه لما ملك مودود بن مسعود بالغ في الإحسان إليه ، ثم إن

محمدًا فوض أمر دولته إلى ولده أحمد وكان فيه خبط وهوج ، فانفق هو وابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن عليّ خويشاوند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولوالده ، فدخل إلى أبيه ، فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فأعطاه فسار بها إلى الغلعة وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة إلى مسعود فأدخلهم إليه فقتلوه فلما علم محمد بذلك ساءه وشق عليه وأنكره وقيل إن مسعود لما حبس دخل عليه ولدا أخيه محمد واسم أحدهما عبد الرحمن والآخر عبد الرحيم فد عبد الرحمن يده فأخذ القلنسوة من رأس عمه مسعود فد عبد الرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبه وقبلها وتركها على رأس عمه فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والأسر لما ملك مودود بن مسعود على ما ذكره إن شاء الله تعالى ، ثم إن محمدًا أغراه ولده أحمد بقتل عمه مسعود فأمر بذلك وأرسل إليه من قتله وألقاه في بئر وسد رأسها وقيل بلى ألقى في بئر حيا وسد رأسها فمات والله أعلم . فلما مات كتب محمد إلى ابن أخيه مودود وهو بخراسان يقول إن والدك قتل قصاصا قتله أولاد أحمد يناكتكتين بلارضا مني ، فأجاب مودود : يقول أطال الله بقاء الأمير القاسم ورزق ، ورزق ولده المعتوه أحمد عقلا يعيش به فقد ركب أمراً عظيماً وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين ، وستعلون في أي حتف تورطتم ، وأي شر تأبطتم ، وسيعلم الذين ظهروا أي منقلب ينقلبون

نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلم

وطمع جند محمد فيه وزالت عنهم هيبتهم فدوا أيديهم إلى أموال الرعايا فهبوا ، فخربت البلاد وجلا أهلها لاسيما مدينة برشاوور فإنها هلك أهلها ونهبت أموالهم وكان المملوك بها يباع بدينار ويبيع الخمر كل من بدينار ثم رحل محمد عنها لليلتين بقيتا من رجب وكان ما ذكره إن شاء الله تعالى ، وكان السلطان مسعود شجاعا كريما ذا فضائل كثيرة محبا للعلماء كثير الإحسان إليهم والتقرب لهم صنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم ، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة تصدق مرة في شهر رمضان بألف ألف درهم وأكثر الإدارات والصلوات وعمر كثيرا من المساجد في ممالكة وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان مع عفة عن أموال رعاياه وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة أعطى شاعرا على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكل بيت ألف درهم وكان يكتب خطا حسنا وكان ملكه عظيما فسيحا ملك أصهبان والري وهمذان وما يابها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخرارزم وبلاد الروان وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند وملك كثيرا منها وأطاعه أهل البر والبحر ومناقبه كثيرة وقد صنفت فيها التصانيف المشهورة فلاحاجة إلى الإطالة بذكرها .

(ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدًا) لما قتل الملك مسعود وصل الخبر إلى ابنه مودود وهو بخراسان فعاد مجدا في عساكره إلى غزنة فتصافى هو وعمه محمد في ثالث شعبان فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد وأنوشتكين الخصى البلخي وابن عليّ خويشاوند فقتلهم وقتل أولاد عمه جميعهم إلا عبد الرحيم لإنكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمة مسعود وبني موضع الواقعة قرية ورباطا وسماها فتح آباد وقتل كل من له في القبض على والده صنع وعاد إلى غزنة فدخلها في ثالث وعشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر أبا نصر وزير أبيه وأظهر العدل وحسن السيرة وسلك سيرة جده محمود وكان داود آخر طغرليك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود بمقابله فتجدد قتل مسعود فماد لوقضى الله أمرا كان مفقولا

ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل

فلما تجدد هذا الظفر لمودود ثار أهل هراة بمن عندهم من الغز السلجوقية فأخرجوهم وحفظوها لمودود واستقر الأمر لمودود بغزنة ولم يبق له هم إلا أمر أخيه مجدود فإن أباه قد سيره إلى الهند سنة ست وعشرين تخاف أن يخالف عليه فأتاه خبره أنه قصد : لهاوور ، ولتان فلكهما وأخذ الأموال وجمع بهما العساكر وأظهر الخلف على أخيه فندب إليه مودود جيشا لينعوه ويقاتلوه وعرض مجدود عسكره السير وحضر عيدا لأخي فبقي بعده ثلاثة أيام وأصبح ميتا بلمهاوور لا يدري كيف كان موته وأطاعت البلاد بأسرها مودود ورست قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسله ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة .

(ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل) في هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقرواش بن المقلد العقيلي صاحب الموصل وكان سبب ذلك أن قرواشا كان قد أنفذ عسكرا سنة إحدى وثلاثين فحصروا خميس بن ثعلب بتكريت وجرى بين الطائفتين حرب شديدة في ذي القعدة منها فأرسل خميس ولده إلى الملك جلال الدولة وبذل بذولا كثيرة ليكف عنه قرواشا فأجابه إلى ذلك وأرسل إلى قرواش يأمره بالكف عنه فغالط ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره فتأثر جلال الدولة منه ثم إنه أرسل كتبا إلى الأتراك ببغداد يفسدهم وأشار عليهم بالشغب على الملك وإثارة الفتنة معه فوصل خبرها إلى جلال الدولة وأشياء أخر كانت هذه هي الأصل فأرسل جلال الدولة أبا الحرث أرسلان الفساسيري في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار معه جماعة من الأتراك وتبعه جمع من العرب فرأى في طريقه جمالا لبي عيسى فتسرع إليها الأتراك والعرب فأخذوا منها نطعة وأوغل الأتراك في الطلب وبلغ الخبر إلى العرب وركبوا وتبعوا الأتراك وجرى بين الطائفتين حرب انهزم فيها الأتراك وأسر منهم جماعة وعاد المنهزمون فأخبروا الفساسيري بكثرة العرب فعاد ولم يصل إلى مقصده وسار طائفة من بني عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا في السواد فاتفق أن وصل بهض أكابر القواد الأتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه وحملوا إلى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلال الدولة وقرواش فجمع جلال الدولة العساكر وسار إلى الأنبار وهي لقرواش على عزم أخذها منه وغيرها من إقطاعه بالعراق فلما وصلوا إلى الأنبار أغلقت وقائهم أصحاب قرواش وسار قرواش من تكريت إلى خصه على عزم القتال فلما نزل الملك جلال الدولة على الأنبار قلت عليهم العلوقة فسار جماعة من العسكر والعرب إلى الحديثة ليمتاروا منها فخرج عليهم عندها جمع كثير من العرب فأوقعوا بهم فانهزم بعضهم وعادوا إلى العسكر ونهبت العرب ما معهم من الذواب التي تحمل الميرة وبقى المرشد أبو الوفاء وهو المقدم على العسكر الذين ساروا لإحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبر إلى جلال الدولة أن المرشد أبا الوفاء يقاتل وأخبر سلامته وصبره للعرب وأنهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك إليه بمسكر فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول إليه وعادوا عنه بعد أن حملوا عليه وعلى من معه عدة حملات صبر لها في قلة من معه ثم اختلفت عتيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاه وبذل له بذلا أصلحه به وعاد إلى طاعته فتحالفا وعاد كل إلى مكانه .

(ذكر ملك أبي الشوك دقوقا) كانت دقوقا لأبي المساجد المهلهل بن محمد بن عناز فسير إليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولده سعديا فحاصرها فقاتله من بها ثم سار أبو الشوك إليها فجد في حصارها ونقب سورها

ودخلها عنوة ونهب أصحابه بعض البلد وأخذوا سلاح الأكراد وثيابهم وأقام حسام الدولة بالبلد ليلة وعاد خوفا على البنديجين وحلوان فإن أخاه سرخاب بن محمد بن عناز كان قد أغار على عدة مواضع من ولايته وحالف أبا الفتح بن ورام والجاوانية عليه فأشفق من ذلك وأرسل إلى جلال الدولة يطلب منه نجدة فسير إليه عسكرا امتنع بهم .

(ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم) في هذه السنة كان رقعة بين عسكر المصر بين سيره الدزبري وبين الروم فظفر المسلمون وكان سبب ذلك أن ملك الروم قد هادن المهتمصر بالله العاوي صاحب مصر على ما ذكرناه فلما كان الآن شرع يرسل ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسله قبله صالح ليقوى به على الدزبري خوفا أن يأخذ منه الرقة فبلغ ذلك الدزبري فتهدد ابن صالح فاعتذر وجحد ثم إن جمعا من بني جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى فخرج عليهم جمع من الروم فقاتلهم وأوقعوا بهم ونكثوا فيهم وأزالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بجلب فأخرج من بها من تجار الفرنج وأرسل إلى المتولى بأنطاكية يأمره بإخراج من عندهم من تجار المسلمين فأغظ للرسول وأراد قتله ثم تركه فأرسل الناظر بجلب إلى الدزبري يعرفه الحال وأن القوم على التجهز لقصد البلاد فجهاز الدزبري جيشا ومسيره على مقدمته فاتفق أنهم لقوا جيشا للروم، وقد خرجوا لمثل ما خرج إليه دولاب والتقى الفريقان بين مدينة حماة وفاقية واشتد القتال بينهم، ثم إن الله نصر المسلمين وأذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة وأسر ابن عم للملك بذلوا في فدائه مالا جزيلا وعدة وافر من أسراء المسلمين وانكف الروم عن الأذى بعدها .

(ذكر الخلف بن المعز وبني حماد) في هذه السنة خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب إفريقية وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار إليهم المعز وجمع العساكر وحشدتها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم وأقام عليهم نحو سنين .

(ذكر صالح أبي الشوك وعلاء الدولة) وفيها سار مهلهل أخو أبي الشوك إلى علاء الدولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على أخيه أبي الشوك فسار معه، فلما بلغ قره يسين رجع أبو الشوك إلى حلوان فعرف علاء الدولة رجوعه فسار يتبعه حتى بلغ المرج وقرب من أبي الشوك فدم أبو الشوك على قصد قلعة السيروان والتحصن بها ثم تجدد وأرسل إلى علاء الدولة أني لم أتصرف من بين يديك إلا مراقبة لك وإعظاما لقدرك واستعظافا لك فإذا اضطررتني إلى مالا أجد بدأ منه كان العذر قائما لي فيه فإن ظفرت بك طمع فيك الأعداء وإن ظفرت بي سلمت قلاعي وبلادي إلى الملك جلال الدولة فأجابه علاء الدولة إلى الصلح على أن يكون له الدينور وعاد فلاحقه المرض في طريقه وتوفي على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد وسببه عدم الأمطار فسميت سنة الغبار ودام ذلك إلى سنة أربع وثلاثين فخرج الناس فاستسقوا وفيها توفي قرل أمير الغز العراقية بالري ودفن بناحية من أعمالها، وفيها توفي مساعد بن محمد أبو العلاء النيسابوري ثم الامتواني قاضي نيسابور، وكان عالما فقيها حنفيا انتهت إليه رئاسة الحنفية بخراسان (١)

(١) وفي هذه السنة توفي أيضا محمد بن الحسين بن الفضل بن العباسي أبو يعلى البصرى الصوفى، أذهب عمره في الأسفار والتغريب، وقدم بغداد في سنة ثنتين وثلاثين، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقي وأبي الحسين ابن جميع الغساني، وكان ثقة صدوقا، دينا، حسن الشعر .

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعائة)

(ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكوبه) في هذه السنة في المحرم توفي علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكوبه بعد عوده من بلد أبي الشوك وإنما قيل له كاكوبه لأنه ابن خال مجد الدولة بن بويه والخال بلغتهم كاكوبه وقام بأصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده وأطاعه الجند بها فسار ولده أبو كاليبجار كرشاسف إلى نهاوند فأقام بها وحفظها وضبط أعمال الجبل وأخذها لنفسه فأمسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز ثم إن مستحفظا لعلاء الدولة بقاعة نظنر أرسل أبو منصور إليه يطلب شيئاً مما عنده من الأموال والذخائر فامتنع وأظهر العصيان فسار إليه أبو منصور وأخوه الأصغر أبو حرب ليأخذوا القلعة منه كيف أمكن فصعد أبو حرب إليها ووافق المستحفظ على العصيان ، فعاد أبو منصور إلى إصبهان وأرسل أبو حرب إلى الغز السلجوقية بالرى يستنجدهم فسار طائفة منهم إلى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلبوها إلى أبي حرب وعادوا إلى الرى فسير إليها أبو منصور عسكرياً ليستنقذها من أخيه ، فجمع أبو حرب الأكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحباً له وسيرهم إلى إصبهان ليلكوها بزعمه فسير إليهم أخوه أبو منصور عسكرياً فالتقوا وانهمزم عسكرياً أبي حرب وأسر جماعة منهم وتقدم أصحاب أبي منصور فحسروا أباحرب فلما رأى الحال وخاف نزل منها متخفياً وسار إلى شيراز إلى الملك أبي كاليبجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد إصبهان وأخذها من أخيه فسار الملك إليها وحصرها وبها الأمير أبو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عدة وقائع كان آخر الأمر الصلح على أن يبقى أبو منصور بأصبهان وتقرر عليه مال وعاد أبو حرب إلى قلعة نظنر واشتد الحصار عليه فأرسل إلى أخيه يطلب المصالحة فاصطلحا على أن يعطى أخاه بعض ما في القلعة ويبقى بها على حاله ، ثم إن إبراهيم بنال خرج إلى الرى على ما ذكره وأرسل إلى أبي منصور فرامرز يطلب منه المصادقة فلم يجيبه وسار فرامرز إلى همذان وبروجرد فلما كهما ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف وأقطعهم همذان وخطب لأبي منصور على منابر بلاد كرشاسف واتفقت كلمتهما وكان المدبر لأمرهما ألكيا أبو الفتح الحسن بن عبد الله وهو الذي سعى في جمع كلمتهما .

(ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان) في هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وسبب ذلك أن أنوشروان بن منوچهر بن قابوس بن وشمككي صاحبها قبض على أبي كاليبجار بن ويهان القوهي صاحب جيشه وزوج أمه بمساعدة أمه عليه فلم حينئذ طغرلبك أن البلاد لا مانع له عنها فسار إليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحاً وسلباً إلى مرداويج ابن بسو وقرر عليه خمسين ألف دينار كل سنة عن جميع الأعمال وعاد إلى نيسابور وقصد مرداويج أنوشروان بسارية وكان بها فاصطلحا على أن ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار وأقيمت الخطبة لطرغلبك في البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة أنوشروان وبقي أنوشروان يتصرف بأمر مرداويج لا يخالفه في شيء البته .

(ذكر أحوال ملوك الروم) نذكر ههنا أحوال الروم من عهد بسيل إلى الآن فنقول من عادة ملوك الروم أن يركبوا أيام الأعياد إلى البيعة المخصوصة بذلك العيد فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخرون فيها فركب والدي بسيل وقسطنطين في بعض الأعياد وكان لبعض أكابر الروم بنت جميلة

فخرجت تشاهد الملك فلما مر بها استحسنا فأمر من يسأل عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها وأحبها وولدت منه بسيل وة ـ سطنطين وتوفي وهو صغيران وتزوجت بعده بمدة طويلة تقفور فذكره كل واحد منهما صاحباً به فعمات على قتله فراسلت الشمشقيق في ذلك فقصد قسطنطينية متخفياً فأدخلته إلى دار الملك وانفقا وقتلاه ليلاً وأحضرت البطارقة متفرقين وأعطتهم الأموال ودعوتهم إلى تملك الشمشقيق ففعلوا ولم تصبح إلا وقد فرغت مما تريد ولم يجر خلف وتزوجت الشمشقيق وأقامت معه سنة فخافها واحتال عليها وأخرجها إلى دير بعيد وحمل ولديها معها فأقامت فيه سنة ثم أحضرت راهبا ووهبته مالا وأمرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فإذا وفق به الملك وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك فلما كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية في اليوم الذي توفي فيه الشمشقيق فملك ولداها بسيل ودبرت هي الأمر لصغره فلما كبر بسيل قصد بلد البلغار وتوفيت وهو هناك فبلغه وفاتها فأمر خادما له أن يدبر الأمور في غيبته ودام قتاله لبلغار أربعين سنة فظفروا به فعاد مهزوما وأقام بالقسطنطينية يتجهز للعود فعاد إليهم نظفروا بهم وقتل ملكهم وسبي أهله وأولاده وملك بلاده ونقل أهلها إلى الروم وأسكن البلاد طائفة من الروم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فإن هؤلاء أقرب إلى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغار وكان بسيل عاد لاحسن السيرة ودام ملكه نيفا وسبعين سنة وتوفي ولم يخلف ولدا فلما خلفه أخوه قسطنطين وبقى إلى أن توفي ولم يخلف غير ثلاث بنات فملك الكبرى وتزوجت أرمانوس وهو من أقارب الملك وملكته فبقي مدته وهو الذي ملك الرها من المسلمين وكان لأرمانوس صاحب له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض الصيارف اسمه ميخائيل فلما ملك حكمه في داره فمالت زوجة أرمانوس إليه وعملا الحيلة في قتل أرمانوس فرض أرمانوس فأدخله إلى الحمام كارها وخنقاه وأظهرا أنه مات في الحمام وملكته زوجته ميخائيل وتزوجته على كره من الروم وعرض لميخائيل صرع لازمه وشوه صورته فعهد بالملك بعهدته إلى ابن أخته له اسمه ميخائيل أيضاً، فلما توفي ملك ابن أخته وأحسن السيرة وقبض على أهل خاله وإخوته وهم أخواله وضرب الدنانير في هذه السنة وهي سنة ثلاث وثلاثين ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها أن تهرب وتزعم نفسها من الملك فأبت فضربها وسيرها إلى جزيرة في البحر ثم عزم على القبض على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه، فإنه كان لا يقدر على مخالفته فطلب إليه أن يعمل له طعاما في دير ذكره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده فأجابه إلى ذلك وخرج إلى الدير ليعمل ما قال الملك فأرسل الملك جماعة من الروس والبلغار ووافقهم على قتله سرا فقصدوه ليلاً وحصروه في الدير فبذل لهم مالا كثيراً وخرج متخفياً وقصد البيعة التي يسكنها وضرب الناقوس فاجتمع الروم عليه ودعاهم إلى عزل الملك فأجابوه إلى ذلك وحصروا الملك في دار فأرسل الملك إلى زوجته وأحضرها من الجزيرة التي نفاها إليها ورغب في أن ترد عنه فلم تفعل وأخرجته إلى بيعة يترهب فيها ثم إن البطرك والروم نزعوا زوجته من الملك وملكوا أختها لها صغيرة واسمها تذورة وجعلوا معها خداماً يديرون الملك وكملوا ميخائيل ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصب له وبين من يتعصب لتذورة والبطرك فظفروا أصحاب تذورة بهم ونهبوا أموالهم ثم إن الروم افتقروا إلى ملك يديروا فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للملك في رقاع ووضعوها في بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستزلت أختها الصغيرة تذورة عن الملك بمال بذلته لها واستقر

في الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجي من الروم اسمه أرميناس ودعا إلى نفسه فكثرت جمعه حتى زادوا على عشرين ألفاً فأقام قسطنطين أمره وسير إليه جيشاً كثيفاً فظفروا بالخارجي وقتلوه وحملوا رأسه إلى القسطنطينية وأسر من أعيان أصحابه مائة رجل فشهروا في البلد ثم أطلقوا وأعطوا نفقة وأمروا بالانصراف إلى أي جهة أرادوا .

(ذكر فساد حال الدزبري بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد) في هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد كان كبيراً على مخدميه بما يراد من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير أبو القاسم الجرجراي يقصده ويحسده إلا أنه لا يجد طريقاً إلى الوقعة فيه ثم اتفق أنه سعى بكاتب الدزبري اسمه أبو سعد وقيل عنه إنه تستميل صاحبه إلى غير جهة المصريين فكاتب الدزبري بإبعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجراي حاجب الدزبري وغيره على مخالفته ثم إن جماعة من الأجناد قصدوا مصر وشكوا إلى الجرجراي منه فعرفهم سوء رأيه فيه وأعادهم إلى دمشق وأمرهم بإفساد الجند عليه ففعلوا ذلك وأحس الدزبري بما يجري فأظهر مافي نفسه وأحضر نائب الجرجراي عنده وأمر بإعادته وضربه ثم إنه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم ومنع الباقين فحرك مافي نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كوتبوا به من مصر فأظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتلوا فعلم الدزبري ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب أربعين غلاماً له وما أمكنه من الدواب والآثاث والأموال ونهب الباقي وسار إلى بعلبك فنعه مستحفظها وأخذ ما أمكنه أخذه من مال الدزبري وتبعه طائفة من الجند يقفون أثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار إلى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلد بن منفذ الكمانى الكفرطاني واستدعاه فأجابه وحضر عنده في نحو ألني رجل من كفرطاب وغيرها فاحتفى به وسار إلى حلب ودخلها وأقام بها مدة وتوفي في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة فلما توفي فسد أمر بلاد الشام وانتشرت الأمور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا في نواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائي بفلسطين وخرج معز الدولة بن صالح الكلابي بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة واستمع أصحاب الدزبري بالقلعة وكتبوا إلى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن أحمد الذي ولي أمر دمشق بعد الدزبري بحرب حسان ووقع الموت في الدين في القلعة فسلبوها إلى معز الدولة بالأمان .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة سير الملك أبو كاليبجار من فارس عسكرياً في البحر إلى عمان ، وكان قد عصى من بها فوصل العسكر إلى صحار مدينة عمان فملكوها واستعادوا الخارجين عن الطاعة واستقرت الأمور بها وعادت العساكر إلى فارس وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصليق من البطائح فملكها ونهبها ثم استقر أمرها على مال يؤديه إلى جلال الدولة وفيها توفي أبو منصور بهرام بن منافية وهو الملقب بالمادل وزير الملك أبي كاليبجار ومولاه سنة ست وستين وثلاثمائة ، وكان حسن السيرة ؛ وبني دار الكتب بفيروزاباد وجعل فيها سبعة آلاف مجلد ؛ فلما مات وزر بعده مذهب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي وفيها وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج فأقيم لهم من الديوان الإقامة الوافرة ، فقتل بعضهم من أي الأمم هم البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة وبلدهم في أقصى الترك وكانوا كفاراً فأسلدوا عن قريب وهم على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ؛ وفيها توفي ميخائيل ملك الروم ، وملك بعده ابن أخيه ميخائيل أيضاً .

وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو الحسن محمد بن جعفر الجهرمي الشاعر وهو القائل :
يا ويح قلبي من تقلبه هـ أبدأ يحن إلى معذبه
قالوا كنت هواه عن جلد هـ لو أن لي رمقاً لبحث به
بأبي حبيباً غير هـ كثرث هـ عني ويكثر من تعبه
حسبي رضاه من الحياة وما هـ قلقي وموتى من تغضبه
وكان بينه وبين المطرز مهاداة (١).

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر ملك طغربك مدينة خوارزم) قد تقدم أن خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين ، فلما توفي وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التوتناش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولاها لمحمود ومسعود بعده ولما كان مسعود مشغولاً بقصد أخيه محمد لأخذ الملك قصد الأمير علي تكين صاحب ماوراء النهر أطراف بلاده وشعها فلما فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التوتناش في سنة أربع وعشرين بقصد أعمال علي تكين وأخذ بخارا وسمرقند وأبده بجيش كثيف ، فبهر جيحون وفتح من بلاد علي تكين ما أراد وانحاز علي تكين من بين يديه وأقام التوتناش بالبلاد التي فتحها فرأى دخلها لا يفي بما تحتاج عساكره لأنه كان يريد يكون في جمع كثير يمتنع بهم على الترك فكاتب مسعوداً في ذلك واستأذنه في العود إلى خوارزم فأذن له ، فلما عاد لحقه على تكين على غرة وكبسه فانهزم على تكين وصعد إلى قلعة دبوسية فحصره التوتناش وكاد يأخذه فراسله على تكين واستعطفه وضرع إليه فرحل عنه وعاد إلى خوارزم وأصاب التوتناش في هذه الواقعة جراحة ، فلما عاد إلى خوارزم مرض منها وتوفي وخلف من الأولاد ثلاثة بنين هارون ورشيد واسماعيل فلما توفي ضبط البلد وزيره أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزان وغيرها ، وأعلم مسعود الخبر فولى ابنه الأكبر هرون خوارزم وسيره إليها وكان عنده واتفق أن الميمندي وزير مسعود توفي فاستحضر أبا نصر بن محمد بن عبد الصمد وامتورزه فاستتاب أبو نصر عند هارون ابنه عبد الجبار وجعله وزيره فجري بينه وبين هرون منافرة أسرها هارون في نفسه وحسن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود فأظهر العصيان في شهر رمضان سنة خمس وعشرين ، وأراد قتل عبد الجبار فاختنق منه يقال أعداء أبيه للملك مسعود إن أبا نصر قد واطأ هارون على العصيان وإنما اختنق ابنه حيلة ومكرأ فاستوحش منه إلا أنه لم يظهر ذلك له وعزم مسعود على الخروج من غزنة إلى خوارزم فسار عن غزنة والزمان شتاء فلم يتمكنه قصد خوارزم فسار إلى جرجان طالباً أنوشروان بن منوچهر ليقابله على ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد ينادي بيلاد الهند فلما كان بيلاد جرجان أتاه كتاب عبد الجبار بن أبي نصر بقتل هارون وإعادة البلد إلى طاعته وكان عبد الجبار في بدء استناره يعمل على قتل هارون ووضع جماعة على

(١) وفي هذه السنة توفي أيضاً مسعود الملك بن الملك محمود بن الملك سبكتكين صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم له ابنه مودرد بن مسعود ، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته من أجل أبيه ، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه .

ذكر خروج طغرلبيك إلى الري

الفتك به فقتلوه عند خروجه إلى الصيد وقام عبد الجبار بحفظ البلد فلما وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم أن الذي قيل من أبيه كان باطلا فعاد إلى الثقة به وبقي عبد الجبار أيا ما يسيرة فوثب به غلمان هرون فقتلوه وولوا البلد اسماعيل بن التوتشاش وقام بأمره شكر خادم أبيه وعصوا على مسعود فكتب مسعود إلى شاهملك بن علي أحد أصحاب الأطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وأخذها فسار إليها فقاتله شكر واسماعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسار إلى طغرلبيك وداود السلجوقيين والتجأ إليهما وطلبوا المعونة منهما فسار داود معهما إلى خوارزم فلقيهم شاهملك وقتلهم فهزمهم ولما جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك في طاعته وصافاه وتمسك كل واحد منهما بصاحبه ثم إن طغرلبيك سار إلى خوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها وانهمز شاهملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى في المغازة إلى هستان ثم انتقل عنها إلى طبرستان ثم إلى أطراف كرمان ثم إلى أعمال القيزومكران فلما وصل إلى هناك علم خلاصه بيده وأمن في نفسه فعرف خبره أرتاش أخو إبراهيم بنال وهو ابن عم طغرلبيك فقصده في أربعة آلاف فارس فأوقع به وأسره وأخذ مامعه ثم عاد به فسلبه إلى داود وحصل هو بما غنم من أمواله وعاد بعد ذلك إلى باذغيس المقاربة لهرات وأقام على محاصرة هرات لأنهم إلى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود فقاتلهم أهل هرات وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وإنما حملهم على ذلك الحرب خوفا من الغز.

(ذكر قصد إبراهيم بنال همدان وما كان منه) قد ذكرنا خروج إبراهيم بنال من خراسان إلى الري واستيلاءه عليها، فلما استقر أمرها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها، ثم انتقل إلى بروجرد فملكها، ثم قصد همدان وكان بها أبو كاليجار كرشاسف ابن علاء الدولة صاحبها ففارقها إلى سابور خواست ونزل إبراهيم بنال على همدان وأراد دخولها، فقال له أهلها: إن كنت تريد الطاعة وما يطلبه السلطان من الرعية، فنحن بأذنيه وداخلون تحتها فاطلب أول هذا المخالف عليك الذي كان عندنا - يعنون كرشاسف - فإنا لانأمن عوده إلينا فإذا ملكته أو دفعته كنا لك فكف عنهم وسار إلى كرشاسف بعد أن أخذ من أهل البلد مالا فلما قارب سابور خواست صعد كرشاسف إلى القلعة فنحصر بها وحصر إبراهيم البلد فقاتله أهلها خوفا من الغز فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فلك البلد قهراً ونهب الغز أهلها وفعّلوا الأفاعيل القبيحة بهم، ثم عادوا بما غنموه إلى الري فأرأوا طغرلبيك قد ورد بها، ولما فارق إبراهيم والغز همدان نزل كرشاسف إليها، فأقام بها إلى أن وصل طغرلبيك إلى الري فسار إليه إبراهيم على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر خروج طغرلبيك إلى الري وملك بلد الجبل) في هذه السنة خرج طغرلبيك من خراسان إلى الري بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان، فلما سمع أخوه إبراهيم بنال بقدمه سار إليه فلقبه وتسلم طغرلبيك الري منه وتسلم غيرها من بلد الجبل وسار إبراهيم إلى سجستان وأخذ طغرلبيك أيضاً قلعة طبرك من مجد الدولة ابن بويه، وأقام عنده مكرماً وأمر طغرلبيك بعمارة الري وكانت قد خربت فوجد في دار الإمارة مراكب ذهب بجوهرة وبرنيتين صينيتين مملوءة جوهراً ومالا كثيراً وغير ذلك، وكان كامرويهادي طغرلبيك وهو بخراسان ويخدمه وخدم أخاه إبراهيم لما كان بالري فلما حضر عنده وأهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتى وهو يظن أن طغرلبيك يزيد في إقطاعه، ويرعى له ما تقدم من خدمته له فغاب ظنه، وقرر على ما يده كل سنتين وسبعة وعشرين

ألف دينار، ثم سار إلى قزوين، فامتنع عليه أهلها فزحف إليهم، ورماهم بالسهام والحجارة فلم يقدرُوا أن يقفوا على السور؛ وقتل من أهل البلد برشق وأخذ ثلاثمائة وخمسين رجلاً، فلما رأى كامرو ومرداويج بن بسو ذلك خانوا أن يملك البلد عنوة وينهب فذموا الناس من القتال وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار وصار صاحبها في طاعته ثم إنه أرسل إلى كوركاش وبوقا وغيرهما من أمراء الغز الذين تقدم خروجهم إليهم ويدعوهم إلى الحضور في خدمته، فلما وصل رسوله إليهم ساروا حتى نزلوا على نهر بنواحي زنجان ثم أعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا أن غرضك أن تجمعنا لتفويض علينا، والخوف منك أبعدنا عنك، وقد نزلنا ههنا فإن أردتنا قصدنا خراسان أو الروم ولا نجتمع بك أبداً؛ وأرسل طغرلبك إلى ملك الديلم يدعوهُ إلى الطاعة ويطلب منه ما لا تفعل ذلك وحمل إليه مالا وعروضاً وأرسل أيضاً إلى سلال الطرم يدعوهُ إلى خدمته ويطلبه بحمل مائتي ألف دينار فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشيء من المال وأرسل سرية إلى أصبهان وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فأغارَت على أعمالها وعادت مسالمة، وخرج طغرلبك من الري وأظهر قصد أصبهان فراسله فرامرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار إلى همدان فلما كان من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة وكان قد نزل إليه وهو بالري بعد أن راسله طغرلبك غير مرة وسار معه من الري إلى اهر وزنجان فأخذ منه همدان وتفرق أصحابه عنه وطالب منه طغرلبك تسليم قلعة كندكور فأرسل إلى من بها بالتسليم فلم يفعلوا وقالوا لرسول طغرلبك قل لصاحبك والله لو قطعته قطعاً ما سلمناها إليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا إلا بأمرك ورأيك فاصعد إليهم وأقم معهم ولا تفارق موضعك حتى آذن لك، ثم عاد إلى الري واستتاب بهمدان ناصرًا العلوي وكان كرشاسف قد قبض عليه فأخرجه طغرلبك وولاه الري وأمره بمساعدة من يجعله في البلد وكان معه مرداويج بن بسو نائبه في جرجان وطبرستان، فمات، وقام ولده جستان مقامه فسار طغرلبك إلى جرجان فعزل جستان عنها، واستعمل على جرجان أسفار وهو من خواص منو جهر بن قابوس، فلما فرغ أمر جرجان وطبرستان سار إلى دهستان فحصرها وبها صاحبها كاميار معتصمها لحصانها.

(ذكر مسير عساكر طغرلبك إلى كرمان) وسير طغرلبك طائفة من أصحابه إلى كرمان مع أخيه إبراهيم ينال بعد أن دخل الري وقيل إن إبراهيم لم يقصد كرمان وإنما قصد سجستان، وكان مقدم العساكر التي سارت إلى كرمان غيره، فلما وصلوا إلى أطراف كرمان نهبوا، ولم يقدموا على التوغل فيها فلم يروا من العساكر من يكفهم فتوسطوها وملكوا عدة مواضع منها ونهبوها؛ فبلغ الخبر إلى الملك أبي كاليجار صاحبها فسير وزيره مهذب الدولة في العساكر الكثيرة وأمره بالجد في المسير ليديركهم قبل أن يملكوا جيرفت وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتى قاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها، وجاء مهذب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة إلى العسكر فخرجت الغز إلى الجبال والبغال والميرة ليأخذوها، وسمع مهذب الدولة ذلك فسير طائفة من العسكر لمنعهم فتواقفوا واقتتلوا وتكاثرت الغز فسمع مهذب الدولة الخبر فسار في العساكر إلى المعركة وهم يقتتلون، وقد ثبتت كل طائفة لصاحبها، واشتد القتال إلى حد أن بعض الغز رمى فرس بعض أصحاب أبي كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فأصاب فرس الغزى وحمل الغزى على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا إلى الأرض قتيلين والفرسان قتيلين وهذه حالة لم يدون عن مقدمي الشجعان أحسن منها، فلما وصل مهذب الدولة إلى

المعركة اهزم الغز وتركوا ما كانوا يهبوه ودخلوا المفازة وتبعهم الديلم إلى رأس الحديد، وعادوا إلى كرمان فأصلحوا ما فسد منها .

﴿ ذكر الوحشة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة ﴾ في هذه السنة افتتحت الجوالى في المحرم ببغداد فأنفذ الملك جلال الدولة فأخذ ما تحصل منها وكانت العادة أن يحمل ما يحصل منها إلى الخلداء لانعراضهم فيها الملوك فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الأمر فيه على القائم بأمر الله واشتد عليه وأرسل مع أفضى القضاء أبى الحسن الماوردى في ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك وأخذ الجوالى فجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرجالة وتقدم بإصلاح الطيار والزبازب وأرسل إلى أصحاب الأطراف والقضاة بما عزم عليه وأظهر العزم على مفارقة بغداد فلم يتم ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال أن الملك يترك معارضة النواب الإمامية فيها في السنة الآتية .

﴿ ذكر محاصرة شهر زور وغيرها ﴾ في هذه السنة سار أبو الشوك إلى شهر زور فحصرها ونهبها وأحرقها وخرب قراها وشراذمها وحصر قلعة تيران شاه فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها ووعدته أن يخلص ولده أبا الفتح من أخيه مهلهل وأن يصلح بينهما وكان مهلهل قد سار من شهر زور لما بلغه أن أخاه أبا الشوك يريد قصدهما وقصد نواحي سنده وغيرهما من ولايات أبى الشوك فنهبا وأحرقها وهلكت الرعية في الجهتين ثم إن أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض يذنبه ما وعدته به من تخليص ولده والشروط التي تقررت بينهما فأجابته بأن مهلهلا غير مجيب إليه فعند ذلك سار أبو الشوك من حلوان إلى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التي لمهلهل جميعها فأنزاح مهلهل من بين يديه وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد أبو الشوك .

﴿ ذكر خروج سكين بمصر ﴾ في هذه السنة في رجب خرج بمصر إنسان اسمه سكين كان يشبه الحاكم صاحب مصر قادهى أنه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم فاغتنموا خلوة دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار فدخاوا الدهليز فوثب من هناك من الجند فقال لهم أصحابه إنه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فراجع الجند إلى القصر والحرب قائمة فقتل من أصحابه جماعة وأسر الباقون وصلبوا أحياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها وأكثر دار الإمارة وسلم الأمير لأنه كان في بعض البساتين فأحصى من هلك من أهل البلد فكانوا قريبا من خمسين ألفا ولبس الأمير السواد والمسوح لعظام المصيبة وعزم على الصعود إلى بعض قلاع خوفان توجه الغز السلجوقية إليه وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقى العلوى النقيب بالموصل وفيها قتل قرواش كاتبه أبا الفتح بن المفرج صبوا وفيها توفي عبد الله بن أحمد أبو ذر الطروى الحافظ أقام بمكة وتزوج من العرب وأقام بالسروات وكان يجمع كل سنة يحدث في الموسم ويعود إلى أهله وصحب القاضي أبا بكر الباقلانى وفيها توفي عمر ابن إبراهيم بن سعيد الزهرى من ولد سعد ابن أبى وقاص وكان فقيها شافيا (١)

(١) وفي هذه السنة أيضا توفي محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر أبو الفتح الشيبانى العطار ويعرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد وسمع الكثير ، وكان شيخا ظريفا ، سلك طريق التصوف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية ، ثم سماني بعض أهلى محمداً .

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر إخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية) في هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الأنواع من القسطنطينية وسبب ذلك أنه وقع الخبر بالقسطنطينية أن قسطنطين قتل ابنتي الملك المتقدم اللتين قد صار الملك فيهما الآن فاجتمع أهل البلد وأثاروا الفتنة وطعموا في النهب فأشرف عليهم قسطنطين وسألمهم عن السبب في ذلك فقالوا قتلت الملكتين وأفسدت الملك فقال ماقتلتهما وأخرجهما حتى رأهما الناس فسكنوا ثم إنه سأل عن سبب ذلك فقيل له إنه فعل الغرباء وأشاروا بإبعادهم وأمر فنودي أن لا يقيم أحد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فن أقام بعد ثلاثة أيام كل نخرج منها أكثر من مائة ألف إنسان ولم يبق بها أكثر من اثني عشر نفسا ضمنهم الروم فتركهم .

(ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليبجار) في هذه السنة في سادس شعبان توفي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن بويه ببغداد وكان مرضه وربما في كبده وبقى عدة أيام مريضا وتوفي وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا ودفن بداره ومن علم سيرته وضمفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه إلى هذه الغاية علم أن الله على كل شيء قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه من يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم وزار مرة مشهدي علي والحسين عليهما السلام وكان يمشي حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تدينا ولما توفي انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الأكبر إلى باب المراتب وحریم دار الخلافة خوفا من نهب الأتراك والعامه دورهم فاجتمع قواد العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبا ولما توفي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الأجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما في مقداره وتأخيره لفقده وبلغ موته إلى الملك أبي كاليبجار بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد والأجناد ورغبهم في المسال وكثرته وتعجيله فالوا إليه وعدلوا عن الملك العزيز وأما الملك العزيز فإنه أصعد إلى بغداد لما قرب الملك أبو كاليبجار منها على ما نذكره سنة ست وثلاثين عازما على قصد بغداد ومعه عسكر فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره ورجعوا إلى واسط وخطبوا لأبي كاليبجار فلما رأى ذلك مضى إلى نور الدولة ديبس بن مزيد لأنه بلعه ميل جند بغداد إلى أبي كاليبجار وسار من عند ديبس إلى قرواش بن المقلد فاجتمع به بقرية خصه من أعمال بغداد وسار معه إلى الموصل ثم فارقه وقصد أبا الشوك لأنه حموه فلما وصل إلى أبي الشوك غدر به وألزمه بطلاق ابنته ففعل وصار عنه إلى إبراهيم بنال أخى طغرل بك وتنقلت به الأحوال حتى قدم بغداد في نفر يسير عازما على استمالة العسكر وأخذ الملك يثار به أصحاب الملك أبي كاليبجار فقتل بعض من عنده وسار هو محتفيا فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفي عنده بميفارقين وحمل إلى بغداد ودفن عند أبيه بمقابر قریش في مشهد باب التبن سنة إحدى وأربعين وقد ذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزي أنه آخر ملوك بني بويه وليس كذلك فإنه ملك بعده أبو كاليبجار ثم الملك الرحيم بن أبي كاليبجار وهو آخرهم على ما تراه وأما الملك أبو كاليبجار فلم تزل الرسل تتردد بينه وبين عسكر بغداد حتى استقر الأمر له وحلفوا وخطبوا له ببغداد في صفر من سنة ست وثلاثين وأربعمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين) في هذه السنة سير الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرياً مع حاجب له إلى نواحي خراسان فأرسل إليهم داود أخو طغرلبك وهو صاحب خراسان ولده ألب أرسلان في عسكر فالتقوا واقتلوا فكان الظفر الملك ألب أرسلان وعاد عسكر غزاة منهزماً وفيها أيضاً في صفر سار جمع من الغزالي نواحي بست وفعولوا ما عرف منهم من النهب والشر فسير إليهم أبو الفتح مودود عسكرياً فالتقوا بولاية بست واقتلوا قتالاً شديداً انهزم الغز فيه وظفر عسكر مودود وأكثروا فيهم القتل والأسر.

(ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند) في هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا لهاور وحاصروها فجمع مقدم العساكر الإسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل إلى صاحبه مودود يستجده فسير إليه العساكر فاتفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما ويعرف بدوبال هربانه فانهزم منهم وصعدوا إلى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتما بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الأوقات على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلبوا الجميع وغنم المسلمون الأموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه ثابت بالري فتقدم إليهم ولقيهم فاقتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا إلى ذلك.

(ذكر الخائف بين الملك أبي كالجبار وفرامرز بن علاء الدولة) في هذه السنة نكت الأمير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصفهان المهدي الذي بينه وبين الملك أبي كالجبار وسير عسكرياً إلى نواحي كرمان فلما ذكرها منها حصنين وغنموا ما فيها فأرسل الملك أبو كالجبار إليه في إعادتهما وإزالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرياً وسيره إلى أرقوه فحصرها وملكها فانهزم فرامرز لذلك وجهز عسكرياً كثيراً وسيره إليهم فسمع الملك أبو كالجبار بذلك فسير عسكرياً ثانياً مدداً لعسكره الأول واتفق العسكران فاقتلوا وصبروا ثم انهزم عسكر أصفهان وأسر مقدمهم الأمير إسحق بن ينال واسترد نواب أبي كالجبار ما كانوا أخذوه من كرمان.

(ذكر أخبار الترك بما وراء النهر) في هذه السنة في صفر أسلم من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي بلاساغون وكاشغار ويغرون ويعينون عشرة آلاف خرقة وضحووا يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم وكانوا يصيفون بنواحي بلخار ويشتون بنواحي بلاساغون فلما أسلموا تفرقوا في البلاد فكان في كل ناحية ألف خرقة وأقل وأكثر لأنهم فيهم إنما كانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضاً من المسلمين وبقى من الأتراك من لم يسلم ترو خطاؤهم بنواحي الصين وكان صاحب بلاساغون وبلاد الترك شرف الدولة وفيه دين وقد قنع من إخوته وأقاربه بالطاعة وقسم البلاد بينهم فأعطى

أخاه أصلان تمكن كثيرا من بلاد الترك وأعطى أخاه بفراخان طراز وإسيجاب وأعطى عمه طغاخان فرعانة بأسرها وأعطى ابن علي تمكن بخازا وسمرقند وغيرهما وقنع هو بيلاساغون وكاشغر .

(ذكر أخبار الروم والقسطنطينية) في هذه السنة في صفر أيضا ورد إلى القسطنطينية عدد كثير من الروس في البحر وراسلوا قسطنطين ملك الروم بمالم تجر به عاداتهم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب إلى البر وبعضهم فيها فألقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا إلى إطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والفرق وأما الذين على البر فقاتلوا وأبوا وصبروا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولا استرق وسلم ومن امتنع حتى أخذ قهرا قطع الروم أيماهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم إلا اليسير مع ابن ملك الروسية وكفى الروم شرهم .

(ذكر طاعة المعز بأفريقية للقائم بأمر الله) في هذه السنة أظهر المعز ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه وفي أول الكتاب الذي مع الرسل من عبدالله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحى ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل وأرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك في يوم الجمعة فدخل به إلى الجامع والخطيب ابن الفاكة على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لي ولكم وقطعت الخطبة للملويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البغليجة وبين الأجناد من الغز والديلم فأحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك أبي كاليجار وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله أفضى القضية أبا الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي إلى السلطان طغرلبيك قبل وفاة جلال الدولة وأمره أن يقرر الصلح بين طغرلبيك والملك جلال الدولة وأبي كاليجار فسار إليه وهو بمرجان فلقبه طغرلبيك على أربعة فراسخ إجلالا لرسالة الخليفة وعاد الماوردي سنة ست وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرلبيك للخليفة وتعظيمه لأوامره ووقوفه عندها وفيها توفي عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر أبو القاسم بن أبي الفتح الأزهرى الصيرفي المعروف بابن السوارى شيخ الخطباء أبي بكر وكان إماما في الحديث ومن تلامذته الخطيب البغدادي (١) .

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر قتل الإسماعيلية بما وراء النهر) في هذه السنة أوقع بفراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الإسماعيلية وكان سبب ذلك أن نفرا منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلوى صاحب

(١) وفي هذه السنة توفي أيضا الحسين بن عثمان بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي أبو سعد ، أحد الرجالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها . وروى عنه الخطيب وقال : كان صدوقا ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات في شوال .

مصر فتبعهم جمع كثير وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الإيقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعض من أجا بهم أهل تلك البلاد فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول في مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من أجا بهم إلى مقاتلتهم فحينئذ قبل من بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم .

﴿ ذكر الخطبة للملك أبي كاليبجار وإصعاده إلى بغداد ﴾ قد ذكرنا لما توفي الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجند الملك أبا كاليبجار والخطبة له فلما استقرت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالا فرقت على الجند ببغداد وعلى أولادهم وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخطب له ببغداد في صفر وخطب له أيضا أبو الشوك في بلاده ودييس بن مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ولقبه الخليفة محي الدين وسار إلى بغداد في مائة فارس من أصحابه لثلاث نخافه الأتراك فلما وصل إلى النعمانية لقيه ديبس بن مزيد ومضى إلى زيارة المشهدين بالكوفة وكر بلاه ودخل إلى بغداد في شهر رمضان ومعهم وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسايجس ووعده الخليفة القائم بأمر الله أن يستقبله فاستعفى من ذلك وأخرج عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزير جلال الدولة من بغداد قضى أبو سعد إلى تكريت وزينت بغداد لقدمه وأمر نخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيري والنشاورى والهمام أبو اللقاء وجرى من ولاية العرض تقديم لبعض الجند وتأخير فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاية الرض بمرأى من الملك أبا كاليبجار فنزل في سميرية بمنكور وانحدر خوفا من انخراق الهيبة وأصعد بقم الصلح وفي رمضان منها توفي أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراى وزير الظاهر والمستنصر الخليفين وكان فيه كفاية وشهامة وأمانة وصلى عليه المستنصر بالله .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة نزل الأمير أبو كاليبجار كرشاسف بن علاء الدولة من كركور وقصد همدان فملكها وأزاح عنها نواب السلطان طغرلبك وخطب للملك أبا كاليبجار وصار في طاعته وفيها أمر الملك أبو كاليبجار ببناء سور مدينة شيراز فبنى وأحكم بناؤه وكان دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله أحد عشر بابا وفرغ منه سنة أربعين وأربعمئة وفيها نقل تابوت جلال الدولة من داره إلى مشهد باب التبن إلى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم علي بن عبد الله الجوينى وهو أول وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدهستاني وهو أول من لقب بنظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندرى وهو أشهرهم وإنما اشتهر لأن طغرلبك في أيامه عظمت دولته ووصل إلى العراق وخطب له بالسلطنة وسيرد من أخباره ما فيه كفاية فلا حاجة إلى ذكرها ههنا وفيها توفي الشريف المرتضى أبو القاسم علي أخو الرضى في آخر ربيع الأول ومولده سنة خمس وخمسين وثمانمئة (١) وولى نقابة العلويين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضى

(١) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف الموسوى ، الملقب بالمرتضى ، ذى المجدين ، كان أكبر من أخيه ذى الحسين وكان جيد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده في كل المذاهب ، وله تصانيف في التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزى أشياء من تفرداته في التشيع ، فن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من =

وفيها توفي القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه ومن جملة تلامذته القاضي أبو عبد الله الدامغانى ومولده سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وولى بعده قضاء الكرخ القاضي أبو الطيب الطبرى مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق وفيها توفي القاضي أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشترى قاضى خوزستان وفارس وكان شافعى المذهب وفيها أيضا توفي أبو الحسين محمد بن علي للبصرى المتكلم المعتزلى صاحب التضائيف المشهورة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وصول ابراهيم ينال إلى همدان وبلد الجبل ﴾ في هذه السنة أمر السلطان طغرلبك أخاه ابراهيم ينال بالخروج إلى بلد الجبل وملكها فسار إليها من كرمان وقصد همدان وبها كرشاسف بن علاء الدولة ففارقها خوفا ودخلها ينال فملكها ، والتحق كرشاسف بالأكراد الجوزقان ، وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور فسار عنها إلى قرميسين خوفا وإشفاقا من ينال فقوى طمع ينال حينئذ في البلاد وسار إلى الدينور فملكها ورتب أمورها وسار منها يطلب قرميسين ، فلما سمع أبو الشوك به سار إلى حلوان وترك بقرميسين من في عسكره من الديلم والأكراد الشادنجان ليعوها ويحفظوها ووافق ينال جريدة فقواتوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بخركاته وحمله فقائلوه فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه فلك البلد في رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة وأخذ أموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بأبي الشوك ونهب البلد وقتل وسبي كثيرا من أهله ، ولما سمع أبو الشوك ذلك سير أهله وأمواله وسلاحه من حلوان إلى قلعة السيروان وأقام جريدة في عسكره ثم أن ينال سار إلى الصيمرة في شبان فملكها ونهبها وأوقع بالأكراد المجاورين لها من الجوزقان فاهزموا وكان كرشاسف بن علاء الدولة نازلا عندهم فسار هو وهم إلى شهاب الدولة أبي الفوارس منصور بن الحسين ، ثم إن ابراهيم ينال سار إلى حلوان ، وقد فارقها أبو الشوك ولحق بقلعة السيروان فوصل إليها ابراهيم

== جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجزئ في الغائظلا في البول ، وأن الكتائب حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن انطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جرت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رؤس الأصابع . قال ابن الجوزى : نقلته من خط أبي الوفاء بن عقيل . قال . وهذه مذاهب عجيبة ، تخرق الإجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضی الله عنهم . ثم سرد من كلامه شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضی الله عنهم وأخزاه الله وأمناله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرفض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزى قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيورى قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعذلا واسترحما فرحما ، فأما أقول ارتدا بعد ما أسلما ؟ قال فقمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلدون فليس عليه على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائقة . قال ويقال : إنه هو الذى وضع كتاب نهج البلاغة

آخر شعبان وقد جلا أهلها عنها وتفرقوا في البلاد فنهبا وأحرقها وأحرق دار أبي الشوك وانصرف بعد أن اجتاحتها ودرسها وتوجه طائفة من الغز إلى خانقين في إثر جماعة من أهل حلوان كانوا ساروا بأهلهم وأولادهم وأموالهم فأدركوهم وظفروا بهم وغنموا مامعهم وانتشر الغز في تلك النواحي فبلغوا مايدشت ومايلها فنهبوا وأغاروا عليها سمع الملك أبو كاليبجار هذه الأخبار أزجته وأقلقتة وكان بخورزستان فعزم على المسير ، ودفع ينال ومن معه من الغز عن البلاد ، فأمر عساكره بالتجهز للسفر إليهم فعجزوا عن الحركة لكثرة مامات من دوابهم فلما تحقق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكر أثقالهم على الخمر .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في المحرم خطب للملك أبي كاليبجار بأصبهان وأعمالها وعاد الأمير أبو منصور بن علاء الدولة إلى طاعته ، وكان سبب ذلك أنه لما عصى على الملك أبي كاليبجار وقصد كرمان على ما ذكرناه والتجأ إلى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمله من طغرلبك ، فلما عاد طغرلبك إلى خراسان خاف أبو منصور من الملك أبي كاليبجار فراسله في العود إلى طاعته فأجابه إلى ذلك واصطلحا وفيها اصطاح أبو الشوك وأخوه مهلهل . وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل أبا الفتح بن أبي الشوك وموت أبي الفتح في سجته ، فلما كان الآن وخافا من الغز تراسلا في الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده أبا الغنائم إلى أبي الشوك وحلف له أن أبا الفتح توفي حتف أنفه من غير قتل وقال هذا ولدي تقتله عوضه ، فرضى أبو الشوك وأحسن إلى أبي الغنائم ورده إلى أبيه واصطلحا واتفقا ، وفيها في جمادى الأولى خلع الخليفة على أبي القاسم على بن الحسن بن المسلمة واستوزره واقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله ، وكان السبب في ذلك أن ذا السعادات بن فسانجس وزير الملك أبي كاليبجار كان يسمى الرأي في عميد الرؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة أن يعزله فعزله ، واستوزر رئيس الرؤساء نيابة ثم خلع عليه وجلس في الدست وفيها في شعبان صار سرخاب بن محمد بن عناز أخو أبي الشوك إلى البندنجين وبها سعدى بن أبي الشوك فقارقتها سعدى ولحق بأبيه ونهب سرخاب بعضها ، وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دزديلويه وهما متباينان لذلك ، وفيها في آخر رمضان توفي أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان وكان مرض لما سار إلى السيروان من حلوان ، ولما توفي غدر الأكراد بانه سعدى وصاروا مع عمه مهلهل فعند ذلك مضى سعدى إلى إبراهيم ينال وأتى بالغز على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وفيها قتل عيسى بن موسى الهذلي صاحب أربل ، وكان خرج إلى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا إلى قلعة أربل فلما قتل وكان سلار بن موسى أخو المقتول نازلا على قرواش بن المقلد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين أخيه فلما قتل سار قرواش مع السلار إلى أربل فلما قتلها وسلها إلى السلار وعاد قرواش إلى الموصل . وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتد قتل فيه جماعة ، وفيها وقع البلاء والوباء في الخيل فهلك من عسكر الملك أبي كاليبجار اثنا عشر ألف فارس ، وعم ذلك البلاد ، وفيها توفي علي بن محمد بن نصر أبو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرسائل المشهورة^(١)

(١) وفيها توفي أيضا أحمد بن يوسف السليكي المازي الشاعر الكاتب وزير أحمد بن مروان الكردي صاحب ميفارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد في الترس إلى القسطنطينية غير مرة وحصل كتباً غزيرة أوقفها على جامعي آمد وميفارقين ، ودخل يوما على أبي العلاء المعري فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتركت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضا . فقال والآخرة يا قاضي ؟ قال : نعم =

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة)

(ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور) في هذه السنة ملك مهلهل بن محمد بن عناز مدينة قرميسين والدينور وسبب ذلك أن إبراهيم ينال كان قد استعمل عند عوده من حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال ، فلما ملك مهلهل بعد موت أخيه أبي الشوك سار إلى مايدشت ونزل بها ثم توجه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فلما ملكها مهلهل وسير ابنه محمداً إلى الدينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا ، فقتل بين الفريقين جماعة وانهم أصحاب ينال وملك محمد البلد .

(ذكر اتصال سعدى بن أبي الشوك بإبراهيم ينال وما كان منه) في هذه السنة في شهر ربيع الأول فارق سعدى بن أبي الشوك عمه مهلهلا ولحق بإبراهيم ينال فصار معه ، وسبب ذلك أن عمه تزوج أمه وأهمل جانبه واحتقره ، وكذلك أيضاً قصر في مراعاة الأكراد الشاذنجان فراسل سعدى إبراهيم ينال في اللحاق به فأذن له في ذلك ووعد أن يملكه ما كان لأبيه ، شار إليه في جماعة من الأكراد الشاذنجان ، فقوى بهم فأكرمه ينال ، وضم إليه جمعا من الغز وسيره إلى حلوان فملكها وخطب فيها لإبراهيم ينال في شهر ربيع الأول وأقام بها أياما ، ورجع إلى مايدشت فسار عمه مهلهل إلى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال ، فلما سمع سعدى بذلك سار إلى حلوان ففارقها عمه مهلهل إلى ناحية بلوطة وملك سعدى حلوان وسار إلى عمه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسير جمعا إلى البندنجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهم سرخاب فصعد إلى قلعة دزدبلوية ، ثم عاد سعدى إلى قرميسين ، فسير عمه مهلهل ابنه بدرأ إلى حلوان فملكها ، فجمع سعدى وأكثر وعاد إلى حلوان ، ففارقها من كان بها من أصحاب عمه ، إلا من كان بالقلعة وملكها سعدى ، وكان قد حجه كثير من الغز فسار بهم منها إلى عمه مهلهل وترك بها من يحفظها ، فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه إلى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور قاحتى بها ، وملك الغز كثيراً من النواحي والمواشى وغنموا كثيراً من الأموال والدواب ، فلما رأى سعدى تحصن عمه منه خاف على من خلفه بحلوان ، فعاد عازما على محاصرة القلعة فمضى وحصرها ، وقائله من بها من أصحاب عمه ونهب الغز حلوان وفتكوا فيها واقتضوا الأبقار وأحرقوا المساكن وتفرق الناس ، وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقيح فعل ، ولما سمع أصحاب الملك أبي كاليجار ووزيره هذه الأخبار ندبوا الدساكر إلى الخروج إلى مهلهل ومساعدته على ابن أخيه ودفنه عن هذه الأعمال فلم يفعلوا ، ثم إن سعدى أقطع أبا الفتح بن ورام البندنجين واتمقا واجتمعوا على قصد عمه سرخاب بن محمد

= وله ديوان قليل النظير عزيز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها ، ومن شعره في وادي نزاعة

وقانا لفحة الرمضاء واد • وقاه مضاعف النبات العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا • حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا • ألد من المدامة للتدويم
يراعى الشمس أنى قابلته • فيحجبها ليأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى • فتلس جانب العقد النظيم

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بدیعة في بابها .

بن هزاز وحصره بقلعة دزديلويه فسار فيمن معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا في مضيق هناك من غير أن يجعلوا لهم طليعة طمعاً فيه ، وإدلالاً بقوتهم ، وكان سرخاب قد جعل على رأس الجبل على قم المضيق جمعا من الأكراد ، فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب ، وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعادوا ليخرجوا من المضيق فتقطرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الأكراد الذين على الجبل فوهنوا وأسر سعدى وأبى الفتح ابن ورام وغيرهما من الرؤس وتفرق الغز والأكراد من تلك النواحي بعد أن كانوا قد ترطنوها وملكوها .

(ذكر حصار طغرلبك أصبهان) في هذه السنة حصر طغرلبك مدينة أصبهان وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ثم اصطالحوا على مال يجعل فرامرز بن علاء الدولة لطرلبك وخطب له بأصبهان وأعمالها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة خرج من الترك من بلد التبت خاق لا يحصون كثرة فراسلوا أرسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته في رعيته ولم يكن منهم تعرض إلى مملكته ولاكنهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم إلا الإسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه . وفيها توفي أبو الحسن الخيشي النحوي في ذي الحجة وله نيف وتسعون سنة وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات إلى البطائح وحصرها وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم وضيق عليه واجتمع مع جمع كثير . وفيها في ذي القعدة توفي عبد الله بن يوسف أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين أبي المعالي وكان إماماً في الشافعية تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي وكان عالماً بالأدب وغيره من العلوم وهو من بني سننيس : بطن من طي .

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمئة)

(ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طغرلبك) في هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طغرلبك في الصلح فأجابته إليه واصطالحا وكتب طغرلبك إلى أخيه ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما أن يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

(ذكر القبض على سرخاب أخى أبي الشوك) في هذه السنة قبض الأكراد للرية وجماعة من عسكر سرخاب عليه لأنه أساء السيرة معهم ووترم فقبضوا عليه وحملوه إلى إبراهيم ينال فقلع إحدى عينيه وطالبه بإطلاق سعدى بن أبي الشوك فلم يفعل وكان أبو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لما قبض على سعدى وأعتزله كراهية لفعله ، فلما أسر أبوه سرخاب سار إلى القلعة وأخرج سعدى ابن عمه وفك قيوده وأحسن إليه وأطلقه وأخذ عليه بطرح ما مضى والسعى في خلاص والده سرخاب فسار سعدى واجتمع عليه خلق كثير من الأكراد ووصل إلى إبراهيم ينال فلم يجد عنده الذي أراد ففارقه وعاد إلى الدسكرة وكان الخليفة ونواب الملك أبي كاليجار بالعود إلى الطاعة وأقام بها .

(ذكر ملك إبراهيم ينال قلعة كمشكور وغيرها) في هذه السنة سار إبراهيم ينال إلى قلعة كمشكور وبها عسكر بن فارس صاحب كرشاف ابن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عسكر بها إلى أن فنيت ذخائره وكانت قليلة فلما نفذت الذخائر عمد إلى بيوت الطعام التي في القلعة وملاها تراباً وحجارة وسد أبوابها ونثر من داخل

الأبواب شياً من طعام وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضاً وراسل إبراهيم في تسليم القلعة إليه على أن يؤمنه على من بها من الرجال وما بها من الأموال فأرسل إليه إبراهيم يمتنع عليه من ترك المال فأخذ عكبر رسول إبراهيم فطوفه على البيوت التي فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرأها مملوءة فظنها طعاماً وقال له عكبر ما رأيت صاحبك خوفاً من المطاولة ولا إشفاقاً من نفاذ الميرة لكنني أحببت الدخول في طاعته فإن بذل لي الأمان على ما طلبته لي وللأمير كرشاشف وأمواله ولمن بالقلعة سلمت إليه وكفيتها مؤنة المقام فلما عاد الرسول إلى إبراهيم وأخبره أجابه إلى ما طلب ونزل عكبر وتسليمها إبراهيم فلما صعد إلى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر بمن معه إلى قلعة سراج وصعد إليها ولما ملك بنال كنعور عاد إلى همدان فسير جيشاً لأخذ قلاع سرخاب واستعمل عليهم نسيباً له اسمه أحمد وسلم إليه سرخاباً ليفتح به قلاعه فسار به إلى قلعة كلكان فامتعت عليه فساروا إلى قلعة دزديلويه فحصرها وامتدت طائفة منهم إلى البندنجين فهبوها في جمادى الآخرة وفعّلوا الأفاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الأموال فمات منهم جماعة لشدة الضرب وسارت طائفة منهم إلى أبي الفتح بن ورام فانصرف عنهم خوفاً منهم وترك حلله بحالها وقصد أن يشتغلوا بنهب حلله فيؤد عليهم فلم يرجوا على النهب وتبعوه فاشددة خوفه أن يظفروا به ويأخذوه فآتلهم فظفروا بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم مامعهم ورجع الباقون وأرسل إلى بغداد يطلب نجدة خوفاً من عودهم فلم ينجدوه لعدم الهبة وقلة إمساك الأمر فعبّر بنو ورام دجلة إلى الجانب الغربي ثم إن الغز أسروا إلى سعدى بن أبي الشوك في رجب وهو نازل على فرسخين من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لايلى الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم الغز أموالهم ونهبوا تلك الأعمال وكان سعدى قد أنزل مالا من قلعة السيروان فوصله تلك الليلة فغنمه الغز إلا قليلاً منه سلم معه ونجا سعدى من الواقعة بجريمة الذقن ونهب الغز الدسكرة وباجسرى والهارونية وقصر سابور وجميع تلك الأعمال ووصل الخبر إلى بغداد بأن إبراهيم بنال عازم على قصد بغداد فارتاع الناس واجتمع الأمراء والقواد إلى الأمير أبي منصور بن الملك أبي كاليجار ليحتموا ويسيروا إليه ويمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الأمير أبي منصور والوزير ونفر يسير وتخلف الباقون وهلك من أهل تلك النواحي المنهوبة خلق كثير فممن قتل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد ووصل سعدى إلى ديبالى^(١) ثم سار منها إلى أبي الأغر ديبس بن مزيد فأقام عنده ثم إن إبراهيم بنال سار إلى السيروان فحصر القلعة وضيق على من بها وأرسل سرية نهبت البلاد وانتهت إلى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ ودخل بغداد من أهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما يبكي العيون ثم سلمها إليه، مستحفظاً ببدان أمنه على نفسه وماله وأخذ منها بنال من بقايا خلفه سعدى شيئاً كثيراً ولما فتحها استخلف فيها مقدما كبيراً من أصحابه يقال له سحخت كان وانصرف إلى حلوان وعاد منها إلى همدان ومنه بدر ومالك ابنا مهلهل فأكرمهما ثم إن صاحب قلعة سراج توفي وهو من ولد بدر بن حسنويه وسلمت القلعة بعده إلى إبراهيم بنال وسير إبراهيم بنال وزيره إلى شهرزور فأخذها وملكها فهرب منه مهلهل فأبعد في الحرب. ثم نزل أحمد على قلعة تيران شاه وحاصرها ونقب عليها عدة نقوب ثم إن مهلهلا

(١) ديبالى - بفتح أوله وإمالة اللام - : نهر كبير بقرب بغداد وهو نهر يعقوبا الأعظم يجرى في جنبها : وهو الحد بين طريق خراسان والخالص وهو نهر تامرا بعينه .

ذكر استيلاء أبي كاليبج على البطيحة وظهور الأصفر

راسل أهل شهرزور يعدم بالمسير إليهم في جمع كثير ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغز ففعلوا وقتلوا منهم وسمع أحمد بن طاهر فعاد إليهم وأوقع بهم ونهبهم وقتل كثيرا منهم ثم إن الغز المقيمين بالبندنجين ومن معهم ساروا إلى براز الروز وتقدموا إلى نهر السليل فاقتتلوا هم وأبو دلف القاسم بن محمد الجاواني قتالا شديدا فظفر فيها أبو دلف واهزم الغز وأخذ مامعهم وسار في ذي الحجة جمع من الغز إلى بلد علي بن القاسم الكردي فأغاروا وعاثوا فأخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم وارتجع ماغنموه من بلده .

(ذكر استيلاء أبي كاليبج على البطيحة) في هذه السنة اشتد الحصار من عسكر الملك أبي كاليبج على أبي نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فخرج إلى الصلح فاشتط عليه أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات ثم استأمن نفر من أصحاب أبي نصر وملاحيه إلى أبي الغنائم وأخبروه بضعف أبي نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطرق عليه فلما كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريتمين واشتد القتال فظفر أبو الغنائم وقتل من البطائحيين جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرقوا في الآجام ومضى بن الهيثم ناجيا بنفسه في زبب وملكت داره ونهب ما فيها .

(ذكر ظهور الأصفر وأسر) في هذه السنة ظهر الأصفر التغلبي برأس عين وادعى أنه من المذكورين في الكتب واستغوى قوما بمخاريق وضعها وجمع جمعا وغزا نواحي الروم فظفر وغنم وعاد وظهر حديثه وقوى ناموسه وعاد الغزو في عدد أكثر من العدد الأول ودخل نواحي الروم وأوغل وغنم أضعاف ماغنمه أولا حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البنخس وتساع الناس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدت شوكته وثقلت على الروم وطأنه فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة ابن مروان يقول له إنك بهالم بما بيننا من المواقعة وقد فعل دنا الرجل هذه الأفاعيل فإن كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لندير أمرنا بحسبه . واتفق في ذلك الوقت أن وصل رسول من الأصفر إلى نصر الدولة أيضا ينكر عليه ترك الغزو والميل إلى الأذعة فسماه ذلك أيضا واستدعى قوما من بني نمير وقال لهم إن هذا الرجل قد أثار الروم علينا ولا قدرة لنا عليهم وبذل لهم بدلا على العتق به فساروا إليه ففقر بهم ولازموه فركب يوما غير متحرز فأبعدوهم معه فحفظوا عليه وأخذوه وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى أمر الروم .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة وفيها كان بغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الأسواق وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ودين اللوز بخمسة عشر قيراطا والرمان بقيراطين والخيارة بتيراط وأشباه ذلك : وفيها جمع الأمير أبو كاليبج فثا خسرو بن مجد الدولة بن بويه جمعا وسار إلى آمد فدخلها وساعده أهلها وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طغرل بك فقتل وأسر وعرف طغرل بك ذلك فسار عن الرى قاصدا إليه ومتوجها إلى قتاله . وفيها توفي عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبدالرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات وفيها سير المعز بن باديس صاحب إفريقية أسطولا إلى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد . وفيها اقتتل طوائف من تلكاثة قاتل بعضهم بعضا وكان بينهم حرب صبروا فيها فقتل منهم مخلق كثير ، وفيها قبض الملك أبو كاليبج على وزيره محمد بن جعفر بن أبي الفرج الملقب بذي السعادات بن

فسانجس وبيجن وهر ب ولده أبو الغنائم وبقى الوزير مسجوناً إلى أن مات في شهر رمضان سنة أربعين و قيل أرسل إليه أبو كاليبجار من قتله وعمره إحدى وخمسون سنة وللوزير ذى السمادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه :

أودعكم وإني ذو اكتئاب ه وأرحل عنكم والقلب آبي
وإن فراقكم في كل حال ه لأوجع من مفارقة الشباب
أسير وما ذمت لكم جواراً ه ولا ملت منازلكم ركابي
وأشكر كلما أو طنت داراً ه ليالينا القصار بلا اجتناب
وأذكركم إذا هبت جنوب ه فتذكرني غرارات التصابي
لكم منى المودة في اغتراب ه وأنتم إلف نفسي في اقترابي

وهو أطول من هذا ولما قبض ذوالسمادات استوزر أبو كاليبجار كمال الملك أبا المعالي بن عبدالرحيم. وفيه اتوفى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيد فمن قوله في الزهد :

يا عبدكم لك من ذنب ومعصية ه إن كنت ناسياً فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به ه ووقفه لك يدمى القلب ذكرها
إذا عرضت على قلبي نذكرها ه وساء ظني فقلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الجبلي الشاعر ونصى إلى الشام ولقى المعزى وعاد ضريراً وله شعر منه قوله :

ما حكم الحب فهو ممثله وما جناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنا وكل هوى ه لا ينحل الجسم فهو منتحل

وفيها توفى أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة سمع أبا بكر القطيعي وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ. وفيها قتل الفقيه أحمد الوراق وهو من أعيان الفقهاء الحنفية إلا أنه كان يكثر الوقعة في الأئمة والعلماء وسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس في ذي الحجة .

(ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة)

(ذكر رحيل عسكر ينال عن تيران شاه وعود مهلهل إلى شهرزور) قد ذكرنا في السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعة تيران شاه ولم يزل يحاصرها إلى الآن فوقع في عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل إلى صاحبه ينال يستمده ويطلب إنجاده ويعرفه كثرة الوباء عنده فأمره بالرحيل عنها فسار إلى ما بدشت فلما سمع مهلهل ذلك سيرا أحد أولاده إلى شهرزور فلهكهوا وانزعج الغز الذين بالسيروان وخافوا ، ثم سار جمع من عسكر بغداد إلى حلوان وحاصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الأعمال وأتوا على ما تخلف من الغز فخربت الأعمال بالكلية وسار مهلهل ومعه أهله وأمواله إلى بغداد فأنزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خروفاً من الغز وعاد إلى حلوان وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد إلى البندنجين وبها جمع من الغز مع عسكر بن أحمد بن عياض فتواقفوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأمر جماعة قتلوا أيضا صبوا .

﴿ ذكر غزو إبراهيم ينال الروم ﴾ في هذه السنة غزا إبراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أن خلفنا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادى تضيق عن لقاءكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأى أن تمضوا إلى غزو الروم ونجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا إلى سلاز كرد وأردن الروم وقاليفلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر عظيم للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في الروم وهزمهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارتهم ومن أسر قاريط ملك الأبخاز فبذل في نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه إلى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوا فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء وقيل إن الغنائم حملت على عشرة آلاف بعجلة وإن في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغز يقدمهم إنسان نسيب طفرليك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده إبراهيم ينال ففعل هذا الذي ذكرناه .

﴿ ذكر موت الملك أبي كاليبجار وملك ابنه الملك الرحيم ﴾ في هذه السنة توفي الملك أبو كاليبجار المرزبان ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان وكان سبب مسيره إليها أنه كان قد عول في ولاية كرمان حربا وخراباً على بهرام بن لشكرستان الديلى وقرر عليه ما لا فترأخى بهرام في تحرير الأمر وأخذه إلى المغالطة والمدافعة ، فشرع حينئذ أبو كاليبجار في أعمال الحيلة عليه وأخذ قلعة بردسير من يده وهى معقله الذى يحتمى به ويعول عليه ، فراسل بعض من بها من الأجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشماره وأظهر ذلك فسار إليه الملك أبو كاليبجار في ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد في حلقه خشونة فلم يبال بها وشرب وتصيد وأكل من كبد غزال مشوى واشتدت علة ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل في محفة على أعناق الرجال إلى مدينة جناب فتوفى بها وكان عمره أربعين سنة وشهوراً ، وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفاً وعشرين يوماً . ولما توفى نهب الأتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى تخيم الوزير أبي منصور ، وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده ، وأراد الأتراك نهب الوزير والأمير فمنعهم الديلم ، وعادوا إلى شيراز فلما ملكها الأمير أبو منصور واستشعر الوزير فضعف إلى قلعة خرمة فامتنع بها ، فلما وصل خبر وفاته إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقيه بالملك الرحيم وترددت الرسل بينهم في ذلك إلى أن أجيب إلى ملتمسه سوى الملك الرحيم وإن الخليفة امتنع من إجابته ، وقال لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة ، وكان بالبصرة أخوه أبو علي بن أبي كاليبجار وخلف أبو كاليبجار من الأولاد الملك الرحيم والأمير أبو منصور فلاستون وأباطال كاسرو وأبالمظفر بهرام وأبوعلى كينخسرو وأبوسعدي خسرو شاه وثلاثة بنين أصغر فاستولى ابنه أبو منصور على شيراز فسير إليه الملك الرحيم أخاه أبوسعدي في عسكر فلما وصلوا إلى شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على الأمير أبي منصور ووالدته وكان ذلك في شوال .

(ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب) في جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر إلى حلب في جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو علوان شمال بن صالح الكلابي فجمع جمعا كثيرا بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلما نزلوا على حلب خرج إليهم شمال وقاتلهم قتالا شديدا صبر فيه لهم إلى الليل ثم دخل البلد فلما كان الغد اقتتلوا إلى آخر النهار وصبر أيضا شمال وكذلك أيضا اليوم الثالث فلما رأى المصريون صبر شمال وكانوا ظنوا أن أحدا لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فانفق أن تلك الليلة جاء مطر عظيم لم ير الناس مثله فجاءت المدود إلى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثم رحلوا إلى الشام الأعلى .

(ذكر الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهدبانية) في هذه السنة اخلف قرواش والأكراد الحميدية والهدبانية وكان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وماقاربها وللهدبانية قلعة أربل وأعمالها وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدى وصاحب أربل أبو الحسن بن موسك الهدباني وله أخ اسمه أبو علي ابن موسك فأعانه الحميدى على أخذ أربل من أخيه أبي الحسن فلما كرها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيرا وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين فلما عاد إلى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وأرسل قرواش يطلب من الحميدى والهدباني نجدة له على نصر الدولة بن مروان فأما أبو الحسن الحميدى فسار إليه بنفسه وأما أبو علي الهدباني فأرسل أخاه واصطلىح قرواش ونصر الدولة وقبض على أبي الحسن الحميدى ثم صانعه على إطلاق أبي الحسن الهدباني الذي كان صاحب أربل وأخذ أربل من أخيه أبي علي وتسليمها إليه فإن امتنع أبو علي كان عوننا عليه فأجاب إلى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه إلى أن يتسلم أربل وأطلق من الحبس وكان أخ له قد استولى على قلاعه فخرج إليها وأخذها منه وعاد إلى قرواش وأخيه زعيم الدولة فوثقا به وأطلقا أهله ثم إنه راسل أبا علي صاحب أربل في تسليمها فأجاب إلى ذلك وحضر بالموصل ليسلم أربل إلى أخيه أبي الحسن فقال الحميدى لقرواش وأخيه إننى قد وفيت بعهدي فتسلما إلى حصونى فسلما إليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو علي الهدباني إلى أربل ليدلهاها إلى أبي الحسن فغدرا به في الطريق وكان قد أحس بالشر فتخلف عنهما ومير معهما أصحابه ليتسلما أربل فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب إلى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الأكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا وأضمر كل منهم الشر لصاحبه .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقية من بها من الجند وأطاعوه وفيهم كرشاسف ابن علاء الدولة الذي كان صاحب همدان وكنكور فإنه كان انتقل إلى الملك أبي كاليبجار بعد أن استولى ينال على أعماله ولما مات أبو كاليبجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة إلى البصرة طمعاني ملكها فلقية من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعدا عنها وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينال ولما استمع باستقامة الأمور للملك الرحيم انقطع أمهه ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ودامت بين أهل باب الأزج والأسا كفة وهم السنية فأحرقوا عقارا كثيرا وفيها سار سعدى بن أبي الشوك من حلة ديبس بن مزيد إلى إبراهيم ينال بعد أن راسله وتوثق منه وتقرر بينهما أنه كل ما يملكه سعدى مما ليس بيد ينال ونوابه فهو له فسار سعدى إلى الدسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزموا منه وملكها وما يليها فسير إليها عسكر ثان من بغداد فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدسكرة وتوسط تلك

الاعمال بالقرب من بعقوبا ونهب أصحابه البلاد وخطبوا لإبراهيم ينال وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش ابن المقلد وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل بن المقلد فانضاف قريش بن بدران بن المقلد إلى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه أبا كامل فظفر ونصر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغري قرواشا بأخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما وفيها خطب للأمير أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولى عهد المسلمين وفيها في رمضان قتل الأمير اقسنقر بهمدان قتله الباطنية لأنه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنهب لأموالهم والتخريب لبلادهم فلما كان الآن قصد إنسانا من الزهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الإسماعيلية فقتلوه . وفيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى أن يدفن بجوار احمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبي بكر الشافعي وغيره وتوفي في شوال وهو راوى الأحاديث المعروفة بالغيلانيات التي خرجها الدارقطني له وهي من أعلى الحديث وأحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواظظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وفيها كان الغلاء والوباء عاما في البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد وفيها قبض بمصر على الوزير نجر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أول أمره يهوديا فأسلم واتصل بالذبري وخدمه بالشام ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجرائي الوزير ونفق عليه فلما توفي الجرجرائي استوزره المستنصر إلى الآن ثم قتله واستوزر القاضي أبا محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازوري في ذي القعدة (١).

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما ﴾ في هذه السنة ظهر الخلف بين معتمد الدولة قرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل ظهورا آل إلى المحاربة وقد تقدم سبب ذلك فلما اشتد الأمر وفسد الحال فسادا لا يمكن إصلاحه جمع كل منهما جمعا لمحاربة صاحبه وسار قرواش في المحرم وعبر دجلة بنواحي بلد وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن بن عيسى بن الحسين وغيرهما من الأكراد وساروا إلى معلثا فآخروا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا بمرج بابنينا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتلوا يوم السبت ثاني عشر المحرم واقتروا من غير ظفر ثم اقتلوا يوم الأحد كذلك ولم يلبس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافق أبو الحسن الحميدي وساروا عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش وبقي في حلته وليس معه إلا نفر يسير نركبت العرب من أصحاب أبي كامل لفصده فنعهم وأسفر الصبح يوم الاثنين وقد تسرع بعضهم ونهب بعضا من عرب قرواش وجاء أبو كامل إلى قرواش واجتمع به ونقله إلى حلته وأحسن عشرته ثم أنفذه إلى الموصل محجورا عليه وجعل معه بعض زوجاته في دار وكان مما فت في عضد قرواش وأضعف نفسه أنه كان قد قبض على قوم من الصيادين بالأنبار لسوء طريقتهم وفسادهم فهرب الباقون منهم وبقي بعضهم بالسندية

(١) وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها اقتتل الروانض وأهل السنة ، وجرت بغداد فتن عظيمة ، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة .

فلما كان الآن سار جماعة منهم إلى الانبار وتسلقوا السور ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسه ،
 وفتحوا الباب ونادوا بشعار أبي كامل فانضاف إليهم أهلهم وأصدقائهم ومن له هوى في أبي كامل فكثروا
 ونار بهم أصحاب قرواش فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة وهرب الباقون فبلغه
 خبر استيلاء أخيه ولم يبلغه عود أصحابه ، ثم إن المسيب وأمراء العرب كاتبوا أبا كامل ما يعجز عنه واشتطوا
 عليه يخاف أن يؤل الأمر بهم إلى طاعة قرواش وإعادته إلى مملكته فبادرهم إليه وقبل يده وقال له إنني وإن
 كنت أخاك فإنني عبدك وما جرى هذا إلا بسبب من أفسد رأيك فيّ وأشرك الوحشة مني والآن فأنت الأمير
 وأنا الطائع لأمرك والتابع لك فقال له قرواش بل أنت الأخ والأمر لك مسلم وأنت أقوم به مني وصلاح الحال
 بينهما وعاد قرواش إلى التصرف على حكم اختياره وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حربى^(١)
 وأوانا فلما اصططح أبو كامل وقرواش أرسلوا إلى حربى من منع بلال عنها فتظاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع
 إلى نفسه جمعا وقاتل أصحاب قرواش وأخذ حربى وأوانا بغير اختيارهما فأنحدر قرواش من المرصل إليها
 وحصرها وأخذها .

(ذكر مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها) في هذه السنة في المحرم سار الملك الرحيم من الأهواز
 إلى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر شيراز إلى خدمته ، ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد ، ثم إن الأتراك
 الشيرازيين والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا إلى العراق فاضطر الملك
 الرحيم إلى المسير معهم لأنه لم يكن يثق إلى الأتراك الشيرازية ، وكان ديلم بلاد فارس قد مالوا إلى أخيه
 فولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو أيضاً منحرف عنهم ، فاضطر إلى صحبة البغداديين ، فعاد في ربيع الأول
 من هذه السنة إلى الأهواز ، وقام بها واستخلف بارجان أخويه : أباسعد وأباطالب ووقع الخلف بفارس
 فإن الأمير أبا منصور فولاستون كان قد خلص وصار بقلعة اصطخر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر
 الفارسي ، فلما عاد الملك الرحيم إلى الأهواز انبسط في البلاد وتصدده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس
 ثم سار إلى أرجان عازما على قصد الأهواز وأخذها .

(ذكر الحرب بين البساسيري وعقيل) في هذه السنة سار جمع من بني عقيل إلى بلد العجم من أعمال العراق
 وبادوريا قهيوها وأخذوا من الأموال الكثير ، وكانا في إقطاع البساسيري فسار من بغداد بعد عودته من
 فارس إليهم ، فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديداً أبلى الفريقان فيه بلاء حسناً
 وصبرا صبراً جميلاً وقتل جماعة من الفريقين .

(ذكر الوحشة بين طغرل بك وأخيه ابراهيم ينال) في هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان
 طغرل بك ، وكان سبب ذلك أن طغرل بك طلب من ابراهيم ينال أن يسلم إليه مدينة همدان والقلاع التي بيده من بلد

(١) حربى - مقصور والعامية تلفظ به بما لا - بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة
 تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد . وقد نسب إليها قوم من أهل العلم والنباهة : منهم أبو الحسن
 على بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوى . سمع أبا الوقت السجزي وشهد بغداد وأقام بها وصار وكيل الناصر
 لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضىء وكان حسن الخط على طريقة أبي عبدالله بن مقله وكتب الكثير وكان محبا
 للكتب . مات ببغداد في ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥ ودفن بباب حرب .

الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أبا علي بالسعي بينهما في الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل إحدى عينيه وقطع شفثيه وسار عن طغربك وجمع جمعا من عسكره والتقيا ، وكان بن العسكرين قتال شديد انهزم ينال وعاد منهزما فسار طغربك في أثره فلك قلاعه وبلاده جميعها وتحصن إبراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فخره طغربك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر ، وقاتله فلكها في أربعة أيام وهي من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهورا وأرسل إلى نصر الدولة بن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر وراسل ملك الروم طغربك وأرسل إليه هدية عظيمة وطلب منه المهادة فأجابه إلى ذلك وأرسل ملك الروم إلى ابن مروان يسأله أن يسعي في فداء ملك الأبخاز المقدم ذكره فأرسل نصر الدولة شيخ الإسلام أبا عبدالله بن مروان في المعنى إلى السلطان طغربك فأطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم ، وأرسل عوضه من الهدايا شيئا كثيرا وعمرُوا مسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصلاة والخطبة لطغربك ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت ، ولما نزل ينال إلى طغربك أكرمه وأحسن إليه ورد عليه كثيرا مما أخذ منه وخيره بين أن يقطعه بلادا يسير إليها وبين أن يقيم معه فاختر المقام معه .

﴿ ذكر الحرب بين ديبس بن مزيد وعسكر واسط ﴾ في هذه السنة كانت حرب شديدة بين نور الدولة ديبس ابن مزيد وبين الأتراك الواسطيين وسبب ذلك أن الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهما من أقطاع الواسطيين فسار إليها ووليها فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه واجتمعوا وساروا إلى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا إليه يتهددونه ، فأعاد الجواب يقول إن الملك أقطعني هذا فدرسل إليه أنا وأنتم فبأى شيء أمر رضينا به فسبوه وساروا مجدين إليه فأرسل إلى طريقتهم طائفة من عسكره فلقوهم وكن لهم ، فلما التقوا استجرحهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فأوقدوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيرا وجرح مثلهم وتمت الهزيمة على الواسطيين وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها ، وأرسل الواسطيون إلى بغداد يستنجدون جندها ويبدلون للباس يري أن يدفع عنهم نور الدولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه .

﴿ ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبدالرشيد ﴾ في هذه السنة في العشرين من رجب توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرين سنة ، وملكه تسع سنين وعشرة أشهر ، وكان موته بغزنة ، وكان قد كاتب أصحاب الأطراف في سائر البلاد ، ودعاهم إلى نصرته وإمداده بالعساكر وبذل لهم الأموال الكثيرة وتفويض أعمال خراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم فأجابوا إلى ذلك منهم أبو كاليبج صاحب أصبهان فإنه جمع عساكره وسار في المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد ، ومنهم خاقان ملك الترك فإنه سار إلى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الأعمال وسارت طائفة أخرى مما وراء النهر إلى خراسان وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتى عارضه قولنج اشتد عليه فعاد إلى غزنة مريضا وسير وزيره أبا الفتح عبد الرزاق بن أحمد الميمندي إلى سجستان في جيش كثيف لأخذها من الغز واشتدت العلة بمودود ، فتوفي وقام في الملك بعده ولده ، فبقي خمسة أيام ، ثم عدل الناس عنه إلى عمه علي بن مودود ، وكان مودود لما ملك قبض على عمه عبدالرشيد بن محمود وسجنه في قلعة مدين بطريق بست ، فلما

توفي كان وزيره قد قارب هذه القلعة ، فنزل عبد الرشيد إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته فأجابوه وطأوا معه إلى غزوة ، فلما قاربها هرب عنها علي بن مسعود ، وملك عبد الرشيد واستقر الأمر له ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة ، ودفع الله شر مودود عن داود . وهذه السعادة التي تقتل الأعداء بغير سلاح ولا أجناد .

(ذكر استيلاء البساسيري على الأنبار) في هذه السنة أيضا في ذي القعدة ملك البساسيري الأنبار ودخلها أصحابه وكان سبب ملكها أن قرواشا أساء السيرة في أهلها ومد يده إلى أهوالهم فسار جماعة من أهلها إلى البساسيري ببغداد وسألوه أن ينفذ معهم عسكرا يسدلون إليه الأنبار فأجابهم إلى ذلك وسير معهم جيشا تسلموا الأنبار ولحقهم البساسيري وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحدا من أصحابه أن يأخذ الرحل الحبز بغير ثمنه وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرر قواعدها وعاد إلى بغداد .

(ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس) في هذه السنة عاد الملك الرحيم من الأهواز إلى رامهرمز في ذي القعدة فلما وصل إلى وادي الملح اتيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديدا فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهمزم هو وجميع العسكر ووصل إلى بصنا^(١) ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها إلى واسط وسار عسكر فارس إلى الأهواز فلكروها وخيموا بظاهرها .

(ذكر عدة حوادث) وفيها وصل عسكر من مصر إلى حلب وبها صاحبها شمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فلكها المصريون . وفيها في ذي القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل وظهر في جوانب السماء كالنار المضطربة وهبت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوفهم فلزموا الدعاء والتضرع فأنكشفت في باقي الليل . وفيها في شعبان سار البساسيري من بغداد إلى طريق خراسان وقصد ناحية البزدار وملكها وغنم ما فيها وكان سعدى ابن أبي الشوك قد ملكها وقد عمل لها سورا وحصنها وجعلها معقلا يتحصن فيه ويدخر بها كل ما يغنمه فأخذه البساسيري جميعه وفيها منع أهل الكرخ من النوح وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجري بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم يفصل الشر بينهم حتى عبر الأتراك و ضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ثم شرع أهل الكرخ في بناء سور على الكرخ فلما رآه السنية من القلائن ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلائن وأخرج الطائفتان في العارة مالا جليلا وجرت بينهما فن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فأقاموا به وتقدم الخليفة إلى أبي محمد بن النعمان بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربي ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأذنوا في القلائن وغيرها بحج على خير العمل وأذنوا في الكرخ الصلاة خير من النوم وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبوره وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري

(١) بصنا - بالفتح ثم الكسر وتشديد النون - مدينة من نواحي الأهواز صغيرة وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوف وينسجون الأنماط والستور البصنية ويكتبون عليها بصنا ، وقد تعمل برذون وكليوان وغيرهما من المدن المجاورة لبصنا وتدل بسور بصنا والمعدن بصني ولم نهر يسمونه دجلة بصنا ، فيه أرحبة في السفن والنهر منها على رمية سهم .

الحافظ كان إماما محب عبدالغنى بن سعيد وتخرج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر وفيها توفى الملك العزيز أبو بكر منصور بن جلال الدولة وقد ذكرنا تنقل الأحوال به فيما تقدم وله شهر حسن وفيها توفى أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العتيق نسب إلى جد له يسمى عتيقا ومولده سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وفيها توفى أبو القاسم عبد الوهاب بن أفضى القضاة أبي الحسن الماوردي وكانت شهادته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضي في بيت النوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وإنما فعل به هذا احتراما لآبيه .

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة)

(ذكر ملك طغرابك أصبهان) كان أبو منصور بن علاء الدولة صاحب أصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرابك كان يكثر التلون معه تارة يطيعه وينحاز إليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم فأضمر له طغرابك سوءاً فلما عاد هذه الدفعة من خراسان لأخذ البلاد الجبلية من أخيه إبراهيم بنال واستولى عليها على ما ذكرناه عدل إلى أصبهان عازماً على أخذها من أبي منصور فسمع ذلك فتحصن ببلده واحتفى بأسواره ونازله طغرابك في المحرم وأقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما إلا أن طغرابك قد استولى على سواد البلد وأرسل سرية من عسكره نحو فارس فبلغوا إلى البيضاء فأغاروا على السواد هناك وعادوا غامرين ولما طال الحصار على أصبهان وأخرب أعمالها ضاق الأمر بصاحبها وأهلها وأرسلوا إليه يبذلون له الطاعة والمال فلم يجيبهم إلى ذلك ولم يقنع منهم إلا بتسليم البلد فصبروا حتى نفذت الأقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع وأخذوا أخشابها لشدة الحاجة إلى الحطب فحيث بلغ بهم الحال إلى هذا الحد خضعوا له واستكانوا وسلموا البلد إليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم في بلاد الجبل وأحسن إلى الرعية وأقطع صاحبها أبا منصور ناحيتي يزد وأبرقوية وتمكن من أصبهان ودخلها في المحرم من سنة ثلاث وأربعين واستطابها وأقل ما كان له بالرى من مال وذخائر وسلاح إليها وجعلها دار مقامه وخرّب قطعة من سورها وقال : إنما يحتاج إلى الأسوار من تضعف قوته فأما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له إليها (ذكر عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها) في هذه السنة في المحرم عادت عساكر فارس التي مع الأديب أبي منصور صاحبها عن الأهواز إلى فارس وسبب هذا العود أن الأجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم إلى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم إلى الملك الرحيم وهو بالأهواز يطلبونه ليعود إليهم فماد فيمن عنده من العساكر وأرسل إلى بغداد يأمر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم إلى فارس فلما وصل إلى الأهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وأنهم ينتظرون قدومه فدخل الأهواز في شهر ربيع الآخر فتوقف بالأهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها إلى عسكر بكرم فلما أقام بها .

(ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش) في هذه السنة في جمادى الأولى استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره ، وسبب ذلك أن قرواشا كان قد أنف من تحكّم أخيه في البلاد وأنه قد صار لاحكم له فعمل على الانحدار إلى بغداد ومفارقة أخيه وسار عن الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم أرسل إليه نفرًا من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع

الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا أنت ممنوع عن فعلك والرأى لك القبول والعود ما دامت الرغبة إليك فلم حينئذ أنه يمنع قهراً فأجاب إلى العرد على شرط أن يسكن دار الإمارة بالموصل وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه وأهله خوفاً فأمنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره .

(ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا) وفيها في جمادى الأولى سار الملك ألب أرسلان بن داود أخى طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس في المفازة فلم يعلم به أحد ولا أعلم عمه طغرلبك فوصل إلى مدينة فسا فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها ألب أرسلان فقتل من الديلم بها ألف رجل وعدداً كثيراً من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار وأسروا ثلاثة آلاف إنسان وكان الأمر عظيماً فلما فراغوا من ذلك عادوا إلى خراسان ولم يلبثوا خوفاً من طغرلبك أن يرسل إليهم ويأخذ ما غنموه منهم .

(ذكر استيلاء الخوارج على عمان) في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجمال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر ابن الملك أبي كاليجار كان مقياً بها ومعه خادم له قد استولى على الأمور وحكم على البلاد وأساء السيرة في أهلها فأخذ أموالهم فنمروا منه وأبغضوه وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج إليه الأمير أبو المظفر في عساكره فالتقوا واقتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانياً وقانله الديلم فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم ، فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم وقبض على الأمير أبي المظفر وسيره إلى جباله مستظهاً عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال وأخرب دار الإمارة وقال هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على رفع عشر ما يرد إليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعاً على شكل مسجد ، وقد كان هذا الرجل تحرك أيضاً أيام القاسم بن مكرم فسير إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه .

(ذكر دخول العرب إلى إفريقية) في هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية وسبب ذلك أن المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي ، وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوي يتهدده فأغلظ المعز في الجواب ، ثم إن المستنصر استوزر الحسن ابن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والعلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبدته فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى ما يجب فأكثر الوقعة في المعز وأغرى به المستنصر وشرعوا في إرسال العرب إلى المغرب فأصلحوا بني زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقوق وأعطوهم مالا وأمرتهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدهم بالمد والعدد فدخلت العرب إلى إفريقية وكتب اليازوري إلى المعز ، أما بعد : فقد أرسلنا إليكم خيولاً فخولا وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فلما حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناة كانوا أهلها فأبادهم المعز فأقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا في أطراف البلاد ، وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم ، وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناة اشترى العبيد وأوسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك ، وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين

فتتابعت رياح والأسبج وبنو عدى إلى إفريقية وقطعوا السبيل وعاثوا في الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرداسى ليس المبادرة عندي برأى فقالوا كيف تجب أن تصنع فأخذ بساطا فبسطه ، ثم قال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشى عليه قالوا لا نقدر على ذلك ، قال فبهكذا القيروان خذوا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا إنك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمراً دونك ، ثم قدم أمراء العرب إلى المعز فأكرمهم وبذل لهم شيئاً كثيراً ، فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر ، وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط حينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة وسار حتى أتى جندران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام ، وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس ، فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم ، فقال لهم مؤنس بن يحيى ماذا يوم فرار ، فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكذاغندات والمغار؟ قال في أعينهم ، فسمى ذلك اليوم (يوم العين) والتحم القتال واشتدت الحرب ، فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم ، فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثير القتل فيهم ، قتل منهم خلق كثير وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة ، وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوماً على كثرة من معه وأخذت العرب الخيل والحياض وما فيها من مال وغيره ، وفيه يقول بعض الشعراء :

وإن ابن باديس لأفضل مالك ۞ ولاكن لعمرى ما لديه رجال

ثلاثون ألفاً منهم غلبتهم ۞ ثلاث آلاف إن ذا لمحال

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم في صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة ، فقتل منهم عالم كثير ، ثم جمع المعز وخرج بنفسه في صنهاجة وزنانه في جمع كثير . فلما أشرف على بيوت العرب وهو قبلى جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب ، وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم إلى منزله وانهزمت زنانه وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتاً عظيماً لم يسمع بمثله ، ثم انهزم وعاد إلى المنصورية وأحصى من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ، ثم أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من المنصورية وقيادة خلق كثير ، فلما رأى ذلك المعز أباحهم دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء ، فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين إنسان عربي وآخر عامي ، وكانت الغلبة للعرب وفي سنة أربع وأربعين بنى سور زويلة والقيروان ، وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخرّبوا الأنهار ، وأقام المعز والناس ينتقلون إلى المهديّة إلى سنة تسع وأربعين فعندها انتقل المعز إلى المهديّة في شعبان فتلّقاء ابنه تميم ومشى بين يديه ، وكان أبوه قد ولاه المهديّة سنة خمس وأربعين ؛ فأقام بها إلى أن قدم أبوه الآن ، وفي رمضان من سنة تسع وأربعين نهبت العرب القيروان ؛ وفي سنة خمسين

خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناة فقاتلهم فانهزمت زناة وقتل منها عدد كثير، وفي سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير؛ وفي سنة ثلاث وخمسين قتل أهل تقيوس من العرب مائتين وخمسين رجلاً وسبب ذلك أن العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلاً متقدماً من أهل البلد لأنه سمعه يثني على الممز ويدعو له فلما قتل ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور؛ وكان ينبغي أن يأتي كل شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها، وإنما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته فإنه إذا انقطع وتخللت الحوادث في السنين لم يفهم.

(ذكر عدة حوادث) فيها سار المهلهل بن محمد بن غناز أخو أبي الشوك إلى السلطان طغرل بك فأحسن إليه وأقره على أقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وشفاعة في أخيه سرخاب بن محمد ابن غناز وكان محبوباً عند طغرل بك وسار سرخاب إلى قلعة الماهكي وهي له وأقطع سعدى بن أبي الشوك الراوندين وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عم أبي القاسم الجرجاني واستوزر القاضي أبا محمد الحسن ابن عبدالرحمن اليازوري ويازور من أعمال الرملة، وفيها توفي محمد بن أحمد بن عبدالله بن عبدالصمد بن المهدي بالله أبو الحسين، ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وكان من الصالحين، روى الحديث والحكايات والأشعار وروى عن ابن نباتة شيئاً من شعره فن ذلك قال ابن نباتة :

وإذا عجزت عن العدو فداره هـ وامزج له إن المزاج وفاق

فالنار بالماء الذي هو ضدها هـ تعطى النضاج وطبعها الإحراق

وفيها في ذي القعدة توفي أبو القاسم عمر بن ثابت النحوي الضرير المعروف بالثمانيني (١).

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة)

(ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز) فيها في المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والآكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق ومقدمهم مطارد بن منصور ومذكور ابن نزار فارس إلىهم الملك الرحيم جيشاً ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا فقتل مطارد وأسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على أقبح صورة، من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للهك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدماً إلى قنطرة أربق ومعه ديبس بن مزيد والبساسيري وغيرهما ثم إن الأمير أبا منصور صاحب فارس وهزارسب بن بنكبير ومنصور بن الحسين الأسدي ومن معهما من الديلم والآتراك ساروا من أرجان يطلبون تستر فسبقهم الرحيم إليها وحال بينهم وبينها والنقت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم

(١) الثمانيني النحوي الضرير : شارح اللع ، كان في غاية العلم بالنحو . ذكر ابن خالكان : أنه اشتغل على ابن جنى وشرح كلامه وكان ماهراً في صناعة النحو ، وقال : ونسبته إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي ؛ يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة . وفي هذه السنة اصطلم الروافض والسنية ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين وترضوا في الكرخ على الصحابة كلهم وترحوا عليهم ، وهذا عجيب جداً ، إلا أن يكون من باب التقية ، وفيها رخصت الأسعار ببغداد جداً .

ثم إن الأرجاف وقع في عسكر هزارسب بوفاة الأمير أبي منصور ابن الملك أبي كاليجار بمدينة شيراز فسقط في أيديهم وعادوا ونصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسير قطعة من الجيش إلى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب وقد أفسدوا في تلك الأعمال فلما وصل إليها عسكر الرحيم خرج أولئك إلى قتالهم فاقتلوا قتالا شديداً أكثر فيه القتل والجراح ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب وأسرى جماعة من العساكر التي فيه وهرب كثير منهم إلى هزارسب وهو باينج وملك الملك الرحيم البلد في ربيع الأول من هذه السنة .

(ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز) في هذا السنة سير الملك الرحيم أخاه الأمير أباسعد في جيش إلى بلاد فارس وكان سبب ذلك أن المقيم في قلعة اصطخر وهو أبو نصر بن خسرو كان له أخوان قبض عليهما هزارسب بن بنكير بأمر الأمير أبي منصور فكتب إلى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب أن يسير إليه أخاه ليلسكه بلاد فارس فسير إليه أخاه أباسعد في جيش فوصل إلى دولتا باذ فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والآكراد وسار منها إلى قلعة اصطخر فنزل إليه صاحبها أبو نصر فلقبه وأصعده إلى القلعة وحمل له وللعساكر التي معه الإقامة والخلع وغيرها ثم ساروا منها إلى قلعة بهندر فحصرها وأتاه كتب بعض مستحفظي البلاد الفارسية بالطاعة منها مستحفظ درابجرد وغيرها ثم سار إلى شيراز فلما كان في رمضان فلما سمع أخوه الأمير أبو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين الأسدي ذلك ساروا في عسكرهم إلى الملك الرحيم فهزموه على ما ذكره إن شاء الله تعالى وفارق الأهواز إلى واسط ثم عطفوا من الأهواز إلى شيراز لإجله الأمير أبي سعد عنها فلما قاربوها لقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزموهم فالتجؤا إلى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين إلى منتصف شوال فتقدمت طائفة من عسكر أبي سعد فاقتلوا عامة النهار ثم عادوا إليها كان الغد التقى العسكران جميعا واقتلوا فانهزم عسكر الأمير أبي منصور وظفر أبو سعد وقتل منهم خلقا كثيرا واستأمن إليه كثير منهم وصعد أبو منصور إلى قلعة بهندر واحتفى بها وأقام إلى أن عاد إلى ملكه على ما ذكره إن شاء الله تعالى ولما فارق الأمير أبو منصور الأهواز أعيدت الخطبة للملك الرحيم وأرسل من بها من الجنود يستدعونهم إليهم .

(ذكر انهزام الملك الرحيم بالاهواز) لما انصرف الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تسير على ما ذكرناه مضوا إلى أيدج وقاموا فيها وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته فاتفق رأيهم على أن راسلوا السلطان طغرل بك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فأرسل إليهم عسكرا كثيرا وكان قد ملك أصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارق كثير من عسكره منهم البساسيري ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والآكراد وبقي في الديلم الأهوازية وطائفة قليلة من الأتراك البغداديين كانوا وصلوا إليه أخيرا فقرر رأيهم على أن عاد من عسكر مكرم إلى الأهواز لأنها أحسن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى أن يرسل أخاه الأمير أباسعد إلى فارس حيث طلب إلى اصطخر على ما ذكرناه وسير معه جمعا صالحا من العساكر ظنا منه أن أخاه إذا وصل إلى فارس وملك قلعة اصطخر انزعج الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهم واشتغلوا بتلك النواحي عنه فازداد قلقا وضعفا فلم يلتفت أولئك إلى الأمير أبي سعد بل ساروا مجددين إلى الأهواز فوصلوها أواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين

متابرين كثير فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار في نفر قليل إلى واسط واتى في طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الأهواز وأحرق فيها عدة محال وفقد في الرقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر .

(ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه السلام) في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وعظمت أضما في ما كانت قديما فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الإحن وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل الفلايين في عمل ما بقي من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجا كتبوا عليها بالذهب محمد وعلى خير البشر وأنكر السنية ذلك وادعوا أن المكتوب محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أنى فقد كفر وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب الباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضى لكشف الحال وإنهائه فكتبنا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيرى وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الإغراق في الفتنة فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة ومنع هؤلاء السنية من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ وكان نهر عيسى قد انفتح بثمة فظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبروا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسيل فأغروا بهم السنية وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فحوا خير البشر وكتبوا عليهم ما السلام فقالت السنية لانرضى إلا أن يقطع الأجر الذي عليه محمد وعلى وأن لا يؤذن حتى على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول وقتل فيه رجل هاشمى من السنية فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للأخذ بثأره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضما في ما تقدم فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا في سورها وتهددوا البواب بخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما في التراب والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثير الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع التراب والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجواز والقبتان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه مع الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه وسمع أبو تمام نقيب الباسيين وغيره من الهاشميين والسنية الخبر فجاءوا ومنعوا عن ذلك وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهروه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسى وأحرقوا الخان ودور الفقهاء وتمعدت الفتنة إلى الجانب الشرقى فاقتل أهل باب الطاق وسوق بيج والأساكفة وغيرهم ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة ديبس بن يزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كانوا شيعة فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله فروسى في ذلك

وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة وانفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشق عليهم كما أن الخليفة لم يمكنه كيف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها .

﴿ ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر ﴾ في هذه السنة في شعبان عمى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوي وكان سبب ذلك أنه أمر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه واستغفروا منه فلم يزلهم عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة مقابل مصر وتظاهروا بالفساد فعبه إليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلهم ويكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة إلى طرف البر فعمم الأمر على المستنصر بالله وجمع العرب بن طيء وكلب وغيرهما من الساكنين وصيرهم في أثر بني قرة فأدركوهم بالبحيرة فواقعوهم في ذي القعدة واشتد القتال وكثر القتل في بني قرة وانهمزوا وعاد العسكر إلى مصر وتركوا في مقابل بني قرة طائفة منهم لتردد بني قرة إن أرادوا التعرض في البلاد وكفى الله شرهم .

﴿ ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش بن بدران ﴾ في هذه السنة في شهر رمضان توفي زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد بتكريت وكان انحدار إليها في حملته قاصداً نحو العراق لينازع الثراب به عن الملك الرحيم وينهب البلاد فلما بلغها انتفض عليه جرح كان أصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفي ودفن بمشهد الحضرة بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحال والعرب إلى الموصل وأرسل إلى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه برفاة زعيم الدولة وقيامه بالإمارة وأنه يتصرف على اختياره ويقوم بالأمر نيابة عنه فلما وصل قريش إلى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش وقوى ابن أخيه ومالت العرب إليه واستقرت الإمارة له وعاد عمه إلى ما كان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقلها إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل بها .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ ظهر ببغداد يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيراً بطيئاً ثم انتفض والناس يشاهدونه . وفيها في رمضان أرسل السلطان طغرل بك إلى الخليفة جواباً عن رسالة الخليفة إليه وشكراً لإنعام الخليفة عليه بالخلع والألقاب وأرسل معه طغرل بك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقاً نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك ، وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بياب المراتب وأمر باكرائهم ولما جاء العبد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والنجايف الحسنة وأرادوا إظهار قوتهم عند الرسل . وفيها عاد الغز أصحاب الملك داود أخى طغرل بك عن كرمان وسبب عودهم أن عبدالرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار إلى خراسان فالتقى هو والملك داود وقاتلوا قتالاً شديداً فانهزم داود فانتضى الحال عود أصحابه عن كرمان وفيها أيضاً عاد السلطان طغرل بك عن أصحابان إلى الري، وفيها توفي أبو كاليبجار كرشاسف ابن علاء الدولة بن كاكويه بالأدواز ، وكان قد استخلفه بها الأمير أبو منصور عند عودها إلى شيراز ، فلما توفي خطب للملك الرحيم بالأهواز ، وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوي ، وفيها في ربيع الأول توفي أبو الحسن محمد بن محمد البصروي الشاعر وهو منسوب إلى قرية تسمى بصري قريب تكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيراً فاحتجت إلى القيام كل ساعة كأنى جدى فقال له لم تصغر

نفسك (ومن شعره) :

تري الدنيا وزينتها فتصبو ه وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثرها هموم ه وأكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه ه وعيش ابن الأعطاف رطب
إذا ما بلغت جاتك عفوا ه فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم ه فلا ترد الكثير وفيه حرب

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة)

(ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخ زاد) في هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك أن حاجبا لمردود ابن أخيه مسعود : اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه أخته ، فلما توفي مودود وملك عبد الرشيد أجرى طغرل على عادته في تقديمه وجعله حاجب حاجبه فأشار عليه طغرل بقصد الغز وإجلاتهم من خراسان ، فتوقف استبعاداً لذلك فألح عليه طغرل فسيره في ألف فارس ، فسار نحو سجستان وبها أبو الفضل نائباً عن بيغو فأقام طغرل على حصار قلعة طاق ، وأرسل إلى أبي الفضل يدعو إلى طاعة عبد الرشيد ، فقال له اني نائب عن بيغو وليس من الدين والمرواة خيانتة فاقصده فإذا فرغت منه سلمت إليك فقام على حصار طاق أربعين يوماً فلم يتهيأ له فتحها ، وكتب أبو الفضل إلى بيغو يعرفه حال طغرل فسا إلى سجستان لينزع عنها طغرل ، ثم إن طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان ، فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد لعله يجدها وفرصة ينهزها فسمع أصوات دباب وبوقات فخرج وسأل بعض من على الطريق فأخبره أن بيغو قد وصل فعاد إلى أصحابه وأخبرهم وقال لهم ليس لنا إلا أن نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فإنه لا سبيل لنا إلى الحرب لكثرتهم وقتلنا فخرجوا من مكنتهم فلما رأهم بيغو سأل أبا الفضل عنهم ، فأخبره أنه طغرل فاستقل من معه وسير طائفة من أصحابه لقتالهم ، فلما رأهم طغرل لم يدرج عليهم ، بل أقحم فرسه نهراً هناك فدبره وقصد بيغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم مامعهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وأم بيغو وأبو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين ، وعاد إلى المدينة فملكها ، وكتب إلى عبد الرشيد بما كان منه ، ويطلب الإمداد ليسير إلى خراسان فأمدته بعدة كثيرة من الفرسان فوصلوا إليه فاشتد بهم وأقام مديدة ، ثم حدث نفسه بالعود إلى غزنة والاستيلاء عليها ، فأعلم أصحابه ذلك وأحسن إليهم ، واستوثق منهم ورحل إلى غزنة طاوياً للراحل كما نما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من غزنة أرسل إلى عبد الرشيد مخادعاً له بمله أن العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء وأهم عادوا بملوب متغيرة مستوحشة فلما وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقتهم وأعلمهم الخبر فذروه منه وقالوا له إن الأمر قد أعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود إلى القلعة والتحصن بها فصعد إلى قلعة غزنة وامتنع بها ووافى طغرل من الغد إلى البلد ، ونزل في دار الإمارة وراسل المقيمين بالقلعة في تسليم عبد الرشيد ووعدهم ورغبتهم إن فعلوا ونهدهم إن امتنعوا فسلوه إليه فأخذه طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرها . وكان في الأعمال الهندية أمير يسمى خرخيز ومعه

عسكر كثير ، فلما قتل طغرل عبدالرشيد واستولى على الامر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الأعمال من أيدي الغز ورعده على ذلك وبذل البذل الكشيرة فلم يرض فله وأنكره وامتنع منه وأغلظ له في الجواب ، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجود القواد ينكر ذلك عليهم ، ويوبخهم على إغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على الأخذ بثأره . فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلظهم ودخل جماعة منهم على طغرل ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه وتبعه الباقيون فقتله وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيام وأظهر الحزن على عبدالرشيد ودم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم قد عرقتهم ماجرى مما خولفت به الديانة والأمانة وأنا تابع ولا بد للأمر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك فأشاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود وكان محبوسا في بعض القلاع فأحضر وأجلس بدار الإمارة وأقام خرخيز بين يديه يدبر الأمور وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود أخو طغرل بك صاحب خراسان قتل عبدالرشيد جمع عساكره وسار إلى غزنة فخرج إليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ما كان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشا جرارا إلى خراسان قاستقبلهم الأمير كلسارغ وهو من أعظم الأمراء فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم أصحابه عنه وأخذ أسيرا وأسرى معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرانهم فجمع ألب أرسلان عسكرا كثيرا وسير والده داود في ذلك العسكر إلى الجيش الذي أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم وأسرى جماعة من أعيان العسكر فأطلق فرخزاد الأسرى وخلع على كلسارغ وأطلته .

(ذكر وصول الغز إلى فارس وانهمامهم عنها) في هذه السنة وصل أصحاب السلطان طغرل بك إلى فارس وبلغوا إلى شيراز ونزلوا بالبيضاء واجتمع معهم العادل أبو منصور الذي كان وزير الأمير أبي منصور الملك أبي كاليبجار ودبر أمرهم فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع وهي قلعة كبزة وقلعة جويم وقلعة بهندر فأقاموا بها وسار من الغز نحو مائتي رجل إلى الأمير أبي سعد أخى الملك الرحيم وصاروا معه وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاستسلموا فأطاعوه وسلموا القلاع إليه وصاروا في خدمته واجتمع العسكر الشيرازي وعليهم الظهير أبو نصر وأوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز وأسرت تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز سار العسكر الشيرازي إلى فسا وكان قد تغلب عليها بعض السفلى وقوى أمره لاشتغال العساكر بالغز فأزالوا المتغلب عليها واستعادوها .

(ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد) في هذه السنة جرى خلف بين علم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه قرواشا إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل وسجنه بها وارتحل بطلب العراق فجرى بينه وبين أخيه المقلد منازعة أدت إلى الاختلاف فسارا المقلد إلى نور الدولة دبس بن مزيد ملتجئا إليه فحمل أخاه الغيظ منه على أن نهب حملته وعاد إلى الموصل واختلت أحواله واختلفت العرب عليه وأخرج نواب الملك الرحيم ببغداد إلى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقى من عكبرا والعلك وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربى من أرابا ونهر بيطر إلى أبي الهندي بلال بن غريب . ثم إن قريشا استمال العرب وأصلحهم فأذعنوا له بعد وفاة عمه قرواشا فإنه توفى هذه الأيام وانحدر إلى العراق ليستعيد ما أخذ منه فوصل إلى الصالحية وسير بعض أصحابه إلى ناحية الحظيرة وما والاها فتهبوا ما هناك وعادوا فلحقوا

كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فأوقع بهم وقاتهم فأرسلوا إلى قريش يعرفونه الحال فسار إليهم في عدة كثيرة من العرب والأكراد فانهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حبل بلال بن غريب وهي خالية من الرجال فتهبها وقاتله بلال وأبلى بلاء حسنا فجرح ثم انهزم وراسل قريش نواب الملك الرحيم يبذل الطائفة ويطلب تقرير ما كان له عليه فأجابوه إلى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر أمره وقوى شأنه .

(ذكر وفاة قرواش) في هذه السنة مستهل رجب توفي معتمد الدرلة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذي كان صاحب الموصل محبوسا بقلعة الجراحية من أعمال الموصل على ما ذكرناه قبل وحمل ميتا إلى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرق الموصل وكان من رجال العرب وذوى العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخري في دمية القصر من شعره :

لله در النائبات فإها • صدا النفوس وصيتل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعنى • سيفا وأطلق شفرتى وغرارى

وذكر له أيضا :

من كان يحمد أويذم مورثا • لئال من آبائه وجدوده
لنى امرؤ لله شكر وحده • شكرا كثيرا جالبا لمزيدة
لى أشقر سمح العنان مغاور • يمطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند غضب إذا جردته • خلت البروق تموج فى تجريده
ومثقف لدن السنان كأنما • أم المايا ركبت فى عوده
وبذا حويت المال إلا أنى • ساطت جود يدي على تبديده

قيل إنه جمع بين أختين فى نكاحه فقيل له إن الشريعة تحرم هذا فقال : وأى شىء عندنا تميزه الشريعة ، وقال مرة ما فى رقبتي غير خمسة أوستة من البادية قتلهم وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم .

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة) فى هذه السنة فى شعبان سير الملك الرحيم جيشا مع الوزير والباسيرى إلى البصرة وجها أخوه أبو على بن أبى كاليبجار فحصره بها فأخرج عسكره فى السفن لقتالهم فاقتلوا عدة أيام ثم انهزم البصريون فى الماء إلى البصرة واستولى عسكر الرحيم على دجلة والأنهر جميعا وسارت العساكر على البر من المنزلة بمطار إلى البصرة فلما فاربوا لقيهم رسل ضرور بيعة يطلبون الأمان فأجابوهم إلى ذلك وكذلك بذوا الأمان لسائر أهلها ودخلها الملك الرحيم فسر به أهلها وبذل لهم الإحسان فلما دخل البصرة وردت إليه رسل الديلم بخوزستان يبذلون الطاعة ويذكرون إمامهم ما زالوا عليها فشكروهم على ذلك وأقام بالبصرة ليصلح أمرنا وأما أخوه أبو على صاحب البصرة فإنه مضى إلى شط عثمان فتحصن به وحفر الخندق فمضى الملك الرحيم إليه وقاتلهم فملك الموضع ومضى أبو على ووالدته إلى عبادان وركبوا البحر إلى مهربان وخرجوا من البحر وأكثروا دواب وساروا فى أرجان عازمين على قصد السلطان طغرابك وأخرج الملك الرحيم كل من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم ثم إن الأمير أبا على وصل إلى السلطان طغرابك وهو بأصبهان فأكرمه وأحسن إليه وحمل إليه مالا وزوجه امرأة من أهله وأقطعه أقطعا من أعمال جرباذقان

وسلم إليه قلعتين من تلك الأعمال أيضا وسلم الملك الرحيم البصرة إلى البساسيري ومضى إلى الأهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزار سب حتى اصطلمنحو وصارا أرتجان وتستر للملك الرحيم .

(ذكر ورود سعدى العراق) وفيها في ذى القعدة ورد سعدى بن أبي الشوك في جيش من عند السلطان طغرل بك إلى نواحي العراق فنزل ما يدشت وسار منها جريدة فيمن معه من الغز إلى أبي دلف الجاواني فنذر به أبو دلف وانصرف من بين يديه ولحقه سعدى فنهبه وأخذ ماله وأفلت أبو دلف بحشاشة نفسه ونهب أصحاب سعدى البلاد حتى بلغوا النعمانية فأسرفوا في النهب والغارة وفتكوا في البلاد واقتضوا الأبيكار فأخذوا الأموال والأثاث فلم يتركوا شيئا وقصد البندينجيين وبلغ خبره إلى خاله خالد بن عمر وهو نازل على الزرير ومطر ابني علي بن مقن العقيليين فأرسل إليه ولده مع أولاد الزرير ومطر يشكون إليه ما عاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران فلقوه بحلوان وشكوا إليه حالهم فوعدهم المسير إليهم وإنقاذهم من قصدهم فعادوا من عنده فلقهم نفر من أصحاب مهلهل فواقعهم فظفر بهم العقيليون وأسروهم وبلغ الخبر مهلهلا فسار إلى حلل الزرير ومطر في نحو خمسمائة فارس فأوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم وانهمزم الرجال فلقى خالد ومطر والزرير سعدى ابن أبي الشوك على نامرا فأعلموه الحال وحملوه على قتال عمه فتقدم إلى طريقه والتقى القوم وكان سعدى في جمع كثير فظفر بعمه وأسره وانهمزم أصحابه في كل جهة وأسر أيضا مالك ابن عمه مهلهل وأعاد الغنائم التي كانت معهم على أصحابها وعاد إلى حلوان ووصل الخبر إلى بغداد فارتج الناس بها وخافوا وبرز عسكر الملك الرحيم ليقتصدوا حلوان لمحاربة سعدى ووصل إليهم أبو الأغر ديبس بن يزيد الأسدي ولم يصنعوا شيئا .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مقن على أخيه أبي غشام صاحب تكريت بها وسجنه في سرداب بالقلعة واستولى على تكريت . وفيها زلزلات خوزستان وأرجان وايدج وغيرها من البلاد زلازل كثيرة وكان معظمها بأرجان فخرّب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من أرتجان وانصدع فظهر في وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت في الجبل فتعجب الناس من ذلك وكان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها بمدينة بهق فأنى الخراب عليها وخرّب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا إلى سنة أربع وستين وأربعمائة تأمر نظام الملك ببناؤه فبنى ثم خربه أرسلان أرغو بعد موت السلطان ملكشاه وقد ذكرناه ثم عمر مجد الملك البلاساني . وفيها عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين أصحاب مصر وأنهم كاذبون في ادعائهم النسب إلى علي عليه السلام وعزّوهم فيه إلى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير في البلاد وشيع بين الحاضر والباد . وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيد ابن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ مصنف الشامل عند قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا . وفيها حدثت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد واستنح الضبط وانتشر العيارون وتسلطوا وجبوا الأسواق وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال وكان مقدمهم الطقطقي والزبيقي وأعاد الشيعة الأذان بحى على خير العمل وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر . وفيها زوج نور الدولة ديبس ابن يزيد ابنه بهاء الدولة منصورا بابنة أبي البركات بن البساسيري وفيها في ربيع الأول توفي القاضي أبو جعفر السمناني بالموصل وكان إماما في الفقه على مذهب أبي حنيفة والأصول على مذهب الأشعري وروى الحديث عن الدارقطني

وغيره وفي هذا الشهر توفي أيضا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب الواعظ وهو راوي مسند أحمد بن حنبل . (١)

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد) في هذه السنة في المحرم زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السنية وكان ابتداءها أواخر سنة أربع وأربعين فلما كان الآن عظم الشر واطرحت المراقبة للسلطان واختلط بالفريقين طوائف من الأتراك فلما اشتد الأمر اجتمع النوادر واتفقوا على الركوب إلى المحال وإقامة السياسة بأهل الشر والهاد وأخذوا من الكرخ إنسانا غلويا وقتلوه بشار نساؤه ونشروا شعوره واستغثن فتبعهن العامة من أهل الكرخ وجرى بينهم وبين النوادر وبينهم وبين العامة قتال شديد وطرح الأتراك النار في أسواق الكرخ فاحترق كثير منها وألحقها بالأرض وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحال وندم القواد على ما فعلوه وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك وصلاح الحال وعاد الناس إلى الكرخ بعد أن استقرت القاعدة بالديوان بكف الأتراك أيديهم عنهم .

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرتجان ونواحها) في هذه السنة في جمادى الأولى استولى الملك الرحيم على مدينة أرتجان وأطاعه من كان بها من الجند وكان المقدم عليهم فولاذ بن خسرو الديلمي . وكان قد تغلب على ما جاورها من البلاد إنسان متغلب يسمى خشنام فأنفذ إليه فولاذ جيشا فأوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحي واستضافوا إلى طاعة الرحيم وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لأنه كان مباينا للملك الرحيم على ما ذكرناه فأرسل يتضرع ويتقرب ويسأل التقدم إلى فولاذ بإحسان مجاورته فأجيب إلى ذلك .

(ذكر مرض طغرلبك) في هذه السنة وصل السلطان طغرلبك إلى أصبهان مريضا وقوى الإرجاف عليه بالموت ثم عوفي ووصل إليه الأمير أبو علي بن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة ووصل إليه أيضا هزارسب بن بنكير بن عياض صاحب إيدخ فإنه كان قد خاف الملك الرحيم لما استولى على البصرة وأرجان فأكرهما طغرلبك وأحسن ضيافتهما ووعدهما النصر والمعونة .

(ذكر عود سعدى بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم) قد ذكرنا سنة أربع وأربعين وصول سعدى إلى العراق وأسره عمه فلما أسره سار ولده بدر بن المهلهل إلى السلطان طغرلبك وتحدث معه في مراسلة سعدى ليطلق أباه فسلم إليه طغرلبك ولدا كان لسعدى عنده رهينة وأرسل معه رسولا يقول فيه إن أردت فدية عن أسيرك فهذا ولدك قد رددته عليك وإن أبيت إلا المخالفة ومفارقة الجماعة قابلناك على فملك فلما وصل بدر والرسول إلى همدان تخلف بدر وسار الرسول إليه فامتعض من قوله وخالف طغرلبك وسار إلى حلوان وأراد أخذها فلم يتمكن وتردد بين روشنقباذ والبردان وكاتب الملك الرحيم وصار في طاعته فسار إليه إبراهيم ابن إسحق وسخت كان وهما من أعيان عسكر طغرلبك في عسكر مع بدر بن المهلهل فأوقعوا به فانهزم هو وأصحابه وعاد الغز عنهم إلى حلوان وسار بدر إلى شهرزور في طائفة من الغز ومضى سعدى إلى قلعة روشنقباذ .

(١) وفيها مات محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السمناني القاضي ، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع الدارقطني وغيره كان عالما فاضلا سنيا تولى القضاء بالموصل ، وكان له في داره مجلس للنظر ، وتوفي لما كلف بصره بالموصل وهو قاضيا ، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمسا وثمانين سنة ، سأل الله .

(ذكر عود الأمير أبي منصور إلى شيراز) في هذه السنة في شوال عاد الأمير أبو منصور فولاستون ابن الملك أن كاليجار إلى شيراز مستوليا عليها وفاقها أخوه الأمير أبو سعد وكان سبب ذلك أن الأمير أبا سعد كان قد تقدم معه في درلنه إنسان يعرف بعמיד الدين أن نصر بن الظهير فتحكم معه واطرح الأجناد واستخف بهم وأوحش أبا نصر بن خسرو صاحب قلعة اصطخر الذي كان قد استدى الأمير أبا سعد وملكه فلما فعل ذلك اجتمعوا على مخالفة وتألوا عليه واحضر أبو نصر بن خسرو والأمير أبا منصور بن أبي كاليجار إليه وسعى في اجتماع الكلمة عليه فأجابه كثير من الأجناد لكرهتهم لعמיד الدين فقبضوا عليه ونادوا بشعار الأمير أبي منصور وأظهروا طاعته وأخرجوا الأمير أبا سعد عنهم فعاد إلى الأهواز في نفر يسير ودخل الأمير أبو منصور إلى شيراز مالكاها مستوليا عليها وخطب فيها لظفر بك وللملك الرحم ولفسه بعدها .

(ذكر إيقاع البساسيري بالأكراد والأعراب) وفيها في شوال وصل الخبر إلى بغداد بأن جمعا من الأكراد وجمعا من الأعراب قد أفسدوا في البلاد وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعا في السلطنة بسبب الغز فسار إليهم البساسيري جريده وتبعهم إلى البوازيج فأوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم واهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج فلم يدركهم وأراد العبور إليهم وهم بالجانب الآخر وكان الماء زائدا لم يتمكن من عبوره فنجوا .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفي الشريف أبو تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي نقيب النقباء وقام بعده في النقباء ابنه أبو علي وفيها توفي أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن أحمد البرمكي وكان مكثرا من الحديث سمع ابن مالك القطيعي وغيره وإنما قيل البرمكي لأنه سكن محلة ببغداد تعرف بالبرامكة وقيل كان من قرية عند البصرة تعرف بالبرمكية . (١)

(ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة)

(ذكر فتنة الأتراك ببغداد) في هذه السنة في المحرم كانت فتنة الأتراك ببغداد ، وكان سببها أنهم تخلف لهم على الوزير الذي لذلك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم فطالبوه وألحوا عليه فاخفى في دار الخلافة فحضر الأتراك بالديوان وطالبوه وشكوا ما يلقونه منه من المطال بما لهم فلم يجابوا إلى إظهاره فعدلوا عن الشكوى منه إلى الشكوى من الديوان ، وقالوا إن أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم وأخذوا الأموال وإذا طلبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم وانتصب الوزير والخليفة لمنعا عنهم وقد هلكنا فتردد الخطاب منهم والجواب عنه فقاموا نافرين فلما كان الغد ظهر الخبر أنهم على عزم حصر دار الخلافة فانزعج الناس لذلك وأخفوا أموالهم وحضر البساسيري دار الخلافة وتوصل إلى معرفة خبر الوزير فلم يظهر له على خبر فطلب من داره ودور من ينهم به وكبست الدور فلم يظهروا له على خبر ، وركب جماعة من الأتراك إلى دار الروم فنهبوا وأحرقوا البيع

(١) في هذه السنة توفي اسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زنجويه - أبو سعيد الرازي المعروف بالسنان شيخ المعتزلة سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ وكان عالما عارفا فاضلا مع اعتزاله ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الإسلام ، وكان حنفي المذهب عالما بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال وقد ترجم ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه - وفيها توفي محمد بن أبي تمام الزينبي نقيب النقباء قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقباء .

والقلايات ونهبوا فيها دار أبي الحسن بن عبيد وزير البساسيري وقام أهل نهر المعلى وباب الأزج وغيرهما من المحال في منافذ الدروب لمنع الأتراك وانخرق الأمر ونهب الأتراك كل من ورد إلى بغداد فغلت الأسعار وهدمت الأقوات وأرسل إليهم الخليفة ينهاهم فلم ينتهوا فأظهر أنه يريد الانتقال عن بغداد فلم يزجروا ، هذا جميعه والبساسيري غير راض بفعلهم وهو مقيم بدار الخليفة وتردد الأمر إلى أن ظهر الوزير وقام لهم بالباقي من مالهم من ماله وأثمان دوابه وغيرها ولم يزالوا في خبط وعسف فعاد طمع الأكراد والأعراب أشد منه أولا وعاودوا الغارة والنهب والقتل فخربت البلاد وتفرق أهلها وانحدر أصحاب قريش بن بدران من الموصل طامعين فكبسوا حبل كامل بن محمد بن المسيب وهي بالبردان فنهبوا وبها دواب وجمال بخاني للبساسيري فأخذوا الجميع ووصل الخبر إلى بغداد فازداد خوف الناس من العامة والأتراك وعظم انحلال أمر السلطنة بالكيفية وهذا من ضرر الخلاف .

(ذكر استيلاء طغرل بك على أذربيجان وغزو الروم) في هذه السنة سار طغرل بك إلى أذربيجان فقصده تبريز وصاحبها الأمير أبو منصور وهو ذان بن محمد الروادي فأطاعه وخطب له وحمل إليه ما أرضاه به وأعطاه ولده رهينة فسار طغرل بك عنه إلى الأمير أبي الأسوار صاحب جنزة فأطاعه أيضا وخطب له وكذلك سائر تلك النواحي أرسلوا إليه يبذلون الطاعة والخطبة وانقاد العساكر إليه فأبقى بلادهم عليهم وأخذ رهائهم وصار إلى أرمينية وقصد ملاز كرد وهي للروم فحصرها وضيق على أهلها ونهب ما جاورها من البلاد وأخربها وهي مدينة حصينة فأرسل إليه نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر الهدايا الكثيرة والعساكر وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه وأثر السلطان طغرل بك في غزو الروم آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والامر شيئا كثيرا وبلغ في غزوته هذه إلى أرزن الروم وعاد إلى أذربيجان لما هجم الشتاء من غير أن يملك ملاز كرد وأظهر أنه يقيم إلى أن ينقضى الشتاء ويعود يتم غزواته ثم توجه إلى الري فأقام بها إلى أن دخلت سنة سبع وأربعين وعاد نحو العراق على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم) في هذه السنة في رجب قصد بنو خفاجة الجامعين وأعمال نور الدولة ديبس ونهبوا وقتكوا في أهل تلك الأعمال وكان نور الدولة شرقي الفرات وخفاجة غربها فأرسل نور الدولة إلى البساسيري يستنجده فسار إليه فلما وصل عبر الفرات من ساعته وقاتل خفاجة وأجلام عن الجامين فانهزموا منه ودخلوا البر فلم يتبعهم وعاد عنهم فرجعوا إلى الفساد فاستعد لسلك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم فأصدا حربهم فدخلوا البر أيضا فقتلهم فلاحقهم بخفان وهو حصن بالبر فأوقع بهم وقتل منهم ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإمامهم وشردهم كل شرده وحصر خفان ففتحه وخربه وأراد تخريب القائم به وهو بناء من آجر وكلس وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله فتركه وعاد إلى البلاد وهذا القائم قيل إنه كان علما يهتدى به السفن لما كان البحر يجيء إلى النجف ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من خفاجة عليهم البرانس وقد شدهم بالحبال إلى الجمال وقتل منهم جماعة وصلب جماعة وتوجه إلى حرب فحصرها وقرز على أهلها تسعة آلاف دينار وأمنهم .

(ذكر استيلاء قريش بن بدران على الأنبار والخطبة لطغرل بك بأعماله) في شعبان من هذه السنة حصر الأمير أبو المعالي قريش بن بدران صاحب المرصل مدينة الأنبار وفتحها وخطب لطغرل بك فيها وفي سائر

أهماله ونهب ما كان فيها للبساسيري وغيره ونهب حبل أصحابه بالخالص وفتحوا بثوقه فامتعض البساسيري من ذلك وجمع جموعا كثيرة وقصد الأنبار وحرى فاستعادهما على ما نذره إن شاء الله تعالى .

(ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده) في هذه السنة في رجب توفي القائد بن حماد وأوصى إلى ولده محسن وأوصاه بالإحسان إلى عمومته فلما مات خالف ما أمره به وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد بما عزم عليه خالفه وجمع جمعا عظيما ونى قلعة في جبل منيع وسماها الطيارة ثم إن محسا قتل من عمومته أربعة فازداد يوسف نفورا وكان ابن عمه بلكين بن محمد في بلدة أفيون فكتب إليه محسن يستدعيه فسار إليه فلما قرب منه أمر محسن رجالا من العرب أن يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن إن بلكين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فأعلموه ما أمرهم به محسن فخاف فقال له خليفة لا تخف وإن كنت تريد قتل محسن فأنا أقتله لك فاستعد بلكين لقتاله وسار إليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هاربا إليها فأدركه بلكين فقتله وملك القلعة وولى الأمر وكان ملكه القلعة سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

(ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة) في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيري وسبب ذلك أن أبا الغنائم وأبا سعد ابني المحلبان صاحبي قريش بن بدران وصلا إلى بغداد سرا فامتعض البساسيري من ذلك وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا حبل أصحابي ونهبوا وفتحوا البشوق وأسرفوا في إهلاك الناس وأراد أخذهم فلم يمكن منهم ففضى إلى حربى وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك إلى رئيس الرؤساء واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء فمنعها وطالب بالضريبة التي عليها وأسقط مشاهرات الخليفة من دار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشى الدار وأراد هدم دور بنى المحلبان فمنع منه فقال ما أشكو إلا دن رئيس الرؤساء الذى قد خرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم ودام ذلك إلى ذى الحجة فسار البساسيري إلى الأنبار وأحرق ناحيتي دما والفلوجة وكان أبو الغنائم ابن المحلبان بالأنبار قد أتاهما من بغداد وورد نور الدولة دبس إلى البساسيري معاونا له على حصرها ونصب البساسيري عليها المجانيق فهدم رجا ورماهم بالنفط فأحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتاله ودخلها قهرا فأسر مائة نفس من بنى خفاجة وأسر أبا الغنائم بن المحلبان فأخذ وقد ألقى نفسه في الفرات ونهب الأنبار وأسر من أهلها خمسمائة رجل وعاد إلى بغداد وبين يديه أبو الغنائم على جمل وعليه قبض أحمر وعلى رأسه برنس وفي رجله قيد وأراد صلبه وصلب من معه من الأمرى فسأله نور الدولة أن يؤخر ذلك حتى يعود وأتى البساسيري إلى مقابل التاج فقبل الأرض وعاد إلى منزله وترك أبا الغنائم لم يصلبه وصلب جماعة من الأسرى فكان هذا أول الوحشة .

(ذكر وصول الغزالي العسكرية وغيرها) في شوال من هذه السنة وصل إبراهيم بن إسحق وهو من الأمراء الغزية السلجوقية إلى العسكرية وكان مقبلا بجلوان فلما وصل إليها قاتله أهلها ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرقين ودخل الغز البلد فتهبوه أقبح نهب وضرَبوا الذماء وأولادهم فاستخرجوا بذلك أموالا كثيرة وساروا إلى روشنقباد لفتحها وهي بيد سعدى وأمواله فيها وفي قلعة البردان وكان سعدى قد فارق طاعة السلطان طغرلبيك على ما ذكرناه فلم يفتحها وأجلى أهل تلك البلاد وخربت القرى ونهبت أموال أهلها وسار طائفة أخرى من الغز إلى نواحي الأهواز وأعمالها فهبوا واجتاحوا أهلها وقوى طمع الغز في البلاد وانخذل

الديلم ومن معهم من الأتراك وضعت نفوسهم ثم سير طغرل بك الأمير أبا علي بن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة في جيش من الغز إلى خوزستان ليملكها فوصل سابور خواست وكاتب الديلم الذين بالاهواز يدعوم إلى طاعته ويعدم الإحسان إن أجابوا والعقوبة إن امتنعوا فمنهم من أطاع ومنهم من خالف فسار إلى الأهواز فملكها واستولى عليها ولم يمرض لأحد في مال ولا غيره فلم يوافق الغز على ذلك ومدوا أيديهم إلى الهب والغارة والمصادرة ولقي الناس منهم عنتا وشدة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة كثرت الصراصر ببغداد حتى كان يسمع لها بالليل دوى كدوى الجراد إذا طار . وفيها في ذى الحجة توفي أبو حسان المقلد بن بدران أخو قريش بن بدران صاحب الموصل . وفيها في شوال توفي قسطنطين ملك الروم زوج تذورة بنت قسطنطين الموسومة بالملك وإماما ملك قسطنطين هذا حيث تزوجها وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأصماني المعروف بابن اللبان الفقيه الشافعي وهو من أصحاب أبي حامد الإسفرايني ، وروى الحديث عن ابن المقرئ والمخلص وغيرهما ، وتوفي فيها أحمد بن عمر بن روح أبو الحسن النهرواني وله شعر جيد فنه أنه سمع رجلا يتغنى وهو يقول :

وما طلبوا سوى قتلى فهان عليّ ما طلبوا

فاستوقفه وقال له أضف إليه فقال :

على قلبي الأحبة بالتمادي في الهوى غلبوا

وبالمهجران من عينيّ طيب النوم قد سلبوا

وما طلبوا سوى قتلى فهان عليّ ما طلبوا

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء الملك الرحيم علي شيراز وقطع خطبة طغرل بك فيها) في هذه السنة في المحرم سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب قلعة اصطخر إلى شيراز فدخلها وأخرج عنها الأمير أبا منصور فولاستون ابن الملك أبي كاليجار فقصد فيروزاباد وأقام بها وقطع فولاذ خطبة السلطان طغرل بك في شيراز وخطب الملك الرحيم ولاخيه أبي سعد وكاتبهما يظهر لهما الطاعة فلما أنه يخذعهما بذلك فسار إليه أبو سعد وكان بأرجان ومعه عساكر كثيرة واجتمع هو وأخوه الأمير أبو منصور علي قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم فتوجها نحوهما فيمن معهما من العساكر وحصر فولاذ فيها وطال الحصار إلى أن عدم القوت فيها . وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار ومات أهلها جوعا وكان من بقي فيها نحو ألف إنسان وتندر المقام في البلد على فولاذ فخرج هاربا مع من في صحبته من الديلم إلى نواحي البيضاء وقلعة اصطخر ودخل الأمير أبو سعد والأعير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها وأقاموا بها .

(ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة) في هذه السنة قتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة ابن مروان وكان والده قد سلم إليه الجزيرة وتلك النواحي ليقم بها ويحفظها ، وكان شجاعا مقداما فاستبد بالامر واستولى عليها فجري بينه وبين الأمير موسك بن المجلى بن زعيم الأكراد البختية وله حصون منيعة شرقي الجزيرة نفرة ، ثم راسله أبو حرب واستماله وسعى أن يزوجه ابنة الأمير أبي طاهر البشنوي صاحب قلعة فنك وغيرها

من الحصون وكان أبوطاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان فلم يخالف أبوطاهر صاحب فنك أبا حرب في الذي أشار به من ترويح الأمير موسك فزوجه ابنته ونقلها إليه فاطمان حينئذ موسك وسار إلى سليمان فغدر به وقبض عليه وحبسه ووصل السلطان طغرلبك إلى تلك الأعمال لما توجه إلى غزو الروم على ما ذكرناه فأرسل إلى نصر الدولة يشفع في موسك فأظير أنه توفي فشق ذلك على حميه أبوطاهر البشنوي وأرسل إلى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لها حيث أردتما قتله فلم جعلتما ابنتي طريقاً إلى ذلك وقلدتموني العار وتبكر لها وخافه أبو حرب فوضع عليه من سقاه سما فقتله وولى بعده ابنه عبيد الله فأظهر له أبو حرب المودة استصلاحاً له وتبراً إليه من كل ما قيل عنه واستقر الأمر بينهما على الاجتماع وتجديد الأيمان فنزلوا من فنك وخرج إليهم أبو حرب من الجزيرة في نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فألقه وأزجه وأرسل ابنه نصرأ إلى الجزيرة ليحفظ تلك النواحي ويأخذ بثأر أخيه وسير معه جيشاً كشيفاً، وكان الأمير قريش بن بدران صاحب الموصل لما سمع قتل أبي حرب انتهن الفرصة وسار إلى الجزيرة ليملكها وكاتب البختية والبشنوية واستمالهم فنزلوا إليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيه القتل وصبر الفريقان فكانت الغلبة أخيراً لابن مروان وجرح قريش جراحة قوية بزوبين رمى به وعاد عنه، وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة وعاود مرسله البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعاً فلم يطيعوه .

(ذكر وثوب الأتراك ببغداد بأهل البساسيري والقبض عليه ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء) في هذه السنة ثارت فتنة ببغداد بالجانب الشرقي بين العامة وثار جماعة من أهل السنة وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحضروا الديوان وطلبوا أن يؤذن لهم في ذلك وأن يتقدم إلى أصحاب الديوان بمساعدتهم فأجيئوا إلى ذلك وحدث من ذلك شر كثير، ثم إن أبا سعد النصراني صاحب البساسيري حمل في سفينة ستمائة جرة خمرا ليحدرها إلى البساسيري بواسطة في ربيع الآخر فحضر ابن سكرة الهاشمي وغيره من الأعيان في هذا الباب وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة وكسروا جرار الخمر وأراقوه، وبلغ ذلك البساسيري فعظم عليه ونسبه إلى رئيس الرؤساء وتجددت الوحشة، فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بأن الذي فعل من كسر الجرار وإراقة الخمر تعد غير واجب، وهي ملك رجل نصراني لا يجوز وتردد القول في هذا المعنى فتأكدت الوحشة من الجانبين ووضع رئيس الرؤساء الأتراك البغداديين على ثاب البساسيري والذم له ونسب كل ما يجري عليهم من نقض إليه فطمعوا فيه وسلكوا في هذا المعنى زيادة على ما أراد رئيس الرؤساء وتمادت الأيام إلى رمضان فحضروا دار الخلافة واستأذنوا في قصد دور البساسيري ونهبها فأذن لهم في ذلك فقصدوها ونهبوها وأحرقوها ونكلوا بنسائه وأهله ونوابه ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في البساسيري وذمه ونسبه إلى مكاتبة المستنصر صاحب دهر وأفسد الحال مع الخليفة إلى حد لا يرجى صلاحه، وأرسل إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري فأبعده وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طغرلبك العراق وقبض الملك الرحيم وسيرد من ذلك ماتراه إن شاء الله تعالى .

(ذكر وصول طغرلبك إلى بغداد والخطبة له بها) قد ذكرنا قبل مسير طغرلبك إلى الري بعد عوده من غزو الروم للنظر في ذلك الطرف فلما فرغ من الري عاد إلى همدان في المحرم من هذه السنة وأظهر أنه يريد

الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوي صاحبها وكاتب أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات فعمم الإرجاف ببغداد وفنت في أعضاد الناس وشغب الأتراك ببغداد وقصدوا ديوان الخلافة ووصل السلطان طغرل بك إلى حلوان وانتشر أصحابه في طريق خراسان فأجفل الناس إلى غربي بغداد وأخرج الأتراك خيامهم إلى ظاهر بغداد وسمع الملك الرحيم بقرب طغرل بك من بغداد فأصعد من واسط إليها وفارقه البساسيري في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه إلى الملك الرحيم أن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الأعداء يعني المصريين وأن الخليفة له على الملك عهد دوله على الخليفة مثلها فإن آثره فقد قطع ما بينهما وإن أبعد وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون . وكان سبب ذلك ما ذكر وسار البساسيري إلى بلد نور الدولة ديبس بن مزيد لمصاهرة بينهما وأصعد الملك الرحيم إلى بغداد وأرسل طغرل بك رسولا إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة والعبودية وإلى الأتراك البغداديين يمدح الجميل والإحسان فأنكر الأتراك ذلك وراسلوا الخليفة في المعنى وقالوا إننا فعلنا بالبساسيري ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم أمير المؤمنين ووعدنا أمير المؤمنين بإبعاد هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا ولم يمنع من المجيء وسألوا التقدم عليه في العود ففعلوا في الجواب . وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة الديلية ثم إن الملك الرحيم وصل إلى بغداد منتصف رمضان وأرسل إلى الخليفة يظهر له العبودية وأنه قد سلم أمره إليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد مع السلطان طغرل بك وكذلك قال من مع الرحيم من الأمراء فأجيبوا بأن المصلحة أن يدخل الأجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبوها بالحريم ويرسلوا رسولا إلى طغرل بك يبذلون له الطاعة والخطبة فأجابوا إلى ذلك وفعلوه وأرسلوا رسلا إليه فأجابهم إلى ما طلبوا ووعدهم بالإحسان إليهم وتقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطغرل بك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة ثمان بقين من رمضان من السنة وأرسل طغرل بك يستأذن الخليفة في دخول بغداد فأذن له فوصل إلى النروان وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة ومجبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرل بك بهم أرسل إلى طريقهم الأمراء ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء إلى السلطان أبلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الأجناد وسار طغرل بك ودخل بغداد يوم الإثنين لخمس بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل إليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته في هذا الوقت على ما ذكرناه .

(ذكر وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرل بك وقبض الملك الرحيم) لما وصل السلطان طغرل بك ببغداد دخل عسكره البلد للامتيار وشراء ما يريدونه من أهلها وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر إلى باب الأزج وأخذ واحدا من أهله ليطلب منه تبنا وهو لا يفهم ما يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجعوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرل بك فارتج البلد من أقطاره وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد في محال ببغداد إلا أهل الكرخ فإنهم لم يتعرضوا إلى الغز بل جمعوا وحفظوا وبلغ السلطان طغرل بك ما فعله أهل الكرخ من حماية أصحابه فأمر بإحسان معاملتهم فأرسل عميد الملك الوزير إلى عدنان بن الرضى نقيب العلويين يأمره بالحضور فحضر

فشكره عن السلطان وترك عنده خيلاً بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلة وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر إلى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطاني فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما أرادوا لكر تخلفوا ودخل أعيان أصحابه إلى دار الخلافة وأقاموا بها نفياً للتهمة عن أنفسهم ظناً منهم أن ذلك ينفعهم وأما عسكر طغرل بك فلما رأوا فعل العامة وظهورهم من البلد قاتلهم فقتل بين الفريقين جمع كثير وانهمزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الأموال ما لا يحصى لأن أهل تلك الأصقاع نقلوا إليها أموالهم اعتقاداً منهم أنها محترمة ووصل النهب إلى أطراف نهر المملى واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف ونقل الناس أموالهم إلى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فعمطت الجماعات لكثرة الزحمة وأرسل طغرل بك من الغد إلى الخليفة يعتب وينسب ماجرى إلى الملك الرحيم وأجناده ويقول إن حضروا برئت ساحتهم وإن تأخروا عن الحضور أيقنت أن ماجرى إنما كان بوضع منهم وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أماناً لهم فتقدم اليهم الخليفة بقصده فركبوا إليه وأرسل الخليفة معهم رسولا يبرئهم مما خامر خاطر السلطان فلما وصلوا إلى خيامه نهبهم الغز ونهبوا رسل الخليفة معهم وأخذوا دوابهم وثيابهم ولما دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الرحيم إلى قلعة السيروان وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداد ست سنين وعشرة أيام ونهب أيضاً قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب ونجا مسلوباً فاحتفى بخيمة بدر بن المهلهل فألقوا عليه الزلالى حتى أخفوه بها عن الغز ثم علم السلطان ذلك فأرسل إليه وخلع عليه وأمره بالعود إلى أصحابه وحلله تسكيناً له وأرسل الخليفة إلى السلطان ينكر ماجرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهب بغداد ويقول إنهم إنما خرجوا إليك بأمرى وأمانى فإن أطلقتهم وإلا فانا أفارق بغداد فإنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً منى أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحرم تعظم وأرى الأمر بالضد فأطلق بعضهم وأخذ جميع أقطاعات عسكر الرحيم وأمرهم بالسعى فى أرزاق يحصلونها لأنفسهم فتوجه كثير منهم إلى البساسيري ولزموه فكثرت جمعه ونفق سوقه وأمر طغرل بك بأخذ أموال الأتراك البغداديين وأرسل إلى نور الدولة ديبس يأمره بإبعاد البساسيري عنه ففعل فسار إلى رحبة مالك بالشام على ما ذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول فى طاعته وخطب نور الدولة لطغرل بك فى بلاده وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فتهبوا من الجانب الغربى من تكريت إلى النيل ومن الشرقى إلى النهروانات وأسافل الأعمال وأسرفوا فى النهب حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط إلى عشرة والحمار بقيراطين إلى خمسة وخرب السواد وأجلى أهله عنه وضمن السلطان طغرل بك البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار وأقطع أرجان وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون الأعمال التى ضمنها وأقطع الأمير أبا على بن أبى كاليبجار الملك قريميسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ أن يؤذنوا فى مساجدهم سحراً الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد فيها وانتقل إليها فى شوال .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة أبو على بن الفراء وابن النجيبى وتبعهم من العامة الجم الغفير وانكروا الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا

من الترجيع في الأذان والقنوت في الفجر ووصلوا إلى ديوان الخليفة ولم ينفصل حال وأنى الخطاب إلى مسجد يباب الشعير فهو الإمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفاً، وقال أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها . وفيها كان بمكة غلاء شديد . وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مفرق ثم تمرد وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك بأمر الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فنعرض الناس به ثم عاد الحاج فسبل الأمر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر عن المادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة . وفيها ظهر باليمن إنسان يعرف بابي كابل علي بن محمد الصليحي واستولى على اليمن وكان معاً فجمع إلى نفسه جمعا وانتمى إلى صاحب مصر وتظاهر بطاعته فكثير جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوى على ابن سادل وابن الكريدي المقيمين بها على طاعة القائم بأمر الله ، وكان يتظاهر بمذهب الباطنية . وفيها خطب محمود الحفاجي للمستنصر العلوي صاحب مصر بشفانا والعين صار في طاعته . وفيها في شوال توفي قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا ، ومولده سنة ثمان وستين وثلاثمائة وبقى في القضاء سبعا وعشرين سنة ، وكان شافعيًا ورعا نزها أسيانولي بعده أبو عبد الله محمد بن علي بن الدامغان الحنفي . وفيها في ذي القعدة توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن أمير المؤمنين ومولده في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . وفيها قبض الملك الرحيم قبل وصول طغرل بك إلى بغداد على الوزير أبي عبد الله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم وطرح في بئر في دار المملكة وطم عليه ، وكان وزيراً متحكماً دولة . وفيها في المحرم توفي القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي (١) ومولده بالبصرة سنة خمس وستين وثلاثمائة وخلف ولداً صغيراً وهو أبو الحسن محمد بن علي ثم توفي في شوال سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته بموته ، قال القاضي أبو عبد الله بن الدامغان دخلت على أبي القاسم قبل مرته بقليل فأخرج إلى ولده هذا من جاريتيه وبكى فقلت تعيش إن شاء الله وتريه فقال هيأت والله ما يترى إلا يتما وأنشد :

أرى ولد الفتى كلا عليه ه لقد سعد الذي أمسى عقبها

فأما أن تربيته عدوا ه وإما أن تخلفه يتما

فترى يتما كما قال ، وفي جمادى الأولى توفي أبو محمد الحسن بن رجاء الدهان اللغوي . وفي جمادى الآخرة فيها توفي أبو القاسم منصور بن حمزة بن إبراهيم الكرخي من كرخ حدان ، الفقيه الشافعي . وفي رجب توفي أبو نصر أحمد بن محمد اثباتي الفقيه الشافعي وهما من شيوخ أصحاب أبي حامد الإسفراييني . وفي شعبان توفي أبو البركات حسين بن علي بن عيسى الربيعي النحوي وكان ينوب عن الوزراء ببغداد . (٢)

(١) نسبة إلى تنوخ : اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التناصر والتأزر فسموا تنوخا .

(٢) وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكرز بشيراز بألف دينار . وفيها مات الحسن بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة ، المعروف بابن ماكولا الشافعي وقد ولي القضاء بالبصرة ، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المقتدر ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها في القضاء سبع وعشرون سنة وكان ديناً لا يقبل من أحد هدية ، ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده ، وله شعر حسن فنه :

تصابي برمة من بعد شيب ه فما غنى المشيب عن التصابي

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة)

(ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخى طغرلبك) فى هذه السنة فى المحرم جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوسا عاما وحضر عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك وجماعة من الأمراء منهم أبو على بن الملك أبى كاليبجار وهزارسب بن بنسكر بن عياض الكردى وابن أبى الشرك وغيرهم من الأمراء الأتراك من عسكر طغرلبك وقام عميد الملك وزير طغرلبك ويده دبوس ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على أرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرلبك وقبل الخليفة بنفسه النكاح وحضر العقد نقيب النقباء أبو على بن أبى تمام وعدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين وأقضى القضاة الماوردى وغيرهم وأهديت خاتون إلى الخليفة فى هذه السنة أيضا فى شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها وأحضرتها إلى الدار .

(ذكر الحرب بين عميد المعز بن باديس وعميد ابنه تميم) فى هذه السنة وقعت الحرب بين عميد المعز المقيمين بالمهدية وعميد ابنه تميم بسبب منازعة أدت إلى المقاتلة فقامت عامة زويلة وسائر من بها من رجال الأسطول مع عميد تميم فأخرجوا عميد المعز وقتل منهم كثير ومضى الباقون منهم يريدون المسير إلى القيروان فوضع عليهم تميم العرب فقتلوا منهم جماغفيرا وهذه النبوة هى سبب قتل تميم من قتل من عميد أبيه لمملك .

(ذكر ابتداء الدولة المثلثين) فى هذه السنة كان ابتداء أمر المثلثين وهم عدة قبائل ينسبون إلى حمير أشهرها لمتونة ومنها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وجدالة ولمطة وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم إلى الشام وانتقلوا إلى دصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق إلى طنجة فأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية فلما كان هذه السنة توجه رجل منهم اسمه الجوهر من قبيلة جدالة إلى إفريقية طالبا للحج وكان محبا للدين وأهله ، فر بفقير بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو أبو عمران الفاسى فى غالب الظن فأصغى الجوهر إليه وأعجبه حالم فلما انصرف من الحج قال للفقير ما عندنا فى الصحراء من هذا شئ غير الشهادتين والصلاة فى بعض الخاصة فأبعث معى من يعلمهم شرائع الإسلام فأرسل معه رجلا اسمه عبد الله بن ياسين الكزولى وكان فقيها صالحا شهما فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جملة وأخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيما لشرعية الإسلام فأقبلوا إلى الجوهر يهنؤنه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم ما يلزم فى دين الإسلام فرحبوا بهما وأنزلوهما وقلوا تذكر لنا شريعة الإسلام فعرفهم عقائد الإسلام وفرائضه فقالوا أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب وأما قولك من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يجلد أو يرحم فأمر لانتزيمه إذ ذهب إلى غيرنا فرحلا عنهم فنظر اليهما شيخ كبير فقال لا بد وأن يكون لهذا الجمل فى هذه الصحراء شأن يذكر فى العالم فانتهى الجوهر والفقيه إلى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم عبد الله

وسود عارضيه بلون خضب • فلم ينفعه تسويد الخضب
وأبدى للأحبة كل لطف • فآزادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدء • على أيام ربيعان الشباب
تولى عزمه يوما وأبقى • بقلبي حسرة ثم اكتساب

ابن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم إلى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض وهوى سم إن المخالفين لهم تحيزوا وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين أطاعوا قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وأنكروا شرائع الإسلام واستعدوا لقتالكم فأقيموا الحكم راية وقدموا عليكم أميراً فقال له الجوهر أنت الأمير فقال لا إنما أنا حامل أمانة الشريعة وأبكر أنت الأمير فقال الجوهر لو فعلت هذا تسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك على فقال له ابن ياسين الرأي أن نولي ذلك أبا بكر بن عمر رأس لمنونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الطريقة مطاع في قومه فهو يستجيب لنا لحب الرياسة وتبعه قبيلته فنتقوى بهم فأتيا أبا بكر ابن عمر وعرضا ذلك عليه فأجاب فعقدوا له للبيعة وسماه ابن ياسين أمير المسلمين وعادوا إلى جدالة وجمعوا إليهم من حسن إسلامه وحرصهم عبد الله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله وسبأهم مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاوتهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك الأشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحو ألفي رجل من أهل البغي والفساد فتركوهم في مكان وخذقوا عليهم وحفظوهم ثم أخرجوهم قوماً بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء وهاجروهم فقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن ياسين مشغول بالعلم، وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون ولما استبد بالامر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالي وبقي لاحكم له تداخله الحسد وشرع سرا في فساد الأمر فعلم بذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لأنه نكس البيعة وشق العصار وأراد محاربة أهل الحق فقتل بعد أن صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى فاجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قتلوه فلما كان سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجالاً وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئاً له قدر وعادوا ثم إن الصحراء ضاقت عليهم وأرادوا إظهار كلمة الحق والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفار فخرجوا إلى السوس الأقمى فجمع لهم أهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه فعاد أبو بكر ابن عمر فجمع جيشاً وخرج إلى السوس في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس وزيانة اثنا عشر ألف فارس فأرسل إليهم وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس ونجاهد أعداء الإسلام فأبوا من ذلك فصلى أبو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم إن كنا على الحق فانصربا وإلا فأرحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أموالهم وأسلابهم وقويت نفسه ونفوس أصحابه وساروا إلى سجالاً فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم وسار إليهم صاحب سجالاً فقاتلهم فهزموه وقتلوا ودخلوا سجالاً واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

(ذكر ولاية يوسف بن تاشفين) لما ملك أبو بكر بن عمر سجالاً استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمه الأقرين ورجع إلى الصحراء فأحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فأقام بالصحراء مدة ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سجالاً فأقام بها سنة والخطبة والامر والنهي له واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر وجهز مع يوسف بن تاشفين جيشاً من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه وكان يوسف رجلاً ديناً خيراً حازماً داهية مجرباً وبقوا كذلك إلى

سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفي أبو بكر بن عمر بالصحراء فاجتمعت طرائف المرابطين على يوسف بن ناشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين وكانت الدولة في بلاد الغرب لزمانه الذين ثاروا في أيام الفتن وهي دولة ردية مذمومة سيئة السيرة لاسيما ولادياة وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة واتباع الشريعة فاستغاث به أهل المغرب فسار إليها وافتتحها حصا حصنا وبلدا بلدا بأيسر سعى فأجبه الرعايا ووصلحت أحوالهم ثم إنه قصد موضع مدينة مرا كش وهو قاع صنصف لاعماره فيه وهو موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيروان في إفريقيا ومرا كش تحت جبال المصادة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنهم معقلا فاخطت هناك مدينة مرا كش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن هوابقتة واتخذها مقرا فلم يتحرك أحد بفتنة وملك البلاد المنصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها وكثرت عساكره وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم وضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل أن يملكوا يتلثمون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام وقيل كان سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا غازين على عدو لهم فخالصهم العدو إلى بيوتهم ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويلبسن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عن قتال الموت والرأى أن فسوق النعم ونمضي فإن اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعى إذ قد أقبل رجال الحى فلقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فأكثروا وكان من قتل النساء أكثر من ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة بلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب فلا يزيلونه ليلا ولا نهارا وبما قيل في اللثام :

قوم لهم درك العلاء في حمير ه وإن انتموا صهاجة فهم هم

لما حروا إحرار كل فضيلة ه غلب الحياء عليهم فتلثموا

ونذكر باقى أخبار أمير المسلمين فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

(ذكر تبيض أبي الغنائم بن المحلبان) فى هذه السنة ببيض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسطة وخطب فيها للعلويين المصريين وكان سبب ذلك أن رئيس الرؤساء سعى له فى النظر على واسط وأعمالها فأجيب إلى ذلك فأنحدر إليها فصار عنده جماعة من أعيانها وجند جماعة عظيمة وتقوى بالبطائحين وحفر على الجانب الغربى من واسط خندقا وبني عليه سورا وأخذ ضريبة من سفن أصعدت للخليفة فسير لخر به عميد العراق أبو نصر فاقتلوا فانهزم ابن المحلبان وأسر من أصحابه عدد كثير ووصل أبو نصر إلى السور فقاتله العامة من على السور ، ثم تسلم البلد وأمر أهله بطم الخندق وتخريب السور ثم أصعد إلى بغداد فلما قاربها عاد إليها ابن فسانجس ونهب قرية عبدالله وقتل كل أعمى رآه بواسطة وأعاد خطبة المصريين وأمر أهل كل محلة بعارة ما يليهم من السور ومضى منصور بن الحسين إلى المدار وأرسل إلى بغداد يطلب المدد فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمرانه أن يقصد واسطا هو وابن الهيثم وأن يحاصرانها فأقبلا إليها فيمن معهما وحصروها فى الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع وأربعين فاشتد فيها الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة أرطال بدينار وإذا وجد الخبازى بأعوره كل عشرين رطلا بدينار ثم ضعفوا وضجروا من الحصار

نخرج ابن فسانجس ليقا تل فلم يثبت وقتل جماعة من أصحابه وانهمزوا إلى سور البلد واستأمن جماعة من الواسطيين إلى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضى إلى قصر ابن أخضر وسار إليه طائفة من العسكر ليقاتلوه فأدركوه بقرب النيل فأسر هو وأهله وحمل إلى بغداد فدخلها في صفر سنة تسع وأربعين وشهر على حمل وعليه قيص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصاحب

(ذكر الوقعة بين البساسيري وقريش) في هذه السنة سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيري ومعه نور الدولة ديبس بن مزيد وبين قريش ابن بدران صاحب الموصل ومعه قتلش وهو ابن عم السلطان طغرل بك وهو جد هؤلاء الملوك أولاد قلع أرسلان ومعه أيضا سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار فاقتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم قريش وقتلش وقتل من أصحابهما الكثير ولقي قتلش من أهل سنجار العنت وبالغوا في أذاه وأذى أصحابه وجرح قريش بن بدران وأتى إلى نور الدولة جريحا فأعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر ولبسها وصار في جملتهم وساروا إلى الموصل وخطبوا لخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فأرسل إليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدولة ديبس ابن مزيد ولجار بن ناشب ولقبيل بن بدران أخى قريش ولأبي الفتح بن ورام ونصير بن عمرو وأبي الحسن ابن عبدالرحيم ومحمد بن حماد وانضاف إليهم قريش بن بدران .

(ذكر مسير السلطان طغرل بك إلى الموصل) لما طال انتقام السلطان طغرل بك ببغداد وعم الخلق ضرر عسكره وضائق عليهم مساكنهم فإن المساكن نزلوا فيها وغلبوهم على أقواتهم وارتكبوا منهم كل محذور أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء أن يكتب إلى عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك يستحضره فإذا حضر قال له عن الخليفة ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره فإن أزال ذلك وفعل ما أمر الله به وإلا نيساعد الخليفة على الانتزاع عن بغداد ليبعد عن المنكرات فكتب رئيس الرؤساء إلى الكندري يستدعيه فحضر فأبلغه ما أمر به الخليفة وخرج توفيع من الخليفة إلى السلطان فيه مواعظ فمضى إلى السلطان وعرفه الحال فابتدر بكثرة المساكن وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وأمر عميد الملك أن يبكر بالجواب إلى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره فلما كان تلك الليلة رأى السلطان في منامه النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكأنه يسلم على النبي وهو معرض عنه لم يلتفت إليه وقال له يحكمك الله في بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحي من جلاله عز وجل في سوء معاملتهم وتغتر بأمهاله عند الجور عليهم فاستيقظ فزعا وأحضر عميد الملك رحدثه ما رأى وأرسله إلى الخليفة يعرفه أنه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة وأخرج الجند من دور العامة وأمر أن يظهر من كان محتفيا وأزال التوكيل عن كل من وكل به فبينما هو على ذلك وقد عزم على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها وهو يتردد فيه إذ أتاه الخبر بهذه الوقعة المتقدمة فتجهز وسار عن بغداد عاشر ذي القعدة ومعه خزائن السلاح والمنجنقيات وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما لم يلق الخليفة فيها فلما بلغوا أوانا نهبا العسكر ونهبوا عكبرا وغيرهما ووصل إلى تكريت فحصرها وجا أصحابها نصر ابن علي بن خميس فنصب على العلعة عليا أسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه إلى البوازيح ينتظر جمع المساكن ليسير إلى الموصل فلما رحل عن تكريت توفي صاحبها وكانت أمه أميرة بنت غريب بن مقن فخافت أن يملك البلدة أخوه أهر الغشام فقتلته وسارت إلى الموصل فنزلت على ديبس بن مزيد فتزوجها قريش بن

بدران ولما رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم بن المحلبان فراسل الرؤساء واستعطفه فصلح ما بينهما وسلم تكريت إلى السلطان ورحل إلى بغداد وأقام السلطان بالبوازيح إلى أن دخلت سنة تسع وأربعين فأتاه أخوه ياقوتى في العساكر فسار بهم إلى الموصل وأقطع مدينة بلد هزازسب بن بنكير فأجفل أهل البلاد إلى بلد فأراد العسكر منهم فنعهم السلطان وقال لا يجوز أن تعرضوا إلى بلد هزازسب فلبجوا وقالوا نريد الإقامة فقال السلطان لهزازسب إن هؤلاء قد احتجوا بالإقامة فأخرج أهل البلد إلى معسكرك لتحتفظ نفوسهم ففعل ذلك وأخرجهم إليه فصار البلد بعد ساعة قفرا وفرق فيهم هزازسب مالا وأركب من يعجز عن المشى وسيرهم إلى الموصل ليأمنوا وتوجه السلطان إلى نصيبين فقال له هزازسب قد تمادت الأيام ورأيت أن أختار من العسكر ألف فارس أسير بهم إلى البرية فلعل أنال من العرب غرضا فأذن له في ذلك فسار إليهم فلما قاربهم كمن لهم كمينين وتقدم إلى الحلل فلما رأوه قاتلوه فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين أيديهم كالمهزم فتبعوه فخرج الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والأسر وكان قد انضاف إليهم جماعة من بني نمير أصحاب حران والرقعة وتلك الأسمال وحمل الأسرى إلى السلطان فلما أحضروا بين يديه قال لهم هل وطئت لكم أرضا وأخذت لكم بلدا قالوا لا قال فلم أتيتم لحربي وأحضر الفيل فقتلهم إلا صبيا أمرد فلما امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان .

(ذكر عود نور الدولة ديبس بن مزيد وقريش بن بدران إلى طغرلبك) لما ظفر هزازسب بالعرب وعاد إلى السلطان طغرلبك أرسل إلى نور الدولة وقريش يسألانه أن يتوسط حالهما عند السلطان ويصلح أمرهما معه فسعى في ذلك واستعطف السلطان عليهما فقال أما هما فقد عفوت عنهما وأما البساسيري فذنبه إلى الخليفة ونحن متبعون أمر الخليفة فيه فرحل البساسيري عند ذلك إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل وطلب ديبس وقريش أن يرسل طغرلبك إليهما أبا الفتح بن ورام فأرسله فعاد من عندهما وأخبر بطاعتهما وأنهما يطلبان أن يمضى هزازسب إليهما ليحلفهما فأمره السلطان بالمضى إليهما فسار واجتمع بهما وأشار عليهما بالحضور عند السلطان فخافا وامتنعا فانفذ قريش أبا السداد هبة الله بن جعفر وأنفذ ديبس ابنه بهاء الدولة منصورا فأنزلهما السلطان وأكرمهما وكتب لهما بأعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوريا والأنبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين وأعاد الرسل إلى أصحابهم .

(ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار) لما فرغ طغرلبك من العرب سار إلى ديار بكر التي هي لابن مروان وكان ابن مروان يرسل إليه كل يوم الهدايا والملح فسار السلطان إلى جزيرة ابن عمر فخصرها وهي لابن مروان فأرسل إليه ابن مروان يبذل مالا يصلح حاله به ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين وما يمانيه من جهاد الكفار ولما كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش إلى عمراكن وفيه أربع مائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهبا واقتدى الباقون أنفسهم بستة مكايك ذهباً وفضة ووصل إبراهيم ينال أخو السلطان إليه فلقية الأمراء والناس كلهم وحملوا إليه الهدايا وقال لعميد الملك الوزير من هؤلاء العرب حتى تجعلهم نظراء السلطان وتصلح بينهم فقال مع حضورك يكون ما تريد فأنت نائب السلطان ولما وصل إبراهيم ينال أرسل هزازسب إلى نور الدولة بن مزيد وقريش يعرفهما وصوله ويحذرهما منه فسار من جبل سنجان إلى الرحبة فلم يلتفت البساسيري إليهما فانحدر نور الدولة إلى بلده بالعراق وأقام قريش عند

الساسيري بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش وشكا قتلش ابن عم السلطان إليه مالتى من أهل شجار في العام الماضي لما انهزم وأنهم قتلوا رجلا فسير العساكر إليهم فأحاطت بهم وصعد أهلها على السور وسبوا وأخرجوا مهاجرا من كانوا قتلوا وقتلوا قتلهم وتركوها على رؤس القصب ففتحها السلطان عنوة وقتل أميرها مجلى بن مرجا وخلقا كثيرا من رجالها وسبي نساءهم وخربت وسأل إبراهيم ينال في الباقي فتركهم فسلها هي والموصل والبلاد إلى إبراهيم ينال ونادى في عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفروا عنهم وعاد السلطان إلى بغداد على ما ذكره ، وكان ينبغي أن تذكر هذه الحادثة سنة تسع وأربعين ، وإنما ذكرناها هذه السنة لأن الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا أنها كانت سنة تسع وأربعين .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الأسعار وكثر الغلاء وتعذرت الأقوات وغيرها من كل شيء وأكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثرت الموت حتى دفن الموتي بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورطلان شرا بدينار وسفرجلة بدينار ورمانة بدينار وكل شيء كذلك وكان بمصر أيضا وباء شديد فكان يموت في اليوم ألف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها ، وفيها في جمادى الأولى ولدت جارية ذخيرة الدين ابن الخليفة الذي ذكرنا وفاته قبل ولدا ذكر اسمى عبدالله وكنى أبا القاسم وهو المقتدى . وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر في السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذرع في رأى العين وعرضها ذراع وبقيت كذلك إلى نصف رجب واضمحلت وفيها أمر الخليفة بأن يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وأن يتركوا حتى على خير العمل ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها . وفيها توفي على بن أحمد ابن علي أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالي من أهل مدينة فالة بالقرب من أيدج روى الحديث والآداب وله شعر حسن فنه قوله :

تصدر للتدريس كل مهوس • بليد تسمى بالفقيد المدرس

لحق لأهل العلم أن يمثلوا • بيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها • كلاها وحتى ساءها كل مفلس (١)

وفي هذه السنة توفي محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر البزاز الموصلى ولد بالموصل ونشأ ببغداد ، وروى عن ابن حبابة والدارقطنى وابن بطة وغيرهم وكان هوته بمصر . وفيها توفي أميرك الكاتب البيهقي في شوال وكان من رجال الدنيا ومحمد بن عبدالوحد بن عمر بن الميمون الدارمى الفقيه الشافعى .

(١) ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالس أوجها • غير الذين عهدت من علمائها

ورأيته محفوفة بسوى الآلى • كانوا ولاية صدورها وفنائها

أنشدت بيتا سائرا متقدما • والعين قد شرقت بجارى مائها

أما الخيام فإنها كخيامهم • وأرى نساء الحى غير نساتها

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة)

(ذكر عود السلطان طغرل بك إلى بغداد) لما سلم السلطان طغرل بك الموصل وأعمالها إلى أخيه إبراهيم ينال عاد إلى بغداد فلما وصل إلى القفص خرج رئيس الرؤساء إلى لقائه فلما قارب القفص لقيه عميد الملك وزير السلطان في جماعة من الأمراء وجاء رئيس الرؤساء إلى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستباحته فقبل الأرض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على مخدته فخدم السلطان وقبل الأرض ووصل إلى بغداد ولم يمكس أحدا من النزول في دور الناس وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة فأذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه حوله في السميريات فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ويده القضيب الخيزران فقبل السلطان الأرض وقبل يده وأجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عبادته فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية فقبل الأرض وأمر الخليفة بإفاضة الخلع عليه فقام إلى موضع لديها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى العهد وخرج وأرسل إلى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا أتراكا من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم إلى غير ذلك من الثياب وغيرها .

(ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ) كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة وأرجان وخوزستان وشيراز فتجدد رسول تكين ابن عم السلطان ومعه فولاذ لهزارسب وقصدا أرجان ونهبها وكان هزارسب مع طغرل بك بالموصل والجزيرة فلما فرغ السلطان من تلك الناحية رد هزارسب إلى بلاده وأمر بقتال رسول تكين وفولاذ فسار إلى البصرة وصاد بها تاج الدين بن سخطة العلوي وابن سمحا اليهودي بمائة ألف وعشرين ألف دينار وسار منها إلى قتال فولاذ رسول تكين فلقبهما وقتلها قتالا شديدا فقتل فولاذ وأسر رسول تكين ابن عم السلطان فأبقى عليه هزارسب فسأل رسول تكين هزارسب ليرسله إلى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة ففعل ذلك ووصل بغداد مع أصحاب هزارسب فاجتاز بدار رئيس الرؤساء فهجم ودخلها واستدعى طعاما لإيجازا للحرمة فأمر الخليفة بإحضار عميد الملك وإعلامه بحال رسول تكين لينخاطب السلطان في أمره فلما حضر عميد الملك وقيل له ذلك قال إن السلطان يقول إن هذا لحرمة له يستحق بها المراعاة وقد قابل إحساني بالعصيان ويجب تسليمه ليتحقق الناس منزلي وتتضاعف هيبتى فاستقر الأمر بعد مراجعة على أن يقبده وخرج توقيع الخليفة أن منزلة ركن الدين يعني طغرل بك عندنا اقتضت مالم نفعله مع غيره لأنه لم تجر العادة بتقييد أحد في الدار العزيزة ولا بد أن يكون الرضا في جواب ما فعل فراسله رئيس الرؤساء حتى رضى وقد كانت دار الخلافة أيام نبويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك ففي الأيام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شيء فعلوه هذا .

(ذكر القبض على الوزير اليازوري بمصر) في هذه السنة في ذى الحجة قبض بمصر على الوزير أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازوري وقرر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات إلى بغداد، وكان في ابتداء أمره قد حج فلما قضى حجه أتى المدينة وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط على منكبيه قطعة من الخلق الذي على حائط الحجر فقال له أحد القوام أيها الشيخ إني أبشرك ولى الحباء والكرامة إذا بلغتك أنك تلى ولاية عظيمة وهذا الخلق دليل على ذلك فلم يحمل عليه الحول حتى رلى الوزارة وأحسن إلى ذلك الرجل وراعاه، وكان يتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان قاضيا بالردلة بكرم العلماء ويمسح إليهم ويجالسهم، وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء الشهادة والقضاء، وكانت سعادتاهما متفقة ونهايتهما مقاربة.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق السعيد بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة. وفيها في ربيع الأول توفي أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري الأديب وله نحو ست وثمانين سنة وعلمه أشهر من أن يذكر إلا أن أكثر الناس يروونه بالزندقة وفي شعره ما يدل على ذلك (حكى) أنه قال يوما لأبي يوسف القزويني ما هجوت أحدا فقال له القزويني هجوت الأنبياء فتغير وجهه وقال ما أخاف أحدا سواك (وحكى عنه) القزويني أنه قال مارأيت شعرا في مرثية الحسين بن علي يساوي أن يحفظ، فقال القزويني بلى قد قال بعض أهل سوادنا:

رأس ابن بنت محمد ووصيه • للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع • لاجازع منهم ولا متفجع
أيقظت أجفانا وكنت لها كرى • وأنت حين لم تكن بك تهجع
كحلت بمصر عك العيون حماية • وأصم نعيمك كل أذن تسمع
ماروضة إلا تمت أنها • لك مضجع ولخط قبرك موضع

وفيها أصلح ديبس بن علي بن مزيد، ومحمود بن الأخرم الخفاجي حالهما مع السلطان فعاد ديبس إلى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها أحد. وفيها كثر الوباء ببخارى حتى قيل أنه مات في يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان من أعمال بخارى وهلك في هذه الولاية في مدة الوباء ألف ألف وستمائة ألف وخمسون ألفا، وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركي يأخذ لحافا عليه فمات التركي وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة وفيها هبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ وهو فقيه الإمامية وأخذ ما فيها وكان قد فارقها إلى المشهد الغربي. وفيها في صفر توفي أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني مقدم أصحاب الحديث بخراسان، وكان فقيها خطيبا إماما في عدة علوم. وفيها في ربيع الأول توفي أياز بن أيماق أبو النجم غلام محمود بن سيكتكين وأخباره معه مشهورة، وفيها مات أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضي نقيب العلويين، وفيها توفي أبو الحسين عبد الوهاب بن أحمد بن هرون الفسافي المعروف بابن الجندي (١)

(١) قال بن الجوزي: في هذه السنة في يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطعة عيسى وسوق الطعام والكنيس، وأصحاب السقط وباب الشعير وسوق العطارين وسوق العروس والأنماطين والخشابين =

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وأربعمئة ﴾

﴿ ذكر مفارقة إبراهيم بنال الموصل واستيلاء البساسيري عليها وأخذها منه ﴾ في هذه السنة فارق إبراهيم بنال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرل بك رحيله إلى العيصان فأرسل إليه رسولا يستدعيه وصحبته الفرجية التي خلعتها عليه الخليفة وكتب الخليفة إليه أيضا كتابا في المعنى فرجع إبراهيم إلى الموصل وهو ببغداد فخرج الوزير الكندي لاستقباله وأرسل الخليفة إليه الخلع ولما فارق إبراهيم الموصل قصد ما البساسيري وقريش بن بدران وحاصرها فلما كان البلد ليومه وبقيت القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر فحاصرها أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم فخطب ابن موسى صاحب إربل قريشا حتى

= والجزارين والتمارين والقطيعة وسوق مخون ونهر الزجاج وسويقه غالب والصفارين والصباعين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والغلاء والقضاء ، ضعف الناس حتى طغت النار فعملت أعمالها في الله وإنا إليه راجعون . وفيها مات أبو الغلاء المعري التنوخي الشاعر المشهور بالزندقة اللغوي صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جذري وله أربع سنين أو سبع وذهب بصره وقال الشعر وله إحدى عشر أو ثنتي عشرة سنة ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريدا منهزما ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلوه وعقله فقال :

تناقض فما لنا إلا السكوت له • وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت • ما بالها قطعت في ربع ديناو

وهذا من إفكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فالكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلوه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتصاب أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ولزم منزله فكان لا يخرج منه .

وذكره ابن خلكان فرجع في نسبه على عادته في الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأليك والغصون ، وهو المعروف بالهمز والردف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم علي ابن المحسن التنوخي ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ، وذكر أنه مكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبي علي • وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جنابة عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت نائمة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان نحيفا ثم أورد من أشعاره الجميدة آياتا فيها قوله :

لا تطلبن بآلة لك رتبة • قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماء كان السماء كلاهما • هذا له ربح وهذا أعزل

أمنهم فخرجوا فهدم البساسيري القلعة وعنى أثرها وكان السلطان قد فرق عسكره في النوروز وبقي جريدة في ألبى فارس حين بلغه الخبر فسار إلى الموصل فلم يجد بها أحداً، كان قريش والبساسيري قد فارقاها فسار السلطان إلى نصيبين ليتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه أخوه إبراهيم ينال وصار نحو همدان فوصلها في السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين، وكان قد قيل إن المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله وأطمعه في السلطنة والبلاد فلما عاد إلى همدان سار السلطان في أثره.

(ذكر الخطبة بالعراق للعلوي المصري وما كان إلى قتل البساسيري) لما عاد إبراهيم ينال إلى همدان سار طغرل بك خلفه ورد وزيره عميد الملك الكندري وزوجته إلى بغداد وكان مسيره من نصيبين في منتصف شهر رمضان، ووصل إلى همدان وتحصن بالبلد وقاتل أهلها بين يديه وأرسل إلى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندري يأمرهما باللحاق به ففنعها الخليفة من ذلك تمسكاً بهما وفرق غللاً كثيرة في الناس وصار من كان ببغداد من الأتراك إلى السلطان بهمدان وصار عميد الملك إلى ديبس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده إلى هزازسب وسارت خاتون إلى السلطان بهمدان فأرسل الخليفة إلى نور الدولة ديبس بن مزيد يأمره بالوصول إلى بغداد فورد إليها في مائة فارس ونزل في النجوى ثم عبر إلى الأتانيين وقوى الإرجاف بوصول البساسيري فلما تحقق الخليفة وصوله إلى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فأرسل ديبس بن مزيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول الرأي عندي خروجكم من البلد معي فإنني اجتمع أنا وهزازسب فإنه بواسط علي دفع عدوكم فأجيب ابن مزيد بأن يقيم حتى يقع الفكر في ذلك فقال العرب لا تطعنني على المقام وأما أتقدم إلى ديبالي فإذا انحدرتم سرت في خدمتكم وصار وأقام ديبالي ينتظرهما فلم ير لذلك أثراً فسار إلى بلاده، ثم إن البساسيري وصل إلى بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربع مائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه أبو الحسن بن عبدالرحيم الوزير فنزل البساسيري بمشرفة الروايا ونزل قريش ابن بدران وهو في مائة فارس عند مشرفة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه الكرك والعوام وأقاموا بإزاء عسكر البساسيري وعادوا وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر وأمر فأذن يحيى على خير الحمل وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر وخيموا فيه وخطب في الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصري وجرى بين الطائفتين حروب في أثناء الأسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المناجزة ومطاوله الأيام انتظاراً لما يكون من السلطان ولما يراه من المصلحة بسبب ميل العامة إلى البساسيري أما الشيعة فالذهب وأما السنة فلما فعل بهم الأتراك وكان رئيس الرؤساء لقله معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيري يرى المبادرة إلى الحرب فاتفق أن في بعض الأيام حضر القاضي الهمداني عند رئيس الرؤساء واستأذنه في الحرب وضمن له قتل البساسيري فأذن له من غير علم عميد العراق فخرج ومعه الخدم والهاشميون والدجم والعوام إلى الحلبة وأبعدوا والبساسيري يستجرهم فلما أبدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ومات في الزحمة جماعة من الأعيان ونهب باب الأزج وكان رئيس الرؤساء واقفاً دون الباب فدخل الدار وهرب كل من في الحرم ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبد برأيه ولا معرفة له بالحرب ورجع البساسيري إلى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحرم فلم يرعهم إلا الزعقات وقد نهب الحرم وقد دخلوا باب النوبى فركب الخليفة

لابسا للسواد وعلى كتفه البردة وبیده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيف المسلوطة فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن إلى قريش فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء يعلم الدين (يعني قريشا) أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستدنيك مني على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العربية فقال قد أذم الله تعالى له قال ولي لمن معه قال نعم وخلع قلنسوته فأعطاها الخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماما فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصارا معه فأرسل إليه البساسيري أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه فقال قريش لا وكنا قد تعاهدنا على المشاركة في الذي يحصل لهما وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر بشيء فاتفقا على أن يسلم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري لأنه عدوه ويترك الخليفة عنده فأرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري فلما رآه قال مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيري فقد قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان وركبت الأفعال الشنيعة مع حرمي وأطفالي فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف وأما الخليفة فإنه حملة قريش راكبا إلى معسكره وعليه السواد والبردة وبیده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله في خيمة وأخذ أرسلان خاتون زوجة الخليفة وهي ابنة أخي السلطان طغرل بك فسلبها إلى أبي عبد الله بن جرادة ليقوم بخدمتها ونهبت دار الخلافة وحريمها أياما وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش بن المجلي وهو رجل فيه دين وله مرواة فحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه إلى السلطان طغرل بك مستنفرين فلما وصل الخليفة إلى الأنبار شيكا البرد فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فأرسل له جبة فيها قطن ولحافا وأما البساسيري فإنه ركب يوم عيد النحر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقي وعلى رأسه الألوبة المصرية فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة وأعطاها جاريتين من جواربها للخدمة وأجرى لها الجراية وأخرج محمود بن الأخرم إلى الكوفة وسقى الفرات أميرا وأما رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيري آخر ذي الحجة من محبسه بالحريم الطاهري مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفي رقبة مخنقة جلود بعير وهو يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية وبصق أهل الكرخ في وجهه عند اجتيازهم لأنه كان يتعصب عليهم وشهر إلى حد النجمي وأعيد إلى معسكر البساسيري وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل والبس جلد ثور وجهلت قرونه على رأسه وجعل في فكيه كلابان من حديد وصلب فبقي يضطرب إلى آخر النهار ومات ، وكان مولده في شعبان سنة سبعين وثلاثمائة ، وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالنحو وأما عميد العراق فقتله البساسيري وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ ولما خطب البساسيري للمستنصر العلوي بالعراق أرسل إليه بمصر يعرفه مافعل ، وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القائم المغربي وهو ممن هرب من البساسيري وفي نفسه مافيا فوقع فيه وبرد فعله وخوف عاقبته فتركت أجوبته مدة ثم عادت بغير الذي أمله ورجاه وسار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما ، وأراد قصد الأهواز فأنفذ

صاحبها هزارسب بن بنكير إلى ديبس بن مزيد يطلب منه أن يصلح الأمر على مال يحمله إليه فلم يجب البساسيري إلى ذلك وقال لا بد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيري أن طغرلبيك يمدّ هزارسب بالمساكر فصالحه وأصعد إلى واسط في مستهل شعبان من سنة إحدى وخمسين وفارقه صدقة ابن منصور بن الحسين الأسدي ولحق بهزارسب ، وكان قد ولي بعد أبيه على ما ذكره وأما أحوال السلطان طغرلبيك وإبراهيم ينال فإن السلطان كان في قلة من العسكر كما ذكرناه وكان إبراهيم قد اجتمع معه كثير من الأتراك وحلف لهم أنه لا يصلح أخاه طغرلبيك ولا يكلفهم المسير إلى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثرة إخراجاتهم فلم يقو به طغرلبيك وأنى إلى إبراهيم محمد وأحمد ابنا أخيه أرتاش في خلق كثير فازداد بهم قوة وازداد طغرلبيك ضعفا فأنزاح من بين يديه إلى الري وكاتب ألب أرسلان وياقوتى وقاورت بك أولاد أخيه داود وكان داود قد مات على ما ذكره سنة إحدى وخمسين إن شاء الله تعالى وملك خراسان بعده ابنه ألب أرسلان فأرسل إليهم طغرلبيك يستدعيهم إليه فجاءوا بالعساكر الكثيرة فلقى إبراهيم بالقرب من الري فانهزم إبراهيم ومن معه وأخذ أسيراً هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه فأمر به فخنق بوتر قوسه تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وقتل ولدا أخيه معه وكان إبراهيم قد خرج على طغرلبيك مراراً فعضا عنه وإنما قتله في هذه الدفعة لأنه علم أن جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه فلماذا لم يعف عنه ولما قتل إبراهيم أرسل طغرلبيك إلى هزارسب بالأهواز يعرفه ذلك وعنده عميد الملك الكندري فسار إلى السلطان فجهز هزارسب تجهيز مثله .

(ذكر عود الخليفة إلى بغداد) لما فرغ السلطان من أمر أخيه إبراهيم ينال عاد يطلب العراق ليس لهم إلا إعادة القائم بأمر الله إلى داره فأرسل إلى البساسيري وقريش في إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طغرلبيك العراق ويقنع بالخطبة والسكة فلم يجب البساسيري إلى ذلك فرحل طغرلبيك إلى العراق فوصلت مقدمته إلى قصر شيرين فوصل الخبر إلى بغداد فأنحدر حرم البساسيري وأولاده ورجل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر ونهب بنوشيبان الناس وقتلوا كثيراً منهم وكان دخول البساسيري وأولاده بغداد سادس ذى القعدة سنة خمسين وخرجوا منها سادس ذى القعدة سنة إحدى وخمسين ونار أهل باب البصرة إلى الكرخ فتهبوه وأحرقوا درب الزعفران وهو من أحسن الدروب وأعمرها ووصل طغرلبيك إلى بغداد وكان قد أرسل من الطريق الإمام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه على صيانتها ابنة أخيه امرأة الخليفة ويعرفه أنه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة وإحضاره وإحضار أرسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة ولما سمع قريش بقصد طغرلبيك العراق أرسل إلى مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك لينكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت وأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا في البرية لم يقصدوا العراق وتحكم عليهم بما نريد فقال مهارش كان بيني وبين البساسيري عهد ومواثيق نقضها وإن الخليفة قد استحلقتني بعهود ومواثيق لا يخلص منها وسار مهارش ومعه الخليفة حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة إلى العراق وجعلوا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل ليأمننا من يقصدهما ووصل ابن فورك إلى جلة بدر بن مهلهل وطلب منه أن يوصله إلى مهارش فجاء إنسان سوادى إلى بدر وأخبره أنه رأى

الخليفة ومهارشا بتل عكبرا فسر بذلك بدر ورحل ومعه ابن فورك وخدامه وحمل له بدر شيئا كثيرا وأوصل إليه ابن فورك رسالة طغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه ولما سمع طغرلبك بوصول الخليفة إلى بلد بدر أرسل وزيره الكندري والأمراء والحجاب وأصحابهم الخيام العظيمة والسراياقات والتحف من الخيل بالراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة إلى النهروان في الرابع والعشرين من ذي القعدة وخرج السلطان إلى خدمته فاجتمع به وقبل الأرض بين يديه وهناه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان إبراهيم وإنه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وأنه اضطر إلى التريث حتى يرتب أولاده بعده في المملكة وقال أنا أمضى خلف هذا الكلب يعني البساسيري وأقصد الشام وأفعل في حق صاحب مصر ما أجازي به فعله وقلده الخليفة بيده سيفا ، وقال لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير المؤمنين فكشف غمها الحركاه حتى رآه الأمراء فخدموا وانصرفوا ، ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبدالله الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان في المسيرة وصل إلى بغداد وجلس في باب النوبى مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك وأخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته ، وكان وصوله يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وعبر السلطان إلى معسكره وكانت السنة مجدبة ولم ير الناس فيها مطر فجاء تلك الليلة وهنا الشعراء الخليفة والسلطان بهذا الأمر ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيفا وثلاثين يوما ومات بالجوع والعقوبة عدد لا يحصى ، وكان أبو على بن شبل ممن هرب من طائفة من الغز فوقع به غيرهم فأخذوا ماله فقال :
 خرجنا من قضاء الله خوفاً فكان فرارنا منه إليه
 وأشقى الناس ذو عزم توالت مصائبه عليه من يديه
 تضيق عليه طرق العذر منها ويقسو قلب راحمه عليه

(ذكر قتل البساسيري) أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة في داره جيشا عليهم خمات تكين الطغرائى فى التى فارس نحو الكوفة فأضاف إليهم سرايا ابن منيع الخفاجى ، وكان قد قال للسلطان أرسل معى هذه العدة حتى أمضى إلى الكوفة وأمنع البساسيرى من الإصعاد إلى الشام وسار السلطان طغرلبك فى أثرهم فلم يشعر ديبس بن مزيد والبساسيرى إلا والسرية قد وصلت إليهم ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة بعد أن هبوا وأخذ نور الدولة ديبس رحله جميعه وأحدره إلى البطيحة وجعل أصحاب نور الدولة ديبس يرحلون بأهلهم فيتبعهم الأتراك فتقدم نور الدولة ليرد العرب إلى القتال فلم يرجعوا فضى ووقف البساسيرى فى جماعته وحمل عليه الجيش فأسر من أصحابه أبو الفتح بن ورام وأسر منصور وبدران وحامد بنو نور الدولة ديبس وضرب فرس البساسيرى بنشابة وأراد قطع تجفافه لتسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع فى وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرعى فأخذه كشتكين دوانى عميد الملك الكندري وقتله وحمل رأسه إلى السلطان ودخل الجند فى الظن فساقوه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيرى مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وأمر السلطان بحمل رأس البساسيرى إلى دار الخلافة فحمل إليها فوصل منتصف ذى الحجة سنة إحدى وخمسين ، فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبى ، وكان فى أسرى البساسيرى جماعة من النساء المتعلقات بدار الخلافة فأخذن وأكرهن وحمأن إلى بغداد وهضى

نور الدولة ديبس إلى البطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم، وكان من حق هذه الحوادث المتأخرة أن تذكر سنة إحدى وخمسين وإنما ذكرناها هنا لأنها كالحادثة الواحدة لبتلو بعضها بعضها، وكان البساسيري ملوكا تركيا من ماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة تلبت به الأمور حتى بلغ هذا المقام المشهور واسمه أرسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب إلى بسا مدينة بفارس والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا والنسبة إليها فساوي ومنها أبو علي الفارسي النحوي وكان سيد هذا المملوك أولا من بسا فقبل البساسيري لذلك وجعل العرب الباء فاء فقبل فساسيري .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أقر السلطان طغرل بك ملان بن وهوذان بن ملان على ولاية آية بأذربيجان وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الأسدي صاحب الجزيرة عند خوزستان واجتمعت عشيرته على ولده صدقة . وفيها توفي الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه بقلعة الري وكان طغرل بك يحنه أولا بقلعة السروان ثم نقله إلى قلعة الري فتوفي بها . وفيها عصى أبو علي بن أبي الجبر بالبطنج وكان متقدما بعض نواحيها فأرسل إليه طغرل بك جيشا مع عميد العراق أبي نصر فهزمهم أبو علي . وفيها يوم النوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف إليها من الأطلاق النفيسة . وفيها في صفر توفي أبو الفتح بن شيطا القاري الشاهد وكانت شهادته سنة خمس وأربعين وأربعمائة وفيها في شهر ربيع الأول توفي القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وله مائة سنة وستان وكان صحيح السمع والبصر سليم الأعضاء يناظر ويفق ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك جنازته ودفن عند قبر أحمد وله شعر حسن وفي سلخه توفي قاضي القضاة أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي وكان إماما وله تصانيف كثيرة منها الحاوي وغيره في علوم كثيرة وكان عمره ستا وثمانين سنة وفي آخر هذه السنة توفي أبو عبد الله الحسين ابن علي الرضا الضريب الفرضي وكان إماما فقيها على مذهب الشافعي . وفيها في شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل وبوصلت إلى همدان ولبت ساعة فخرت كثيرا من الدور وهلك فيها الجمل الغفير . وفيها توفي أبو محمد عبادة ابن علي بن عياض المعروف بابن أبي عقيل وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه وتوفي أيضا القاضي أبو الحسن علي بن هندي قاضي حمص وكان وافر العلم والأدب . (١)

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم) في هذه السنة في صفر توفي الملك فرخ زاد ابن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به بمالكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فأخذوه وقتلوه ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة بكثير ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدرىها وبقى كذلك إلى هذه السنة

(١) وفيها وقع برد بأرض العراق أمك كثيرا من الغلات وقتل بعض الفلاحين وزادت دجلة زيادة كثيرة وزلزلت بغداد في هذه السنة قبل الفتنه زلزالا شديدا ، فتهدمت دور كثيرة ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمدان وواسط وتكرت وعانة وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها ، وفيها كثر النهب ببغداد حتى كانت العمامة تنحف عن الرؤوس ، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر الطباع وطيلسانه ، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

فأصابه قولج فمات منه وملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود بن محمود فأحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أيه وجده وكان يصوم رجباً وشعبان ورمضان .

(ذكر الصلح بين الملك إبراهيم وجفرى بك داود) في هذه السنة استقر الصلح بين الملك إبراهيم بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه وكان سبب ذلك أن العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا أن كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير اتفاق الأموال وإتباع المساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا في الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتب التسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية .

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان) في هذه السنة في رجب توفي جفرى بك داود بن ميكائيل ابن سلجوق أخو السلطان طغرل بك وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفي ذلك بعده خراسان ابنه السلطان ألب أرسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب أرسلان وياقوتى وسليمان وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرل بك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما ذكره وكان خيراً عادلاً حسن السيرة معترفاً بنعمة الله تعالى عليه شاكراً عليها فمن ذلك أنه أرسل إلى أخيه طغرل بك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى إخراجك البلاد التى فتحناها وملكناها وجلا أهلها عنها وهذا ما لا يخفى به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وإيحاء الرعية وقد علمت أننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلاً وهم في ثلثمائة فغلبناهم وكنا في ثلثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفاً فدفعناهم وقاتلنا بالأمس شاه ملك وهو في أعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرما ملوكاً متبوعين بعد أن كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة فقال طغرل بك قل له في الجواب يا أخى أنت ملكك خراسان وهى بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا ورددت بلاداً خربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما أتمكن من عمارتها والأعداء محيطة بها والضرورة تقود إلى طرفها بالمساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف الطويل .

(ذكر حريق بغداد) في هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختر من الكتب خيراً وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقله وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك إلى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم في بلاد الإسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها .

(ذكر انحدر السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح ديبس) في هذه السنة انحدر السلطان طغرل بك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرأها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال

دينس بن مزيد واحضره معه إلى خدمة السلطان وأصعد في صحبته إلى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وخمين واسطا أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار وخمسين البصرة الأغر أبو سعد سابور بن المظفر وعبر السلطان إلى الجانب الشرقى من دجلة وسار إلى قرب البطائح فنهب المعسكر ما بين واسط والبصرة والأهواز وأصعد السلطان إلى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعا أبو الفتح بن ورام وهزارسب بن مكير بن هياض ودييس بن مزيد وأبو علي بن الملك أبي كاليبجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والأمراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا أحضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار إلى بلاد الجبل في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الأمير برسق وضمها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربع مائة ألف دينار.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهدي من الخطابة بجامع المنصور لأنه خطب العلوي ببغداد في الفتنة وأقيم مقامه بها الشرف أبو علي الحسن بن عبدالودود بن المهدي بالله . وفيها توفي علي ابن محمود بن ابراهيم الزوزني أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصري وروى عن أبي عبدالرحمن السلي وهو الذي نسب إليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور . وفيها في جمادى الأولى توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد ابن علي أبو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره .

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)

(ذكر عود ولي العهد إلى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان) في جمادى الآخرة ورد عدة الدين أبو القاسم المقتدى بأمر الله ولي العهد ومعه جميدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلي رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بياب الغربية فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسله إلى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر إلى دار أفردت له بياب المراتب ودخل إلى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان أنه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها وهم مطلبون من البساسيري فعرفوه أن رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فأدخلهم إلى أهله وأقام لهم من حملهم إلى ميفارقين فساروا مع قرواش لما أصعد من بغداد ، ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من إيثار الخروج من بغداد ومأم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فأتته بهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيري وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مسترون عنده يسمعون ما يقول أولئك فيهم ، ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم إلى قريب سنجان ثم حملوا إلى حران وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثاب النخري حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين علي بنت منيع وانحدروا إلى بغداد

(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب) في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة ابن صالح بن مرداس الكلبي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع مع جمع كثير من العرب فأقام عليها فلم يتسبل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فلما فلك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد أن حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها إلى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجذونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن

الحسن بن حمدان الأمير بدمشق أن يسير بمن عنده من العساكر إلى حلب بمنعها من محمود فسار إلى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها بعسكر ناصر الدولة فتهبوا ثم إن الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهوراً إلى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الواقعة تعرف بوقعة الفينديق وهي مشهورة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة خلع السلطان طغرلبيك على محمود بن الأخرم الخفاجي وردت إليه إمارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع . وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سدّ بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بئس الكرخ . وفيها في ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبيك بزنجبان فوجد عليها وجداً شديداً وحمل تابوتها إلى الري فدفنت بها . وفيها نالك جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق فطال ليله . وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت ولدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى ، وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمينية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثراً من الرواية (الجازري بالجيم وبعده آلاف زاي ثم رام) وفيها توفي باي أبو منصور الفقيه الجبلي بالبلاء الموحدة وبعده الألف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي . (١)

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وزارة ابن دارست للخليفة) لما عاد الخليفة إلى بغداد استخدم أباتراب الأثري في الإنهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديث وقرب منه فخطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال إنه يخدم بغير إقطاع ويحمل مالا فأجيب إلى ذلك فأحضر من الأهواز إلى بغداد وخلع عليه خامة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فمن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها :

أمن الملك بالأمين أبي الفتح وصدت عن صفوه الأقداء

(١) وفيها في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيري ، وفي يوم الحادي والعشرين جلس الخليفة في داره وأحضر الملك طغرلبيك ، ومدسماطاً عظيماً فأكل الأمراء منه والعامّة ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان سباطاً للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأمير عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمته وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبي الغنائم ، فتلقاه الناس لإجلال لجدّه ، وقد ولي الخلافة بعد ذلك ، وسمى المقتدى بأمر الله . وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتاي دار كتب ، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربى بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ . وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

دولة أصبحت وأنت ولي الرأى فيها لدولة غبراء

وهو طويلة وكان ابن دارست في أول أمره تاجرا للملك أبي كاليبجار .

(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم) في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب إفريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبيا لسفك الدماء إلا في حد ، حلما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لأهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار المستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت بإخراجه من أوعيته قال لثلاثين لورآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال :

لكل حى وإن طال المدى هلك • لا عز بمملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على أعقابها فرما • أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه • هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان إلا حساما • على الذين بغوا فى الأرض واهمكوا
كأنه لم يخض الموت ببحر وغى • خضر البحار إذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة • قد أرعيت باسمه إبريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا • فانظر بأى ضياء يصعد الفلك

ولما توفي ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدي في صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها إلى أن وافاه أبوه المعز لما انتزع عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره بما بان به كذب ما كان ينسب إليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم إلا أنه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فمن أظهر الخلاف القائد حمو بن ملك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدي ليحاصرها فخرج إليه تميم وصافه فاقتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفترقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم إلى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فلما كملها وعفا عن أهلها .

(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة) في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة إلى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتر في هناك وسمع نحر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهمير حاله فسار من دارا إلى نصيبين وجمع بنى عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بأمره جابر بن ناشب فزوجه نحر الدولة بأخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور .

(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان) في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر واقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره ثمانين سنة وإمارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الأمور

بيلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعم لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهن بخسمة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة ، وأرسل طباطباخين إلى الديار المصرية وغرم على إرسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل إلى السلطان طغرلبيك هدايا عظيمة من جملتها الحبل البياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربي ونخر الدولة بن جهير ورخصت الأسعار في أيامه وتظاهر الناس بالأموال وفد إليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه أن الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الأهرام التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره نخر الدولة ابن جهير وابنه نصر فرتب نصر في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر فاستقر في الإمارة بميا فارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد .

(ذكر عدة حوادث) في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين . وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى . وفيها في جمادى الأولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر الملوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن منه .

قوض خيامك عن أرض تضام بها هـ وجانب الذل إن الذل محتجب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة هـ فالمدل الرطب في أوطانه حطب

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة وإليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق (١) .

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر نكاح السلطان طغرلبيك ابنة الخليفة) في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبيك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله ، وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبي سعد قاضي الري فأنزع الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التيمي وأمره أن يستعفى ، فإن أعنى وإلا تم الأمر على أن يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها ، فلما وصل إلى السلطان ذكر لعמיד الملك الوزير ماورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابله أيضا بطلب الأموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه . فقال التيمي الأمر لك ومهما فعلته فهو الصواب ، فبنى الوزير الأمر على الإجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم أن همته سمت به إلى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم إلى عميد الملك الوزير أن يسير ومعه أرسلان خانون زوجة الخليفة وأن يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وماشاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامر بن كاكويه وغيره من وجوه الأمراء وأعيان

(١) وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أواني ، كل سنة ، ستة وثمانين ألف دينار وسبعة عشر ألف كتر من غلة .

الرى، فلما وصل إلى الإمام القائم بالله وأوصل عاتون زوجة الخليفة إلى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الإجابة إليها، وقال إن أعقبنا وإلا أخرجنا من بغداد، فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الإجابة إلى ما طلب فالامتناع معي على دم وأخرج خيامه إلى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وأنها إلى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة لحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال على فأمر بحكه وكتب من الديوان إلى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة إلى عميد الملك يحث نرد الأمر إلى رأيك ونقول على أمانك ودينك لحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الأمراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه، وقال للخليفة أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه، وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغیظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه إلى همدان وعرف السلطان أن السبب في اتحاق الحال من خمارتكين الطغرائي تغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قلمت أخى في خدمته وأنفقت أموالى في نصرته وأهلكت خراصى في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب إليه بالاعتذار وأما الطغرائي فإنه أدرك بيروجرد فقال أولاد إبراهيم ينال للسلطان إن هذا قتل أبانا ونسأل أن نمكن من قتله وأعاهم عميد الملك فأذن لهم في قتله فساروا إلى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ماوتكين وبسط الكندرى لسانه، وطلب طغرل بك ابنة أخيه زوجة الخليفة لنعاد إليه وجرى ما كاد يفضى إلى الفساد الكلى فلما رأى الخليفة شدة الأمر أذن في ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبي الغنائم بن الحلبان وكان العقدة في شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فإن بنى بوبه مع تحكهم ومخالفهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ما وهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى المهدي وللجهة المطلوبة ولوالدها وغيرهم وجعل يعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفيت للبيدة ابنة الخليفة.

(ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير) في هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه أنه وصل معه إنسان يهودى يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كرغلة ومائة ألف دينار فصح منها ألكاكر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقي فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد إلى الأهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان نخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب إليها وأرسل كامل طراد الزينبي إلى ميفارقين كأنه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتم السير معه وأخرج ابن مروان في أثره فلم يدركه فلما وصل إلى بغداد خرج الناس إلى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة واقب نخر الدولة واستقر في الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من العمراء.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عم الرخص جميع الأصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط. وفيها توفى القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر. وفيها سار السلطان

طغرل بك إلى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرّر على مسافر مائة ألف دينار وألف ثوب . وفيها مات أبو علوان شمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدرلة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفي الحسن بن علي ابن محمد أبو محمد الجوهري ومولده سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وكان من الأئمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبي بكر القطيعي والأبهري وابن شاذان وغيرهم .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمئة)

(ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة) في هذه في السنة المحرم توجه السلطان طغرل بك من أرمينية إلى بغداد وأراد الخليفة أن يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الأمراء أبو علي بن الملك أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامر بن كاكويه فنزل عسكره في الجانب الغربي فزاد بهم أذى ووصل عميد الملك إلى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وأن المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وأنه إن كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة ، فقال السلطان تفعل هذا ولاكن تفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه وما اليك فإنه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت إلى دار المملكة في منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان إليها وقبل الأرض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هي له وحمل لها شينا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقي كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السبط عدة أيام وخلع على جميع الأمراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبي سعيد القايني بمائة وخمسين ألف دينار فأعاد ما كاد أطلقه رئيس العراقيين من الموارد والمكوس وقبض على الاعرابي سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن صفال بمائتي ألف دينار .

(ذكر وفاة السلطان طغرل بك) في هذه السنة سار السلطان من بغداد في ربيع الأول إلى بلد الجبل فوصل إلى الري واحتضن معه أرسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لأنها شكت اطراح الخليفة لها فأخذها معه فرض وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندري على سبعين فرسخا وأناه الخبر فسار ووصل إليه في يومين وهو بعد لم يدفن فدفنته وجلس له الوزير نخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندري أنه قال رأيت وأما بخراسان في المنام كأنني رفعت إلى السماء وأنا في ضباب لا أبصر معه شيئا غير أبي أشم رائحة طيبة وأني أنادي إنك قريب من الباري جلّت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت في نفسي أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفيني فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا وأثنى عشر يوما وأما الأحوال بالعراق بعد وفاته فإنه كتب من ديوان الخلافة إلى شرف الدولة مسلم بن قریش صاحب الموصل إلى نور الدولة دبیس بن مزید والی هزارسب والی بنی ورام والی بدر بن المهلهل بالاستدعاء إلى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القايني ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر إبراهيم بن شرف الدولة إلى أوانا وتسلم أصحابه الأنبار وانتشرت البادية

في البلاد وقطعوا الطرقات وقدم إلى بغداد ديبس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفي ببغداد أبو الفتح بن ورام مقد الاكراد الجاوانية فحمل إلى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحي فسار نور الدولة والاکراد وبنو خفاجة إلى قتاله ثم أرسل إليه من ديوان الخلاء رسول معه خلعة له وكوب بالرضا عنه وانحدر إليه نور الدولة ديبس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الأشرف أبو الحسين بن نخر الملك أبي غالب بن خاف كان قصد شرف الدولة مستجديا فوضع لقمه فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه أنه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الإضافة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا برج منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن نخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على ديبس وولده منصور وعاد إلى حلقته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الأعراب في البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين .

(ذكر شيء من سيرته) كان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتبها لسره ظفر بماطفات كتبها بعض خواصه إلى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه أفضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بأمر الله إليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا إلى بغداد أذكر فيه سيرته وخراب بلاده وأطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل إليه فوقف عليه وكتبه ولم يحدثني فيه بشيء ولا تغير عما كان عليه من إكرامى وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأيديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فن كرمه أن أخاه إبراهيم ينال أسره من الروم لما غزاهم بمض ملوكهم فبذل في نفسه أربعمئة ألف دينار فلم يقبل إبراهيم منه وحمله إلى طغرلبك فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك في فكاكه، فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى إلى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا عليويا فأنفذ ملك الروم إلى طغرلبك مالم يحمل في الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمئة ثوب أصناف وخمسمئة رأس من الكراع إلى غير ذلك وأنفذ مائتي ألف دينار ومائة لينة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية وألف هنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ إلى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل في محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة .

(ذكر ملك السلطان ألب أرسلان) لما مات السلطان طغرلبك أجلس حميد الملك الكندى في السلطنة سليمان بن داود جفرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد إليه بالملك، وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الأمراء فمضى باغى سيان واردم إلى قزوين وخطبوا العصد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جفرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون إليه، فلما رأى حميد الملك الكندى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرأى للسلطان ألب أرسلان، وبعده لأخيه سليمان .

(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز يافريقية) في هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة

سفاقس بإفريقية على الأمير تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار إلى المهدي فسمع تميم الخبر فسار إليه بعساكر ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل هو إلى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم هو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل أكثر حاته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفراً منصوراً ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فلكها وعفا عنهم وحقن دماهم .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في المحرم قبض بمصر على الوزير أبي الفرج بن المغربي . وفيها دخل الصليحي صاحب اليمن إلى مكة مالكا لها فأحسن السيرة فيها وجلب إليها الأقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها في شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس . وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل إليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها في رجب سنة ست وخمسين . وفيها توفي سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن علي أبو نصر الجذامي الفقيه الشافعي تفرقه على أبي حامد الإسفرايني وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس (١)

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمئة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله) في هذه السنة قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أبي نصر منصور بن محمد الكندري وزير طغرل بك وسبب ذلك أن عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب أرسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه يخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه إلى مرو الروذ وأتى عليه سنة في الاعتقال ثم نفذ إليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج إلى مسجد هناك فصل ركعتين وأراد الغلامان خنقه ، فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كفه وعصب هيبه فضربوه بالسيف وكان قتله في ذي الحجة ولف في قيص ديبق من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التي عند الخلفاء فيها وحملت جثته إلى كندر فدفن ، عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا وأربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرل بك أن السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له ويكون فصيحاً بالعربية فبدل عليه الموفق والد أبي سهل وأعطته السعادة وكان فاضلاً وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه :

أنا مشغول بحبه • وهو مشغول بلعبه • لو أراد الله خيرا • وصلحاً لمحبه
نقلت رقة خدي • إلى قسوة قلبه • صانه الله فساك • ثم إعجابي بعجبه

(١) وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسطة أرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان : بالجدرى والنجاة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها توفي سعيد بن مروان صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب مياه قارقين من سمه فقطعه قطعاً .

ومن شعره إن كان بالناس ضيق من مناقشتي ه فالمرت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني ه فكل لكأس المنايا شارب حاسي
وقال أبو الحسن الباخري يخاطب الب أرسلان عند قتل الكندري :

وعمك أدناه وأعلى محله ه وبوراه من ملكه كنفارحبا

قضى كل مولى منكما حق عبده ه فخره الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرل بك لأنه أرسله يخطب عليه امرأة لبتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه
فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعدوه أشاعوا عنه أنه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة
السلطنة فقال فيه علي بن الحسن الباخري :

قالوا محيا السلطان منه تعزة ه سمة الفحول وكان قرما هائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فخيلة ه لما اعتدى عن أنثيه عاطلا

فالفضل يأنف أن يسمى بعضه ه أنثى لذلك جنده مستأصلا

يعنى بالأنثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله تعالى عنه بلغ
من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر لعنهم وأضاف إليهم
الاشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم الإمام أبو القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني وغيرهما
ففارقوا خراسان وأقام أمام الحرمين بمكة أربع سنين إلى أن انقضت دولته يدرس ويفق فلهذا لقب إمام
الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزع منهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقيل أنه تاب من الوقعة
في الشافعي فإن صح فقد أفلح وإلا (فعلى نفسها براقش تجنى) ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصى
ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه إلى كرمان لأن
نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولي الأبصار ولما قرب للقتل قال للقاصد إليه قل لنظام الملك بئسما عودت
الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قلبيا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت .

(ذكر ملك الب أرسلان ختلان وهراة وصغانيا) لما توفي طغرل بك وملك الب أرسلان عصى عليه
أمير ختلان بقاتته ومنع الخراج فقصد السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فأقام عليه وقاتله فلم يصل منه
إلى مراده ففي بعض الأيام باشر الب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد في الجبل فتبعه الخاق وتقدموا عليه
في الموقف وألحوا في الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرص الناس على القتال
فاته نشابة من العسكر فقتله وتسلم الب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكة وكان عمه نخر الملك بيغو
ابن ميكائيل في هراة فعصى أيضا عليه وطمع في الملك لنفسه فسار إليه الب أرسلان في المساكر العظيمة فحصره
وضيق عليه وأدام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج همه إليه فأبقي عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار
من هناك إلى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه ، فلما قاربه الب أرسلان صعد موسى إلى قلعة
على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكفاة جماعة كثيرة فوصل السلطان إليه وباشر الحرب لوقته فلم
ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة فهرا وأخذ موسى أسيرا فأمر بقتله فبذل في نفسه أموالا
كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية بأسرها وعاد إلى مرو ثم منها إلى نيسابور .

(ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد) في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود إلى بغداد وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك إلا لما عمدته من نقلها من بغداد إلى الري بغير رضا الخليفة وأمر الأمير إيتكير الساجان بالمسير في خدمتها إلى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير في الصحبة وأمر بالمخاطبة في إقامة الخطبة له فمات في الطريق مجردا وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور وكان يحضر طعامه في رمضان كل ليلة أربعين متفقه ويصلحهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعههم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا في الطريق فألزم السلطان رئيس العراقيين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير نحر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الأولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل إليه من الديوان لأخذ البيعة النقيب طرادا الزينبي فوصلوا وهو بنقجوان من أذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة .

(ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلش) سمع ألب أرسلان أن شهاب الدولة قتلتش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية وأقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الري ليستولى عليها فجهز ألب أرسلان جيشا عظيما وسيرهم على المغازة إلى الري فسبقوا قتلتش إليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة ، فلما وصل إلى دامغان أرسل إلى قتلتش ينكر عليه فعله وبنهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فإنه يرعى له القرابة والرحم ، فأجاب قتلتش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري وأجرى الماء على وادي الملح ، وهي صحراء فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمونك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك وقرب السلطان من قتلتش فلبس نظام الملك السلاح وعبا الكتب وأصطف المسكران ، وكان قتلتش يعلم علم النجوم فوقف و نظر فرأى أن طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفر فقصد الحاجزة وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه سالما هو وعسكره نصاروا مع قتلتش واقتلوا فلم يثبت عسكر قتلتش لعسكر السلطان وانهمزوا الساعةهم ومضى منهزما إلى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والأسر على عسكره فأراد السلطان قتل الأسرى فشفع فيهم نظام الملك فبغا عنهم وأطلقهم ، ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلتش ميتا ملقى على الأرض لا يدري كيف كان -وته قيل إنه مات من الخوف والله أعلم ، فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل ألب أرسلان إلى مدينة الري آخر المحرم من السنة ، ومن العجب أن هذا قتلتش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع أنه تركي ويعلم غيره من علوم اللقوم ثم إن أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم .

(ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آزي وغيرها من بلاد النصرانية) ثم سار السلطان من الري أول ربيع الأول وسار إلى أذربيجان فوصل إلى مرند عازما على قتال الروم وغزوم ، فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء

التركان كان يكثر غزو الروم اسمه طفدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرّفوا تلك البلاد وحش على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضائق تلك الأرض ومخارمها فوصل إلى نقجوران فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقبل له إن سكان خوى وساماس من أذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة ، وأهم قد امتنعوا ببلادهم فسير إليهم عميد خراسان ودعاهم إلى الطاعة وتهديدهم إن امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكرج وجعل مكانه في عكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئمة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقتلوا من بالقلعة وزحفوا إليهم فقتل أمير التلعة وملكها المسلمون وساروا منها إلى قلعة سرمارى وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوا وملكوها وأنزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والأموال والسلاح وسلم هذه الملاع إلى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك إلى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون إلى أهل هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الأحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير ، فأعد نظام الملك لقاتلها ما يحتاج إليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتلها ليلا ونهاراً وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الإعياء والكلال فوصل المسلمون إلى سورها ونصبوا عليه السلام وصعدوا إلى أعلاه لأن المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره ، فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخرّبوها وقتلوا كثيراً من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الأب أرسلان إليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يده وفتح لملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسرى من النصارى ما لا يحصى كثير وساروا إلى سبندشجر فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم إن الله تعالى يسر فتحها فملكها الأب أرسلان وسار منها إلى مدينة أعال لال وهى حصينة عالية الأسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض ، فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها ، وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الأمان والتمنا من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة قاتلهم فأكثروا القتل فمهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال ، وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريح فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم إلى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها فى برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بإلقاء الخشب حول البرج وأحرقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان إلى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يعد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التى أحرق بها البرج

بقية كثيرة فأطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وذلك في رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها إلى ناحية فرس ومدينة آنى وبالزرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة نخرج أهلها مذعنين بالإسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها إلى مدينة آنى فوصل إليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة أرباعها على نهر أرس والرابع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الأهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها إلا أن المسلمين قد أبسوا من فتحها لما رأوا من حصانها فعمل السلطان برجا من خشب وشحمه بلمة تلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون إليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فاهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث أن كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتل وأسروا نحو ما قتلوا وسارت البشرية هذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على أداء الجزية كل سنة فقبل ذلك، ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها إلى كرمان فابتهقبله أخوه قاورد بك بن جفرى بك داود ثم سار منها إلى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت إليه في هذا الوقت وزوج ابنه أرسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المجهودي واتفقت الكلمة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فراوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لظا شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه ويمملون له العزاء قلع أصله وأهلك أهله نخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطن وينحن وينشرون شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد إلى العراق وغيرها نحو هذا وذلك أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له ماتما أصابه هذا المرض فكثير قبل ذلك وكانوا يقولون يأم عنقود اعذربنا قد مات عنقود مادربنا وكان النساء يلطن وكذلك الأوباش . وفيها ولي أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى نقابة العلويين ببغداد وإمارة الموسم ولقب بالطاهر ذى المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم إلى البرية وتوفي أسامة بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين . وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى النحوى المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشى في الأسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيئا وكان مونه في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل إلى مذهبه مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار . وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره

فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب. (١)

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين بني حماد والعرب) في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زنانة ومن العرب عدى والأثبج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة ؛ وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصرا قلعة حماد مامو مذکور ولولا تلك القلعة لأخذ سريعا وإنما امتنع هو وأولاده بعده بها وهي من أمنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد في طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بن القائد ابن حماد وبين المعز وكان القائد يضم الغدر وخلق طاعة المعز والعجز يمنع من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملوكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبره إلى المهديّة تمكنت العرب ونهبت الناس وخرت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم برثه صغير عن كبير، وولى تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يدارى ويتجلد واتصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزنانة وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة فلما صح ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه وقال أتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم فقالوا له الذي تقول حق ونحب منك المعونة فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا وانفقوا على لقاء الناصر وأرسل إلى من مع الناصر من بني هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه أن قوى وأنه يهلكهم بمن معه من زنانة وصنهاجة وأنهم إنما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد إذا تم الخلف وضعف السلطان فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن نهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فأجابهم إلى ذلك واستقر الأمر وأرسل المعز بن زيري الزناتي إلى من مع الناصر من زنانة بنحو ذلك فوعده أيضا أن ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزنانة جميعا وسار إليهم الناصر بصنهاجة وزنانة وبني هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بني هلال وحمل المعز على زنانة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزنانة أربعين ألفا وسلم الناصر

(٢) قال ابن عقيل : كان ابن برهان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفى خلود الكفار في النار ، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشني لا وجه له مع ما رصف الله به نفسه من الرحمة ويتأول قوله تعالى (خالد بن فيها أبداً) أي أبداً من الآباد ، وقد كان ابن برهان يمدح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الإجماع

في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقسموها على ما استقر بينهم وبهذه الواقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي عن البلاد وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابها إلى تميم فودها وقال يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي فأرضى العرب بذلك .

(ذكر بناء مدينة بجاية) لما كانت هذه الواقعة بين بني حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر ألم أشرك عليك أن لا تقصد ابن عمك وأن تتفقوا على العرب وإنكما لو اتفقتما لأخرتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مردّ لمحمد فأصلح ذات يدينا فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولا إلى الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد أحسنت إليه وحصل له منك الأموال والأموال فأحضره وأعطاه مالا ودواب وعبيدا وأرسله فسار مع الرسول حتى وصل إلى الناصر فلما أوصل الكتاب وأدّى الرسالة قال للناصر معي وصية إليك وأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر أما لا أخفي عن وزيرى شيئا فقال به-ذا أمرنى الأمير تميم فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاي إن الوزير يخامر عليك هواه مع الأمير تميم لا يخفى عنه من أمورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك مابت إلا فيها لبغض الجند والرعية لميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد إفريقية وقال له أنا أنتقل إليك بأهلى وأدبر دولتك فأجابه الناصر إلى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول إلى بجاية أراه موضع الميمنة والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته إذا عاد إليه ورجعا إلى القلعة فقال الناصر لوزيره إن هذا الرسول يحب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال إلينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره إليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشهد الأخبار ويعود بها فأرسل معه رسولا يثق به فكتب معه إننى لما اجتمعت بتميم لم يسألنى عن شىء قل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمنى فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا فإني سائر إليهم مسرعا وقد أخذت عهدا زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه إلى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير إلى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذى بخط الرسول إلى تميم وكتابتا منه يذكر له الحال من أوله إلى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سبيبا يأخذه به إلا أنه جعل عليه من يجرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم وأخبره أن الرسول صنع طعاما وأحضر عنده الشريف الفهرى وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فأحضره تميم فقال كنت واصلا إليك وحدثه أن ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال أما في ذمامك أحب أن تعرفنى مع من أخرج من المهديّة

فنته من ذلك وهو خائف فأوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وأمره بإحضاره فأحضره الشريف فلما وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب لذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر إليه يأمره بالحضور عنده فأخذ الكتاب وخرج الأمير تميم فلما رآه ابن البعيع سقطت الكتب منه فإذا عنوان أحدها من الناصر بن علفاس إلى فلان فقال له تميم من أين هذه الكتب فسكت فأخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعيع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته .

(ذكر ملك ألب أرسلان جند وصيران) في هذه السنة عبر ألب أرسلان جيحون وسار إلى جند وصيران وهما عند بخارا وقر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه وأهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب أرسلان عليه شيئاً وأقره على ما يده وعاد عنه بعد أن أحسن إليه وأكرمه ووصل إلى كركانج خوارزم وسار منها إلى مرو .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ابتدئ بمارة المدرسة النظامية ببغداد: وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفرع؛ وفيها توفي محمد بن أحمد أبو الحسين بن الأبنوسى روى عن الدارقطنى وغيره^(١)

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)

(ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه) في هذه السنة سار ألب أرسلان من مرو إلى رايبان فنزل بظاهرها ومعها جماعة امراء دولته فأخذ عليهم اليهود والموائيق لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده وأركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الأمراء وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك وأقطع البلاد فأقطع ماذران للأمير إينانج بيغو وبلغ لأخيه سليمان بن داود جغرى بك وخوارزم لأخيه أرسلان أرغو ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه وصغانيان وطخارستان لأخيه الياس وولاية بغشور ونواحها لمسعود بن أرناش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن أرتاش .

(١) وفيها كان مقتل عميد الملك الكندرى، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندرى، وزير طغرل بك، وكان مسجوناً سنة تامه، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة، من عمل طريثيث، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين. واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله، وقد كان ركبياً فصيحاً شاعراً، لديه فضائل جمة، حاضر الجواب سريعه. ولما أرسله طغرل بك إلى الخليفة يطلب ابنته، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلاً بقول الشاعر:

• ما كل ما يمتنى المرء يدركه • فأجابه الوزير تمام قوله: • تجرى الرياح بمالا يشتهي السفن • فسكت الخليفة وأطرق. قتل عن نيف وأربعين سنة. ومن شعره قوله:

إن كان في الناس ضيق عن منافستي • فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعني • كل لكاس المنايا شارب حامى

وقد بعثه الملك طغرل بك يخطب له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو، فخصاه الملك وأقره على عمله فدفن ذكره بخوارزم، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ، ودفن جسده بقرية، وحمل رأسه فدفن بنيسابور، ونقل قحف رأسه إلى كرمان، وأما أشهد أن الله جامع الخلاق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا، وحيث كانوا، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

(ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس) في هذه السنة سير تميم صاحب إفريقية عسكرياً كثيفاً إلى مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب ذلك أن المعز بن باديس أباً تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل إلى المهديّة على ما ذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجي وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلها إليهم وخرج إلى المهديّة، فلما ولي الملك تميم بن المعز بعد أبيه رده إليها وأقام عليها إلى الآن ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير إليه تميم الآن عسكرياً كثيراً فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم أنه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار إلى الناصر فدخل عسكرياً تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكري إلى قابس وبها ابن خراسان فحصره بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان تميماً وصالحه وأما قائد فإنه أقام عند الناصر ثم أرسل إلى أمراء العرب فاشترى منهم إمارة القيروان فأجابوه إلى ذلك فعاد إليها فبنى سورها وحصنها

(ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما) في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل إلى السلطان ألب أرسلان فأقطع الأنبار وهيت وحربي والسن والبوازيج ووصل إلى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهر في الموكب فلقه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة (ذكر عدة حوادث) في العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث أذرع وهي ممتدة إلى وسط السماء وبقى إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذؤاب نحو الجنوب وبقى عشرة أيام ثم اضمحل. وفيها في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تردد أياماً تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقاً كثيراً وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك. وفيها في جمادى الأولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبين. وفيها ولدت صبية باب الأرج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين وأربع أيدي على بدن واحد. وفي جمادى الآخرة توفي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان إماماً في الحديث والعقده على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة، كان عفيفاً زاهداً ومات بنيسابور. وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلّي ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب أحمد رضي الله عنه وكان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تيمّي الحنبلّي يقول: لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء. (١)

(١) وفيها توفي ابن سيده صاحب المحكم في اللغة، أبو الحسين علي بن إسماعيل المرسي، كان إماماً حافظاً في اللغة وكان ضريراً البصر، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، وكان أبوه ضريراً أيضاً، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وله المحكم في مجلدات عديدة، وله شرح الحماسة في ست مجلدات، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطمانكي كتاب الغريب لأبي عبيد سردا من حفظه، فتعجب الناس لذلك، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب فسمع الناس بقراءته من حفظه، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان علي ألب أرسلان وعوده إلى طاعته) في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا أرسلان على السلطان ألب أرسلان وسبب ذلك أنه كان له وزير جادل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه إذا عصى احتاج إلى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فأجاب إلى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب أرسلان فسار إلى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا أرسلان فانهزمت طليعة قرا أرسلان بعد قتال فلما سمع قرا أرسلان وعسكره بانهمزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لايلى أحد على آخر فدخل قرا أرسلان إلى جيرفت وامتنع بها وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فأكرمه وبكى وأبكى من عنده فأعاده إلى ملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان إن لي بنات تجهيزهن إليك وأمورهن إليك فأجابه إلى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة ألف دينار سوى الثياب والأقطاعات ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل إليها فحمل إليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قده فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك وأطاعه جميع حصون فارس وبقي قلعة يقال لها بهنراد فسار نظام الملك إليها وحصرها تحت جبلها وأعطى كل من رمى بسهم وأصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان إليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فأعلى منزلته وزاد في تحكيمه .

(ذكر عدة حوادث) في المحرم منها توفي الأغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزار سبب ثلاثمائة ألف دينار وفي صفر منها وصل إلى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفى وبنى على مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لأصحابه وكتب الشريف أبو جعفر بن الياضى على القبة التي أحدثها :

ألم تر أن العلم كان مشتقا هجمعه هذا المغيب في اللحد

كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشأها فضل العميد أبي سعد

وفيها في جمادى الأولى وصلت أرسلان خاتون أخت السلطان ألب أرسلان وهي زوجة الخليفة إلى بغداد واستقبلها نحر الدولة بن جبير الوزير على فراسخ . وفيها في ذي القعدة احترقت تربة معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها أن قبيها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فانصلت النار بخشب وبواري كانت هناك فأحرقته واتصل الحريق فأمر الخليفة أباسعد الصوفي شيخ الشيوخ بعمارتها . وفيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ أبي إسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره أنه لقيه صبي فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وأيس الناس من حضوره أشار الشيخ أبو منصور ابن يوسف بأبي نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز أن ينفصل هذا الجمع إلا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبو نصر للدرس وظهر الشيخ أبو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام

الملك الخنبر أقام القيامة على العميد أبي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباح عشرين يوما . وفيها في ذى القعدة قتل الصليحي أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد أمرائها وأقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وأمن الحجاج في أيامه فأنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحريز الأبيض الصيني وردّ حلى البيت إليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن فابتاعه الصليحي منهم . وفيها توفي عمر ابن اسمعيل بن محمد أبو علي الطوسي قاضيا وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبي طاهر الإسفرايني الشافعي وأبي محمد الشاشي وغيرهما . (١)

﴿ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري فأسرم شرف الدولة وأخذ أسلابهم وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصري إلى بغداد وكمرت وطيف بها في البلد وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة . وفيها في جمادى الأولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت بإذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا . وفيها في رجب ورد أبو العباس الخوافي ببغداد عميدا من جهة السلطان . وفيها عزل نخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد إلى نور الدولة ديبس بن مزيد بالعلوجة وأرسل الخليفة إلى أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فأدركه أجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في نخر الدولة ابن جهير فأعيد إلى الوزارة سنة إحدى وستين في صفر . وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة إحدى وستين وأربعمائة . وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربس بإفريقية ففتحها وأمن أهلها . وفيها في المحرم توفي الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وهم مصابه المسلمين وكان من أعيان الزمان فمن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجهد في عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيا وثلاثة من الخزان إلى غير ذلك واشترى له الأملاك النفيسة بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلوات والخير ولم يكن يلقب في زمانه أحد بالشيخ الأجل سواه . وفي المحرم أيضا توفي أبو جعفر الطوسي فقيه الإمامية بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة في صفر أعيد نخر الدولة بن جهير إلى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال :

(١) وفيها هبت ريح حارة ، فمات بسببها خلق كثير ، وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب ، كانت تنتفخ رؤوسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي وكانوا يأنفون من أكلها .

قد رجع الحق إلى نصابه ه وأنت من كل الوردى أول به
ما كنت إلا السيف سلكه يده ثم أعادته إلى قسرا به

وهى طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه أنه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب
المصريين والمشاركة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة
فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الأمر وأنى الحريق على الجامع فدثرت
محاسنه وزال ما كان فيه من الأفعال النفيسة^(١)

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف إلى الشام ونزل على
مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما
من جوع العرب ثم إن ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع . وفيها سار أمير الجيوش
بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل
فلما حصره أرسل القاضي إلى الأمير قزلو مقدم الأتراك المقيمين بالشام يستنجد به فسار في اثني عشر ألف
فارس فحصر مدينة صيدا وهي لأمر الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الأتراك فعاد بدر حصر صور برا
وبحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها . وفيها سارت
دار ضرب الدينار ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك أن الهرج كثر في أيدي الناس على السمك السلطانية
وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسمى الأمير ومنع من التعامل بسواه . وفيها ورد رسول صاحب مكة
محمد بن أبي هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان
بمكة وإسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الأذان بحى على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار
وخلعا نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال إذا فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيناها عشرين

(١) ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ؛ بعد الستمائة سنة من الهجرة ؛ وكان جميع ما سقط
منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعا في المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهرزورى
في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكى ، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ؛ ونظر دار الضرب وغير
ذلك ، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا ؛ فتقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام . وأن ابن الجوزى
أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين وتبعه ابن الساعى أيضا في هذه السنة وكذلك شيخنا الذهبى ، وورخ الإسلام
وغير واحد والله أعلم . وفيها نقيمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفا بن عقيل وهو من كبرائهم بترده إلى أبي على بن الوليد
المتكلم المعتزلى واتهموه بالاعتزال وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بذهبه ولكن شرقة الهوى فشرق شرقة كادت
روحه تخرج معها وصارت فيه نزعة منه . وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم رما سكنت الفتنة
بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلحوا فيما بينهم ، بعد اختصام كبير . وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين
ذراعا حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ،
قتل خلقا وغنم أموالا كثيرة . وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلا بحبة .
وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى .

ألف دينار، وكل سنة خمسة آلاف دينار. وفيها تزوج عميد الدولة بن جهمر بآبنة نظام الملك بالرى وعاد إلى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكبير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج بأخت السلطان وبغى على نور الدولة ديبس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار ديبس إلى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقبها وتزوج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعاد إلى بلادهما من همدان. وفيها كان بمصر غلاء شديد وبجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هرباً من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وبما نهبت أيضاً في فتنه البساسيري وخرج من خزائهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم وأحد عشر ألف كزاعند وعشرون ألف سيف محلي، وقال ابن الفضل بمدح القائم بأمر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها:

قد علم المصري أن جنوده هـ مني يوسف منها وطاعون عمراس

أقامت به حتى استراب بنفسه هـ وأوجس منه خيفة أي إيجاس

في آيات. وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان أديبا شاعرا حسن القول فن قوله:

واحسرتي من قولها هـ خان عهودي ولها

وحق من صيرني هـ وقفها عليها ولها

ماخطرت بخاطري هـ إلا كستني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الأديب وانتهت الرحلة إليه في الأدب وله شعر فنه في الزهد:

ياشائدا للقصور كهلا هـ أقصر فقصر الفتى الممات

لم يجتمع شمل أهل قصر هـ إلا قصارام الشتات

ولنما العيش مثل ظل هـ منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي

العجائز الخطيب بدمشق.

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب﴾ في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب

لأمير المؤمنين القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان وسبب ذلك أنه رأى إقبال دولة السلطان وقوتها

وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون

دماءكم لأجل مذاهبكم والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ

ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر

علي بن أبي طالب فليات أبو بكر بحصر يصلى عليها بالناس، وأرسل الخليفة إلى محمود الخلع مع نقب النقباء

طراد بن محمد الزيني فلبسها ومدحسه ابن سنان الخفاجي وأبو الفنيان بن عيوس وقال أبو عبدالله بن عطية

يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة:

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم تعرف لطاعته غير التقى سبياً

هذا البشير بإذعان الحجاز وذا داعي دة شق وذا المبعوث من حلباً

(ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب) في هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج إليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنه قسطنطين على البلاد فأمر بردها ووصل إلى آمد فرآها ثغراً منيعاً فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار إلى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة للقائمة والخلع فقال له محمود صاحب حلب أسألك الخروج إلى السلطان واستغفاه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمة وخطب فقال أي شيء تساوي لخطبتهم وهم يؤذنون حتى على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الأسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلاً ومعه والدته منيعة بنت وثاب النيرى فدخل على السلطان وقالت له هذا ولدي فافعل به ما تحب فلما قافها بالجليل وخلع على محمود وأعادته إلى بلده فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلاً .

(ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسره) في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم والفرنجة والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاءوا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الإسلام فوصل إلى ملاز كرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب أرسلان الخبر وهو بمدينة خوى من أذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الأتقال مع زوجته ونظام الملك إلى همدان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد في السير وقال لهم إنني أقاتل محتسباً صابراً فإن سلبت فتنة من الله تعالى وإن كانت الشهادة فإن ابني ملك شاه ولي عهدي وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهمزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل إلى السلطان فجدع أنفه وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك وأمره أن يرسله إلى بغداد فلما تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدية إلا بالرى فانزهج السلطان لذلك فقال له إمامه وقيقه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الخنفي إنك تقا تل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالفهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فليصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل هسكراً مثله ولبس البياض وتحنط وقال إن قتلت فهذا كفتى وزحف إلى الروم وزحفوا إليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون

فيهم كيف شاؤا وأنزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم، أسره بعض غلبان كوهرائين فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فإنه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحيتمارا له فأثنى عليه كوهرائين، فقال نظام الملك عسى أن يأتينا بملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك فأمر بإحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألأرسلان ثلاثة، قارع بيده وقال له ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمتم أن تفعل بي إن أسرتي فقال أفعل القسيح قال له فسا تظن أنني أفعل بك قال إما أن تقتلني وإما أن تشرفني في بلاد الإسلام والأخرى بميدة وهي الحفو وقبول الأموال واصطناعي نائبا عنك قال ما عزمتم علي غير هذا فقدها بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وأن يرسل إليه عساكر الروم أي وقت طلبها وأن يطلق كل أسير في بلاد الروم واستقر الأمر على ذلك وأنزله في خيمة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فأطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم ابن جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأوما إلى الأرض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره إلى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه إلى مأمته وشيعة السلطان فرسنا، وأما الروم فلما بلغهم خبر الواقعة وثب ميخائيل على المملكة فلما وصل أرمانيوس الملك إلى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل إلى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال إن شئت أن تفعل ما استقر وإن شئت أمسكت فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع أرمانيوس ما عنده من المال فكان مائتي ألف دينار فأرسله إلى السلطان وطبقا ذهبيا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له أنه لا يقدر على غير ذلك ثم إن أرمانيوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فأكثروا .

(ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس) في هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمي وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام بجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها إلى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحها وملك ما يجاورهما من البلاد ماعدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاقت الأمر بالناس فصبروا ولم يتمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وأدام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الأقوات عندهم .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفي أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني الفقيه الشافعي مصنف كتاب الإبابة وغيرها وفي هذه السنة توفي الخطيب أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت البغدادي صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان إمام الدنيا في زمانه ومن حمل جنازته الشيخ أبو إسحق الشيرازي . وتوفي أيضا فيها في شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الإمامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبدالله المنيمي الخزومي من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت

أحمد بن محمد المروزي وهي التي تروى صحيح البخاري توفيت بمكة وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت . (١)

(ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمئة)

(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرايين شخنية بغداد) في ربيع الأول من هذه السنة ورد إيتكين السلجاني شحنة بغداد من عند السلطان إلى بغداد فقصده دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياماً فلم يجب إلى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره إلى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قبضه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب في عزله وكان نظام الملك يعني بالسلجاني فأضاف إلى إقطاعه تكريت فمكوتب واليهما من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان إصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شخنية بغداد سير سعد الدولة كوهرايين إلى بغداد شحنة وعزل السلجاني عنها اتباعاً لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة .

(ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان) في هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذن في أن يجعل ولده ملكشاه ولي عهده فأذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفري خاتون لولي العهد المقتدى بأمر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب إلى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد وكان النثار جواهر ، وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى ملكشاه وكان يبلاد فارس فلقبه بأصبهان فأفاض عليه الخلع قلبها وسار إلى والده وعاد عميد الدولة إلى بغداد فدخلها في ذي الحجة .

(ذكر ولاية أبي الحسن بن عمار طرابلس) في هذه السنة في رجب توفي القاضي أبو طالب بن عمارة قاضي طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن ابن عمارة ضبط البلد أحسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثر كفايته .

(ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس) في هذه السنة سير السلطان ألب أرسلان

(١) وفيها مات ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد ، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي ، اتصل بالأمير المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فخطب عنده وصار مشاوراً في منزلة الوزير ثم وزر له ولولده أبي بكر بن أبي الوليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا • يقضى عليها الأسي لولا تأسينا
حالت لبعدم أيا منا فعدت • سودا وكانت بكم ييضاً ليالينا
بالأمس كنا ولا نخشى تفرقنا • واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي طويلة وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها ، لأنه مامن أحد إلا طارق خلا أو حياً أو نسياً .

وزيره نظام الملك في هسكر إلى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه إلى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلبوا الحصن إليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه أن جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم فلما طلبوا الأمان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون إلى قلة القلعة وهي أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتجى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر إلى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا ما لهم فسمع فضلون الخبر فقارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجند وسار لينج عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم ففرق من معه واختفى في نبات الأرض فوقع فيه بعض العسكر فأخذه أسيراً وحمله إلى نظام الملك فأخذه وسار به إلى السلطان فأمناه وأطلقه.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفى القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان إليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال . (١)

(ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة)

(ذكر قتل السلطان ألب أرسلان) في أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان (واسمه محمد وإنما غلب عليه ألب أرسلان) ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرًا وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فأناه أصحابه بمسحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الأول وحمل إلى قرب سريره مع غلامين فتقدم أن تضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها فقال له يوسف يا محنت ، مثل يقتل هذه القتلة ، فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب ، وقال للغلامين خلباه ورماه السلطان بسهم فأخطاه (ولم يكن يخطئ) فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفاً فجرحه يوسف أيضاً جراحات ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى وضرب بعض المراهقين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الأتراك ، وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما نعل عسكره بتلك البلاد لاسيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله أن يكفيهم أمره فاستجاب

(١) وفيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الخنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخور ، وفي إبطال المواجرات وهن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وهوتان ذريع في الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فاذا هن قد متن كلهن ، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بآبنة السلطان ألب أرسلان ، سفري خاتون ، وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة بن جهير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة . وفيها توفى زكريا بن محمد بن حميد أبو منصور النيسابوري ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان ابن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفى في المحرم منها وقد قارب الثمانين .

لهم ولما جرح السلطان قال مامن وجه قصدته وعدو أردته إلا استغنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارنجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة المسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على فعجزني الله تعالى بأضغف خلقه وأنا استغفر الله تعالى وأستقبله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الأول من السنة فحمل إلى مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر أربعين سنة وشهوراً وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة إلى أن قتل تسع سنين وستة أشهر وأياماً، ولما وصل خبر موته إلى بغداد جلس الوزير نجر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام.

(ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته) هو ألب أرسلان محمد بن داود جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريماً عادلاً عاقلاً لا يسمع السعيات واتسع ملكه جداً ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رقيقاً بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه، اجتاز يوماً بمرو على فقراء الخرازين فبكي وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار، وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكهم الإدرات والصلاة ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الأصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين وفقاً بهم وكتب إليه بمض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في مملكته من الرسوم والأموال وتركت على مصلاه فأخذها فقراً ثم سلمها إلى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فإن صدقوا في الذي كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وإن كذبوا فاغفر لهم واشغلهم بما يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة، ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحابظته على عهده أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من أقصى ما وراء النهر إلى أقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه أن بعض خواص مملكته سلب من بعض الرستاقية إزاراً فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض إلى مال غيرهم، ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الأولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده وإياز وتكش وبوري برش وتتش وأرسلان أرغو وسارة وعائشة وبنات أخرى،

(ذكر ملك السلطان ملكشاه) لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر أن يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولى للأمر في ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه إلى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أيضاً أن يعطي أخاه قاورت بك ابن داود أعمال فارس وكرمان وشيثا عينه من المال وأن يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطي ابنه إياز بن ألب أرسلان ما كان لأبيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربته وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر في نيف وعشرين يوماً في ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الأجناد في معاشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا إلى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانتقاد إليه وأقام إياز أرسلان يبلغ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور إلى الري.

(ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ) في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند

مدينة ترمذ، وسبب ذلك أنه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصده ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سمرقند وكان إياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجوزجان تخاف أهل بلخ فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان فأمهم فخطبوا له فيها وورد إليها فتهب عسكره شيئا من أموال الناس وعاد إلى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوه فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه الصلح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيئا عظيما فلما وصل الخبر إلى إياز عاد من الجوزجان إلى بلخ فوصل غرة جمادى الأولى فأطاعه أهلها وسار عنها إلى ترمذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقبهم عسكر التكين فانهزم إياز ففرق من عسكره في جيحون أكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج إلا القليل .

(ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند) وفي هذه السنة أيضا في جمادى الأولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سكلكند ، وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بأمرأ الامراء فأخذوه أسيرا وعادوا به إلى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الأمير كشتكين بلكابك وهو من أكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه أنوشتكين جد ملوك خوارزم في زماننا فتهبوا مدينة سكلكند .

(ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك) لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للري يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه إليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها إليه فالتقوا بالقرب من همدان في شعبان وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن ديبس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والآكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ، ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حلال شرف الدولة وبهاء الدولة فتهبوا غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي رسول الخليفة وجاء رجل سوادى إلى السلطان ملكشاه فأخبره أن عمه قاورت بك في بعض القرى فأرسل من أخذه وأحضره فأمر سعد الدولة كوهرايين بنخفته وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع وأقطع العرب والآكراد إقطاعات كثيرة لما فعلوه في الواقعة وكان السبب في حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه أن السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة فأرسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي إلى شرف الدولة بالموصل فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فأخذها شرف الدولة ففرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فتما إليه وأما بهاء الدولة فاه كان قد سار بمال أرسله به أبوه إلى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب .

(ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك) ثم إن عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم في أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلا نظام الملك فقال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له أفل في هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني أن أفعل إلا بأمرك فقال السلطان قد رددت الأمور كلها

كبيرها وصغيرها إليك فأنت الوالد وحلف له وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان من جلته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك ومعناه الأمير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت إليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابها فأذكر ذلك عليه وقال إنما استخدمتك لأمثال هذه فإن الأمراء والأعيان لا حاجة بهم إليك ثم صرفه عن حجته .

(ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان) في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدماً عظيماً ونذكر ههنا الأسباب الموجبة لقتله فإنها تتبع بعضها بعضاً في حروب وتجارب وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه أن والدته كانت غالبية على أمره وقد اصطنعت أبا سعيد إبراهيم التستري اليهودي وصار وزيراً لها فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحى فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحى يتفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة تخاف الفلاحى أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الأتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودى فقتلوه فعظم الأمر على أم المستنصر وأغرقت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعتهم أم المستنصر ليغري العبيد المجردين بالأتراك تخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شراً وفساداً فلم يفعل فتكرت له وعزلته عن الوزارة ، وولى بعده الوزارة أبو محمد اليازورى من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فأمرته أيضاً بذلك فلم يفعل وأصلح الأمور إلى أن قتل ، ووزر بعده أبو عبد الله الحسين ابن البابلي فأمرته بما أمرت به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم إن المستنصر ركب ليشيع الحجاج فأجرى بعض الأتراك فرسه فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فخرجه فعظم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطالحوا على تسليم الجراح إليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محلهم وعرف الأتراك ذلك فاجتمعوا إلى مقدمهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا إليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوى الأتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل تخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر فأعاد الجواب أنه لا علم له بما فعل العبيد وأنه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فأجفل الأتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتلوا فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقه العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وأنه قد ركب في باقى العسكر فانهزموا وعاد عليهم الأتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفاً وكان يوماً مشهوداً وقويت نفوس الأتراك وعرفوا حسن رأى المدة المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا فضاغت عدتهم وزادت واجباتهم للاتفاق فيهم نخلت الخزائن واضطربت الأمور وتجمع باقى العسكر من

الشام وغيره إلى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس ورجال وساروا إلى الجيزة فخرج عليهم الأتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة ابن حمدان فاقتلوا فانهزم العبيد إلى الصعيد وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين ثم إن العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر ألف فارس ورجال فقلق الأتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك ، وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب إلى ظاهر البلد واجتمع الأتراك إليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالإسكندرية جماعة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان فأمنوا وأخذت منهم الإسكندرية وبقى العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر وقتل ناموسه عندهم وطلبوا الأموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شيء البتة واختل ارتفاع الأعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البنخس وصرفت إلى الجند ، قيل إن واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار فصار الآن في الشهر أربعائة ألف دينار وأما العبيد بالصعيد فإنهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار إليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فضى العبيد من بين يديه إلى الصعيد الأعلى فأدركهم فقاتلهم وقتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة بمصر واجتمع إليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل إليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد وقتلوه فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالأمر دون الأتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياباتهم له فشكوا ذلك إلى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل إلينا منه إلا القليل فقال الوزير إنما وصل إلى هذا وغيره بكم فلوفارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة وإخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا إلى المستنصر وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة فأرسل إليهم يأمره بالخروج ويهدده إن لم يفعل فتخرج من القاهرة إلى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا إلى القناد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله وقال اصطنعني فقال أفعل لخالفه على قتل مقدم من الأتراك اسمه الدكر والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب في أصحابك وتسير بين القصرين فإذا أمكنتك الفرصة فهما فاقتلها وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة وفعل شادى ما أمره فركب الدكر إلى القصر فرأى شادى في جمعه فأنكره وأسرع فدخل القصر فقاته ثم أقبل الوزير في موكبه فقتله شادى وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب إلى باب القاهرة فقال الدكر للمستنصر إن لم تتركب وإلا هلكت أنت ونحن فركب وأمس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خاق كثير وهضى منهزما على وجهه لا يلوى على شيء وتبعه فل أصحابه فوصل إلى بني سنيس فأقام عندهم وصاهرهم فقوى بهم وتجهزت العساكر إليه ليعده فسادوا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبز فيمن معه إلى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به

ناصر الدولة فأخذه أسيرا وأكثر القتل في أصحابه وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم لحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسروا مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فأقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الأسعار بها وأكثر المرات بالجوع وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبد بذلك فقيل إنها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت بها حنطة حملها الجمال على ظهره فتهبت الحنطة في الطريق فتهبت هي مع الناس فكان الذي حصل لها بما عمته رغيفا واحدا، وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال إليه ولا يبقى معه لأحد حكم فلما دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ولم يرسل إليه منها شيئا فصار ناصر الدولة إلى الجيزة واستدعى إليه شادي وغيره من مقدمي الأتراك فخرجوا إليه إلا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير إليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم وبعض هاربا فجمع جمعا وعاد إليهم فقاتلهم فهزهم وقطع خطبة المستنصر بالإسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلما ليخطب له بمصر، واضمحج أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة إليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئا من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبيكي الرسول وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر فأجرى له كل يوم مائة دينار وعاد إلى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويميب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله إلى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الأسعار وبالع ناصر الدولة في إهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لأجدهما إنني أريد أن أوليك عمل كذا فيسير إليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم فقطن لفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الذكر وعلم أنه متى ماتم ما أراد تمكن منه ومن أصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الأتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤا إلى باب داره وهي التي تعرف بمنازل العز وهي على النيل فدخلوا من غير استئذان إلى صحن داره فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء لأنه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة إلى نجر العرب أخى ناصر الدولة وكان نجر العرب كثيرا الإحسان إليه فقال للحاجب استأذن لي على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فأذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كآبه

يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط إلى الأرض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها خلفه وتوجه إلى القاهرة وقتل أخوها ناج المعالي وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وأربعمائة ولى الأمر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل الدكر والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحة وتمكن من الدولة إلى أن مات وولى بعده ابنه الأفضل وسيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبیت المقدس . وفيها توفي الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن المأمون ببغداد وكان موته في شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وكان عالي الإسناد في الحديث . وفيها في ذى الحجة توفي الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بن العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطني وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد . وفيها قتل ناصر الدولة أبو علي الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكر التركي وقد تقدم شرحه مستوفى . وفيها توفي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري مصنف الرسالة وغيرها وكان إماماً فقيهاً أصولياً مفسراً كاتباً ذا فضائل جمّة وكان له فرس قد أهدى إليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً فعاش أسبرعاً ومات . وفيها أيضاً توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صر بصر وكان نظام الملك قال له أنت ابن صر درّ لاصر بصر فبقي ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضي فقال :

لئن نبز الناس قدما أباك ه فسموه من شعره صر بصر
فإنك تنظم ماصره ه عقوقا له وتسميه شمرا
وهذا ظلم من ابن البياضي فإنه كان شاعراً محسناً ومن شعر ابن صر درّ قوله :

تزاورن عن أذرعات يمينا ه نواشر ليس يطقن البرينا
كفن بنجد كأن الرياض ه أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن إلا نحيلا ه إليه ويبلغن إلا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق ه ونوح الحمام تركن الحنينا
إذا جئنا بانه الواديين ه فأرخوا الذسوع وحلوا الوضينا
فم علائق من أجلهن ه ملاء الدجي والضحي قد طوينا
وقد أنباتهم مياه الجفون ه بأن بقلبك داء دفيننا (١)

(ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة)

(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والنخل عليه) في هذه السنة في صفر ورد كوهرايين إلى بغداد

(١) وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ فانتقم المتولي لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جنابة لهم على ما صنعوا ، وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببیت المقدس ، وفيها ملك صاحب سمرقند (محمد التكين) مدينة ترمذ .

من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بأمر الله وسلم الخليفة إلى كوهرايين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير أوله وسلم إليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ أحد من الدخول إلى دار الخلافة فامتلا صحن السلام بالعامه حتى كان الإنسان تهمه نفسه ليتخلص وهنا الناس بعضهم بعضا بالسلامة .

(ذكر غرق بغداد) في هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح الفورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلايص والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق كثير تحت الهدم رشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة ويده القضيب وأتى أيتكين السليمانى من هكبرا فقال للوزير إن الملاحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم وتهدهم بالقتل وأمر بأخذ ماجرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربى مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فأطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان المضدى ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق أن الناس في العام الماضى كانوا قد أنكروا كثرة المغنيات والخمر فقطع بعضهم أوتار هود مغنية كانت عند جندى فثار به الجندى الذى كانت عنده فضر به فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الأئمة ، منهم أبو اسحق الشيرازى واستغاثوا إلى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطلها فوعدم أن يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجنود من ذلك أمر عظيم وسمت مصيبتهم كافة الناس فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا إلى أن يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعنى أنهم شكوا ما حل بهم إلى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان .

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند) قد ذكرنا أن خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى ترمذ وحضرها وطم العسكر خندقها ورمادها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الأمان فأمّنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها أخ خاقان التكين فأكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن إليه وأطلقه وسلم قلعة ترمذ إلى الأمير ساوتكين وأمره بعمارته وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وأنفذ يطلب المصالحة ويضرع إلى نظام الملك في إجابته إلى ذلك ويعتذر من تعرضه إلى ترمذ فأجيب إلى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه إلى خراسان ، ثم منها إلى الرى وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش .

(ذكر عدة حوادث) فيها توفى زعيم الدولة أبو الحسن بن عبدالرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية . وفيها توفى أياز أخو السلطان ملكشاه وكفى شره كما كفى شره قاورت بك . وفيها في ربيع الاول توفى القاضى أبو الحسين بن أبى جعفر السمنانى حو قاضى القضاة أبى عبدالله الدامغانى وولى ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة بسمنان

وكان هو وأبوه من المغالين في مذهب الأشعري ولأبيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف أن يكون حنفيًا :
أشعريًا ، وفيها في جمادى الآخرة توفي عبدالعزیز أحمد بن محمد بن علی أبو محمد الکتانی الدمشقی الحافظ وكان
مكثرًا في الحديث ثقة ومن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادي . (١)

(ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة)

(ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته) في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم
بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه عبدالله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير
إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد ، وكان سبب موته أنه كان قد أصابه
مباشرة فانتصد ونام منفردا فانفجر نصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته
فأيقن بالموت فأحضر ولي العهد ووصاه بوصايا وأحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير
وأشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ولي عهده ، ولما توفي غسله
الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدى بأمر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة
أشهر وخمسة أيام وخلافته أربعة وأربعين سنة وثمان أشهر وأيام وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة
إحدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وأمه أم
ولد تسمى قطر الندی أرمنية وقيل رومية أدركت خلافته ، وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين
وأربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا حمره حسن الجسم ورعا دينيا زاهدا عالما قويا اليقين بالله
تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى أكثر ما يكتب من الديوان
فيكان يصاح فيه أشياء وكان يؤثر التمدل والإنصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شيء يطلب منه
قال محمد بن علي بن عامر الوكيل دخلت يوما إلى المخزن فلم يبق أحد إلا أعطاني قصة فامتلات أكلهم منها
فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخى لأعرض عن هذه كلها . فألقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت
إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها بأغراض أصحابها ثم قال لي يا عامي
ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد إلى مثلها فإنما ما أعطيناكم من أموالنا شيئا إنما نحن
وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير
وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو هبة الله الدامغانى .

(ذكر خلافة المقتدى بأمر الله) لما توفي القائم بأمر الله بويح المقتدى بأمر الله عبدالله محمد بن القائم
بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو إسحق
وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغانى

(١) وفيها ماتت الماوردية ، ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزا سالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ،
وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تظفر نهارا ولا تام ليلا ، وتفتت بخبز الباقلا ، وتأكل
من التبن اليابس لا الرطب رشيا يسيرا من العنب والزيت وربما أكلت اليسير من اللحم ، وحين توفيت تبع أهل
البلد جنازتها . ودفنت في مقابر الصالحين .

وغيرهم من الأعيان والأماثل فبايموه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فإنه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده: **إذا سيدنا مضى قام صيد** . ثم أرمج عليه فقال المقتدى: **قؤول بما قال الكرام فعوله** . فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقبه ذكر سواه فإن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره فأيقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادري إلى غيره ولم يشكوا في اختلال الأحوال بعد القائم لأن من عدا البيت القادري كانوا يخالطون العامة في البلد ويجرون بحرى السوق فلواضطر الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولاتلك الهيبة فقدر الله تعالى أن الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلعب بها فلما توفي ورأت مانال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ في الإشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيري^(٥) كان للمقتدى قريب أربع سنين فأخفاه أهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان إلى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم إلى بغداد أعيد المقتدى إليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهد ولما ولي الخلافة أقر فخر الدولة بن جهمير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهمير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجمل عن الوصف .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار في المأمونية ثم في الظفرية ثم في درب المطبخ ثم في دار الخليفة ثم في حمام السمرقندي ثم في باب الأزج ودرب خراسان ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى . وفيها أرسل المستنصر بالله العلوي صاحب مصر إلى صاحب مكة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة حربها الله تعالى وقال إن إيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد مانا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين . وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزغبة ببلاد إفريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزمهم وأخرجوهم من البلاد . وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقويم . وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزازي وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الأموال شيء عظيم وبقى الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته^(١)

(٥) تقدم الكلام على هذه الفتنة سنة خمسين وأربعمائه والسنة التي بعدها .

(١) وفي شعبان منها أمر المقتدى بإخراج المفسدات من الخواطيء من بغداد ، وأمر من أن يتنادين على أنفسهم بالعار والفضيحة ، وخرّب الخنارات ودور الزواني والمغانى ، وأسكنهن الجانب الغربي مع الذل والصغار ، وخرّب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها =

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة)

(ذكر ملك الأقيس دمشق) قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك أقيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أهلها كل سنة عند إدراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف أهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار إلى دمشق فحصرها وأميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها في شوال فهرب أميرها المعلى في ذي الحجة وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثرت الدعاء عليه وثار به العسكر وأعانهم العامة فهرب منهما إلى بانياس ثم منها إلى صور ثم أخذ إلى مصر فحبس بها فمات محبوساً فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم القصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الأسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف أقيس ذلك فعاد إلى دمشق فبذل عليها في شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الإقوات فبيعت الغرارة إذا وجدت بأكثر من هشرين ديناراً فسلوها إليه بأمان وعرض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة ليقضى بأمر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على أكثر الشام ومنع الأذان بحى على خير العمل ففرح أهلها فرحاً عظيماً وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرايين شحنة إلى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد أبو نصر ناظر أفي أعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من منبج والذخائر والأموال التي جمعها في المدة الطويلة ولم يصبح من ذلك جميعه شيء وصار نزيباً على كوهرايين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد ديبس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك إلى أن سده عميد الدولة بن جهمير سنة اثنين وسبعين . وفي هذه السنة توفي أبو علي الحسن بن القاسم بن محمد المقرئ المعروف بغلام المراس الواسطى بها وكان محدثاً علامة في كثير من العلوم . وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى بالكرك وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيب الطبرى . وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه بالشافعى على أبي بكر القفال وأبي حامد الإسفرائينى وصحب أبا على الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمى وكان

= إلى دجلة ، وأزهمهم بحفر آبار لتلك المياه القنطرة صيانة لماء الشرب . وفيها توفي أبو الحسن على بن الحسن بن علي ابن أبي الطيب الباخريّ الشاعر المشهور ، اشتغل أولاً على الشيخ أبي محمد الجوينى ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر ، ففاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فنه :

وإني لأشكولسعداً صدأك التي • عقاربها في وجنتيك نجوم
وأبكي لبر الثغر منك ولي أب • فكيف ندبم الضحك وهو يتيم

عابداً خيراً قصد نظام الملك مجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله إن الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم فيكي وكان موته ببوشنج . وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدى المنسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابورى إمام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد ابن دارست وزير القائم توفي بالأهواز ومحمد بن القائم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على أبي محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبي عبد الله وأبي عبد الرحمن السلى وغيرهما . وفيها توفي مسعود بن الحسن بن الحسين بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فنه قوله :

يامن لبست لبعده ثوب الضناه حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت ه أجفان عيني كيف كان رقادى
إن كان يوسف بالجمال متطعم الأ ه يدى فانت مفتت الأ كباد^(١)

(ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة)

(ذكر حصر أفسيس مصر وعزده عنها) فى هذه السنة سار الأقسيس من دمشق إلى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاهم فانهمزم الأقسيس من غير قتال وعاد على أقبج صورة بغير حيب فوصل إلى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأدواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبخوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام ، فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فأكثر حتى قتل من النجا إلى المسجد الأقصى وكف من كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاءيون هذا الاسم أفسيس والصحيح أنه أتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام أن أتسز لما وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدرب العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهمزم أتسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد نهزما إلى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل إلى الرملة ثم سار منها إلى دمشق وحكى لى من أتق به عن جماعة من فضلاء مصر أن أتسز لما وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة فى الناس وظلمهم وأخذوا أموالهم وفعّلوا الأفاعيل القبيحة فأرسل رؤساء القرى ومقدموها إلى الخليفة المستنصر بالله الدلوى يشكون إليه ما نزل بهم فأعاد الجواب بأنه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل إليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنمور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أذنك إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فأجابهم إلى ذلك وأرسلوا إليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فأوقعوا بهم وقتلهم عن آخرهم ولم يسلم منهم إلا من كان عنده فى عسكره وخرج إليه العسكر الذى عند المستنصر

(١) قال ابن الجوزى : جاء جراد فى شعبان بعدد الرمل والحصى ، فأكل الغلات وأذى الناس وجاعوا ، فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسعار .

بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد إلى الشام وكفى أهل مصر شره وظالمه .
 (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم الفخيري حاجا وجلس
 في المدرسة النظامية يعظ الناس وفي رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب
 الأشعري ونصره وكثر أتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية
 وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للفخيري الشيخ أبو إسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان وجرت
 بين الطائفتين أمور عظيمة . وفيها تزوج الأمير علي بن أبي منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة أبي جعفر بن
 كاكويه أرسلان خاتون بنت داود عمه السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها كان بالجزيرة
 والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقي كثير من الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس
 وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها :
 ثمانية لم تفرق مذ جمعتها • فلا افتقرت ماذب عن ناظر شعر
 ضميرك والتقوى وجودك والغنى • ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
 وكان لمحمود بن نصر سجية • وغالب ظني أن سيخلفها نصر
 فقال والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار في طبق فضة وكان
 على يابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم :

على بابك المعمور منا عصابة • مفاليس فانظر في أمور المفاليس
 وقد قنعت منك العصابة كلها • بعشر الذي أعطيته لابن حيوس
 وما بيننا هذا التقارب كله • وإن كنت سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال يمثل الذي أعطيته لأعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفي أسهدوست بن محمد بن الحسن
 أبو منصور الديلمي الشاعر وكان قد لقي ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال في ذلك :
 وإذا سنكت عن اعتقادي قلت ما • كانت عليه مذاهب الأبرار
 وأقول خير الناس بعد محمد • صديقه وأبيه في الغار (١)

وفيها توفي رئيس العراقيين أبو أحمد النهاوندي الذي كان عميد بغداد والشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي
 الحنبلي ورزق الله بن محمد بن أحمد بن علي أبو سعد الأنباري الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث للكثير وكان
 ثقة حافظا ، وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري توفي في رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص
 بمصر فمات لوقته وعبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن أحمد المعروف بابن هزار مرد الصريفي راوية
 أحاديث علي بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها .

(ثم دخلت سنة سبعين وأربعائة)

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ورد مؤيد الملك إلى بغداد من السكر . وفيها اصطاح تميم بن المعز

(١) ذكر في البداية والنهاية بيتين تكلمة للبيتين المذكورين هما :

[ثم الثلاثة، بعده خير الوري • أكرم بهم من سادة أطهار]

[هذا اعتقادي والذي أرجو به • فوزي وعنتي من عذاب النار]

ابن باديس صاحب إفريقية مع الناصر ابن علناس وهو من بني حماد عم جده وزوجه تميم ابنته بلارة وصيرها إليه من المهديّة في عسكر وأصحابها من الحلي والجهاز ما لا يحمد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فأخذ منها تميم ديناراً واحداً ورد الباقي. وفيها استعمل تميم ابنه مقلداً على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد في هذه السنة فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فتهب بعضهم ببعضاً وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة فأرسل إلى العميد والشحنة لحضراً ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا. وفي هذه السنة في ربيع الأول توفي القاضي أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي وكان القاضي أبو الطيب الطبري جده لأمه. وفيها توفي أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن النقور أبو الحسين البزاز في رجب وكان مكثراً من الحديث ثقة في الرواية وأحمد بن عبدالله بن علي أبو صالح المؤذن النيسابوري كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظاً ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبدالرحمن ابن محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني أبو القاسم بن أبي عبدالله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون إليه في الاعتقاد من أهل أصبهان يقال لهم العبد رحمانية. وفي شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لأحد فعلم ذلك إكراماً لأبيها وجلس الوزير نجر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء في دار يباب العامة ثلاثة أيام. (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمئة ﴾

﴿ ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة ﴾ في هذه السنة عزل نجر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بأمر الله ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب في ذلك أن أبا نصر بن القشيري ورد إلى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الأشعرية ونصره وعاب من سوامه وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب أصحاب نظام الملك ماجرى إلى الوزير نجر الدولة وإلى الخدم وكتب أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي إلى نظام الملك.

(١) قال ابن الجوزي: في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بحلة التوبة من الجانب الغربي، على نخلتين في مسجد فأحرقت أعاليهما، وصعد الناس فأطفأوا النار، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً. قال: وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة، ثم سرده ابن الجوزي ومضمونه: أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد، ومحلّه معروف عند الأئمة والناس، وقدره معلوم في السنة. في كلام طويل. قال: وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحى لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً، وجرح آخرون، ثم سكنت الفتنة. قال: وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون. قال: وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب. وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة، وذكر ابن الجوزي أن الوزير ابن جهير كان قد عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكة، فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للبصريين فكسر ذلك المنبر وأحرق.

يانظام الملك قد حل ببغداد النظام
وبها أودى له قتلى غلام وغلام
ياقوام الدين لم يبق ببغداد مقام
فتى لم تحسم الدا . أياديك الحسام
فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام
وبقى القاطن فيها . مستهان مستضام
والذى منهم تبقى . سالما فيه سهام
عظم الخطب وللحر . ب اتصال ودوام
ويكف القوم في بغداد قتل وانتقام
واعتصام بحريم . لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ماجرى من الفتن وقصد مدرسته والقمل بجوارها مع أن ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فأعاد كوهرائين إلى شحنة العراق وحمله رسالة إلى الخليفة المقتدى بأمر الله يتضمن الشكوى من بنى جهير وسأل عزل نخر الدولة من الوزارة وأمر كوهرائين بأخذ أصحاب بنى جهير وإيصال المكروه إليهم وإلى حراشيم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستمطفة وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفاً أن ياتاه كوهرائين ويناله فيها أذى فلما وصل كوهرائين إلى بغداد اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام الملك فأمر نخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد إلى ما ألقه منه وزوجه بابنة بنت له وعاد إلى بغداد في العشرين من جمادى الأولى فلم يرد الخليفة أباه إلى وزارته وأمرهما بملازمة منازلهما واستوزر أباشجاع محمد بن الحسين ثم إن نظام الملك راسل الخليفة في إعادة بنى جهير إلى الوزارة وشفع في ذلك فأعيد عميد الدولة إلى الوزارة وأذن لأبيه نخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين .

﴿ ذكر استيلاء تتش على دمشق ﴾ في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان دمشق وسبب ذلك أن أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام وما يفتح في تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة فأتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركان فأنفذ إليه الإقسييس^(١) صاحب دمشق يستنجده ويعرفه أن عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فأرسل إقسييس إلى تاج الدولة تتش يستنصره فسار إلى نصرته الإقسييس فلما سمع المصريون بقربه أجفلوا من بن يديه شبهه المنهزمين وخرج الإقسييس إليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يمد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمر لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته وملك البلد وأحسن السيرة في أهله وعدل فيهم . وقد ذكر ابن الهمداني وغيره من العراقيين أن ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق أن ملكه إياها كان سنة اثنتين وسبعين .

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾ في هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه . وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب إليه لأنه لم تجر به عادة . وفيها توفي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردي الجاواني في شهر ربيع الأول

(١) إقسييس : هو أنشز بن أوف الخوارزمي كان يلقب ، بالمعظم وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة وأصحهم

سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحى على خير العمل وأمر بالرضى عن الصحابة أجمعين .

ودفن بطسفونج . وفي رجب توفي أبو علي بن البناء المقرئ الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جور من دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحدا حاجة وأقام بطبزة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فأكهة البتة (١) .

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة)

(ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند) في هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة أجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف إليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه مائلا قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة إليه في الحادى والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض أشبه وخلفها البحر وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركى من قديم الزمان ولم يتراض إليهم أحد من الملوك فسار إليهم إبراهيم ودعاهم إلى الاسلام أولا فامتنعوا من إجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثرت القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بر بن خليجين فقصده الملك إبراهيم فوصل إليه في جمادى الأولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره على أوليائه وذلك على أعدائه وعاد إلى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الأولى فكانت هذه السنة فلماذا أوردتها متتابعة في هذه السنة .

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب) في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم أن تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد إلى دمشق ، فلما رحل عنها تاج الدولة استبدي أهلها شرف الدولة ليدلوها إليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتى العباسى فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضبعة له فأسره أحد التركان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وأرسله إلى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد إليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمه السلطان إلى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمائها وسأل أن يقرر عليه الضمان فأجاب

(١) وفيها مات عبدالله بن شمعون أبو أحمد الفقيه المالكي الفيرواني ببغداد ودفن بباب حرب .

السلطان إلى ما طلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس .
 (ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان) في أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد ذكرمان فلما سمع صاحبها سلطان شاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله إليها خرج إلى طريقه ولقبه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فأقره السلطان على البلاد وأحسن إليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين إلى أصحابان
 (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام . وفيها وصل السلطان ملكشاه إلى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا إلى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشراي وكوهرائين عداوة فسعي باليهودي لذلك فأمر السلطان بتفريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابيه ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعذر إليه وكان أمر اليهودي قد عظم إلى حد أن زوجته توفيت فمضى خلف جنازتها كل من في البصرة إلا القاضي وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس . وفيها زاد الفرات تسعة أذرع فخرت بعض دواليب هيت وخرت فوهة نهر عيسى وزاد نامرا نيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرقى طراستان وخاتقين الكسرويتين فقطعهما . وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الأنباري . وفيها توفي أبو منصور محمد بن عبدالعزيز العكبري ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبوبكر بن أبي القاسم الطبري اللالكاني وولد سنة تسع وأربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الأولى . وفيها توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن جيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لأمه القاضي أبي نصر محمد بن هرون بن الجندی . (١)

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه) في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه إلى الري وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا إلى أخيه تكش وهو ببوشنج فقوى بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمز وغيرها وسار إلى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل بأن نظام الملك قال للسلطان لما أمر بإسقاطهم إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندي فإذا أسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لم من الجارى إلى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا إلى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا إلى خراسان فوصل إلى نيسابور قبل أن يتولى تكش عليها فلما سمع تكش بقره منها سار عنها وتحصن بترمز وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد أمر جماعة من أصحاب السلطان

(١) وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنفل التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة

وخطب للمقتدى وللسلطان ملكشاه السلجوقي .

فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش إلى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ .
 (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباطوفيا
 توفي أبو علي بن شبلي الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد :

أهم بترك الذنب ثم يردني ه طموح شباب بالغرام موكل
 فن لي إذا أخرجت ذا اليوم توبة ه بأن المنايا لي إلى الشيب تمهل
 أعجز ضمنا عن أدا حق خالقي ه وأحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفي العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفي عبدالسلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح التصوفي
 من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس .
 ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم الفكري الزنجاني ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وسمع من
 أبي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبي إسحق الشيرازي وأدرك أبا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين
 المشتغلين بالعبادة (١)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة)

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه) في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير نخر الدولة أبانصر بن
 جوير إلى السلطان يخطب ابنه لنفسه فسار نخر الدولة إلى أصبهان إلى السلطان يخطب ابنه فأمر نظام الملك
 أن يمضي معه إلى خاتون زوجة السلطان في المعنى فضا إليها فخطبها فقالت إن ملك غزنة وملوك الخانية بما
 وراء النهر طلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم
 فعرفها أرسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة
 وأن هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فأجابت إلى ذلك وشيطت أن يكون الحمل

(١) وفيها توفي الصليحي المتغاب على اليمن ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصايحي ، كان أبوه قاضيا
 باليمن ، وكان سنيا ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعيا على مذعب القرامطة ، ثم
 كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله
 نجاح صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكاملها في أقصر مدة واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ؛
 وخطب للمستنصر العيدي صاحب مصر ؛ فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألقى فارس ؛ فاعترضه سعيد بن
 نجاح بالموسم ؛ في نفر يسير ؛ فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ؛ ومن
 شعر الصليحي هذا قوله :

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم ه فراءوسهم عرض النثار نثار
 وكذا العلا لا يستباح نكاحها ه إلا بجيكت تطلق الأعمار

وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي ، أبو علي الشاعر البغدادي ؛ أسند الحديث ؛
 وله الشعر الرائق فنه قوله :

لا تظهرن لعاذل أو عاذر ه حالك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين مرارة ه في القلب مثل شمانة الأعداء

المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته إلا عندها فأجيب إلى ذلك فأعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة إلى بغداد .

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور) في هذه السنة في شوال توفي نور الدولة أبو الأغر ديبس بن علي بن مزيد الأسدي بمطير اباد وكان عمره ثمانين سنة وإمارته سبع وخمسين سنة وما زال مدحا في كل زمان مذكورا بالتفضل والإحسان ورثاه الشعراء فأكثرُوا وولى بعده ما كان إليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فأحسن السيرة واعتمد الجميل وسار إلى السلطان ملكشاه في ذي القعدة واستقر له الأمر وعاد في صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه .

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس) في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عما كره في بسايتها المعروفة بالغابة فأفسدوها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة سار تمش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامي فافتتح أنطربوس وبعضا من الحصون وعاد إلى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر الفائي بمشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب زلي أن سده ظفر وفيها أرسل السلطان إلى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذي وزر للخليفة بعد بني جهير فأرسله الخليفة إلى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه إلى نظام الملك كتابا بخطه يأمره بالرضا عن أبي شجاع فرضى عنه وأعادته إلى بغداد . وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنيابة عليه في البلد ففعل ذلك عدة أيام جلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد . وفيها توفي عبدالله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا يبصر ضوءا . وفيها في ذي الحجة توفي أبو محمد بن أبي عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين . وتوفي علي بن أحمد بن علي أبو القاسم البصري البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة ستم الخالص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفي أبو إسحق إبراهيم بن عقيل بن حبش الفرشي النهوي (١)

(١) وفيها مات القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ، فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالغاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي ؛ وأقام ببغداد ثلاث سنين ، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضيا ؛ فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي وسمع منه الخطيب أيضا ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين

إذا كنت أعلم علما يقينا هـ بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون كضيف بها هـ وأجعلها في صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ؛ وتولى القضاء هناك . ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضا ؛ قاله ابن خلكان . قال وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ ؛ وإحكام الفصول في أحكام الأصول . والجرح والتعديل وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة . وتوفي ليلة الخميس بين العشاءين التاسع والعشرين من رجب .

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة)

(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك) في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاة إلى بغداد في شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معز بن وأرسل الخليفة إليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته أن مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجمفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها فسار من وقته يطوى المراحل إلى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك فأغظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن جمفرك فلما وصل إلى حضرة السلطان رأى جمفرك يسارره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جمفرك وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وأبيه إلى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود إلى أصبهان وتتمتعهم نظام الملك فأحضر السلطان عميد خراسان وقال له أيما أحب لك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال لئن لم تعمل في قتله لاقتلك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الأولى أن تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فإن السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولأن تقاتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم أن ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فأعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فأعلمه بموت ابنه وعزاه وقال أنا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب .

(ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة) ورد إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال إليه وسيره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم إنه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وقتن واقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري .

(ذكر مسير الشيخ أبي اسحق إلى السلطان في رسالة) في هذه السنة في ذي الحجة أوصل الخليفة المقتدى بأمر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازي إلى حضرته وحمله رسالة إلى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح ابن أبي الليث عميد العراق وأمره أن ينهى ما يجري على البلاد من النظر فسار فكان كلما وصل إلى مدينة من بلاد المعجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بقاته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الإمام أبو بكر الشاشي وغيره، ولما وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فتهاووا ما كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل وراقبه أصحاب الصناعات ومعهم ما يثرونه على محفته فخرج الخبازون يثرون الخبز وهو ينهائم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب النماكة والحلواء وغيرهم وخرج

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها

إليه الأسا كفة وقد عملوا مدايات لطافا تصلح لأرجل الأطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فأكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بمحضرة نظام الملك . وأجيب إلى جميع ما التمسه ولما عاد أمين العميد وكسر عما كان يعتمد به ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بجواشي الخليفة ولما وصل الشيخ إلى بسطام خرج إليه السهليكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو إسحق بوصوليه خرج إليه ماشيا فلما رآه السهليكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي إسحق فقبل أبو إسحق رجله وأقده موضعه وجلس أبو إسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيئا من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو إسحق .

(ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها) في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم أنطاكية وماجاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب دن عتيل والاكراذ وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطالب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار إليها فلما سمع تتش الخبر عاد إلى دمشق فوصلها أوّل المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقائله أنغلها وفي بعض الأيام خرج إليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فأنكشفوا وتضعضوا وانهمزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الأسر وتراجع إليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا أن مصر لم يصل إليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر أن أهل حران نصروا عايبه فرحل عن دمشق إلى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا إلى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم أنه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شيء كثير وانقطع خلق كثير .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير إلى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وأرسل الطبول إلى تكريت . وفيها توفي أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحق بن منده الأصهباني في جمادى الآخرة بأصبهان وكان حافظا فاضلا والامير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله ابن علي بن جعفر بن ماكولا . صنف كتاب الإكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله بمالكة الأتراك بكرمان وأخذوا ماله . (١)

(١) ترجمة ابن ماكولا هو الامير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن داب بن أبي داف التميمي ، الامير سعد الملك ، أبو نصر بن ماكولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الامراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك . قتله بمالكة في كرمان في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلدكان : وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين ، وقيل =

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمئة)

(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فنخر الدولة إلى ديار بكر) في هذه السنة في صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك إلى الخليفة يطلبان أن يرسل إليهما بنى جهير فأذن لهما في ذلك وشاروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الإكرام والاحترام وعتد السلطان لفنخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات وسير معه المساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بنى مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار إليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب في الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها .

(ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها) في هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبه وأرادوا هم وابن عطيير النخعي تسليم البلد إلى جنق أمير الزنجان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تنش بها فبلغه الخبر فعاد إلى حران وصالح ابن دلاعب صاحب حصص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير إلى حران فحصرها ورمها بالمنجنيق فخرّب من سورها بدنة وفتح البلد في جمادى الأولى وأخذ القاضي ومعه ابنين له فصلبهم على السور .

(ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة) في هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة في شعبان ولقبه بظهير الدين ومدحه الشعراء فأكثروا فمن مدحه وهناه أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردى بالقصيدة المشهورة التي أولها :

ها إنهما مقل الطباء العين ه فتكت بسر فؤادى المكثون

ومنها : فأنهل أسراب الدموع كأنها ه منح يتابها ظهير الدين

(ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا) في هذه السنة في شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبي الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قريبا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال أبو المحاسن للسلطان سلم إلى نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم إليك منهم ألف ألف دينار فإنهم يأكلون الأموال ويقتطعون الأعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مما ليكه وهم ألوف من الأتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حياهم فلما حضر السلطان قال له إننى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمة

= في سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبدالله بن الحسين ولى قضاء بغداد : قال ولم أدر لم سمي الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف ، وأصله من جرباذقان ، وولد في عكبرا في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمئة . قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤلف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبدالغنى بن سعيد في المؤلف والمختلف ؛ فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الإكمال ، وهو في غاية الإفادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله . ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخرى . ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وتحريه وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهان بها ه وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل إذا كان في الأوطان منقصة ه فالمدل الرطب في أوطاه حطب

وقد بلغك أخذى لشرا أموالك وصدق هذا أنا آخذة وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضا إلى الصدقات والصلوات والوقوف التي أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأمرني بجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقمة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن وأبني تسمل عيناه وأنتزده إلى قلعة ساورة وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتي ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك .

(ذكر استيلاء مالك بن علوي على القيروان وأخذها منه) في هذه السنة جمع مالك بن علوي الصخرى العرب فأكثر وسار إلى المهدي فحصرها فقام الأمير تميم بن المديني قياما تاما ورحله عنها ولم يظفر منها بشيء فسار مالك منها إلى القيروان فحصرها وملكها فجرد إليه تميم العساكر العظيمة فحسروه بها فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت إلى مملكته كما كانت .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ السكر الخنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها في جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو اسحق الشيرازي وكان مواده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأكثر الشعراء مرآته فهم أبو الحسن الخباز والبندنجي وغيرهما ، وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه في جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلت أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب في التدريس أباسعد عبدالرحمن بن المأمون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره وقال كان يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبي اسحق سنة وصلى عليه بياب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بأمر الله وتقدم في الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب في الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بياب أبرز .^(١)

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين نخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة) قد تقدم ذكر مسير نخر الدولة ابن جهير في العساكر السلطانية إلى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان إليه أيضا جيشا فيهم الأمير أرتق بن أكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة وسأله نصرته على أن يسلم إليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى أن صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب نخر الدولة وسارا إلى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما

(١) وفيها توفي محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة أحد الرؤساء ببغداد . وهو من ذوى الثروة والمروءة . كان يحرز ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرافسكن ببغداد . وكانت له بهادار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا وفيها حمام وبستان . ولها بابان على كل باب مسجد . إذا أذن المؤذن في إحداها لا يسمع الآخر من اتساعها . وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة نزلت عنده في جواره ؛ فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار . ليحتمى له داره . وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد . وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس . وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته في عاشر ذي القعدة من هذه السنة . ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني .

مال إلى الصالح وقال لا أوتر أن يحل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركان ما عزم عليه فركبوا ليلا وأتوا إلى العرب وأحاطوا بهم في ربيع الأول والتعم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الواقعة الوزير فخر الدولة ولا ارتق وغنم التركان حلال العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل إلى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة أنه محصور خاف على نفسه فراسل الأمير ارتق وبذل له مالا وسأله أن يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة أذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأول وقصد الرقة وأرسل إلى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير إلى ميانارقين ومعه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا إلى العراق وسار فخر الدولة إلى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلال العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة ابن منصور بن مزيد الأموال وأفتك أسرى بني عتيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم إلى بلادهم ففعل أمرا عظيما وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشغراء في ذلك فأكثروا فنهزم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة :

كأحرزت شكر بني عتيل • بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الأتراك طرا • بشهب في حوافلها ازورار
فما جبنرا • ولكن فاض بحر • عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا • وفيهم الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم • وفي أثناء حبلهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم • أسير حين أعلفه الأسار

في أبيات كثيرة وذكر أيضا البندنجي أيبانا فأحسن ولولا خوف التطويل لذكرت أبياته .

(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل) لما بلغ السلطان أن شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في أسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف إلى الموصل وكاتب أمراء التركان بطاعته وسير معه من الأمراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا أصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الأمير ارتق قد قصد السلطان فعاد صحبة عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل إلى الموصل فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه إليه وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليلدكها فأماه الخبر بخروج أخيه تكش على ما ذكره ورأى شرف الدولة قد خلاص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة وهو بمقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائقة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا لايجارى فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما بداخله من العجب وأرسل الخليفة النقيب طراد الزينبي في لقي شرف الدولة فلقبه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد إلى خراسان لحرب أخيه .

(ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه) قد تقدم ذكره وذكر صالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يوثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سرخس وهي لمسهود ابن الأمير ياخر وقد حصنها جهده فحصره بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح مطلقا إلى مسعود بن ياخر وكان خط أبي الفتوح أشبه شي بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد بحوك فاحفظ القلعة ونحن فكس العدو في ليلة كذا واستدعيا فيجا يشقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالوا سر نحو مسعود فإذا وصلت إلى المكار الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملتف في بعض حيطاه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقتل إنك فارت السلطان بالري ولك منا الجباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الأمر على ما وصفا وأحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملتف وسلمه إليهم وأخبرهم أنه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملتف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقذور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا إلى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر وورد السلطان إلى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لمهب تكش إلى باب الري ولما وصل السلطان قصد تكش وأخذه وكان قد حلف له بالإيمان أنه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فأفناه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد ففعل ذلك فأمر أحمد بكحله فكحل وسجن .

(ذكر فتح سليمان بن قتلش أنطاكية) في هذه السنة سار سليمان بن قتلش صاحب قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم إلى الشام فملك مدينة أنطاكية من أرض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة أن صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها إلى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسينا إلى أهلها وإلى جنده أيضا حتى إنه حبس ابنه فانفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قتلش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل إليها للوعد فنصب السلايم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة وأخذ البلد في شعبان فقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى وقتل كثير من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومخالطهم ولما ملك سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح إليه لأنه من أدله ومن يتولى طاعته فأظهر ملكشاه البشارة به وهناك الناس، فمن قال فيه الأبيوردي من قصيدة مطلعها:

لمعت كناصرية الحصان الأشقره نار بمعتاج الكشيب الأعفر
وفتحت أنطاكية الروم التي نشرت معاقلها على الإسكندر
وطئت منا كها جياك فانتنته تلقى أجنها بنات الأصفر

وهي طوبلة .

(ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم) قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلش مدينة أنطاكية فلما ملكها أرسل إليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله إليه الفردوس من المال ويخونه مهصية السلطان فأجابه أمانة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادى وقد كاتبته بماتح الله على يدى بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذى كان يحمله صاحب أنطاكية قبل فتر كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية فتهب سليمان أيضا بلد حلب فلحقه أهل السواد يشكون إليه نهب عسكره فقال أنا كنت أشد كرامة لما جرى ولكن صاحبكم أحوجنى إلى ما فعلت ولم تجر عادتى بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعاده ثم إن شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان بمن معه جنق أمير التركمان فى أصحابه وسار إلى أنطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار إليه فالتقيا فى الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى طرف من أعمال أنطاكية واقتلوا قتال تركمان جنق إلى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة مهزما فقتل بمد أن صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قبله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التى على نهر هيسى إلى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان فى يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لأبيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والأمن فى بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا وكان له فى كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قاصد بنو عقيل أخاه إبراهيم بن قريش وهو محبوس فأخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث إنه لم يمكنه المشى والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلش إلى حلب فحصرها مستهل ربيع الأول سنة ثمان وسبعين فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب من المشرق إلى المغرب كان حجمه كالقمر وضوؤه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة فى نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجر من أرض الجزيرة بمقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه أحمد وإنما قيل له سنجر باسم المدينة التى ولد فيها وأمه أم ولد وفى هذه السنة فى جمادى الأولى توفى الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربع مائة والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على البغدادي المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعى وكان إليه القضاء بباب الأزج وحج لما انقطع الحج على سبيل التجريد واسماعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الإسماعيلي الجرجاني ومولده سنة أربع وأربعمائة وكان إماما فقيها شافعيًا محدثا أدبيا وداره مجمع العلماء . (١)

(١) وفيها توفى أحمد بن محمد بن دويست أبو سعد النيسابوري شيخ الصوفية . له رباط بمدينة نيسابور يدخل من

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة) في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس وأخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك أن الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس كان قد قرى شأبه وعظم ملكه وكثرت عساكره منذ تفرقت بلاد الأندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فيئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثير من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله ابن المأمون بن يحيى بن ذى النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق إلى ملكه فلما كان الآن جمع الأذفونش عساكره وسار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فزاد قوة إلى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبدالله محمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وإشبيلية وكان يؤدي إلى الأذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل إليه يتهدده ويتوعده أنه يسير إلى مدينة قرطبة ويتملكها إلا أن يسلم إليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فأنزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قراد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر وكان متوجها إلى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد إلى إشبيلية .

(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد) في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك أن فخر الدولة ابن جهير كان قد أنفذ إليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانها فعم أهلها الجوع وتعذرت الأقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترئين به فاتفق أن بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بأبي الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعيل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فأنامهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم .

(ذكر ملكه أيضا ميافارقين) في هذه السنة أيضا في سادس جمادى الآخرة ملك نخر الدولة ميافارقين وكان مقبلا على حصارها فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلخوا البلد إلى نخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بني مروان وأنفذه إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فأنحدر وهو وكوهرائين إلى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان فوصلها في شوال وأوصل مامعه إلى السلطان .

= نابه الجبل برا كبه . وحج مرات على التجريد على البحرين حين انقطعت طريق مكة . وكان يأخذ جماعة من الفقهاء ويتوصل من قبائل العرب حتى تأتي مكة . توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله وإيأنا : وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس في مشيخة الرباط

(ذكر ملك جزيرة ابن عمر) في هذه السنة أرسل نخر الدولة جيشا إلى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان أيضا فحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البوبية لا يسلكه إلا الرجالة لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد ندرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بني مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان إلى يومنا هذا كلما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا وإنما بتلك الحركة يؤخذون إلى الآن .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الأول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر إلى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تنش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائداً إلى مصر . وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الأجر وماقاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهائم عن سفك الدماء تخرجوا من الإثم فلم يتمكنهم تلافى الخطب فعظم، وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرضان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير . وفيها في ربيع الأول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فألقت النخيل والأشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل . وفيها في ربيع الآخر توفي إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن هبة الله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الإمام المشهور في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم ، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره . وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمداني القاضي ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه . وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السبيبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وكان يذاكر الإمام المقتدى بأمر الله وولى ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغانى . وفيها في جمادى الأولى توفي أبو العز بن صدقه وزير شرف الدولة ببغداد ، وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها إلى بغداد فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن إخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغانى ومولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلا بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدورى وولى قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب الطبري . وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولى مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضي حسين المروزي وتم كتاب الإبانة (١)

(١) وفيها كثرت الأمراض بالحى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ثم مات الوحوش في البرارى ثم تلاها موت البهائم حتى عزت الالبان واللحمان يومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنية فقتل خلق كثير فيها .

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة)

(ذكر قتل سليمان بن قتلش) لما قتل سليمان بن قتلش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل إلى ابن الحتيتي العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها إليه فأنفذ إليه واستدعاه إلى أن يكتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي إلى تتش صاحب دمشق بعده أن يسلم إليه حلب فسار تتش طالبا للحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل إلى تتش وقت السحر على غير تعب فلم يعلم به حتى قرب منه فعبأ أصحابه وكان الأمير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا إلا وكان الظفر به وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد وإطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف أن ينهى ابن جهير ذلك إلى السلطان فقارقه خذته ولحق بتاج الدولة تتش فأقطع البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فأبلى فيها بلاء حسنا وحرص العرب على القتال فانهمز أصحاب سليمان وثبت وهو في القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكيناً معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلش في السنة الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفة في إزار وطلب من أهلها أن يسلبوها إليه . وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في إزار ليسلمها إليه فأجاب ابن الحتيتي أنه يكتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها إلى إنسان يعرف بابن الرعوى ثم إن ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تتش يستدعيه وواعده ليلة برفع الرجال إلى السور في الحبال فأتى تتش البيمار الذي ذكره فأصعد الرجال في الحبال والسلايم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالأمير أرتق فشفع فيه وأما الملعنة فكان بها سالم بن مالك ابن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوماً فبلغه الخبر بوصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها .

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها) كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم إليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار إليه من أصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الأمير برسق وبوزان وغيرهما من الأمراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل إلى حران سلها إليه ابن الشاطر فأقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار إلى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار إلى قلعة جبر فحصرها يوماً وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من أصحابها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الأذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجئون إليها ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الأمير أرتق فأشار بكبس عسكر السلطان وقال إنهم قد وصلوا وبهم وبدواهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فإنه يعود بالوهن على أولي وسار إلى دمشق ولما وصل السلطان إلى حلب تسلم المدينة وسلم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوضه عنها قلعة جبر وكان سالم قد امتنع بها أولاً فأمر السلطان

أن يرمى إليه رشقا واحدا بالسهم فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلها وسلم السلطان إليه قلعة جعبر فبقيت بيده ويده أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما ذكره إن شاء الله تعالى وأرسل إليه الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم إليه لاذقية وكفر طاب وقاميه فأجابه إلى المسألة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلها إلى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها وأما ابن الحنيتي فإنه كان واثقا بإحسان السلطان ونظام الملك إليه فإنه استدعاهما ولما ملك السلطان البلد طلب أهله أن يعفيهم من ابن الحنيتي فأجابهم إلى ذلك واستصحبه معه وأرسله إلى ديار بكر فافتقر. وتوفى بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بأنطاكية، قتله الفرنج لما ملكوها.

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة) في هذه السنة في ربيع الأول توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما بما يجاورهما، ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ علي بن برهان فبرع بذكائه في الذي استفاد منه وله شعر حسن فنه:

فإن أنا لم أحمل عظيما ولم أقدر هـ لهما ما لم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزة هـ غداة أنادي للفخار وانتمى
وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه:

فإن كان أودي خدنا ونديما هـ أبو مالك فالنائب تنوب
فكل ابن أنثى لاحالة ميت هـ وفي كل حي البنون نصيب
ولورد حزن أو بكاء لهالك هـ بكيناها ما همت صبا وجنوب

ولما توفى أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم بعزبه وسار سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه تخلع عليه وولاه ما كان لآبيه وأكثر الشعراء مرآي بهاء الدولة.

(ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج) قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الأذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد إلى إشبيلية فلما عاد إليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل وإن استمرت الأحوال على ما ترى وعادت نصرانية كما كانت وساروا إلى القاضي عبدالله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قارما هو قالوا نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال نخاف إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركون الفرنج ويبدون بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا قالوا له فكتب أمير المسلمين وأرغب إليه ليعبر إلينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسول الله في ذلك فامتنع وإنما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة فألح عليه المعتمد فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعنه ما فيه

المسلمون من الخوف من الأذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة في الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضها فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطووعة من سائر بلاد الأندلس ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغالظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب في الكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبها مقلقا فكتب فأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستره فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى في منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه قصص رؤياه على القيسيين فلم يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه عن تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى (لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) السورة وقوله تعالى (إدا نقر في الناقور فذلك يومئذ عسير على الكافرين غير يسير) ويقتضى هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثيرته فأعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث مهلكات) الحديث وفيه (وإعجاب المرء بنفسه) وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لأمر المسلمين إن ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد في سفح جبل يترامون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الأذفونش أن عساكر المسلمين ليس إلا الذي يراه وكان الفرنج في خمسين ألفا فتيقنوا الغلب وأرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الأحد فيكون اللقاء يوم الإثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الأمر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظننا منه أن ذلك الخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فأشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب فقال احمولوني إلى خيام الفرنج فسار إليها فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج فقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الأذفونش في نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوما كثيرة فكاوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها وكانت الواقعة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلثمائة فارس وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد إلى إشبيلية ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء وعبر إلى سبتة وسار إلى مراكش فأقام بها إلى العام المقبل وعاد إلى الأندلس وحضر

معه المعتمد بن عباد في عسكره وعبدالله بن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة في عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصاراً شديداً فلم يقدرُوا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام الماضي فعاد ابن عباد إلى إشبيلية وعاد أمير المسلمين إلى غرناطة وهي طريقه ومعه عبدالله بن بلكين فقدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى في قصوره من الأموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالأندلس ومن جملة ما وجدته صبغة فيها أربعمئة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ما له قيمة جليظة إلى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبدالله وأخاه تيمما ابني بلكين إلى مراکش فكانت غرناطة أول مملكته من بلاد الأندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس وعود من عاد منهم إلى المعز يافريقية وكان آخر من بقي منهم بالأندلس هذا عبدالله وأخذت مدينته ورحل إلى العدو ولما رجع أمير المسلمين إلى مراکش أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الأندلس أنه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فأرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله ببغداد فأناه الخلع والأعلام والتقليد ولقب بأمر المسلمين وناصر الدين.

(ذكر دخول السلطان إلى بغداد) في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهي أول قدمه قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد إلى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطي يهني نظام الملك بقصيدة منها :

زرت المشاهد زورة مشهودة ه أرضت مضاجع من بها مدفون
فكأنك الغيث استل بتربها ه وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت ه ولك الإله على النجاح ضمين

وهي مشهورة وطلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلا فضى في الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك إلى الصيد في البرية فزارا المشهدين مشهد أمير المؤمنين عليّ ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئا كثيراً من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان إلى بغداد ودخل إلى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائماً يقدم أميراً أميراً إلى الخليفة وكلما قدم أميراً يقول هذا العبد فلان بن فلان وأقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا إلى أن أتى على آخر الأمر وفوض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان أن يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضع على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة أيضاً على نظام الملك ودخل نظام الملك إلى المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتباً وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزءاً آخر وأقام السلطان ببغداد إلى صفر سنة ثمانين وسار منها إلى أصبهان (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة قتلة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الفريق الهاشمي الخطيب أصابه سهم فأت منه

ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها فأعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوي إلى مقدم الأحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس . وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد . وفيها في ربيع الأول أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار فتسلها من بني عقيل وخرجت من أيديهم . وفيها في ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها . وفيها في جمادى الأولى ورد الشريف أبو القاسم علي بن أبي يعلى الحسيني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أي سعد المتولي . وفيها أمر السلطان أن يزداد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها أقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة وأهمالها وحران وسروج والرقعة والخابور وزوجه بأخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فإن محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان إلى الشا نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان إلى محمد . وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت إحداهما اسطواناتين وأحرقت قطننا في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء فلما سكنت عادوا . وفيها عزل نخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان إلى العميد أبي علي البلخي وجعله عاملا عليها . وفيها أسقط اسم الخليفة المصري من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بأمر الله . وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينتي قابس وسفاقس في وقت واحد وفرق عليها العساكر . وفيها في ربيع الأول توفي أبو الحسن بن فضال المجاشعي النحوي المقرئ وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبني وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبني وقوف المدرسة النظامية وكان على الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ إليه ووجد تربة معروف الكرخي بعد أن احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا . وفيها توفي أبو علي محمد بن أحمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبي داود السجستاني عن أبي عمر الهاشمي . وفيها توفي الشريف أبو نصر الزينبي العباسي نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور على الإسناد . (١)

(١) وفيها حج بالناس الأمير خمارتكين الحسني ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقامت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري ، ووجد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدى . قال ابن الجوزي : وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل في أسرع مدة ، ويغوص دجلة في غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتسلق الحيطان الملس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفي فقير في جامع المنصور فوجد في مرقعته مائة دينار مغربية ، أي صحاحا كبيرا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سباطا للسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من السكر ، وجعل عليه =

(تم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة) في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلاندها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مزالك الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرازين والأمير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيداً ثم أرسل الخليفة الوزير أباشجاع إلى ترکان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحرم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لترکان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقد أذن في نقل الوديعه إلى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجميلها وبين أيديهن الشمع الموكيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب المعجية وسارت إلى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم تر ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى أن فيه أربعين ألف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان وإلى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك.

(ذكر عدة جوادث) في هذه السنة ولد للسلطان ابن من ترکان خاتون وسماه محمد وهو الذي خطب له بالملكة بعد. وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى ملوكه آفسنقر فوليهما وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهي التي تحضنه وتربيته وماتت بحلب سنة أربع وثمانين. وفيها استبق سابعان أحدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قاج مرعوشى فسبق ساعى السلطان. وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى أيام معز الدولة بن بويه. وفيها جعل السلطان ولي عهده ولده أباشجاع أحمد واقبه ملك الملوك ضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد

من أصناف الطيور والوحوش، ثم أردفه من السكر شيء كثير، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا، ثم أشار فأتته عن آخره، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة وألوان من تمائل الند والمسك والعنبر وغير ذلك، فدفعه سماطا خاصا فأكل السلطان حينئذ، وحمل إليه عشرين ألف دينار، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكاله، وانصرف والله أعلم. وفيها توفي الامير جعبر بن سابق الفشيرى الملقب بسابق الدين، كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة ففسدت إليه، وإنما كان يقال لها قبل ذلك الدوشرية، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر، ثم إن هذا الامير كبر وعسى، وكان له ولدان يقطعان الطريق، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى وهو ذاهب إلى حلب فأخذ القلعة وقتله.

بذلك نخطب له في شعبان ونثر الذهب على الخطباء . وفيها في شعبان انحدر سعد الدولة كوهرايين إلى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن أبي الجبر صاحب البطايح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن . وفيها في ذي القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرًا وكناه أبا الفضل وزين البلد لأجل ذلك . وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستاني عميد العراق على مدينة هيت أخذها صلحا وهضى إليها وعاد عنها في ذي القعدة . وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس . وفيها كسفت الشمس كسوفًا كليًا . وفيها توفي الأمير أبو منصور قتلخ أمير الحاج وحج أميراً اثنتي عشرة سنة وكانت له في العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل وولي إمارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها في جمادى الأولى توفي اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوي سمع الحديث الكثير من أبي سعيد الصيرفي وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنجي الهمذاني كان شاعراً أديباً ، وكان يمدح لأمراض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتاً إحداهما ليس فيها نقطة والأخرى جميع حروفها منقوطة . وفيها توفيت فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الأفرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطاً على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث وأسمعتة . وفيها في ذي القعدة توفي غرمس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابي صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة^(١)

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد) في هذه السنة في صفر شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر في أطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبابد واجتمع إليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الأزج

(١) وفيها شرع في بناء (الناجية) في باب إبريز وعملت بستان وغرست النخيل وانفوا كه هنالك وعمل سور بأمر السلطان وفيها توفي محمد بن أمير المؤمنين المقتدى عرض له جدري فمات فيها وله تسع سنين ، فحزن عليه والده والناس ، وجلسوا للعزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، حين توفي ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى (والذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم عزم على الناس فأنصرفوا . وفيها توفي محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الحسيني الملقب بالمرتضى ذي الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئاً من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك أربعة بن قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس لملك مثله ، فطلبه منه ملك ماوراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية ليتزده فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلنته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواسله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسي إلا في هذه المصادرة : فإني ربيت في النعم فكنت أقول : إن مثلي لا بد أن يتلى ، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

في خلق لا يحصى واتفق أن كوهرايين سار في سميرية وأصحابه يسرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الأزج على امرأة كانت تسقى الناس من مزلة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجراد ويقولون الماء للسيل فلما رأت سعد الدرلة كوهرايين استغاثت به فأمر بإبعادهم عنها فضربهم الأتراك بالمقارع فسل العامة سيرتهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرايين الحنق تلى أن خرج من السميرية إليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطمنه بأسفل رمح فألقاه في الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذي طمنه فلم يصلوا إليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع أصاب ثلاثة نفر وأرسل قباهه إلى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على أهل باب الأزج ثم إن أهل الكرخ عقدوا لأنفسهم طائفا آخر على باب طاق الحراني وفعلوا كفعلى أهل باب البصرة .

(ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة) في هذه السنة في ربيع الآخر أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة قما كسا فشم الطواف التركي فأخذ التركي صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شر واستغاثوا وشنعوا فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فأخرجوا عن آخرم في ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة .

(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها) في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من إفريقية وهي بتمرب المهديّة وسبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخر بها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على إنشاء الشرواني لغزو المهديّة ودخل معهم البيسانيون والجنوبيون وهما من الفرنج فأقاموا يسمرون الأسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمئة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الذي له ليمعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا إلى البر ونهبوا وخرّبوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقيق فكيف في الغرض الكبير حكى عنه أنه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالمعظم اثني عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال .

(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور) في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولى بعده ابنه المنصور فاقتنى آثار أبيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلمهم بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتمام بن المعز وغيرهما .

(ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود) في هذه السنة توفي الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا وكان عاقلا ذا رأى متين فن آرائه أن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان الساجوقى جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل بأسفرار فكتب إبراهيم بن مسعود كتابا إلى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويخبرهم بما فعلوا

من تحسین قصده ملكشاه بلاده لیتم لنا ما استقر بیننا من الظفر به وتخلیصهم من یدو یدو یعدم للاحسان علی ذلك وأمر القاصد بالكتب أن یتعرض للملكشاه فی الصيد ففعل ذلك فأخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فأنكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الکتب إليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه علیها تجبل من أمرائه وعاد ولم یقل لاحد من أمرائه فی هذا الأمر شیئا خوفا أن یستوحشوا منه وكان یكتب بخطه كل سنة مصحفا ویبعه مع الصدقات إلى مكة وكان یتقول لو كنت موضع أبی مسعود بعد وفاة جدی محمود لما انفصمت عری مملکتنا ولا کنی الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه وأستولی علیه ملوک قد اتسعت مملکتهم وعظمت عساكرهم ، ولما توفی ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدین وكان قد زوجه ابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك فی هذه الأملاك والزفاف مائة ألف دینار .

(ذكر عدة حوادث) فی هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزیر الخلیفة واستتاب ابنة ریب الدولة أبا منصور ونقیب النقباء طراد بن محمد الزینبی وفیها أسقط السلطان ما كان یؤخذ من الحجاج من الخفارة . وفیها جمع آق نقر صاحب حلب عسكره وسار إلى قلعة شیزر فحصرها وصاحبها ابن منفذ وضیق علیها ونهب ربضها ثم سار إلى حلب . وفیها توفی أبو بكر أحمد بن أبی حاتم عبد الصمد بن أبی الفضل الغورجی الهروی والقاضی محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الأزدی المهلبی راویا جامع الترمذی عن أبی محمد الجراحی رواه عنهما أبو الفتح الكروخی ، وتوفی عبد الله بن محمد بن علی بن محمد أبو إسماعیل الأنصاری الهروی شیخ الإسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شدید التعصب فی المذاهب ومحمد بن إسحق بن إبراهیم بن مخلد الباقرجی ومولده فی شعبان وهو من أهل الحدیث والروایة . وفی المحرم توفیت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع إلى دین ومعروف کثیر لم یبلغ أحد فی فعل الخیر ما بلغت . وفی شعبان توفی عبدالعزیز الصحرأوی الزاهد ، وفیها توفی الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولی عهد أبیه فی السلطنة وكان عمره إحدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للامزاة سبعة أيام فی دار الخلافة ولم یركب أحد فرسا وخرج النساء ینحن فی الأسواق واجتمع الخلق الكثیر فی الكرخ للفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن به .

(ثم دخلت سنة إثنین وثمانین وأربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد بین العامة) فی هذه السنة فی صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فأغلق أهل الكرخ الأسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجالین وهي بالدم ومضوا إلى دار العمید كال الملك أبی الفتح الدهستاني مستغیثین فأرسل إلى النقیب طراد بن محمد یطالب منه إحضار القاتلین فقصد طراد دار الأمير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووکل به فأرسل الخلیفة إلى بوزان یعرفه حال النقیب طراد ومحلته ومنزلته فخلی سبیله واعتذر إليه فسكن العمید كال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ، ثم سار إلى السلطان فعاد الناس إلى ما كانوا فیهم من الفتنة . ولم ینقض یرم إلا عن قتلی وجرحی .

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر) فی هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك أن سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذی كان قبله وهو ابن أخی ترکان

خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صديا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا إلى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلاذهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعي عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فأظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا إليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المتردد عليه فأخذ نظام الملك معهم إلى ماوراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل إلى كاشغر أذن له نظام الملك في العود إلى بلاده وقال أحب أن يذكر هنا في التواريخ أن ملك الروم حمل الجزية وأوصلها إلى باب كاشغر لينهي إلى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعاون على العيوق، ولما سار السلطان من إصهبان إلى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبّر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الإحصاء فلما تقطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الماطمات قد قدمها إلى البلد يعدم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعان أهل البلد بالإفامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند أبراج السور على الأمراء ومن يثق إليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار إلى رجل علوي كان محتصا به فنصح في القتال فاتفق أن ولدا لهذا العلوي أخذ أسيرا بخارا فهدد الأب بقتله فترأخى عن القتال فسهل الأمر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثل بالمنجنقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان واختفى في بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل إلى السلطان وفي رقبة حبل فأكرمه السلطان وأطلقه وأرسله إلى إصهبان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا إلى كاشغر فبلغ إلى بوزكند وهو بلد يجري على بابه نهر وأرسل منها رسلا إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعدده إن خالف بالمسير إليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الإنعام عليه وأعادته إلى بلده ورجع السلطان إلى خراسان فلما أبعده عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجلكية مع العميد أبي طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم وهضى إلى خوارزم.

(ذكر عصيان سمرقند) كان مقدم العسكر المعروف بالجلكية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكانت يعقوب تكين أخا ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب نباشي ويده قلعها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم إن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء إليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد إلى سمرقند.

(ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني) لما اتصلت الأخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجلكية عاد إلى سمرقند فلما وصل إلى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند وهضى إلى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان إلى سمرقند ملكها ورتب بها الأمير أبر وسار في أثر يعقوب حتى نزل ببوزكند وأرسل العساكر إلى سائر الأكتاف في طلبه وأرسل السلطان إلى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد في أمره ويرسله إليه فاتفق أن عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه إلى أن هرب على فرسه ودخل إلى أخيه بكاشغر

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فأرسل إلى ملك كاشغر يتوعده إن لم يرسله إليه أن يقصد بلاده ويصير هو العدو يخاف أن يمنع السلطان وأنف أن يسلم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فأداه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب وأظهر أنه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم بيعتوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده أنه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يسلم يعقوب ويتركه فإن رضى السلطان بذلك وإلا سلبه إليه فلما وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشغر أن يسلم همه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكشفه وألقاه على الأرض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحسوا الميل ليسملوه إذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا به ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب أخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني وإذا فعلتم بي شيئا ربما ندمتم عليه فقبل له إن طغرل بن ينال أسرى من ثمانين فرسخا في عشرات ألوف من العساكر وكبس أخاك بكاشغر فأخذه أسيرا ونهب عسكره وعاد إلى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به إلى الله تعالى وإنما تفعلونه اتباعا لأمر أخى وقد زال أمره ووعدهم الإحسان فأطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره إلى كاشغر وقبض صاحبها وملاكه لها مع قربه منه خاف أن ينحل بعض أمره وتزول هيئته وعلم أنه متى قصد طغرل سار من بين يديه فإن عاد عنه رجع إلى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر وإنه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على أن يسعى في إصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد إلى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر .

(ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها) وفي هذه السنة أرسل السلطان إلى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بد منه وسبب ذلك أنها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والإعراض عنها فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الأول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدى بأمر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محبتها سعد الدولة كوهرايين وخدم دار الخلافة الأكبر وخرج الوزير وشيخهم إلى النهروان وعاد وسارت الخاتون إلى أصبهان فأقامت بها إلى ذى القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للغزاة سبعة أيام وأكثر الشعراء مرآتها ببغداد وبمسكر السلطان .

(ذكر فتح مسكر مصر عكا وغيرها من الشام) في هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل وامتنع عليهم ثم توفى ووليا أولاده فحصرهم المسكر المصرى فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها إليهم ثم سار المسكر عنها إلى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا إلى مدينة عكا فحصرها وضيقوا على أهلها فانتحروها وقصدوا مدينة جبيل فلما كوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها إلى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعمال .

(ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية) وفي هذه السنة في جمادى الأولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوا وأحرقوها

فنزول شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرايين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا، وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات وفي بعض الأيام وصل أهل البصرة إلى سوقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوه حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقبا وغيرهم من أعيان الحنابلة كبن عقيل والكواذاني وغيرهما إلى الشحنة وساروا معه إلى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا إلى الطاعة فبينما هم كذلك أنام الصارخ من نهر الدجاج بأن أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصليان وهجموا على الوزير في حجرتة وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الأزج بسهم أصابه فثار العامة هناك بعلوى كان مقبلا بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن يزيد فأرسل عسكريا إلى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وأمن الناس.

(ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً) كان بالمغرب إنسان اسمه محمد بن إبراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به فركب إليه فلما قارب خافه على نفسه فعاد إلى جبله واجتأط لنفسه فكتب إليه يوسف وحلف له أنه ما أراد به إلا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد إليه فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار أخرى إن هو سار إلى محمد ابن إبراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل إنه غريب فقال أراه يكثر الصباح وقد ارتبت بذلك اتوني به فأحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وأمره أن يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فسات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه وبلغ في السعي في أذى يوصله إليه فاستمال قوما من أصحاب محمد فقالوا إليه فأرسل إليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل إلينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون وأردنا إتحاكيك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر بإحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه فامتنعوا واستغفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكوا فماتوا عن آخرهم فكتب إلى يوسف تاشفين إنك قد أردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب بأسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في النور الأسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف أن سره قد انكشف وأنه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله اعرض عنه وتركه.

(ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم) في هذه السنة نقض ابن علوى ما بينه وبين تميم بن المعز

ابن باديس أمير إفريقية من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل إلى مدينة سوسة من بلاد إفريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامّة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل في أصحابه والأسرى وعلم أنه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها إلى حلته من الصحراء وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين وصلحت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الأسعار وأكثر أهلها الزرع .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر في جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطريق بولايتهم وفيها ورد العميد الأغر أبو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني إلى بغداد عميداً وعزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه وفيها درس الإمام أبو بكر الشاشي في المدرسة التي بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب إبرز من بغداد وهي المدرسة الناجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها توفي الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلي خطيب دمشق في ذي الحجة . وفيها توفي أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابوري رئيسها ومولده سنة عشر وأربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم العاصمي البغدادي من أهل الكرخ كان ظريفاً كيساً له شعر حسن فنه :

ماذا على متلون الأخلاق هـ لو زارني فأبشـه أشواق
وأبوح بالشكوى إليه تذلاً هـ وأفض ختم الدمع من آماق
فعمساه يسمع بالوصول لمدنف هـ ذي لوعة وصباية مشتاق
أسر الفؤاد ولم يرق لموثق هـ ماضره لوجاد بالإطلاق
إن كان قد لبست عقارب صدغه هـ قلبي فإن رضابه درياقي

وقال أيضاً :

فديت من ذبت شوقاً من محبته هـ وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح هـ أفديه بمصطبحا منه ومغتبقا
وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت هـ وأصبح الجبل منها واهياً خلقا
والصحيح أنه توفي سنة ثلاث وثمانين . وفيها في جمادى الآخرة توفي الشريف أبو القاسم العلوي الدبوسي المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلاً فصيحاً^(١)

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة)

(ذكر وفاة نجر الدولة أبي نصر بن جهير) في هذه السنة في المحرم توفي نجر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جهير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج إلى أبي العقارب شيخها ونظر في أملاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش

(١) وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأصهباني المعروف بمسرفة أحد الحفاظ الجوالين الرحالين سمع الكثير وجمع الكتب وأقام بهراة ، وكان صالحاً كثير العبادة ، توفي بنيسابور في ذي الحجة .

وحبسه ومضى بهدايا إلى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم نجر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال نجر الدولة لملك الروم أنا أستحق التقدم عليه لأنه صاحبه يؤدي الخراج إلى صاحبي فلما عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه فاستجار بأبي الشداد وكانت عتيل تجير على أمرائها وسار إلى حلب فوزر لمعز الدولة أبي شمال بن صالح ثم مضى إلى ملطية ومنها إلى ابن مروان فقال له كيف أنتنى وقد فعلت برسولى ما فعلت عنده ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبي فالتوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار إلى بغداد وولى وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى أخذ ديار بكر من بنى مروان على ما ذكرناه أيضا ثم أخذها منه السلطان فسار إلى الموصل فتوفى بها .

(ذكر نهب العرب البصرة) وفى هذه السنة فى جمادى الأولى نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً وسبب ذلك أنه ورد إلى بغداد فى بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدعى الأدب والنجوم ويستجربى الناس فلقبه أهل بغداد تلياً وكان نازلاً فى بعض الخانات فسرق ثياباً من الديباج وغيره وأخذها فى خلفها وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فنعوه من السفر اتهاماً له وحملوه إلى المقدم عليهم فأطلقه لحرمة العلم فسار إلى أمير من أمراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الإحساء وقال له أنت تملك الأرض وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة منذ كورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند إلا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولأن الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج إليهم فى أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فأنابه من أخبره أن أهل البلد يريدون أن يسلموه إلى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً فكانوا ينهبون نهاراً وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلاً وأحرقوا دواضع عدة وفى جملة ما أحرقوا دارين للكتب إحداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها وهى أول دار وقفت فى الإسلام والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضاً النجاسين وغيرها من الأماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه إلى قنى الرصاص الجارية إلى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمي وغيره وكان قبل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر إلى بغداد انحدر سعد الدولة كوهراين وسيف الدولة صدقة بن مزيد إلى البصرة لإصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم إن تلياً أخذ بالبحرين وأرسل إلى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدره والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة قدم الإمام أبو عبد الله الطبرى ببغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى وهو أيضاً معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوماً والطبرى يوماً .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير ﴾ في هذه السنة في ربيع الأول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله أن إنسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقبه إنسان يبيع الحصر نصفه صفة أزال عماته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل إلى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي إلى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبي شجاع فلما سار أخرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا كل مهرب وأسلم بعضهم فمن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن علي صاحب الخبر أسلما على يدي الخليفة ونقل أيضا عنه إلى السلطان ونظام الملك أنه يكسر أغراضهم ويقبح أفعالهم حتى إنه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا بما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى إلا إلى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشكيا من الوزير إلى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من أغراضهما أرسل إلى الخليفة في عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد :

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره إلى الجوامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر أن لا يخرج من بيته ولما عزل استنوب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفة إلى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير إليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب إليه نظام الملك فهناه بالوزارة في داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة .

﴿ ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين ﴾ في هذه السنة في رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة وإشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الأندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبابة الداني من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد في مجاس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فخرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام والملك بتراخي الأيام فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء فغنى :

يا دار مية بالعلياء فالسند ه أقوت وطال عليها سالف الأبد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبره فانظر إلى أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره ، واشتد اربداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت :

بالهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي من إحدى المصيات

قال ابن اللبانة : تلافيت الحال بأن قتت فقلت :

محل مكرمة لاهد مبناه و شمل . مائرة لاشته الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفاه أن الرشيد مع المعتد ركناه
ثار على أنجم الجوزاء مقعده و وراحل في سبيل الله مشواه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب بمناه ويسراه
بأس تو قد فاحرت لواحظه و ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلمرى قد بسطت من نفسه ، وأعدت عليه بعض أنسه ، على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل بقولى (البيت
كالبيت) وأمر إثر ذلك بالغناء فغنى :

ولما قضينا من منى كل حاجة و ولم يبق إلا أن نزم الركائب

فأيقنا أن هذه الطير تعقب الغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الأندلس سار من مراكش إلى سبتة وأقام بها
وسير العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره إلى الأندلس فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية فملكوها وأعمالها
وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا إلى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها وكانت بلنسية
قد ملكها الفرنج قديما بعد أن حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا
وعمرها وسكنوها فصارت الآن للرايطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة إشبيلية
ومها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة
بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجى خلاصه
منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن إذا نفذت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر
الرايطين بلاد الأندلس فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمدوا فأكثرنا وساروا ليساعدوا المعتمد
ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبي بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق إشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج
فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد إلى إشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا إلى العشرين من
رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الأمر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب
جميع ما فيه ولم يبقوا على سبيل ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم
وسبي المخدرات واتهكت الحرمات فأخذ المعتمد أسيرا ومعه أولاده الذكور والإناث بعد أن استأصلوا
جميع ما لهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل إن المعتمد سلم البلد بأمان وكتب نسخة الأمان والعهد
واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق بأسبابه فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له وأخذوهم
أسراء وما لهم غنيمة وسير المعتمد وأهله إلى مدينة أغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها
أحد من قبله ولا يفعلها أحد من يأتي بعده إلا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم
بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند
ذكر وفاته فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه أغمات مدينة في سفح جبل بالقرب
من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة
زرت المعتمد بعد أسره بأغمات وقلت أبيات عند دخولي إليه منها :

لم أقل في الثفاف كان ثقافا • كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن • بعد مكث الكمام يدنو قطافا
وإذا ما الهلال غاب بغيمة • لم يكن ذلك المغيب انكسافا
• إنما أنت درة للمعالى • زكبت الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما • مثل ما تعجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولواتى • كنت أستطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بيني وبينه مخاطبات ألد من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبيرا فقال في ذلك :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر • سأبكي وأبكي ما تطاول من عمرى
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة • كما بيزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت • فادعى وفيما قد نكصت إلى الغدر
ولو عدت ما لا خرت ما العود فى الثرى • إذا أبصرت ماني فى الأسر
أبا خالد أورتنى البث خالداً • أبانصر مذ ودعت ودعنى نصرى

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالشر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبى بكر بن حمدىس وكتبه إليه يذكر مسيرهم عن إشبيلية إلى أغمات :

جرى لك جد بالكرام عثوره • وجار زمان كنت منه تجير
لقد أصبحت بيض الظبي فى غمودها • إنانا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلت بالندى فى أكفكم • وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد أتت • ألا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته أيضا :

تبكى السماء بدمع رانح غادى • على البهليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها • وكانت الأرض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على • أساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها • فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم إلى بلاد الغرب وفرقهم فيها (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) ولما فرغ سير من إشبيلية سار إلى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد بإشبيلية فلا تبالي بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات فى تلك الأيام غما وكدا فلما مات سار ولده الحاجب وأهله فى مراكب ومعهم كل ما لهم وقصدوا بلاد بنى حماد فأحسنوا إليهم وكان عمر بن الألفطس صاحب بطليوس بمن أعان سير على المعتمد فلما فتحت إشبيلية رجع ابن الألفطس إلى بلده فسار إليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسيراً هو وولده الفضل فقتلها فقال عمر حين أرادوا قتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى

صحيقي فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بنى هود فإنه لم يقصد بلادهم وهي شرق الأندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد أعد كل ما يحتاج إليه في الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطه وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى أمير المسلمين قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى إنه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال انركهم بينك وبين العدو فإنهم شجعان .

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية) في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية أعادها الله تعالى إلى الإسلام والمسلمين وسبب ذلك أن صقلية كان الأمير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتح يوسف بن عبدالله بن محمد بن أبي الحسين ولاء عليها العزيز العلوي صاحب مصر وإفريقية فأصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الأيسر وضعف الجانب الأيمن فاستناب ابنه جعفر فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة في أهلها إلى سنة خمس وأربعمائة فخالف عليه أخوه على وأعانته جمع من البربر والعبيد فأخرج إليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتلوا سبعين وقاتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقي منهم وأخذ على أسيرا فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وأمر جعفر حينئذ أن ينفي كل بربرى بالجزيرة فنفوا إلى إفريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة في الأمراء فلم يمض إلا يسير حتى نار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله وسبب ذلك أنه ولي عليهم إنسانا صادرهم وأخذ الأعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر إخوته واستطال عليهم فلم يشعروا إلا وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصره في قصره في المحرم سنة عشر وأربعمائة وأشرفوا على أخذه فخرج إليهم أبوه يوسف في محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبنكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره في مركب إلى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الأموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له إلا دابة واحدة ولما ولي الأكل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه في بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التي للمسلمين وكان للأكل ابن اسمه جعفر كان يستنبيه إذا سافر فخالف سيرة أبيه ثم إن الأكل جمع أهل صقلية وقال أحب أن أشليكم على الإفريقيين الذين قد شاركوكم في بلادكم والرأى إخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا فصرفهم ثم أرسل إلى الإفريقيين فقال لهم مثل ذلك فأجابوه إلى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحكى أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية فسار من أهل صقلية جماعة إلى المعز بن باديس وشكوا إليه ما حل بهم وقالوا نحب أن نكون في طاعتك وإلا سلنا البلاد إلى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة فسير معهم ولده عبدالله في عسكر فدخل المدينة وحصر الأكل في الخلاصة ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصر الأكل فقتله الذين أحضروا عبدالله بن المعز ثم إن الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة أمركم فيه إلى خير فمزموا

على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا إليهم فاقتتلوا فانهمز عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا في المراكب إلى إفريقية وولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام أخا الأكل فاضطربت أحوالهم واستولى الأراذل وانفرد كل إنسان ببلد وأخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبدالله بن منكوت بمازروطرا بنش وغيرهما وانفرد القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصر يانة وجر جنت وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج بأخت ابن الحواس ، ثم إنه جرى بينها وبين زوجها كلام أغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فأمر ابن الثمنة بفصدها في عضديها وتركها لتتوت فسمع ولده إبراهيم لحضر وأحضر الأطباء وعالجها إلى أن عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر إليها بالسكر فأظهرت قبول عذره ثم إنها طلبت منه بعد مدة أن تزور أخاها فأذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لأخيها ما فعل بها خلف أنه لا يعيدها إليه فأرسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها إليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وصار يحصر ابن الحواس بقصر يانة فخرج إليه فقاتله فانهمز ابن الثمنة وتبعه إلى قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر فلما رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت سوأت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريد الله تعالى فسار إلى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج ردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة واستوطنها الفرنج إلى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل إليهم ابن الثمنة وقال أنا أملككم الجزيرة فقالوا إن فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال إنهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمرى فساروا معه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد بهم إلى قصر يانة فحصرها فخرج إليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع إلى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة ، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين ، وسار جماعة من أهل صقلية إلى المعز ابن باديس وذكر والده ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر أسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا إلى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج إلا القليل وكان ذهاب هذا الأسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتوادة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولى ابنه تميم فبعث أيضا أسطولا وعسكر إلى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليهما فوصلوا إلى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل على جرجنت ثم انتقل أيوب إلى جرجنت فأمر على بن الحواس أن ينزل في قصره وأرسل هدية كثيرة ، فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فمكتب إليهم لينخرجوه فلم يفعلوا فسار إليه في عسكره وقاتله فشد أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت إلى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والأسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصر يانة وجر جنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاقت الأمر على أهلها حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فأما أهل جرجنت فسلبوها إلى الفرنج وبقيت قصر يانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الأمر عليهم أذعنوا إلى

التسليم فقتلها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لأحد من أهلها حماما ولا دكايا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والأربعمائة وملك بعد ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الخناب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وغالف عادة الفرنج فإنهم لا يعرفون شيئا منه وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه وعمر أسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهديّة وصقلية مثل مالطه وقوصرة وجرية وقرقنه وتطاول إلى سواحل إفريقيا فكان منه ما نذكره إن شاء الله

(ذكر وصول السلطان إلى بغداد) في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان إلى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل إليه أخوه تاج الدولة تنش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الأطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس أنهم لم يروا ببغداد مثله أبداً وأكثر الشراء وحف تلك الليلة فمن قال المطرز:

وكل نار على العشاق مضرة • من نار قلبي أو من ليلة السدق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت • بسدقة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا • على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بسطام من جواهرها • ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح إلا أنها نزلت • من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعها • ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكك روض الجنان له • لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت • تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الأعطاف كالغصن السمياد لكنه عار من الورق
إني لأعجب منها وهي وادعاه • تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدى في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والأمراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها إذا قدموا ببغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئا فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من التركان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الأعيان والأمراء من عسكر السلطان فعوفى وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة . وفيها في ناسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من صورها تسعون برجاً فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها . وفيها في شوال توفي أبوطاهر عبد الرحمن بن محمد بن علي الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كاهم في جنازته لإلزام الملك فإنه اعتذر بعلو

وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل إلى الاختزال وكان موته في رجب . وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن الحسين بن طاروس المقرئ بمدينة صور . (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج ببيان ﴾ في هذه السنة جمع أذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الأندلس فلقية المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم إن الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم يتج إلا الأذفونش في نفر يسير وكانت هذه الواقعة من أشهر الوقائع بعد الزلافة وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم .

﴿ ذكر استيلاء تنش على حمص وغيرها من ساحل الشام ﴾ لما كان السلطان بيغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تنش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها لما أذن لهم السلطان في العود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه إلى مصر ليملكها فساروا أجمعون إلى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار إلى قلعة عرفة فملكها عنوة وسار إلى قلعة أفامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالأمان فأمنه ثم سار إلى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك ابن عمار جيشا لا يدفع إلا بحيلة فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان من قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرین كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لبنا فأتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه

(١) في المحرم مها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدي الخلق إلى الحق ، فان أطمعتم أمنتم من العذاب وإن عدلتم خسف بكم ، فأمنوا بالله وبالإمام المهدي . وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار ، وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها . وفي ذى الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة ، وأشعلت نيران عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة ، وجمعت المطربات في السمريات ، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا ، وقد نظم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جرى بالحبيث المنجم الذي حرق البصرة وادعى أنه المهدي ، محمولا على جمل بيغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طرطورة بودع ، والدرة تأخذه من كل جانب ، فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك . وفيها توفي محمد بن أحمد بن علي أبو نصر المروزي ، كان إماما في القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر في ذلك كثيرا ، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموح يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة أمثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهرا ، وتوفي في هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة . وفيها توفي أرتق ابن الب التركاني جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك ماردین ، كان شهما شجاعا على الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة . قد جهه من خلجان وأرخ وفاته هذه السنة .

المنشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم إلى التواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربتة فقال آقسنقر لتاج الدولة تاش لا أقاتل من هذه المنشير بيده فأغظ له تاج الدولة وقال هل أنت إلاتابع لي فقال آقسنقر أنا أتابعك إلا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة إلى للرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا إلى بلاده فانتقض هذا الأمر .

(ذكر ملك السلطان الين) وكان من حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركان وهو صاحب قريسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه إلى الحجاز والين ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا الين فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة إلا ارتكبوها وملكوا همدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفي في سابع يوم من وصوله إليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه إلى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه .

(ذكر مقتل نظام الملك) في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في أصبهان وقد عاد إلى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إنفاذ وخرج في محنته إلى خيمة حرمة أنه صبي ديلبي من الباطنية في صورة مستمعيح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقتل عليه وهرب فمثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه وركب السلطان إلى خيمه فسكنه أسكره وأصحابه وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرل بك قبل أن يتولى السلطنة وكانت قد علت سنة فإيه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان سبب قتله أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان إليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر بماليكة ومن أعظم الأمراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء فحملت عثمان جدائة سنة وتمكنه وطمعه مجده على أن قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شا كيا فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولته يقول له إن كنت شريكى في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وإن كنت نائبي وبمحكى فيجب أن تلزم حد النبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الأمير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى ما يقول فر بما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك في الملك فاعلم فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بتديري ورأى أما يذكر حين قتل أبوه فقامت بتديير أمره وقامت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفنى فلما قدمت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فى السعيات قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسة معذوق بهذه الدواة وإن اتفاهما رباط كل رغبة وسبب كل غنيمه ومتى أطبقت هذه زالت تلك فإن عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه وأطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد أمنى ما لحقنى من توييخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده

اتفقوا على كتمان ماجرى عن السلطان وأن يقولوا له مامضمونه العبودية والتنصل ومضوا إلى منازلهم وكان الليل قد اتصف ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ماجرى وبكر الجماعة إلى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان إنه لم يقل هذا وإنما قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ماتم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مرائيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة • يقيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها • فردها غيرة منه إلى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملي لولا الحديد التي أصبت بها يعنى القتل .

(ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره) أما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لأبيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حصة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعو إلى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالأعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل إلى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا علي بن شاذان فتولى الأمور بباخ لدارد والد السلطان ألب أرسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت أبا علي بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيراً له إلى أن ولى السلطنة بعد عمه طغرل بك واستمر على الوزارة لأنه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة فأدت السلطنة إلى ألب أرسلان فلما توفي ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقبل إن ابتداء أمره أنه كان يكتب الأمير تاجر صاحب بلخ وكان الأمير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمعت يا حسن ويدفع إليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه أخفى أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب إلى جفري بك داود والد ألب أرسلان فوقف فرسه في الطريق فقال اللهم إني أسألك فرسا تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقية تركاني وتحتته فرس جواد فقال لنظام الملك أنزل عن فرسك فزل عنه فأخذه التركاني وأعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسى يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت أنه ابتداء سعادة فسار نظام الملك إلى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسله إلى ولده ألب أرسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذته والدا لا تخالعه وكان الأمير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره إلى مرو فقال لداود هذا كاتبى ونائبى قد أخذ أموالى فقال له داود حديثك مع محمد يعنى ألب أرسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد . وأما أخباره فإنه كان عالما دينا جوادا عادلا حلما كثير الصنف عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقرءاء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاذ ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول إنى لست من أهل هذا الشأن لما تولاه ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقله حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فإذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة وكان إذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالأذان وهذا غاية حال المنقطمين إلى العبادة في حفظ الأوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الأشعرية من المنابر وكان الوزير هيد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغربك التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف إليهم الأشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الأئمة بلادهم مثل إمام الحرمين وأبي القاسم الفشيري وغيرهما فلبسوا ولي ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء إلى أوطانهم وكان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم الفشيري والإمام أبو المعالي الجربني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو وإذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم إليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال إن هذين وأمثالهما إذا دخلوا على يقولون لي أنت كذا وكذا يثرون على بما ليس في فيزيديني كلامهم عجبا وتها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتتكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض أتقوت بريعها ومسجد أعبد الله فيه وأما الآن فأنا أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان وإلى جانب العميد إنسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الأكل مع المقطوع فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر وقرب المقطوع إليه فأكل معه وكانت عاداته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم إليه ويدينهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد.

(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته) سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر أن تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق أن السلطان خرج إلى الصيد وعاد نالغ شوال مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فخم واقتصد ولم يستوف إخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حریم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته ترکان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكنتمته وأعدت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدى بأمر الله وبسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الأموال للأمرء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسليمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجهه وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل ومطر د ومن أفعاله أنه لما خرج عليه أخوه تكش خراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأى شيء دعوت قال دعوت الله أن ينصرك فقال

أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكى عنه أن سواديا لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدرهمات لا أملك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الأتراك فأخذوه مني فقال السلطان له أقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمره بإحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلامني جاؤني به فأمر أن يجي بهم إليه ففضي وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادى خذ هذا بلوكي قد وهبته لك عوضا عن بطيخك ويحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لأضربن عنقك فأخذه السوادى فاشترى الغلام نفسه منه بثلاثمائة دينار فداد السوادى إلى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلاثمائة دينار فقال أرضيت بذلك ، قال نعم ، قال امض مصاحباً للسلامة ، وقال عبد السميع بن داود العباسى شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلا من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فلقياه فوقف لهما فقالا إن مقطعنا الأمير خمار تكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي أحدهما وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فاقه يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فأقسم عليهما إلا فعلا فأخذ كل واحد منهما بكم من كيه ومشى معهما إلى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الأرض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غداً عند الله إذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف فإن نال الرعية أذى فأنت المطالب فانظر لي ولنفسك ، فقبل الأرض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الأمير خمار تكين عن أقطاعه ورد المال عليهما وأعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما بإثبات البينة أنه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل إنه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الأسعار وتعدى الجند فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهاراً فلا يخافون أحداً ولم يتعد عليهم أحد وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الأنهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبني البلد بأصبهان وبني منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبني مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيداً كثيراً فأمر بعده فكان عشرة آلاف رأس فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار ، ، وقال إنني خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيئاً تصدق بعدده دنائير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركانه وسكناته وقد أكثر الشعراء مرأته أيضاً وقيل إن بعض أمراء السلطان كان نازلاً بهراة مع بعض العلما اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوماً ذلك الأمير للسلطان وهو مسكران إن عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الأصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الأمير فأخذ السلطان السيف وقال له أصدقني عن فلان وإلا قتلتك ، فطلب منه الأمان فأمنه ، فقال إن عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة ، فأردت أن تقتله فأفوز بداره وزوجته فأبده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعائته وتصدق بأموال جليلة المقدار (ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك) لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته ترکان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت إلى الأمراء سرا فأرضتهم واستحلفتهم لولدها

محمود وعمره أربع سنين وشهور وأرسلت إلى الخليفة المقتدى في الخطبة لولدها أيضا فأجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامه الجيوش ورعاية البلد هو الأمير أنز ويصدر عن رأي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذي يدبر الأمر بين يدي خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها إن ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فأذعننت له وأجابت إليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت ترکان خاتون إلى أصبهان في القبض على برکیارق بن السلطان وهو أكبر أولاده خافته أن ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه ، فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وثاروا في البلد وأخرجوا برکیارق من الحبس وخطبوا له بأصبهان وملكوه وكانت والدته برکیارق زبيدة ابنة ياقوق بن داود وهي ابنة عم ملكشاه خاتمة على ولدها من خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت ترکان خاتون من بغداد إلى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم فلما وصلوا إلى قلعة برجین صعد إليها لينزل الأموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فإنه كان قد علم ماجرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت ترکان خاتون إلى أصبهان لحقتها تاج الملك واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه وأنه هرب منه إليها فقبلت عذره وأما برکیارق فإنه لما قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقمهم أرغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الأمراء وصاروا يدا واحدة وإنما حمل النظامية على الميل إلى برکیارق كراهم لتاج الملك لأنه كان عدو نظام الملك والمتمم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر إلى قتال برکیارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى برکیارق منهم الأمير يلبرد وكشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهمزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان وصار برکیارق في أثرهم فحصرهم بأصبهان .

(ذكر قتل تاج الملك) كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الواقعة فهرب إلى نواحي بروجرد فأخذ وحمل إلى عسكر برکیارق وهو يحاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال مافي قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وأن لا يقتلوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل إلى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وإنما غطي جميع محاسنه بمالاته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي إسحق الشيرازي وعمل المدرسة التي إلى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشي وكان همره حين قتل سبعا وأربعين سنة .

(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة) سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فأوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين

معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد أن نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر إلى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فأدركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الواقعة .

(ذكر عدة حوادث) فيها في ربيع الأول عاد السلطان من بغداد إلى أصبهان وأخدمه الأمير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدى بأمر الله بن ابنة السلطان وتفرق الأمراء إلى بلادهم ثم عاد إلى بغداد فتوفي كما ذكرناه وفيها في جمادى الأولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهراس إلى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخاطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر إلى العصر فاحترق منها الأمر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب حميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفتت النار . وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن نايقا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتمم بأنه يطمئن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فإذا فيها مكتوب :

نزلت بحمار لا يخيب ضيفه ه أرجى نجاتي من عذاب جهنم

وإني على خوفي من الله واثق ه بإنعامه والله أكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبدالوارث بن علي بن أحمد أبو القاسم الشيرازي الحافظ أحد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي أظهر سماع الجمعيات لأبي محمد الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك (١) .

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة)

(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق) كان عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقبلا بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها إليه المرجع في كل أمورها السلطانية فلما كان قبل أن يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل أبوه ومات السلطان فأقام بأصبهان إلى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض أمور دولته إليه وجعله وزيرا له .

(ذكر حال تنش بن ألب أرسلان) كان تنش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق إليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد إلى دمشق يتجهز بطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الأموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرم فعلم أنه لا يطيق دفع

(١) وفي هذه السنة توفي المرزبان بن خسرو تاج الملك الوزير أبي الغنائم ه باني التاجية، وكان مدرسا أبو بكر الشاشي وبني تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعا فاستوزر ولده محمود فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلبان النظام وقطعوه إربا إربا في ذي الحجة من هذه السنة .

تنش فصالحه وصار معه وأرسل إلى باغی میان صاحب أنطاكية وإلى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعه تاج الدولة تنش حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصرها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا إلى نصيبين فحصرها فنبأ أهلها تاج الدولة ففتحتها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الأموال وفعل فيها الأفعال القبيحة ، ثم سلمها إلى الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل وأتاه الكافي بن نخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فأكرمه واستوزره .

(ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب) كان إبراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ نخر الدولة بن جهير إلى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقى إبراهيم مع ملكشاه وسار معه إلى سمرقند وعاد إلى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقت تركان خاتون من الاعتقال فسار إلى الموصل ، وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنا علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم ، فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنا علي فقصدتها محمد بن شرف الدولة وأراد أخذ الموصل فافتقرت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنا علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل إبراهيم إلى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع أن الأمير علي بن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومع أمه صفية عمه ملكشاه فأقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد إليه فأقام به فلما ملك تنش نصيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا إلى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع إبراهيم من ذلك فسار تنش إليه وتقدم إبراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من أعمال الموصل في ربيع الأول وكان إبراهيم في ثلاثين ألفا وكان تنش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على إبراهيم والعرب وأخذ إبراهيم أسيرا وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبورا ونهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تنش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وأمهم صفية عمه تنش وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرايين على ذلك فقبل لرسوله أنا انتظر وصول الرسل من العسكر فعاد إلى تنش بالجواب .

(ذكر ملك تنش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام) فلما فرغ تاج الدولة تنش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميفارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها إلى أذربيجان فأنهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمدان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان إنما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد نكون معه فانفقا على ذلك وفارقا تنش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تنش ذلك علم أنه لا قوة له بهم فعاد إلى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى أمره سار كوهرايين إلى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تنش وأعانهم برسق وتعصب عليه كمشكين الجاندار فأخذ أقطاعه وأعطى الأمير يلبرد

زيادة وولى شحنة بغداد عوض كوهرايين وتفرق عن كوهرايين أصحابه فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى
 (ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها) في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله
 العلوي صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدر
 وزير المستنصر سير العساكر إلى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قدامتغ من طاعتهم فلما
 وقرر أمورها وجعل فيها الأمراء وكان قد ولي مدينة صور الأمير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على
 المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر إليه وكان أهل صور قد أنكروا على
 منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصرى إلى صور وحاصروها وقائلوها نار أهلها ونادوا
 بشعار المستنصر وأمير الجيوش وصلوا البلد وهجم العسكر المصرى بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شيء
 كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا إلى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحت
 بهم ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم .

(ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتى خال بركيارق) في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتى بن داود
 وهو خان بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان بأذربيجان أميراً عليها فأرسلت إليه ترکان خاتون
 زوجة ملكشاه تطمعه أن تزوج به وتدعو إلى محاربة بركيارق فأجابها إلى ذلك وجمع خلقاً كثيراً من التركان
 وغيرهم وصار أصحاب سرهنگ سارتهكين في خيله وأرسلت إليه ترکان خاتون كربوقا وغيره من الأمراء في عسكر
 كثير مدد له لجمع بركيارق عساكره وسار إلى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج فأنحاز الأمير يلبرد
 إلى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه إلى أصهبان فأكرمه ترکان خاتون وخطبت له وضربت
 اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الأمر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الأمراء من ذلك لاصحاب
 الأمير أنز وهو مدبر الأمر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضاً منهم
 فقارقتهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فأذنت له في ذلك فوصل إليهم وأقام عندهم أياماً
 يسيرة فخلاه كشتيكين الجادار وأفسنقر وبوزان وبسطوره في القول فأطلعهم على سره . وأنه يريد السلطنة
 وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلنوا أخته خبره فسكنت عنه .

(ذكر أخذ الحجاج) في هذه السنة انقطع الحج من العراق لأسباب أوجبت ذلك وسار الحجاج من
 دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تش صاحبها فلما قضوا حجهم عادوا سائرين سير أمير مكة وهو محمد بن أبي
 هاشم عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيراً من أموالهم وجمالهم فعادوا إليها ولقوه وسألوه أن يعيد
 عليهم ما أخذ منهم وشكوا إليه بعد ديارهم فأعاد بعض ما أخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على
 أقبح صورة فلما أبعدها عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال أخذوه من الحجاج
 بعد أن قتل منهم جماعة وافرة وذلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السلام على أقبح صورة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في جمادى الأولى قدم إلى بغداد اردشير بن منصور أبو الحسين
 الواعظ العبادى وأكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصداً للحج وكان له قبول عظيم
 بحيث أن الغزالي وغيره من الأئمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه ويزرع في بعض المجالس الأرض
 التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعاً وعرضها مائة وعشرون ذراعاً وكانوا يزدحمون

ازدحاما كثيرا وكان النساء أكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة ، وكان سبب منعه من الوعظ أنه نهي أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هورباً فنع من الوعظ وأخرج من البلد . وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحياً فأرسل كوهرايين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الأغراني المحاسن الدهستاني في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن . وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن يزيد إلى السلطان بركيارق فلقه بنصيبين وسار معه إلى بغداد على الموصل فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس إلى لفاته من عقر قوف . وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمي الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله . وفيها في رمضان قتل الأمير بلبرد قتله بركيارق وكان من الأمراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق أقطاع كوهرايين وشحنكية ببغداد فلما وصل إلى دقوقا أعيد منها لأنه تكلم فيما يتعلق بولاية السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل إليه أصبح مقتولا . وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي الهكاري المعروف بشيخ الإسلام وكان فاضلاً عابداً كثير السماع إلا أن الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها والأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ما كولا مصنف كتاب الإكمال قتله غلمان الأتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظاً . وفيها في صفر توفي أبو محمد عامر الضرير وكان فقيهاً شافعيًا مقرئاً نحويًا وكان يصلي في رمضان بالإمام المقتدى بأمر الله وفي جمادى الأولى توفي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده في ذي القعدة سنة ثمانين وإليه تنسب الجمعة . وفي رجب توفي الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيهاً شافعيًا كثير الإحسان إلى أهل العلم وكان محموداً في ولايته وفيها توفي كمال الملك الدهستاني الذي كان عميد بغداد . وفي رمضان توفي المشطب بن محمد الحنفي بالكحيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد أرسله إلى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخاً كبيراً عالماً مكرماً عند الملوك وحمل إلى العراق ودفن عند أبي حنيفة . وفيه توفي القاضي أبو علي يعقوب بن إبراهيم المرزباني قاضي باب الأزج وولى مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي وكان أبو المعالي شافعيًا أشعريًا مغالياً وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة . وفيها توفي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكيتي له كنيستان سافر البلاد شرقاً وغرباً روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة . وفي ذي الحجة منها توفي أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الحنبل الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت . (١)

(١) وفيها توفي سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الاصبهاني ، سمع الكثير وصنف وخرج علي الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفي في ذي القعدة عن تسع وثمانين سنة . وفيها توفي عبد الواحد بن أحمد بن الحسن الدشكري ، أبو سعد الفقيه الشافعي ، صحب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العلم ، وكان يقول : مامشي قدمي هاتين في لذة قط ، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الخطبة للسلطان بركيارق ﴾ في هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدماها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل إلى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب إلى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع إلى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه ، وتوفى فجأة على ما نذكره إن شاء الله تعالى وولى ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة فأرسل الخلع والتقليد إلى السلطان بركيارق فأقام ببغداد إلى ربيع الأول من السنة وسار عنها إلى الموصل .

﴿ ذكر وفاة المقتدى بأمر الله ﴾ في هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الإمام المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم إليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الأشخاص التي دخلت عليّ بغير إذن قالت فالتفت فلم أر شيئا ورأيت قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه وانحلت قوته وسقط إلى الأرض فظننتها غشية قد لحقته فخلت أزرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندي ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء فإن صحت قنلتك وأحضرت الوزير فأعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشر سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرّة العين أدركت خلافته وخلافة ابنة المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له نخر الدولة أبو نصر بن جهير ثم أبو شجاع ثم حميد الدولة أبو منصور بن جهير وقضائه أبو عبدالله الدامغانى ثم أبو بكر الشامى وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والأجمة ودرب القيار وخربة بن جرادة وخربة الهراس والخانوقيتين وأمر بنى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفي ومنع الناس أن يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهراوى والأبراج التي للطيور ومنع من اللعب بها لأجل الإطلاع على حرم الناس ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر أن من يغسل السمك المسالخ يعبر إلى النجى فيغسله هناك ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس .

﴿ ذكر خلافة المستظهر بالله ﴾ لما توفى المقتدى بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وأعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب إلى السلطان بركيارق فأعلمه الحال وأخذ يبعته للمستظهر بالله ، فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدى أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان وجميع أرباب المناصب النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى في أصحابهما وقاضى القضاة والغزالي والشامى وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران ﴿ ذكر قتل قسيم الدولة آفستقروم ملك تنش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمدان والخطبة له ببغداد ﴾

فی هذه السنة فی جمادی الأولى قتل قسیم الدولة آفسنقر جد ملوکنا بالموصل الآن اولاد الشہید زنگی بن آفسنقر وسبب قتله أن تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منہزما لم یزل یجمع العساكر فکثرت جموعه وعظم حشده فسار فی هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ایطلب السلطنة فاجتمع قسیم الدولة آفسنقر وبوزان وأمدھما رکن الدین برکیارق بالأمیر کر بوقا الذی صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا إلى طریقہ فلقوه عند نرسبعین قریبا من تل السلطان بینہ وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فحاصر بعض العسکر الذین مع آفسنقر فانہزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آفسنقر فأخذ أسیراً وأحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بی ما کنت صنعت قال کنت أقتلک فقال له أنا أحکم علیک بما تحکم علی فقتله صبراً وسار نحو حلب وكان قد دخل إليها کر بوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج فی قنالها حتی ملکها سلمها إليه المقيم بقلعة الشریف ، ومنها دخل البلد وأخذھما أسیرین وأرسل إلى حران والرها یسلمھما من بہما وكانت لبوزان فامتنعوا من التسليم إليه فقتل بوزان وأرسل رأسه إليهم وتسلم البلدین وأما کر بوقا فإنه أرسله إلى حمص فسجنه بہا إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش وكان قسیم الدولة أحسن الأمراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بین رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط علی أهل كل قرية من بلاده منی أخذ عندهم قفل أو أحد من الناس غرم أهلها جميع ما یؤخذ من الأموال من قليل وكثیر فكانت السیارة إذا بلغوا قرية من بلاده القوارح لهم وناموا وحرسهم أهل القرية إلى أن یرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عہده فیکفیه فخراً أنه قتل فی حفظ بیت صاحبه وولی نعمته فلما ملک تتش حران والرها سار إلى الدیار الجزرية فملکها جميعها ثم ملک دیار بکر وخلاط وسار إلى أذربيجان فملک بلادها كلها ثم سار منها إلى ہمدان فملکها ورأى بہا نخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها إلى السلطان برکیارق لیخدمه فوقع علیہ الأمير فجاج وهو من عسکر محمود بن السلطان ملکشاہ بأصبہان فنهب نخر الملك فہرب منه ونجا بنفسه فجاء إلى ہمدان فصادفه تتش بہا فأراد قتله فشفع فیہ باغیسیان وأشار علیہ أن یتوزره لمیل الناس إلى بیته فاستوزره وأرسل إلى بغداد یطلب الخطبة من الخلیفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد أیتکین جب فلازم الخدمۃ بالدیوان وألح فی طلبها فأجیب إلى ذلك بعد أن سمعوا أن برکیارق قد انہزم من عسکر عمہ تتش علی ما ذکرہ .

(ذکر انہزام برکیارق من عمہ تتش و ملکہ اصبہان بعد ذلك) فی هذه السنة فی شوال انہزم برکیارق من عسکر عمہ تتش وكان برکیارق بنصیبین فلما سمع بمسیر عمہ إلى أذربيجان سار هو من نصیبین وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار إلى إربل ومنها إلى بلد سرخاب بن بدر إلى أن بقی بینہ وبين عمہ تسعة فراسخ ولم یکن معه غیر ألف رجل وكان عمہ فی خمسين ألف رجل فسار الأمير یعقوب بن أبی من عسکر عمہ فکبسه وهزمه ونهب سواده ولم یبق معه إلا برسق وكشتکین الجاندار والیارق وهم من الأمراء الکبار فسار إلى اصبہان وكانت خانون أم أخیه محمود قدمات علی ما ذکرہ فمعه من بہا من الدخول إليها ثم أذنوا له خدیعة منهم لیقبضوا علیہ فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقیه ودخل البلد واحتاطوا علیہ فاتفق أن أخاء محمودا حم وجدر فأراد الأمراء أن یكحلوا برکیارق فقال لهم أمین الدولة بن التلیذ الطیب إن الملك محمودا قد جدر وما كانہ یسلم منه وأرا کم تکرهون أن یلیکم ویملک البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا علی برکیارق فإن مات محمود أقیموه ملکا وإن سلم محمود فأنتم تقدرتون علی کحلہ فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة

وجلس بركيارق للعزاء بأخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذى الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل إلى بغداد فدفن بالنظامية وكان أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وسيرة وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصه منها ببغداد مائتا كره غلة وثمانية عشر ألف دينار أميرى ثم إن بركيارق جدر بعد أخيه وعموفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الأمراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم إلى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره .

(ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر) في هذه السنة في ذى القعدة توفي أمير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والموجود إليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ماخاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الإمارة ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر وتقدم بها وصار صاحب الأمر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدر الجمالى بمصر فرأيت أشرف الناس وكبراهم وشعراهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه قال فبينما أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في أثره وأقام إلى أن رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الأرض وأوما برقعة في يده وأنشأ يقول :

نحن التجار وهذه أعلقتنا هـ در وجود يمينك المتباع
 قلب وقتشها بسمعك إنما هـ هى جوهر يختاره الأسماع
 كسدت علينا بالشآم وكلها هـ قل النفاق تعطل الصناعات
 فأتاك يحملها إليك تجارها هـ ومطها الآمال والأطباع
 حتى أناخوها بيباك والرجاه هـ من دونك السمسار والبياع
 فوهبت مالم يعطه فى دهره هـ هرم ولا كعب ولا القعقاع
 وسبقت هذا الناس فى طلب العلا هـ فالناس بعدك كلهم أتباع
 يا بدر أقسم لو بك اعتمى الورى هـ ولجوا إليك جميعهم ماضعوا

وكان على يد بدر بازى فألفاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات وهو ينشدها إلى أن استقر فى مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحببى فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل .

(ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى) فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفي المستنصر بالله أبو تميم محمد بن أبى الحسن على الظاهر لإعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى فى بغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الإسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى إقامة الدعوة له ببلاد المعجم فعاد ودعا الناس إليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من إمامى بعدك

فقال ابني نزار وهو أكبر أولاده والإسماعيلية إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سجاده التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها، ولما مات ولي بعد ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله وعولده في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نخله الأفضل وبايع المستعلي بالله وسبب خلعه أن الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظالم فلم يره الأفضل فصاح به نزار انزل يا أروني كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحندها عليه فلما مات المستنصر خلعته خوفاً منه على نفسه وبايع المستعلي فهرب نزار إلى الإسكندرية وبها ناصر الدولة أفتكبر فبايعه أهل الإسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الأفضل وأعان أيضاً القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الإسكندرية فسار إليه الأفضل وحاصره بالإسكندرية فعاد عنه مقهوراً ثم ازداد عسكرياً وسار إليه فحصره وأخذه وأخذ أفتكين فقتله وتسلم المستعلي نزاراً فبنى عليه حائطاً فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانته .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا أنهم سيطيرون فأخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الأمم، وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها إلا أنها لم يكن الهدم كثيراً. وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلاً مستوراً فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث. وفيها توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقاً كثيراً. وفيها في ربيع الأول قتل السلطان بركيارق همه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكhle وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره إليه ببغداد وسار بمسيره فظفر بملطعات إليه من أخيه تنش يحته على اللحاق به وقيل إنه أراد المسير إلى بلخ لأن أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل إلى بغداد فدفن عند قبر أبي حنيفة. وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الأمير أنز وتوران شاه ابن قاورت بك وكانت ترکان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته في عسكر لياخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الأمير أنز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الأجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا أنز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها. وفيها استولى أصهبند بن ساو تكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الأمير قاسم بن أبي هاشم العلوي صاحبها وأقام بها إلى شوال وجمع الأمير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهم أصهبند ودخل قاسم إلى مكة وهضى أصهبند إلى الشام وقدم إلى بغداد. وفيها في رجب أحرق شحنة بغداد وهو أيتكين جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزيني كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فأنفذ النقيب إلى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة فأنفذ حاجبه محمداً فرجه أهل باب البصرة وأدموه فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم فأمر أخاه بقصدهم ومعاقتهم على فعلهم فسار إليهم في جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فأحرقوا ونهبوا فأرسل الخليفة إلى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف. وفيها في رمضان توفيت ترکان خاتون الجلالية بأصبهان وهي ابنة طغناج خان وهو من

نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من أصبهان لتدبر إلى تاج الدولة تتش لتتصل به فرضت وعادت وماتت وأوصت إلى الأمير أنز وإلى الأمير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك . وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد .

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة)

(ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم) في هذه السنة غدر شاهمملك التركي يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهمملك من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق فزاله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار إلى دصر في مائة فارس فأكرهه الأفاضل أمير الجيوش وأعطاه أقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من دصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا إلى المغرب فوصلوا إلى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لوالها فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار شاهمملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فأرسل العساكر إليها فحصرها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهمملك معهم إلى المهديّة فسار به تميم وبمن معه وقال ولد لي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غير تيمما عليهم فلم شاهمملك ذلك وكان داعيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهمملك وكان أبوه تميم قد تقدم إليه أن لا يقرب شاهمملك فلم يقبل فلما أبعدها في طلب الصيد غدر به شاهمملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحاب إلى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تيمما فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهمملك يحيى بن تميم إلى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فأقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم إن صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه أن يشور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل إلى تميم كتابا يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده إلى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكريا إلى سفاقس ويحيى معهم فساروا إليها وحصروها ورا وبجرا وضيقوا على الأتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الأتراك إلى قابس وكان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك هل ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه إلى أبيه ما غير قلبه عليه فأمر بإخراجه من المهديّة بأهله وأصحابه فركب في البحر ومضى إلى سفاقس فلم يتمكن عامله من الدخول إليها وقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهسماني فأزله وأكرمه فحسن له مثنى الخروج معه إلى سفاقس والمهديّة وأطعمه فيهما وضمن الإنفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار إلى سفاقس ومعها شاهمملك التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقتلواها وسمع تميم فجرد إليها جندا فلما علم المثنى ومن معه أنهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهديّة فنزلوا عليها وقتلواها وكان الذي يتولى القتال من المهديّة يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار إليه .

(ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند) في هذه السنة في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك أن السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسبوا له معتقدهم وأخرجوه إلى الإباحة فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا لمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله فيتمكنوا من قتله فعضى طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله فلما نازل قلعة نمكر العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا إلى سمرقند وأحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فأقضى الفقهاء بقتله فخنقوه وأجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه وأطاعوه .

(ذكر مافعله يوسف بن آبق ببغداد) في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن آبق التركاني شحنة لبغداد ومعه جمع من التركان ففتح من دخول بغداد وورد إليه صدقة بن يزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له في بلاده فلما سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خراسان ونهب باجميرا وقاتله العسكر يبعقوبا فهزمهم ونهبهم أخش نهب وأكثر معه من التركان وعاد إلى بغداد وكان صدقة قد رجع إلى الحلة تدخل يوسف بن آبق إلى بغداد وأراد نهبها والإيقاع بأهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل إليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد إلى الموصل وسار من هناك إلى حلب .

(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقاتل تتش) في هذه السنة في صفر قتل تتش بن ألب أرسلان وكان سبب ذلك أنه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الواقعة إلى همدان وقد تحصن بها أمير آخر فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لأجل أثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد إلى همدان واستأمن إليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار إلى أصبهان فاستأذنه أمير آخر في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة وما يحتاج إليه فأذن له فسار إليها ومنها إلى أصبهان وعرفهم خبر تتش خبره فنهب جرباذقان وسار إلى الري وأرسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته ويبدل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فأجابوه يعدونه بالانحياز إليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفي أرسلوا إلى تتش ليس بيننا غير السيف وساروا مع بركيارق من أصبهان وهم في نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين ألفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذاً بثار صاحبه وكان قد قبض على نخر الملك بن نظام الملك وهو معه فأطلق واستقام الأمر والسلطنة لبركيارق وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه ، بالأمس يهزم من عمه تتش ويصل إلى أصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارساً لأخذوه لأنه بقي على باب أصبهان عدة أيام ، ثم لما دخلها أراد الأمراء كفه فاتفق أن أخاه حم ثاني يوم وصوله وجدر فمات فقام في الملك مقامه ثم جدر هو وأصابه معه سرصام فعوفي وبقي منذ كسره همه إلى أن عوفي وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرك همه ولا عمل شيئاً ولو قصدته وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد :

ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهديان

(ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما) كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة

ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره أن يسير إلى العراق ويقوم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم أيلغازي بن أرتق وكان قد سار إلى تنش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الأمير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد إلى حلب ومعه والدته فلما كان بها أبو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها إليه تنش وحكمه في البلد والقلمة ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن أيتكين وكان مع تنش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا معهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلمة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وأرسل إليه رضوان أن يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الأمير باغيسيان بن محمد بن ألب التركاني صاحب أنطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تنش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقتهم إليها الأمير سقمان بن أرتق جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنها وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلموا إليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم إلى الرما وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلمة من رضوان فوهبها له بتسلمها وحصنها ورتب رجالها وأرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم حران فسمع ذلك قراجه أميرها فاتهم ابن المفتي، وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تنش في حفظ البلد فأخذه وأخذ معه بني أخيه فصلبهم ووصل الخبر إلى رضوان وقد اختلف جناح الدولة باغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة إلى حلب فدخلها واجتمع بزوجه أم الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات إلى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة إليها ففارق وباغيسيان الملك رضوان وسار إلى أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي وسار رضوان إلى حلب وأما دقاق بن تنش فإنه كان قد سيره أبوه إلى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود إلى أصبهان وخرج إلى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبي وسار به إلى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرا يدهوه لملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد في السير فأرسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل إلى دمشق فرح به الخادم وأظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها أرسل إليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغتكين إلى دمشق ومعه جماعة من خواص تنش وعسكره وقد سلموا فإنه كان قد شهد الحرب مع صاحبه وأسر فبقي إلى الآن وخلص من الأسر فلما وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته وبالغوا في إكرامه وكان زوج والدة دقاق فسال إليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار إليهم باغيسيان من أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزيراً لدقاق وحكمه في دولته .

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد) في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الأندلس مسجوناً بأغمت من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقى مسجوناً إلى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرماً وعلماً وشجاعة ورياسة تامة وأخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس :

سلت على الخطوب سيرفها ه فخذن من جسدي الحصيف الامتنا
ضربت بها أيدي الخطوب وإنما ه ضربت رقاب الآملين بها المنا
يا أملي العادات من نفجاتنا ه كفوا فإن الدهر كف أكفنا
وله من قصيدة يصف القيد في رجله :

تعطف في ساقى تعطف أرقم ه يساورها عضا بأنياب ضيغم
وأني من كان الرجال بسيدته ه ومن سيفه في جنة وجهنم

وقال في يوم عيد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ه فصرت كالعبد في أغمت بأسورا
قد كان دهرك إن تأمره بمتلا ه فرددك الدهر منها وبأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به ه فإنما بات بالأحلام مسرورا
وكان شاعره أبو بكر بن اللبابة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لاجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه وإحسانه القديم
إليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور أهلهم وأنشد بصوت عال :
ملك الملوك أسمع فأنادى ه أم قد عدك عن الجواب عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن ه فيها كما قد كنت في الأعياد
فمثلت في هذا الثرى لك خاضعا ه وتخذت قبرك موضع الإنشاد
وأخذ في إتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه ليكون ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لاطال الأمر
فلنقف عند هذا .

(ذكر وفاة الوزير أبي شجاع) في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة
في جمادى الآخرة وأصله من رودروار ، وولد بالأهواز وقرأ النحى على الشيخ أبي إسحق الشيرازى وكان
علما بالعربية وله تصانيف منها (ذيل تجارب الأمم) وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف
وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضر الموت أمر فحمل إلى مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال : يا رسول الله قال الله عز وجل (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمى أرجو
شفاعتك . وبكى فأكثر ، وتوفي من يومه ودفن عند قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم .

(ذكر الفتنة بنيسابور) في هذه السنة في ذى الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار
بهم إلى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقائلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له موطئا
فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقتها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها

فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن إمام الحرهين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمد مشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخرت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحرير وأذن الوزير عميد الدولة بن جهمير للعامه في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته . وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه إنسان سترى له من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانته رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجرح اعترف أن هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرأ على من أمرهما بذلك فلم يقرأ فقربا إلى الفيل لميجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخى لا بد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بإفشاء الأسرار فقتلاه وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهدوا لبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف (إحياء علوم الدين) وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد إلى بغداد بعدما حج في السنة التالية وسار إلى خراسان . وفيها في ربيع الأول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله . وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك أن بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء وأشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك إلا لها وبوجودها عندي فلما وصلت إليه وعلت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان نجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر أم السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا جزيلة في الوزارة فأجيب إلى ذلك وعزل أخوه وولى هو . وفي هذه السنة في جمادى الأولى توفي أبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التيمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين . وفيها في رجب توفي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشاشي وكان من أصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء أجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئا فقال ألك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا أقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا هندی على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولى القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبدالله محمد الداهغاني . وفيها مات القاضي أبو يوسف عبدالسلام بن محمد القزويني ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب . وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولى بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن ابن أحمد أبو الفضل الحداد الأصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الأولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الحميدي الأندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببليده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا ، وتوفي في

ذی الحجۃ ووقف کتبه فانتفع بها الناس (۱)

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

(ذكر قتل يوسف بن أبى والمجن الحلى) فى هذه السنة فى المحرم قتل يوسف بن أبى الذى ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تنش إلى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله أنه كان بجلب بعد قتل تاج الدولة وكان بجلب إنسان يقال له المجن وهو رئيس الأحداث بها وله أتباع كثير فحصر عند جناح الدولة حسين وقال له إن يوسف ابن أبى يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه فى قتله ، فأذن له ، وطلب أن يعينه بجماعة من الأجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التى بها يوسف فكسبها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما فى داره وبقي بجلب حاكما لحدثه نفسه بالتحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة إن الملك رضوان أمرنى بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة إلى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه أن يفارق البلد فلم يفعل وركب فى أصحابه فلوهم بالمحاربة لفعل ثم أمر أصحابه أن ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة .

(ذكر وفاة منصور بن مروان) فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين حاربه نخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته إلى تربة آبائه فدفتته ثم حجت وعادت إلى بلد البشنوية فابنعت ديراً من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعاً شديداً البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا تنظر إلى فعلها بأبنائها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أوره إلى أن مات فى بيت يهودى نسأل الله تعالى أن يحسن أعمالنا

(١) وفيها مات محمد بن الحسين بن عبدالله بن إبراهيم ، أبو شجاع ، الملقب بظهير الدين ، الروذراورى الاصل الأهوازى المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذى ذيله على تجارب الأمم . ووزر للخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها فى سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الإناعام على الأرامل والايام . قال له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه فى البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعاً بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجرى إليه مرة بقدمائى سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جداً ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس فى الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فاذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل فى المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وهأنا قد جئتكم أستغفر الله من ذنوبى وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن فى البقيع .

ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .
 (ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا) في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمراً
 وسبب ذلك أنها كان بها إنسان يقال له قاضي بن إبراهيم بن بلونه فمات فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز فأساء
 السيرة وكان قاضي بن إبراهيم عاصياً على تميم ، وتميم يعرض عنه فملك عمرو طريقته في ذلك فأخرج تميم
 العساكر إلى أخيه عمرو لياخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يامولاً لما كان فيها قاضي توائت عنه وتركته
 فلما وليها أخوك جردت إليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلاً علينا ، وأما اليوم
 وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه . وفي فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة
 المشهورة التي أولها :

ضحك الزمان وكان يلقي عابسا هـ لما فتحت بحد سيفك قابسا
 الله يعلم ما حويت ثمارها هـ إلا وكان أبوك قبل الغارسا
 من كان في زرق الأسنة خاطباً هـ كانت له قتل البلاد عرائسا
 فابشر تميم بن المعز بنتمك هـ تركتك من أكناف قابس قابسا
 ولوا فكم تركوا هناك مصانعا هـ ومقاصراً ومخالداً ومجالسا
 فكأبها قلب وهن وساوس هـ جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

(ذكر ملك كربوقا الموصل) في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل
 وقد ذكرنا أن تاج الدولة تنش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح حمية
 الأمير أنز ولم يكن له بلد يملكه إذا قتله كما فعل بالأمير بوزان فإنه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم
 يزل قوام الدولة محبوسا بحلب إلى أن قتل تنش وملك ابنه الملك رضوان حلبا فأرسل السلطان بركيارق رسولاً
 يأمره بإطلاقه وإطلاق أخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فأتيا حران
 فتسلها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء
 الكردي يستنصرون بهما على الأمير علي بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تنش بعد
 وقعة المضيق فسار كربوقا إليهم فلقية محمد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض
 عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتعت عليه فحصرها أربعين يوماً وتسلها وسار إلى الموصل
 فحصرها فلم يظفر منها بشيء فسار عنها إلى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد إلى حصار الموصل
 ونزل على فرسخ منها بقربة باحلافا وترك التونتاش شرق الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالأمير جكرمش
 صاحب جزيرة ابن عمر فسار إليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار إلى طريقته فقاتله فانهزم جكرمش وعاد
 إلى الجزيرة منهزماً وصار في طاعة كربوقا وأعانه على حصر الموصل وعدمت الأقوات بها وكل شيء حتى
 ما يوقدونه فأوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الأمر فارقها وسار إلى الأمير صدقة بن يزيد بالحلة
 وتسلم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر وخافه أهله لأنه بلغهم أن التونتاش يريد منهم وأن كربوقا يمنعهم
 من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على أعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل
 في اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فملكها ونهبها

واستتاب بها وعاد .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الاسباط يقارب طوفان نوح فأحضر الخليفة المستظهر بالله بن عيسون المنجم فسأله فقال إن طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فاركان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول إن مدينه أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فأحكمت المسنجات والمواضع التي يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق أن الحجاج نزلوا بوادي المياقت بعد نخله فاتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والأزواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم . وفيها في صفر درس الشيخ أبو عبدالله الطبري النقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد رتبته فيها نخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن يزيد فأرسل في أثرهم أسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن ديبس بن يزيد فأسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن علي عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه إليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد حتى عند الضريح والتي رجل منهم نفسه وهو علي فرسه من علي السور فلم هو والفرس توفي هذه السنة في صفر توفي القاضي أبو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرذ النعمان والمستولي على أمورها وكان رجل زمانه همه وعلمها وفيها في ربيع الأول توفي أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضعة المحدث وكان عالما . وفيها في رمضان توفي أبو بكر عمر بن السمرقندي ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة . وفيها في رمضان توفي أبو الفضل عبد الملك ابن ابراهيم المقدسي المعروف بالمهداني وكان عالما في عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة . (١)

(١) وفيها توفي عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله أخو أبي حكيم الخيري ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى للطريقة وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع الفلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موتا لانه لطيب ، ثم مات . وفيها توفي عبد المحسن بن علي بن أحمد الشنبي التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، ببغداد سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذي حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه في مصنفاته ، وكان يسميه عبدالله ، وكان ثقة . وفيها توفي أبو المظفر السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولا على أبيه في مذهب أبي حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن أبي إسحاق وابن الصباغ ، وكانت له يد طولى في فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث ، والبرهان والقواطع في أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ في مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظت شيئا نفسيته ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتائب ، وسئل عن الاستواء فقال :

جئتماني لتعلموا سر سعدى ه تجدانى بسر سعدى شجيحا

إن سعدى لمنية المتنى ه جمعت عفة ووجها صبيحا

توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن في مقبرة مرو رحمه الله تعالى وليانا آمين .

(ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة)

(ذكر قتل أرسلان أرغون) في هذه السنة في المحرم قتل أرسلان أرغون بن ألب أرسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله أنه كان شديداً على غلمانه كثير الإهانة لهم والمقوبة وكانوا يخافونه عظيماً فاتفق أنه الآن طلب غلاماً له فدخل عليه وليس معه أحد فأنكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فأخرج الغلام سكيناً معه وقتله، وأخذ الغلام فقبل له لم فعلت هذا، فقال لا يرج الناس من ظله وكان سبب ملكه خراسان أنه كان له أيام أخيه ملكشاه من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار إلى همدان في سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار إلى نيسابور فلم يجد فيها مطعماً فر إلى مرو وكان شحنة مرو أميراً اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك، وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فسار إلى أرسلان أرغون وسلم البلد إليه فأقبلت العساكر إليه وقصد بلخ وبها نخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تنش على ما ذكرناه وملك أرسلان أرغون بلخ وترمز ونيسابور وعامة خراسان وأرسل إلى السلطان بركيارق وإلى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب أن يقر عليه خراسان كما كانت لجدته داود ماعداً نيسابور ويبدل الأموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تنش، فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته ووليها أخوه نخر الملك واستولى على الأمور مجد الملك البلاساني قطع أرسلان أرغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بورد برس بن ألب أرسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بأرسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر إلى خراسان لقيهم أرسلان أرغون وقتلهم وانهمز منهم وسار منهم ما إلى بلخ وأقام بورد برس والعساكر التي معه بهراة ثم جمع أرسلان عساكر جمه وسار إلى مرو فحصرها أياماً وفتحها عنوة وقتل فيها وأكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار إليه بورد برس من هراة فالتقيا وتصافوا فانهمز بورد برس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته أنه كان معه من جملة العساكر الذين سير معه بركيارق أمير آخر ملكشاه وهو من أكابر الأمراء والأمير مسعود بن تاجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أمير آخر وبين أرسلان مودة قدمه فأرسل إليه أرسلان أرغون يستميله ويدعوه إلى طاعته فأجابه إلى ذلك ثم إن مسعود بن تاجر قصد أميراً آخر زائر له ومعه ولده فأخذهما وقتلها فضعف أمر بورد برس وانهمز من أرسلان أرغون وتفرق عسكره وأسر وحمل إلى أرسلان أرغون وهو أخوه فحبسه بترمز ثم أمر به فخنق سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلاثمائة ألف دينار وقتله وخرّب أسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو والشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم إنه قتل هذه السنة كما ذكرنا .

(ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور) في هذه السنة في ربيع الأول وصل عسكر كثير من مصر إلى نهر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك أن الوالي بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلى صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير إليه جيشاً فحصره بها وضيّقوا عليه وعلى من معه من جندي

وعامى ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالى أسيراً بغير أمان وحمل إلى مصر فقتل بها .

(ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر) كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها إلى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون وجعل الأمير قساج أنابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرثي فلما وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا إلى نيسابور فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا إلى بلخ ، وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملكوا بعد قتله ابناً له صغيراً عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدهوا إلى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون فأحسن السلطان لقاءه وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس فما انتضى يودهم حتى فارقه واتصلت كل طائفة منهم بأمير تخدمه وبقي وحده مع خادم لأبيه فأخذته والده السلطان بركيارق إليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق إلى ترمذ فسلمت إليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل إلى ما وراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد .

(ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفاً) في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير أميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه إلى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمدته بجيش كثير وفيلة وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده في البلاد فسير إليه الملك سنجر بن ملكشاه جريده ولا يعلم به أمير أميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل إلى بين يدي سنجر فأمر به فكحل .

(ذكر عصيان الأمير قودن ويارقشاش على السلطان واستعمال حبشى على خراسان) في هذه السنة عصى يارقشاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك أن الأمير قودن كان قد صار في جملة الأمير قساج فتوفي والسلطان بمرور فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرور وبعد مسير السلطان إلى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجى وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليحلق السلطان فسبق العسكر إلى مرو في ثلثائه فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقشاش على قتله فجمعاً خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا إلى خوارزم وأظهروا أن السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر إلى السلطان فتم المسير إلى العراق لما بلغه من خروج الأمير أنز ومؤيد الملك عن طاعته وأعاد أمير داذ حبشى بن التوتناق في جيش إلى خراسان لقتالها فسار إلى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفاً فعلم أمير داذ أنه لا طاقة له بهما فعبّر جيحون فسار إليه وتقدم يارقشاش ليلحقه قودن فعاجله يارقشاش وحده وقتله فانهزم يارقشاش وأخذ أسيراً وبلغ الخبر إلى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وماله فبقى في سبعة نفر فهرب إلى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن إليه وبقي عنده وسار من هناك إلى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن أن يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر أنه مات عن قريب وأما يارقشاش فبقى أسيراً إلى أن قتل أمير داذ وكان من

أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه) في هذه السنة أمر بركيارق الأمير حبشي بن التون تاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولي خوارزم الأمير محمد بن أنوشتكين وكان أبوه أنوشتكين ملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكبك قد اشتراه من رجل من غرستان فقبل له أنوشتكين فر شحه فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدما مرجوعا إليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تاديبه وتقدم بنفسه وبالغناية الأزلية فلما ولي أمير داذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجى قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الأمير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومجده علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر مجده وقدره ثم إن بعض ملوك الأتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلنكين بن أكنجى الذي كان أبوه خوارزمشاه قبيل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالأتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر إلى خوارزم وأرسل إلى سنجر يستمده وكان بنديسابور فسار في العساكر إليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الأتراك إلى منقشلاغ وطغرلنكين أيضا رحل إلى حندخان وكفى خوارزمشاه شرم ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه أنسر قد ظلل الأمن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الأعداء وبأشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قر به السلطان سنجر وعظمه واءتضد به واستصجبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تتدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت النتر عليه على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق) في هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانها وامتاعها علم عجزه عنها فرحل إلى نابلس وسار إلى القدس ليأخذها فلم يتمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد وسعه باغى سيان صاحب أنطاكية وجناح الدولة ثم إن باغى سيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله لجمع عساكر كثيرة وسار معه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا إلى سقمان بن أرتق وهو بسروج يستنجده فأتاه في خلق كثير من التركان فسار نحو أخيه فالتقى بقنسرين فاقتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيائهم وجميع مالهم وعاد رضوان إلى حلب ثم اتفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبأنطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين .

(ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان) في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته المستعلى بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك أنه كان عنده الأمير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار إلى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم إليه بحلب ونزل ظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل إليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل المصريين يدعونه إلى طاعتهم يبدون له المال وإنفاذ العساكر إليه بملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الأعمال سوى أنطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان

ابن أرتق وباغيسيان صاحب أنطاكية فأنكرا ذلك واستعظاه فأعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل إلى بغداد يعتذر عما كان منه وسار باغيسيان إلى أنطاكية فلم يبق بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها وحاصروها وكان ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسروجرد وقاتل عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهمز أهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله أنه كان كاتب صاحب غزنة بالأخبار من قبيل السلطان فأخذ وحبس بترمز مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس أنه كان يكاتبه أيضا فقتل . وفي صفر منها قتل عبدالرحمن السمرمي وزير أم السلطان بركيارق قله باطنى غيلة وقتل الباطنى بعده . وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر . وفيها توفي النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبدالله وكان ديننا سخيا كريما متعصبا حنفي المذهب وولى النقابة بعد ولده أبو الفتح حيدرة . وفيها توفي أبو القاسم يحيى بن أحمد السببي وهو ابن مائة سنة وستين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب . وفيها قتل أرغش النظامي مملوك نظام الملك بالرى وكان قد بلغ عظميا بحيث إنه تزوج ابنة ياقوتى عم السلطان بركيارق قله باطنى وقتل قاتله وقتل برسق في شهر رمضان وهو من أكابر الأمراء قتله باطنى وكان برسق من أصحاب السلطان طغرل بك وهو أول شحنة كان ببغداد (١) .

(ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة أنطاكية) كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس وقد تقدم ذكر ذلك . ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته أيضا وتطرقوا إلى أطراف إفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما تراه فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية فأرسل إلى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاورا لك فجمع رجار أصحابه واستشارهم في ذلك وقالوا وحق الإنجيل هذا جيدا لنا ولهم ونصبح البلاد بلاد النصرانية فرجع رجاره وحبى حبة عظيمة وقال وحق دينى هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال إذا وصلوا إلى احتاج إلى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم إلى إفريقية وعساكر من عندى أيضا فإن فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وإن لم يفتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل من عهدي وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبلاد إفريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها وأحضر رسوله وقال له إذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر وأما

(١) وفيها توفي أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدى البصرى ، ويعرف بان الصواف ، ولد سنة أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهدا متصوفا ، وفقها مدرسا ، ذاسمت ووقار ، وسكينة ودين وكان علامة في عشرة علوم ، توفي في رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

أفريقية فبنى وبين أهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا إلى الشام وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأقباس إلى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا المجرى إلى بلاد المسلمين ويمسروا في البر فيكون أسهل عليهم فلما وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الإجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لي أنكم تسلمون إلى أنطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ظانم أنه الأتراك لا يبقون منهم أحدا لما رأى من صراحتهم وملكهم البلاد فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا إلى بلاد فلج أرسلان بن سليمان بن قلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا إليها التقيهم فلج أرسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلادهم إلى بلاد ابن الأرمي فملكوها وخرجوا إلى أنطاكية فحصرها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها فأخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه إلى العصر ، فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم أنطاكية لكم تهبوها لي حتى أنظر ما يكون مما ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا فقال أنا أخلفكم فيهم فأمسكوا وأقاموا في عسكر الفرنج فحصرها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها اطبقوا بلاد الإسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم وكف الأيدي المتطرقة إليهم ، فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية أرسلوا أحد المستحفظين للأبراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا وأقطعا وكان يتولى حفظ برج بلي الوادي وهو مبنى على شباك في الوادي فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاموا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل إن هذا البوق من القلعة ولا شك أنها قد ملكت ولم يكن من القلعة وإنما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه لجام نأبه في حفظ البلد فسأل عنه فقيل إنه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لملكوا ، ثم إن الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الأولى ، وأما باغيسيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إليه عقله وكان كالولمان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من أنطاكية فندم كيف خلاص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به إنسان أرمي كان يقطع الحطب وهو بأخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بأننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لانطلب سواها مكرأ منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية .

(ذكر سير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم) لما سمع قوام الدولة كروقا بحال الفرنج وملكهم أنطاكية

جمع العساكر وسار إلى الشام وأقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تنش وطغتكين أنابك وجناح الدولة صاحب حصص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الأمراء من ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الأوقات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على أنطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الأمراء وتكبر عليهم ظنا منه أنهم يقيمون معه على هذه الحال فأغضبهم ذلك وأضروا له في أنفسهم الغدر إذا كان قتال وعزموا على إسلامه عند المصدوقة وأقام الفرنج بأنطاكية بعد أن ملكوها اثني عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا إلا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها ويمنت صاحب أنطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم رابع مطاع فيهم وكان داعية من الرجال فقال لهم إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بأنطاكية وهو بناء عظيم فإن وجدتموها فإنكم تظفرون وإن لم تجدوها فالملك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عانتهم والصناعات منهم وحفروا في جميع الأماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم أبشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فقتلهم ولم يكن من معاجلتهم قتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين لجاه إليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بأنطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والإعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمي بسهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق وجناح الدولة لأنهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة إذ لم يجر قتال ينهزم عن مثله وخافوا أن يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقتلوا حسبة وطلبوا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا مافي العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة نصلحت حالهم وعادت إليهم قوتهم .

(ذكر ملك الفرنج معرفة النعمان) لما قتل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى معرفة النعمان فنازلوها وحصروها وقتلهم أهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجدى في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضرب المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتدخلهم الفشل والملح وظنوا أنهم إذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى فعملوا كفضولهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج إليه على السلالم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوما وساروا إلى عرقة فحاصروها أربعة أشهر ونقبوا

ذكر عصيان الأمير أنز وقتله

سورها عدة نقوب فلم يقدرُوا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيرز فصالحهم عليها وساروا إلى حصص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواير إلى عكا فلم يقدرُوا عليها .

(ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاء) كان دولتشاء من أبناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليهم جمع من عساكر بيغواخي طغرل بك وكان بطخارستان فأخذوا والواج وكنج فسار إليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل إلى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاء فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهمزوا وأخذوا دولتشاء أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا إلى مدينة ترمذ فلما كرها وسلمها إلى طغرل تكين .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة فتح تميم بن المزين باديس صاحب أفريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقة ومدينة تونس وكان بأفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس . وفيها أرسل الخليفة رسولا إلى السلطان بركيارق مستنفرًا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوة . وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكان فاضلا في الحديث . وفيها توفي أبو الفضل عبدالوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا فصيحًا . وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الإسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد . وفيها في ذي القعدة توفي أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وكان بيته بجمع الفضلاء وأهل الدين ومن جملة من كان عنده إلى أن توفي الشيخ أبو إسحق الشيرازي . وفيها توفي أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الإسفرايني وهو من أعيان المحدثين .

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)

(ذكر عصيان الأمير أنز وقتله) لما سار السلطان بركيارق إلى خراسان ولي الأمير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشرانكة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان إيران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الأمير أنز وكسروه وعاد مغلولا إلى أصبهان وأرسل إلى السلطان يستأذنه في اللحاق إلى خراسان فأمره بالمقام ببلد الجبال وولاه إمارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته فأقام بأصبهان وسار منها إلى أقطاء بأذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية بأصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل أصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها إلى الحلة فأكرمه صدقة وسار من عنده إلى الأمير أنز فلما اجتمع بالأمير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو إذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان إلى الري وأرسل إلى السلطان يقول إنه ملوك ومطيع إن سلم إليه مجد الملك البلاساني وإن لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عاده يصوم أياما من الأسبوع فلما قارب الفراغ من الإفطار هم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فآلقاه وصدم الآخر الشمة فأطعأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس

في الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقى ملق فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل إلى داره بأصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الري قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاستاني بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمره آنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للمصالحين .

(ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس) كان البيت المقدس لتاج الدولة تدش وأقطعه الأمير سقمان ابن أرتق التركماني فلما ظهر الفرنج بالأتراك على أنطاكية وقتلوا فيهم ضعفاً وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه ومقدمهم الأفضل بن بدر الجمالي وحضروه وبه الأمير سقمان وأبلغا زى ابن أرتق وابن عمهما صونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا وأربعين من جنقيا فهدموا مواضع من سورته وقتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوماً وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الأفضل إلى سقمان وأبلغا زى ومن معهما وأجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا إلى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار أبلغا زى إلى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه إلى الآن فقصدته الفرنج بعد أن حصروا عكا فلم يقدرُوا عليها فلما وصلوا إليه حصروه نيفا وأربعين يوماً ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقة المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأن المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين واحتجى جماعة من المسلمين بحراب داود فاعتصموا به وقتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الأمان فسلموه إليهم، ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلاً إلى عسقلان فأقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلماهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً نقره من الذهب نيفا وعشرين قنديلاً وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء . وورد المستنقرون من الشام في رمضان إلى بغداد صحبة القاضي أنى سعد الهروى فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكر ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحرير والأولاد ونهب الأموال فلشدة ما أصابهم أنظروا فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشامى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن سماك فساروا إلى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاستاني على ما ذكره فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما ذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الأبيوردى في هذا المعنى أياتاً منها:

زجتا دماء بالدموع السواجم ه فلم يبق منا عرصنة للمراحم
وشر صلاح المرء دمع يفيضه ه إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بنى الإسلام إن وراكم ه وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتموية في ظل أمن وغبطة ه وعيش كنوار الخييلة ناعم

ذكر الحرب بين المصريين والفرنج

وكيف تنام العين ملء جفونها • على هفوات أيقظت كل نائم
 وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم • ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
 تسومهم الروم الهوان وأنتم • تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
 وكم من دماء قد أويحت ومن دمي • تواري حياء حسنها بالمعاصم
 بحيث السيوف البيض محرة الظبا • وسم العوالي داميات اللهازم
 وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة • تظل لها الولدان شيب القوادم
 وتلك حروب من يغيب عن غمارها • ليسلم يقرع بعدها سن نادم
 سلن بأيدي المشركين قواضبا • ستغمد منهم في الطلي والجماجم
 يكاد لمن المستجن بطيبة • ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
 أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى • رماحهم والدين واهي الدعائم
 ويحتذون النار خوفا من الردى • ولا يحسبون العار ضربة لازم
 أترضى صناديد الأعراب بالأذى • ويفضى على ذل كآة الأعاجم
 فليتهم إذ لم يذودوا حمية • عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
 وإن زهدوا في الأجر إذ حس الوغا • فهلا أتوه رغبة في الغنائم
 لئن أذعنت تلك الحياشيم للبري • فلا عطسوا إلا بأجدع راغم
 دعوناكم والحرب ترنو ملحة • إلينا بالحاظ النور القشاعم
 تراقب فينا غارة عريية • تطبل عليها الروم عض الأباهم
 فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه • رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

ومنها :

﴿ ذكر الحرب بين المصريين والفرنج ﴾ في هذه السنة في رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسبها أن المصريين لما بلغهم ماتم على أهل القدس جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار إلى عسقلان وأرسل إلى الفرنج يذكر عليهم ما فعلوا ويهددهم فأعادوا الرسول بالجواب وزحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا إلى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجابهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل ، وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح وغير ذلك ، وانهمز الأفضل فدخل عسقلان ودعى جماعة من المنهمزين فاستتروا بشجر الجيز وكان هناك كثيراً فأحرق الفرنج بعض الشجر ، حتى هلك من فيه ، وقتلوا من خرج منه وعاد الأفضل في خواصه إلى نصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطعة اثني عشر ألف دينار وقبل عشرين ألف دينار ثم عادوا إلى القدس .

﴿ ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه ﴾ كان السلطان محمد وسنجر أخوين لأم وأب ؛ أمهما أم ولد ، ولما مات أبوه ، ملكشاه كان محمد معه ببغداد ، فسار مع أخيه محمود وترك خاتون زوجته والده إلى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مخفياً مضى إلى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه إلى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أنابكاه

الامير قتلغ تکين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال أران الذي من جملته كنيجه فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الأسوار الروادي وسابها إلى سرهنگ ساوتکين الخادم وأقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لما قوى فأرسل السلطان إليه الأمير بوزان فخاربه وأسره وأقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب أنطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده إلى ولاية أبيه في هذه البلاد وتوفي فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الإضافة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الأحوال بمؤيد الملك عبید الله بن نظام الملك وأنه كان عند الأمير أنز لحسن له عصيان السلطان برکیارق فلما قتل أنز سار إلى الملك محمد فأشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة برکیارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاسانی واستباحش العسكر من السلطان برکیارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الري وكان السلطان برکیارق لما فارقه عسكره سار مجدا إلى الري فأتاه بها الأمير ينال بن أنوشکين الحسامي وهو من أكابر الأمراء ووصل إليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الأبخاز ومعه عساكر جمعة فبلغه مسير أخيه محمد إليه في العساكر فسار من الري إلى أصبهان فلم يفتح أهلها له الأبواب فسار إلى خوزستان على ما ذكره وورد السلطان محمد إلى الري ثاني ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان برکیارق قد تخلفت بعد ابنها فأخذها بمؤيد الملك وسجنها في القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته أن لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبوبون لولدها وإنما استوحشوا منه لأجلها ومتى قتلت عدلوا إليه بلاغتهم بمؤيد الملك فاتهم غدروا بمن أحسن إليهم أو ترق ما كان بهم فلم يصنع إلى قولهم ورفعها إلى القامة وخنقت وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة فلما أسر السلطان برکیارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الأسباب في قتله .

(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد) لما قوى أمر السلطان محمد سار إليه سعد الدولة كوهرايين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان برکیارق فاجتمع هو وكر بوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كركور وغيرها فساروا إلى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة إلى بغداد وخلع عليه وسار كره بوقا وجكرمش في خدمته إلى أصبهان ، ولما وصل كوهرايين إلى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فأجاب إلى ذلك ، وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب غياث الدنيا والدين (ذكر قتل مجد الدولة البلاسانی) قد ذكرنا تحکم مجد الملك أبي الفضل أسعد بن محمد في دولة السلطان برکیارق وتمكنه منها فلما بلغ الغياث التي لا مزيد عليها جاتته نكبات الدنيا وهصائبها من حيث لا يحتسب ، وأما سبب قتله فإن الباطنية لما تراءى منهم قتل الأمراء الأكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك إليه وأبه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الأمير برسق فاتهم أولاده زندي وأقبوري وغيرها مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان إلى زنجان لأنه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ما ذكرنا فطمع حينئذ الأمراء فأرسل أمير آخر وبلدكابك وطغيارك بن اليزن وغيرهم إلى الأمراء بني برسق يستحضرونهم إليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك ليقتلوه فحضروا عندهم فأرسلوا إلى السلطان برکیارق وهم بسجاس مدينة قريية من همدان يلتمسون تسليمه إليهم ووافقهم على ذلك العسكر جمعه وقالوا إن سلم إلينا فنحن

العبيد الملازمون للخدمة وإن منعنا فارقنا وأخذناه قهراً ففزع السلطان منه فأرسل مجد الملك إلى السلطان يقول له المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك وتقتلني أنت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل إليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا سلمه إليهم فقتله الغلبان قبل أن يصل إليهم فسكنت الفتنة ، ومن العجب أنه كان لا يفارقه كفته سفراً وحضراً ففي بعض الأيام فتح خازنه صندوقاً ، فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا إن أمرى لا يؤول إلى كفن والله ما أبقى إلا طريحاً على الأرض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ، ولما قتل حمل رأسه إلى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيراً كثيراً كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع إلا أنه كان يذكر الصحابة ذكراً حسناً ويلعن من يسبهم ، ولما قتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان المصلحة أن تعود إلى الري ونحن نمضي إلى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه ، وعاد إلى الري وسار العسكر إلى السلطان محمد .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الإسلام برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة وهو من أصحاب إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمئة واعتنى بأمره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير حميد الدولة بن جهير لما دخل عليه ، وفيها قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبي بأنه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه . وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات ودام سنتين وكان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دينهم لسكوتهم . وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان إماماً فاضلاً زاهداً . وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالي وعمره نحو تسعين سنة وكان عالي الإسناد في الحديث . وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين . وفيها في شعبان توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي نصر وكان حسن الخلق متواضعاً (١)

(١) وفيها توفي عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح ، أبو تراب البراعي ، ولد سنة إحدى وأربعمئة وتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الحكايات والملح ، وكان صبوراً متقللاً من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر منشوراً من الله عز وجل ، على يدي ملك الموت بالقدوم عليه ، والله لجلوس ساعة في هذه المسئلة على راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعايم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شيء ، والله لا أفلح قلب يعاق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يده عليه على الزهد في الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ما علم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله لو قطعت يدي ورجلي وقلعت عيني أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما هو سبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفي رحمه الله في ذي القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة رحمه الله آمين . وفيها توفي أبو القاسم بن إمام الحرمين قتل بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة)

(ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد) في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك أن بركيارق سار في العام الماضي من الري إلى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأماه غيره من الأمراء وسار إلى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الأمير صدقة بن يزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقنلوه فأخذوا واحضروا بين يديه فاعترفوا أن الأمير سر من شحنة أصبهان وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار إلى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرايين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد فسار إلى دي مرج ومعه أيلغازي بن أرتق وغيره من الأمراء فأرسل إلى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحما على الول إليه بأرسلا إليه كربوقا صاحب الموصل وجكرهش صاحب جزيرة ابن عمر فأما جكرهش فاستأذن كوهرايين في العود إلى بلده وقال إنه قد اختلفت الأحوال فأذن له وبقي مع كوهرايين جماعة من الأمراء فانفقوا على أن يصدروا عن رأي واحد لا يختلفون ، ثم اتفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له اخرج إلينا فإنا من يقاتلك وكان الذي أشار بذا كربوقا وقال لكوهرايين إننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق إليهم فترجلوا وقبلوا الأرض وعادوا معه إلى بغداد وأعاد إلى كوهرايين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الأعز أبو المحاسن عبدالجليل بن علي بن محمد الداhestاني وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الأمر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها إليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق .

(ذكر الواقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد وإعادة خطبة محمد ببغداد) في هذه السنة سار بركيارق من بغداد إلى شهر زور فأقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه فكتبه رئيس همذار ليسير إليها وبأخذ أنطاع الأمراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الأول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسفيدروز ومعناه النهر الأبيض وهو على عدة فراسخ من همدان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد في القلب ومعه الأمير سر منز وعلى ميمته أمير آخر وابنه أباز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق في القلب ووزيره الأعز أبو المحاسن وعلى ميمته كوهرايين وعز الدولة بن صدقة بن يزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرايين من ميمته بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق في خيابهم فنهبهم وحملت ميمته محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمته محمد إليه في القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرايين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبابه فرسه فأتاه خراساني فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقي في خمسين فارساً ، وأما وزيره الأعز أبو المحاسن فإنه أخذ أسيراً فأكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما وخرگاه وحمل إليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد وأعادها إليها وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان

محمد ببغداد فلما وصل إليها خاطب في ذلك فأجيب إليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب .
 ﴿ ذكر قتل سعد الدولة كوهرايين ﴾ في هذه السنة في رجب قتل سعد الدولة كوهرايين في الحرب المذكورة
 قبل وكان ابتداء أمره أنه كان خادماً للملك أبي كاليبجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل إليه من امرأة من قوقوب
 بخوزستان وكان إذا توجه إلى الأهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب أهلها منه خيراً كثيراً ،
 فأرسله أبي كاليبجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرل بك دضى معه إلى قلعة طبرك فلما
 مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي وكان ألب
 أرسلان قد أقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداد فأحضر
 له الخلع والتقليد ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الأمر وتمام القدرة وطاعة أعيان الأمراء وخدمتهم إياه
 وكان حليماً كريماً حسن السيرة لم يصادر أحداً من أهل ولايته ومنافيه كثيرة .

﴿ ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقاتل أميرداد حبشى ﴾ لما انهزم
 السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلاً وهو في خمسين فارساً ونزل عتمة واستراح بقصد الري
 وأرسل إلى من كان يعلم أنه يريد ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار إلى إسفراین وكاتب
 أمير داد حبشى بن التوتماق وهو بدامغان يسندعيه فأجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده
 حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان ، فلما وصل بركيارق إلى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم
 وأطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالي الجويني فأما أبو القاسم فمات مسموماً
 في قبضه وقد تقدم أنه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداد فاعتذر بقصد السلطان سنجر
 بلاده في هساكر بلخ ويسأل السلطان بركيارق أن يصل إليه ليعينه على الملك سنجر فسار إليه في ألف فارس
 فلم يعلم بقدمه إلا الأمراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم إلا صاعراً لئلا ينهزموا وكان مع الأميرداد عشرون
 ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان
 وكان الأمير بزغش في ميمنة سنجر والأمير كندكز في ميسرته والأمير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم
 فطعنه فقتله وانهزم أصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم بزغش وكندكز فقتلا المنهزمين
 وانهزم الرجالة إلى مضيق بين جبلين فأرسل عليهم الماء فأهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان
 قد أخذ والده أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولاً فخافت أن يقتلها بأمره فأحضرها وطيب قلبها وقال إنما أخذتك
 حتى يطلق أخى سنجر من عنده من الأسرى ولست كفو الوالد حتى أقتلك فلما أطلق سنجر الأسرى أطلقها
 بركيارق وهرب أمير داد إلى بعض القرى وأخذ بعض التركان فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله
 إلى بزغش فقتله وسار بركيارق إلى جرجان ثم إلى دامغان وسار في البرية ورؤى في بعض المواضع ومعه سبعة
 عشر فارساً وجماعة واحدة ، ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاووه وغيره وسار إلى
 أصهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه إليها فعاد إلى سمرم .

﴿ ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس ﴾ في هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس ، وكان صاحبها حمو
 قد عاد فتغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأي والتدبير ،
 فاستقامت به دولته وعظم شأنه فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعدته وبالغ في استمالته فلم يقبل فسير تميم

جيشا إلى حصار سفاقس وأمر الأمير الذي جعله مقدم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الأشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فإنه لا يتعرض إليه ويبالغ في صيائته ففعل ذلك . فلما رأى حمو ما فعل بأملالك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فأنحل نظام دولته وتسلم عسكريتم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهماني فأقام عنده فأحسن إليه ولم يزل عنده حتى مات .

(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته) لما أطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الأعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فأمر الأصبهني صباوة بن خمار تكين بالخروج إلى طريق الأعز وقتله وكان الأصبهني قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهمز العسكر قصد بغداد فخرج إلى طريق الأعز أبي المحاسن فلقبه قريبا من بعقوبا فأوقع بمن معه والتجأ الأعز إلى القرية واحتسب فلما رأى الأصبهني صباوة ذلك أرسل إليه يقول له إنك وزير السلطان بركيارق وأنا ملوكه فان كنت على خدمته فاخرج إلينا حتى نسير إلى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت صاحب الذي لا يخالف وإن لم تجب إلى هذا فما بيننا غير السيف فأجابه الأعز إلى ذلك واجتمعا فعرفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وأرسل الأعز إلى الأمير أيلغازي بن أرتق وكان قد ورد في صحبته وفارقه نحو الراذان فحضر في الليل فانقطع حينئذ أهل صباوة منه وفارقه وسار الأعز إلى بغداد وخاطب في عزل عميد الدولة فعزل في رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى أخوته وبقي معزولا إلى سادس عشر شوال فتوفي محبوسا في دار الخلافة ومولده في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عاقلا كريما حليما إلا أنه كان عظيم الكبر يكاد يمد كلامه هداً وكان إذا كلم إنسانا كلمات يسيرة هني ذلك الرجل بكلامه .

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج) في ذي القعدة من هذه السنة لقي كمشتهكين بن الدانשמند طابلو وإنما قبل له ابن الدانשמند لأن أباه كان معلما للتركان وتقلبت به الأحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجي وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه إليه فورد عليه في خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانשמند فانهزم بيمند وأسر ثم وصل من البحر سبعة قامة من الفرنج وأرادوا تخليص بيمند فأتوا إلى قلعة تسمى أنكورية فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدانשמند وحصرها فجمع ابن الدانשמند جمعا كثيرا ولقي الفرنج وجعل له كميناً وقتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلاثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين وسار ابن الدانשמند إلى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع في شهر قريية .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم فأمر الخليفة كال الدولة بمن بهذيب البلد فأخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا . وفيها أيضا انحات الأسعار بالعراق ، وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الأوقات وانقطعت الأمطار ويبست الأنهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد وعمدت الأدوية والعقاقير . وفيها في رجب سار بيمند الفرنجي صاحب أنطاكية إلى قلعة قامية

فحصرها وقاتل أهلها أياما وأفسد زروعها ثم رحل عنها . وفيها في آخر رمضان قتل الأمير بلدك بك سرمز بأصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ، ففي ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر . وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جرده وأصله من عكبرا وإليه ينسب مسجد ابن جرده وخرابة بن جرده ببغداد وفيها توفي أبو علي يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فأسلم وهو مصنف كتاب المنهاج . وفيها في شوال توفي عبدالرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حججات على التجريد ولم يخلف مات كفن فيه فقالت زوجته إذا مت افتضحنا ، قال لم نفتضح ؟ قالت : لأنك ليس لك مات كفن فيه ، فقال إنما افتضح إذا خلفت ما أكفن فيه . وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد^(١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك ﴾ في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد ، وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد إلى أصفهان وأنه لم يدخلها وسار منها إلى خوزستان وأتى عسكر مكرم فاتاه الأميران زنكي والبكي ابنا برسق وصارا معه وأقام بها شهرين وسار منها إلى همدان فاتصل به الأمير أياز وكان سبب ذلك أن أمير آخر قدمات مذ قريب فاتهم أياز مؤيد الملك بأنه سقاه السم وقوى ذلك عنده أن وزير أمير آخر هرب عقيب موته فازداد ظن أياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان أياز قد اتخذ أمير آخر ولدا واتصل به العسكري ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد إلى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الأمير سرخاب بن كينسر وصاحب آوة إلى السلطان بركيارق فأكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر ألفا فالتقوا فاقتلوا يومهم أجمع وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمد إلى بركيارق فيحسن إليهم وهن العجب الدال على الظفر أن رجالة بركيارق احتاجوا إلى تراس فوصل إليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همدان منها ثمانية أحمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار فانهم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونهته إلى مذهب الباطنية أخرى ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته إلى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق

(١) وفيها توفي الوزير عميد الدولة بن جهير محمد بن أبي نصر بن محمد بن جهير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، وزر لاثنتين منهم ، وكان حليما قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولي الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتا ، في شوال منها .

بيده وألقى على الأرض عدة أيام حتى سأل الأمير أياز في دفته فأذن فيه لحمل إلى تربة أبيه بأصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيء السيرة مع الأمراء إلا أنه كان كثير المكر والحيل في إصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صغر الأعز أبا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا إلى بغداد رهو أبو ابراهيم الإستراباذي لأخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم إليه محمد الشراي وهو ابن خالة مؤيد الملك فأخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر من مواضع آخر بلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها أحد وأربعون مثقالا ، ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الواقعة سار إلى الري فوصل إليه هناك قوام الدولة كبروقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد .

(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر) لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان إلى أخيه سنجر وهما لأم واحدة فأقام بخرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير إليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير أميرين في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بخرجان وسار منها إلى دامغان فخر بها العسكر الخراساني وعضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الأصقاع حتى أكل الناس الميتة والكلاب وأكل الناس بعضهم بعضا وساروا إلى الري فلما وصلوا إليها انضم إليهم النضابية وغيرهم فكثرت جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم .

(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد) لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة فارس ثم إنهم ضاقت عليهم الميرة ففرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة إلى أبيه وخرج الملك ، ودهيد بن إسماعيل بن ياقوني بأذربيجان فسير إليه قوام الدولة كبروقا في عشرة آلاف فارس واستأذن الأمير أياز في أن يقصد داره بهمدان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فأذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه أن أخويه قد جمعا الجوع وحشد الجنود وأنهما لما بلغهما قلة من معه جدا في المسير إليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل أن يجمع جموعه وعساكره فلما قارباه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه فقصد نحو همدان ليجتمع هو وأياز فبلغه أن أياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفاعلي ولايته وهي همدان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الأمراء بني برسق يستدعيهم إليه فلم يحضروا لما علموا أن أياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الأمير أياز يسأل التوقف ليصل إليه وسبب ذلك أن أياز راسل السلطان محمدا في الانضمام إليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر إلى همدان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فأقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل إليه أياز وساروا جميعهم إلى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للأمير أياز بهمدان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فإنه أعجل عنه وكان من جملة خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار إلى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه وصودر رئيس همدان بمائة

الف دينار لما وصل أيازي إلى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق إلى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة إلى طريقه أمين الدولة بن موصلايا يلتقيه في المركب ولما كان عيد الأضحى أنفذ الخليفة منبرا إلى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لأنه كان مريضا وضائق الأرواح على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرج به على نفسه وعلى عساكره فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب أن يعان بما يخرج به فتقرر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة إليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعوتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطة شنعاء وذلك أنه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرخ على ما ذكره ومعه أموال جبلة المقدار فأخذوها منه .

(ذكر خلاف صدقة بن يزيد على بركيارق) في هذه السنة خرج الأمير صدقة بن منصور بن ديبس ابن يزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك أن الوزير الأعز أبا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق أرسل إلى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزاة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا ديناراً لسنين كثيرة فإن أرسلتها وإلا سيرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد ، فلما وصل السلطان بركيارق إلى بغداد على هذه الحالة أرسل إليه مرة بعد مرة يدعو إلى الحضور عنده فلم يجب إلى ذلك فأرسل إليه الأمير أيازي يشير عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريد فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان إلا إذا سلم وزيره أبا المحاسن إلى وإن لم يفعل فلا يتصور مني الحضور عنده أبداً ويكون في ذلك ما يكون فلفظ سلبه إلى فانا العبد المخلص في العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب إلى ذلك فتم على مقاطعته وأرسل إلى الكوفة وطرده عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه .

(ذكر وصول السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها) في هذه السنة في السابع والعشرين من ذي الحجة وصل السلطان محمد وسنجر إلى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همدان وغيرها سار إلى بغداد فلما وصل إلى حلوان سار إليه أيلغازي بن أرتق في عساكره وخدمه وأحسن في الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع فلما وصلت الأخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فاج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به في محفة إلى الجانب الغربي فنزلوا بالرملة ولم يبق في بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا في كفته وموضع دفنه فبيناهم كذلك إذ قال لهم إني أجد نفسي قد قويت وحركتي قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فترامى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد (باباطنية) يعبرونهم بذلك ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط ووصل السلطان محمد إلى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتناع من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدمه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوه آيين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير

الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم إليه في المحرم سنة خمس وتسعين الأير سيف الدولة صدقة وتخرج الخلق كلهم إلى لقائه .

(ذكر حال قاضي جبلة) هو أبو محمد عميد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكيين لها على المسلمين يقضى بينهم ، فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته في الحكم فيها ، فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فأراد ابن عمار أن يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تنس مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشيء وأصيب صاحبه أنابك طغتكين بنشابة في ركبته وبقي أثرها وبقي أبو محمد بها مطاعا إلى أن جاء الفرنج لعنهم الله فحصرها فأظهر أن السلطان بركيارق قد توجه إلى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فأظهر أن المصريين قد توجهوا لخرابهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصاري الذين بها أن يرأسوا الفرنج ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلوه إليهم ويملكوا البلد فلما أتتهم الرسالة جهزوا نحو ثمانمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا إلى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الجبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس إليهم فرحلوا عنه وحصلوه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزدين وأسر مقدمهم المعروف بكندا صطيل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم أنهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فأرسل إلى طغتكين أنابك يلتمس منه إنفاذ من يشق به ليسلم إليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله فأجابه إلى ما التمس وسير إليه ولده تاج الملوك بوري فسلم إليه البلد ورحل إلى دمشق وسأله أن يسيره إلى بغداد ففعل ، وسيره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس إلى الملك دقاق ، وقال سلم إلى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثمانمائة ألف دينار فلم يفعل ، فلما وصل إلى الأنبار أقام بها أياما ثم سار إلى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الأعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب أن يحط شيئا وقال إن رحلي ومالي في الأنبار بالدار التي نزلتها فأرسل الوزير إليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا وأهلا قافية فن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير ، كان ينبغي أن تذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمد إلى ههنا بعد قتل الباطنية ، فإنها كانت أواخر السنة وكان قتلهم في شعبان وإنما قدمنا ما لتتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شيء . وأما تاج الملوك بوري فإنه لما ملك جبلة وتمكن منها أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعولوا بهم أفعالا أنكروها فرأسوا القاضي نجر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكروا إليه ما يفعل بهم وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلموا إليه البلد ففعل ذلك وسير إليهم عسكر فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقتلوا تاج الملوك

ومن معه فانهزم الأتراك وملك عسكر بن همار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيراً وحملوه إلى طرابلس فأكرمه ابن عمارة وأحسن إليه وسيره إلى أبيه بدمشق واعتذر إليه وعرفه صورة الحال وأنه خاف أن يملك الفرنج جبلة (ذكر قتل الباطنية) في هذه السنة في شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الإسماعيلية وهم الذين كانوا قديماً يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول ما عرف من أحوالهم أعنى هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنية والإسماعيلية في أيام السلطان الملكشاه فإنه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم، ثم لهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان متعباً بأصبهان لم يجبههم إلى دعوتهم لمخافوه أن ينم عليهم فقتلوه، فهو أول قتل لهم وأول دم أراقه فبلغ خبره إلى نظام الملك فأمر بأخذ من يتم بقتله فوَقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله في الأسواق فهو أول قتل منهم، وكان والده واعظاً وقدم إلى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين، فحظى منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه في رسالة إلى كرماني فقتله العامة في العتنة التي جرت وذكروا أنه باطنى ثم إن الباطنية قتلوا نظام الملك وهي أول فتنة شهيرة كانت لهم وقالوا قتل نجاراً فقتلناه به وأول موضع غالبوا عليه وتمصنوا به بلد عند قان كان متقدماً على هذهم فاجتمعوا عنده وقبوا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرماني إلى قان فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركاني فوصل إلى قان فأخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضي الكرمانى إلى جهادهم لم يقدرُوا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان الملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطاعهم وكان سبب قوتهم بأصبهان أن السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد منهم ظهرت عقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا يتفرقون في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فملوا دماً بخناق كثير وزاد الأمر حتى أن الإنسان كان إذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد يتقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد أحد وأخذوا في بعض الأيام مؤذناً أخذه جار له باطنى فقام أدله للنياحة عليه فأصعده الباطنية إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبيكون وهو لا يقدر يتكلم خوفاً منهم.

(ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان) لما سمعت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم فانفق أن رجلاً دخل دار صديق له فرأى فيها ثياباً ومداسات وملابس لم يعهد لها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعملوا أنه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون ممن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وأنهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها وقتلوه والقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده خطوات إلى باب الدرب فيفعل ذلك فإذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندی الفقيه الشافعى وجمع الجرم الغفير بالأسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون في النار وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقاً كثيراً.

(ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم) واستولوا على عدة حصون منها قلعة أصبهان وهذه

القلعة لم تكن قديما وإنما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها أنه كان قد أتاه رجل من مقدمى الروم فأسلم وصار معه فاتفق أنه سار يوما إلى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجلطنا عليه حصنا ننتفع به فأمر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت أيام السلطان ملكشاه وصارت أصبهان بيد خانون أزالوا الدزدار وجعلت غيره فيها وهو إنسان ديلمى اسمه زيار فمات وصار بالقلعة إنسان خوزى فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد البسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وإنما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه ووثق به وقلده الأمور فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الأموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون إن قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لا بد وأن يكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهى من نواحى قزوین قيل إن ملوكا من ملوك الديلم كان كثير الصيد فأرسل يوما عقابا وتبعه فراه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه فسيماها له موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان، وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بلبه وسلامة صدر وكان الحسن ابن الصباح^(١) رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الرى إنسان يقال له أبو مسلم وهو صهر نظام الملك فانهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه نخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبى مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة أصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل إلى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالا وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته فقال له الحسن فمن الإمام بعدك فأشار إلى ابنه نزار وعاد من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع إلى خراسان ودخل كاشغر وماوراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة الموت واختبر أهل تلك النواحى أقام عندهم وطمع فى إغوائهم ودعاهم فى السر وأظهر

(١) الحسن بن صباح : أحد دعاة الباطنية وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحى ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبيا جاهلا ، لا يعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلوا ومنعوا حقهم الذى أوجه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل فى نصرة إمامك على بن أبى طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من المخرفة والتبرنجيات والحيل التى لا تروج إلا على الجهال ، حتى النف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتمدده وبنهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه ، فأشرايت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشباب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكيناً فضرب بها غلصمته فسقط ميتا ، وقال لآخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره بن الجوزى .

الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس إليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوى بالقلعة فقال له ابن الصباح أخرج من هذه القلعة فتبسم العلوى وظنه يمزح فأمر ابن الصباح بعض أصحابه بإخراج العلوى فأخرجوه إلى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكريا إلى قلعة الموت فحصره فيها وأخذوا عليه الطرق فضاقت ذرعه بالحصر فأرسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم إن السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى . ومنها طبرس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها أن قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور أمراء خراسان أيام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد اختا المنور بغير حل فحمل ذلك المنور على أن التجأ إلى الاسماعيلية وصار معهم فعضم حالهم في قهستان واستولوا عليها . ومن جعلتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الأطراف المجاورة لها هو منها قلعة وسنمكوه ملكوها وهي بقرب أهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما أهل أهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم . ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقل إلى جاولي سقاواوا فجعل بها إنسانا تركيا فصادقه نجار باطنى وأهدى له هدية جميلة ولزنته حتى وثق به وسلم إليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقام الخمر فأسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم إليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فإنه هرب وقوى ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة . ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح . ومنها كردكوه وهي مشهورة ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الإسكافي وهو من أهل أرجان سافر إلى مصر وعاد داهية لهم . وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة للملكشاه أقطعها الأمير أنز فجعل بها دزدارا فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرجان يطلبون منه بيعها فأبى فقالوا له نحن نرسل إليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فأجابهم إلى ذلك فأرسلوا إليه إنسانا ديليا يناظره وكان للدردار مملوك قد رباه وسلم إليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطنى فأجابه إلى القبض على صاحبه وتسليم القلعة إليهم فقبض عليه وسلم القلعة إليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها .

(ذكر ما فعله جاولي سقاواوا بالباطنية) في هذه السنة قتل جاولي سقاواوا خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا أنهم معهم وعلى رأيهم فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولي أن الأمراء بنى برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وأنه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير إلى همدان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لم الرأي أننا نخرج إلى طريقه ونأخذه ومأمعه من الأموال فساروا إليه في ثلثمائة من

أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر سعدوا إلى الجبل وهربوا وغنم جاولي مامعهم من دواب وسلاح وغير ذلك .
 (ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره) كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذي قتل الأتراك الإسماعيلية وليسوا منسوبين إلى هذه الطائفة الباطنية إنما نسبوا إلى أمير اسمه إسماعيل وكانوا من أهل السنة قتل منهم ألفي رجل صبراً وقطع أيدي ألفين ونفق عليه إنسان يقال له أبوزرعة كان كاتباً بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فأجاب إليه وكان عنده فقيه حنفي يقال له أحمد بن الحسين البلخي كان طاعاً في الناس فأحضره عنده ليلاً وأطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه بمن قتله فلما أصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه أيها الملك من قتل هذا الفقيه فقال أنت شحنة البلد تسألني من قتله فقال أنا أعرف قاتله ونهض من عنده فقلقه في ثلثمائة فارس وسار إلى أصفهان فأرسل في أثره ألفي فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وصار إلى أصفهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فأكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه وأخرجوه عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان فلما فارقتها اتفق القاضي والجند وأقاموا أرسلان شاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه إلى مدينة بم من كرمان فخاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا مامعه من أموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فأرسل أرسلان شاه جيشاً حاصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عني فلست أرى الغدر بك وأنا رجل مسلم ومقامك عندي يؤذيني وأنتهم بك في ديني فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون إلى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكراً إلى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه ومامعه وأخذوا أيضاً أبازرعة فأرسل أرسلان شاه فقتلها وتسلم جميع بلاد كرمان .

(ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية) لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول وإحن فلما قتلوا جماعة من الأمراء الأكارب وكان أكثر من قتلوا من هو في طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصفهان سرمز وأرغش وكش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك إليه وأنهموه بالميل إليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمداً وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر واستغروا كثيراً منهم وأدخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى أنهم لم يتجاسر أحد منهم لأهير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى أن الوزير الأعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم بمن يقاتلهم فأذن لهم في ذلك وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يمجز عن تلافى أمرهم وأعلموه مايتهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم حتى أن عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فأذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف وكان ممن اتهم بأنه مقدمهم الأمير محمد بن دشمنزار ابن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وصار يومه وليته فلما كان اليوم الثاني وجد

في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل (تتك بحائن رجلاه) ونهب خيامه فوجد عنده السلاح المعد وأخرج الجماعة المتهمون إلى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآه لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم وفيمن قتل ولد كية باذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لثلا يوتى منه وجعل بيعة في البلد دامعا وصل الناس فيه وكتب إلى بغداد بالقبض على أبي إبراهيم الأسد اباذي الذي كان قد وصل إليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤسهم فأخذ وحبس فلما أرادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد والقي خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا إلى هذا المذهب قديما فانهم حالهم إلى الوزير أبي شجاع أيام المقتدى بأمر الله فأحضرهم إلى بغداد فسئل مشايخهم عن الذي يقال فيهم أنكروا وجحدوا فأطلقهم وانهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بأنه باطنى ونقل ذلك عنه إلى السلطان محمد فأمر بالقبض عليه فأرسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فأطلق .

(ذكر حصر الأمير بزغش قهستان وطبس) في هذه السنة جمع الأمير بزغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقوام بالمال والسلاح وسار إلى بلد الإسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فأكثر وحصر طبس وضيق عليها ورمها بالمنجنيق فخرّب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق إلا أخذها فأرسلوا إليه الرشا الكثيرة واستنزلوه مما كان يريد منهم فرحل عنهم وتركهم فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر ممالك الفرنج من الشام) فيها سار كندفري لك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس إلى مدينة عكة بساحل الشام فحصرها فأصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها إلى قصص من الفرنج اسمه طنكري فلما قتل كندفري سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فمض إليه في عسكره ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه فقاتله فنصر على الفرنج . وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك أن الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لأن أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين إلا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركان وزحف إليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه في ربيع الأول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سروج فحصرها وتسلبوها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم إلا من مضى منهم ما . وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهي بالقرب من عكة على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا أرسوف بالأمان وأخرجوا أهلها منها . وفيها في رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في شهر رمضان قدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وأمر بالجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجربه عادة وإنما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لأن العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لم لا اتباعا لمذهب أحمد الإمام وأمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعي فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن نخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة

قد أطلق من الاعتقال فاختلف بالناس وخرج إلى ظاهر بغداد من ثلة في السور وصار إلى سيف الدولة صدقة ابن مزيد فاستقبله وأنزله وأكرمه . وفيها في المحرم توفي جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو أستاذ دار الخليفة . وفيه توفي القاضي أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعي وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبي نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وغيره . وفيه توفي شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمي بأصبهان وكان مستوفياً في ديوان السلطان ما كشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبني شهداً على قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرور جميعها للحنفيين وفيها في صفر توفي القاضي أبو المصالي عزيزي وكان شافعيًا أشعريًا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعاً وله مع أهل باب الأزج أخبار ظريفة وكان قاضياً عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفي أسعد بن مسعود بن علي بن محمد أبو إبراهيم العشي من ولد عتبة بن غزوان نيسابوري ولد سنة أربع وأربعمئة وروى عن أبي بكر الحميري وغيره . وتوفي في صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد ابن طوق أبو الفضائل الربيعي الموصلية الفقيه الشافعي تفقه على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث من أبي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحاً . وتوفي في ربيع الأول منها محمد بن علي بن عميد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان ابن ودعان أبو نصر القاضي الموصلية وهو صاحب الأربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقبل إنه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكين . وتوفي فيها في ربيع الأول نصر بن أحمد بن عبد الله ابن البطر القاري أبو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت إليه الرحلة لعلو إسناده وكان سماعه صحيحاً . (١) .

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة)

(ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الأمر بأحكام الله) في هذه السنة توفي المستعلي بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريب من شهرين وكان المدبر لدولته الأفضل ولما توفي ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الأمر بأحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الأفضل بن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الأمر إلى أن قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة .

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما) في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد قد ذكرنا سنة أربع وتسعين قدوم السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان

(١) وفيها توفي محمد بن الحسن أبو عبد الله المرادي ، نزل أوان وكان مقرناً فقيهاً صالحاً ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال بن الجوزي : بلغني أن ابنه صغيراً طلب منه غزالاً وألح عليه ، فقال له : يا بني غداً يأتيك غزال ، فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقرنيها حتى فتحت ، فقال له أبوه : يا بني أتتك الغزال .

بركيارق عنها إلى واسط مريضاً فأقام السلطان محمد ببغداد إلى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو وأخوه السلطان سنجر عائدین إلى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همدان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الأخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخليفة ما يوجب نقله فأرسل الخليفة وأعاد السلطان محمداً إلى بغداد وذكر له ما نقل إليه وعزم على الحركة مع محمد إلى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين فأنى أقوم في هذا القيام المرضى وسار عائداً ورتب ببغداد أبا المعالي المنفصل بن عبدالرزاق في جباية الأموال وأبلغا زى شحنة وكان لما دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فهبوا البلاد وخربوها فأخذهم السلطان محمد معه وجد السير إلى رودراور، وأما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة أربع وتسعين أنه سار من بغداد عند وصول محمد إليها قاصداً إلى واسط، فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه وأخذوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا إلى الزبيدية فأقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل في محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فإنهم كانوا يجدون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمد أو الأمير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من أتباعهم ولما وصلوا إلى واسط عرفى بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتياً شديداً البارد والماء زائداً وكان أهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم نخلت الطرقات والأسواق من اجتاز فيها فخرج القاضي أبو علي الفارقي إلى العسكر واجتمع بالأمير أياز والوزير واستعطفهما للخاق وطلب إنفاذ شحنة لتطمئن القلوب فأجابوه إلى ملتصقه وقالوا له نريد أن تجمع لنا من يعبر دوابنا في الماء ونسبح معها لجمع لهم من شباب واسط وأعظام الأجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الأمير أياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا في الجانب الشرقي اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضي وجدد الخطاب في الكف عنهم فأجيب إلى ذلك فأرسل معه من يمنع من النهب ثم إن عسكر واسط أرسلوا إلى بركيارق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة السلطان فأنهم فحضر أكثرهم عنده وساروا معه إلى بلاد بني برسق فحضروا أيضاً عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فأدركه بروذراور وكان العسكران متقاربين في العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك فتصافوا أوّل يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا في اليوم الثاني ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفيين فيخرج إليه من يقائله فإذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الأمير بلدجى وغيره من عسكر محمد إلى الأمير أياز والوزير الأعز فاجتمعوا وانفقوا على الصلح لما قدمتم الناس من الضرر والممل والوهن فاستقرت القاعدة أن يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جزيرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وأن يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الأوّل وسار بركيارق إلى مرج قراتكرن قاصداً ساوة والسلطان محمد إلى أسداباذا وتفرق العسكران وقصد كل أمير أقطاعه.

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساح الصلح بينهما) في هذه السنة في جمادى الأولى كان

المصاف الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وكان سببه أن السلطان محمد سار من رودراور من الوقعة المذكورة إلى أسداباذ ومنها إلى قزوين ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه والنقاعده فوضع رئيس قزوين أن يتوسل إليه بأولئك الأمراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان فحضر دهرته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت أقيبتهم وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين وبسمل فقتل الأمير بسمل وهو من أكابر الأمراء وكحل الأمير أيتكين وكان الأمير ينال بن أنوشتهكين الحسامي قد فارق بركيارق وأقام مجاهد للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمد وسار معه إلى الري يضرب النوب الخس واجتمعت إليه المساكر وأقام ثمانية أيام وأقام أخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة المسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الأمير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبة علي الأمير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبيرا ومضى قطعة من المهزمين نحو قزوين ونهب خزائن محمد ومضى في نفر يسير إلى أصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه أصحابه وسار في طلبه الأمير البكي بن برسق والأمير أيازالي قم وتتبع بركيارق أصحاب أخيه محمد وأخذ أموالهم .

(ذكر حصار السلطان محمد بأصبهان) لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى إلى أصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الأمراء الأمير ينال وغيره من الأمراء ودخل المدينة في ربيع الأول وأمر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين وأربعمائة عند خوفه من طغرل بك وأمر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم إلى كل أمير بابا وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمد إلى أصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الأولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة ألف من الحواشي وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الأمر في الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وهدمت الأقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الأموال فاضطر السلطان محمد إلى أن يستقرض من أهليان البلد فأخذ مالا عظيما ثم عاهد الجند الطالب فقسط على أهل البلد شيئا آخر وأخذ منهم بالشدة والعنف فلم تزل الأسعار تغلو حتى بلغ عشرة أمان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبنا بأربعة دنانير ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الأسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبق الحصار على البلد إلى عاشر ذي الحجة فلما رأى السلطان محمد أنه لاقدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقتة وقصد جهة أخرى يجمع فيها المساكر ويعود بدفع الخضم عن الحصار فسار عن البلد في مائة وخمسين فارسا ومعه الأمير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقي العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن في دوابهم ما يدوم على السير لقلّة العلف في الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسير سيره وراه الأمير أياز في عسكر كثير وأمره بالجد في السير في طلبه فقبل إن محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فأرسل إلى الأمير أياز يقول أنت تعلم أن لي في رقبك عهدا وأيماننا ما نقضت ولم يكن مني إليك ما تبلغ في أذاه فباد عنه وأرسل له خيلا وأخذ علمه والجنز وثلاثة أحمال دنانير وعاد إلى

ذكر قتل الوزير الأعز ووزارة الخطير أبي منصور

بركيارق فدخل عليه وأعلام أخيه السلطان محمد منكوسة فأنكر بركيارق ذلك وقال إن كان قد أساء فلا ينبغي أن يعمل معه هذا فأخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد أصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن برد النهب ما يزيد على مائة ألف نفس وزحفوا إلى البلد بالسلامة والديابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمي حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الأمراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذي يقال له شهرستان ترشك الصوابي في ألف فارس مع ابنه ملكشاه ومار إلى همذان وكان هذا من أعجب ما سطر إن ساطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له في أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التي كلها قد شرع إليه رحمة وفوق إليه سهمه .

(ذكر قتل الوزير الأعز ووزارة الخطير أبي منصور) في هذه السنة ثاني عشر صفر قتل الوزير الأعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني وزير السلطان بركيارق على أصبهان ، وكان مع بركيارق محاصراً لها فركب هذا اليوم من خيمته إلى خديعة السلطان فجاء شاب أشقر قيل إنه كان من غلمان أبي سعيد الحداد ، وكان الوزير قتله في العام الماضي فانهز الفرصة فيه وقيل كان باطنياً فجرحه عدة جراحات ففترق أصحابه عنه ، ثم عادوا إليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد إلى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريماً واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لأنه دخل في الوزارة وقد تغيرت القوازين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ماخافه الناس بسببه ، وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير . حكى أن بعض التجار باعه متاعاً بألف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كراكل كر بعشرين ديناراً فامتنع التاجر من أخذها وقال لا أريد غير الدنانير ، فلما كان من الغد دخل إليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان ، فقال وماء وقال خبر حنطتك فقال مالي حنطة ولا أريدها قال بلى وقد بيعت كل كر بخمسين ديناراً فقال أنا لم أتقبل بها فقال الوزير ما كنت لأفسخ عقداً عقده قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة الفين وخمسمائة دينار وأضفت إليها مثلاً وعائلته فقتل فضاع الجميع ، وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به إنسان كيميائي فكان يعمده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول ، وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقاً في عمله لما كان يستزيد من القدر القليل ، وقتل ولم يصح له منه شيء ولما قتل الأعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو منصور الميمني الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد أنه كان معه بأصبهان وبركيارق يحاصره ، وقد سلم إليه محمد باباً من أبوابها ليحفظها فقال له الأمير ينال بن أنوشكين كنت قد كلفتنا ونحن بالرى لنقصد همذان وقلت أنا أقيم بالعسكر من مالي وأحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير أنا أفعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسامياً إليه وقصد بلدة ميبد وأقام بقلعتها متحصناً فأرسل إليه لسلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأناً فحمل على بغل ياكاف إلى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الأعز وكتاب السلطان له بالأمان وطيب قلبه فلما وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره .

(حائفة يعتبر بها) في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك إلى مؤيد الملك ثم قتل في سنة أربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته وأخذ الجميع وحمل إلى الوزير الأعز

وقتل الوزير الأعز هذه السنة ويسع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولي بعده أكثرها وتفرقت أيدي سبأ، وهذا عاقبة خدمة الملوك .

(ذكر الفتنة بين أيلغازي وعامة بغداد) في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير أيلغازي ابن أرتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها أن أيلغازي كان بطريق خراسان فعاد إلى بغداد فلما وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتأخر فرماه أحدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فأخذ العامة الغناتل وقصدوا باب النوبي فلقبهم ولد أيلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجعهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى إلى أبيه مستغيثا فأخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع أيلغازي ذلك فعبر بأصحابه إلى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطاين وتبعهم خلق كثير فتمبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق أكثر من القتل وجمع أيلغازي التركان وأراد نهب الجانب الغربي فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة والكياء الهراس المدرس بالنظامية فنعاه من ذلك فامتنع .

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها) في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الأمير إسماعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدى بذكر إسماعيل وتنقل الأحوال به إلى أن ملك البصرة وهو إسماعيل بن سلاجق وكان إليه في أيام ملكشاه شحنة الري ، ولما وليها كان أهل الري والرسناقية قد أعيوا من ولهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلاجهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فهذبوا بها وأرسل من شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاود وشكلا للدواب ثم عزل عنها ثم إن السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمر قجاج فأرسل إليها هذا الأمير إسماعيل فثابا عنه فلما فارق قجاج بركيارق وانتقل إلى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فأنحدر مهذب الدولة بن أبي الجبر من البطيحة إليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي صاحب الجزيرة الديسية فأقبل في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا إلى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها ينال بمطارا وجددها إسماعيل وأحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة وأخذ إسماعيل سفنه وذلك سنة إحدى وتسعين فاستمد ابن أبي الجبر كوهرايين فأمدته بأبي الحسن الهروي وعباس بن أبي الجبر فلقياه فكسرهما وأسرها وأطلق عباسا على مال أرسله أبوه واصطاحا ، وأما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شيء وقوى حال إسماعيل فبنى قلعة بالأبلة وقلعة بالشاطيء مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وأمن البصريون به وأسقط شيئا من المكوس واتسعت إمارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها إلى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه فقوى طمعه في واسط فأصعد في السفن إلى نهر أبان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأي فأصعد إلى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم فلما أيس منهم عاد إلى البصرة وساروا بإزائه من الجانب الآخر فوصل إلى العمرو عبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن أن البلد خاليا وأن الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بإزائه فيوقع الحريق في البلد فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم فكان ظنه خائبا لأن العامة كانوا على دجلة أولهم في البلد وآخرهم مع

الأتراك يازائه فلما عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم ونمهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا خلقا كثيرا وألقى الباقيون أنفسهم في الماء فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وسار أعيان أصحابه مأسورين وعاد إلى البصرة وكان عوده من سعادته فإنه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله أعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بنى نقيس وكان سبب قصده إياها أنه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يعرف بجعفر ك وآخر اسمه زنجويه والثالث أبي الفضل الأبلبي فأطعموه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر إلى هذا أبي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة فأتوا إلى دجلة البصرة وذلك في السنة الخالية فأقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل وقتلوا صاحب قلعة الأبلبة وكانوا بنى برسق بنحوزستان يطالبون أن يرسلوا عسكرا يساعدهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان إلى الصلح على أن يسلم إليهم إسماعيل جعفر ك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكرها من أعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيئا من ذلك وأخذ مركبين لقوم من أصحاب أبي سعد فحمله ذلك على أن سار بنفسه في قطع كثيرة تزيد على مائه قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل إلى فوهة نهر الأبلبة وخرج عسكرا إسماعيل في عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحر يور في نحو عشرة آلاف وإسماعيل في سبعمائة وأعد البحر يور في دجلة فأحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكرا إسماعيل فبعضه بالأبلبة وبعضه بنهر الدين وبعضه في مواضع أخر فلما ضعف إسماعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد أن يسعى في الصلح فأرسل إليه في ذلك فأعاد الجواب يذكر قبح ما عاينه به إسماعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فأجاب إلى الصلح فاعطاهما واجتمعا وعاد أبو سعد إلى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة .

(ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركماني الموصل وجكر مش بعده وملك سقمان الحصن) في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد أرسله في العام الماضي إلى أذربيجان كما ذكرناه فاستولى على أكثرها وأتى إلى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه أصهبند صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى إلى سنقرجه وأمر الأتراك بطاعته وأخذ له على عسكرا العهدومات على أربعة فراسخ من خوى واتفق في زلية لعدم ما يكفن فيه ردفن بنحوى وسار سنقرجه وأكثر العسكرا إلى الموصل فتسلها فأقام بها ثلاثة أيام وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركماني وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسألوه أن يبادر إليهم ليسلبوا إليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصولهم فظن أنه جاء إليه خدمة له فخرج ليستقبله في أهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسائرا فقال سنقرجه لموسى في جملة حديثه أنا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا (المخدة) والمنصب والأموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودسوت الأمر في هذا إلى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فغذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فألقى موسى نفسه إلى الأرض وجذب سنقرجه فألقاه إلى الأرض وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر فغذب بكينا وضرب بهارأس سنقرجه فأباه ودخل موسى البلد وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكر مش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر

قصد نصيبين وتسلبها وسار موسى قاصدا إلى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى أسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى إلى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أرتق وهو يومئذ بديار بكر وأعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان إليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراناً فوثب عليه عدة من الغلبان القوامية فقتلوه رماه أحدهم بنشابة فقتله فعاد أصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الأمير سقمان إلى الحصن فلديها وهي بيد أولاده إلى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازي بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها أياماً ثم تسلبها صلحا وأحسن السيرة فيها وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الحابور وذلك العرب والأكراد فأطاعوه .

(ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس) كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد لقي قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش صاحب قونية وكان صنجيل في مائة ألف مقاتل وكان قلع أرسلان في عدد قليل فاقتلوا فانهمز الفرنج وقتل منهم كثير وأسر كثير وعاد قلع أرسلان بالغنائم والظفر الذي لم يحسبه ومضى صنجيل مهزوماً في ثلاثمائة فوصل إلى الشام فأرسل نحر الملك بن عمار صاحب طرابلس إلى الأمير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فإلى الملك دقاق بن تمش يتول من الصواب أن يماجل صنجيل إذ هو في هذه العدة القريبة فخرج الأمير ياخز بنفسه وسير دقاق ألفي مقاتل وأتهم الأمداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فأخرج مائة من أسكره إلى أهل طرابلس ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص وبقي هو في خمسين فأما عسكر حمص فإنهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق وأما أهل طرابلس فإنهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها وأناه أهل الجبل فأعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصاري فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم إنه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم إلى مدينة أنطرسوس وهي من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل إلى حصن الطربان وهو يقارب رمنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

(ذكر مافله الفرنج) في هذه السنة أطلق الدانشمند بيمنند الفرنجي صاحب أنطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه إطلاق ابنة باغي نسيان الذي كان صاحب أنطاكية وكانت في أسره ولما خلاص بيمنند من أسره عاد إلى أنطاكية فقويت نفوس أهلها ولم يستقر حتى أرسل إلى أهل العواصم وقنشرين وما جاورها يطالبهم بالآتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند . وفيها سار صنجيل إلى حصن الأكراد فحصره فجمع جناح الدولة أسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل إن الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبيح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وسلك أعمالها ونزل القمص على عكة في جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والأبراج وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل

وأثروا إلى منجنيقائهم وأبراجهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصراً عجيباً أذل الله به الكفار .
 وفيها صار القمص الفرنجى صاحب الرها إلى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقتها وأطال المقام عليها
 فلم ير طمعا فرحل عنها . وفيها في رجب خرجت عساكر مصر إلى عسقلان لينعوا الفرنج عما بقي في أيديهم
 من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار إليهم في سبعمائة فارس وقائدهم فنصر الله المسلمين
 وانهمز الفرنج وكثر القتل فيهم وانهمز بردويل فاخترى في أجمة قصب فأحرق تلك الأجمة ولحقت النار بعض
 جسده ونجا منها إلى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكروا وخرج منها إلى يافا وكثر القتل والأسرى في أصحابه
 (ذكر عود قلعة خفتيند كان إلى سرخاب بن بدر) في هذه السنة عادت قلعة خفتيند كان إلى الأمير سرخاب
 ابن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه أن القرابلى وهو من قبيل من التركان يقال لهم سلغر كان قد أتى إلى
 بلد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى إلى التركان واستجاش بهم وجاء في عسكر
 كثير فلقبه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحابه الأكراد قريبا من ألفى رجل وانهمز سرخاب إلى بعض جباله
 في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيند كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها
 وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على ألفى دينار فتملكاها واجتاز بها السلطان بركيارق فأنفذ
 إليه مائتى ألف دينار واستولى التركان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا
 الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل إلى سرخاب يطلب منه الأمان ليسلم إليه القلعة فأمنه على نفسه
 وعلى ما حصل بيده من أموالها فسلمه إليه ووفى له .

(ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند) قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد إلى
 بغداد وعوده إلى خراسان فلما وصل إلى نيسابور خطب لأخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع
 قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الأرض قيل كانوا مائة ألف
 مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان
 بالأخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عودته إلى بلاده وأنه قد أشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع
 بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وأنه
 متى أسرع ملك خراسان والعراق فيادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد
 عوفي فيبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لا يتمه
 بشيء مما فعل فوصل إلى بلخ في ستة آلاف فارس فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى
 إلى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده إلى ترمذ فملكها وكان
 الباعث لكندغدى على ما فعل جسده للأمير بزغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران أرسل
 سنجر يذكر قدرخان اليهود والمواثيق القديمة فلم يصغ إلى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان
 فكان لا يخفى عنه شيء من خبره فأناه من أخبر أنه نزل بالقرب من بلخ وأنه خرج متصيذا في ثلاثمائة فارس
 فندب سنجر عند ذلك الأمير بزغش لقصده فسار إليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع
 قدرخان فانهزموا وأسر كندغدى وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فأما قدرخان فإنه قبل الأرض واعتذر
 فقال له سنجر إن خدمتنا أولم نخدمنا فما جزاؤك إلا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه

ونزل في قناة ومشى فيها فرسخين تحت الأرض على مابه من النمرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه إلى مخرجها وسار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقاتل عظيم كثير فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل أسيرا إلى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدي فطلب الأمان فأمنه سنجر ونزل إليه وسلم ترمذ فأمره سنجر بمفارقة بلاده فسار إلى غزنة فلما وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير وانفق أن صاحب غزنة عزم على قصد أونان وهي جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها ووعور مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدي منفردا عنهم فأبلى بلاء حسنا ونصر عليهم وأخذ غنائمهم وحملها إلى علاء الدولة فلم يقبل منها شيئا ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فأشاروا بقبضه وقالوا إنا لا نأمن أن يتصد بمض إلا ما كن فيفعل في أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بمن أقبض عليه فإني أخاف أن آمرم بالقبض عليه فينالكم منه ما تفتضحون به فقالوا الصواب أن توليه ولاية ويقبض عليه إذا سار إليها فولاه حصنين جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه فسار إليهما فلما قاربهما عرف ما يراد منه فأحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فإنه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التي يريد بها فدلّه فأخذه معه خوفا أن يكون قد غره ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تنش بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته .

(ذكر ملك محمد خان سمرقند) في هذه السنة أحضر السلطان سنجر محمدا أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية بما وراء النهر وأمه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها إلى الآن فلما قتل قدرخان ولأه سنجر أعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه إلا أنه انتصب له أمير اسمه صاغوبك وزاحمه في الملاك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الأول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة ابن سعد ابن الموصلايا إلى الحلة السيفية مستنجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك أن الوزير الأعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب إليه أنه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الأعز على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة إلى بغداد - وعاد خاله إلى منصبه . وفي ربيع الأول أيضا ورد الحميد المهذب أبوالمجد أخو الوزير الأعز إلى بغداد نائبا عن أخيه ظنا منه أن أيلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه أيلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد . وفيها في جمادى الأولى ورد إلى بغداد ابن تكش بن ألب أرسلان ، وكان قد استولى على الموصل فخذعه من كان بها حتى يسير عنها إلى بغداد ففعل فلما وصل إليها زوجه أيلغازي بن أرتق ابنته .

وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين . وفيها في صفر قتل الريعون بهيت قاضي البلد أبا علي بن المشي ، وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدائمي وكان هذا القاضي على ماجرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم فقتله أحدهم فندم الباكون على قتله ، وقد فات الأمر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وإنما كان يسكن هو وآباؤه وقبله في البيوت العربية ، وفي جمادى الأولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بن عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا . وفيها توفي القاضي البندنجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل إلى مكة ؛ فجاور بها أربعين سنة يدرس الفقيه ويسمع الحديث ويشغل بالعبادة . وفيها توفي أبو عبد الله الحسين ابن محمد الطبري بأصبهان ، وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية ، وقد جاوز تسعين سنة وهو من أصحاب أبي إسحق . وفيها توفي الأمير منظور بن عمارة الحسيني أمير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاساني لعارة القبة التي على قبر الحسن ابن علي والعباس رضي الله عنهما ، وكان من أهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد أن أمنه وكان قد هرب معه إلى مكة فأرسل إليه بأمانة (١)

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الري وأخذها منه ووصوله إلى بغداد) كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من أصبهان على ما ذكرناه ومعه ينال بن أنوشتكين الحسامي استأذنه في قصد الري وإقامة الخطبة له بها فأذن له فسار هو وأخوه علي بن أنوشتكين فوصلا إليها في صفر فأطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وهسف أهله وصادهم بمائتي ألف دينار وأقام بها إلى النصف من ربيع الأول فورد إليه الأمير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري ، فاهزم ينال وأخوه علي ، فأما علي فباد إلى ولايته قزوین وسلك ينال الجبال فقتل من أصحابه كثير وتشتتوا فأتى إلى بغداد في سبعمائة رجل فأكرمه الخليفة واجتمع هو وأبلغازی وسقمان ابنا أرتق بمشهد أبي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا إلى سيف الدولة صدقة خلف لهم أيضا على ذلك وعادوا .

(ذكر ما فعله ينال بالعراق) قد ذكرنا وصول ينال بن أنوشتكين إلى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادهم واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيم وصادر العمال فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانی ينهه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد أيضا إلى أبلغازی وكان ينال قد تزوج هذه الأيام بأخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تنش حتى توسط

(١) وفيها توفي محمد بن هبة بن هبة الله أبو نصر القاضي البندنجي الضرير الفقيه الشافعي ، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق

ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتي ويدرس ويروي الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :
 عدمتك نفسي ما تملى بطالتي • وقد مر أصحابي وأهل مودتي
 أعاهد ربي ثم أنقض عهده • وأترك عزمي حين تعرض شهوتي
 وزادى قليل ما أراه مبلغي • اللزاد أبكي أم لبعث مسافتي؟

الامر مغه فضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم خلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطاب منه أن يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو وبنال وأيلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال إلى حلته وترك ولده ديبسا ببغداد لينتعه من الظلم والتعدي عما استقر الامر عليه فبقى ينال إلى مستهل ذي القعدة وسار إلى أوانا فنهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ في الفعل القبيح وأقطع القرى لأصحابه فأرسل الخليفة إلى صدقة في ذلك فأرسل ألف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة وأيلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار إلى باجسرى وشعبها وقصد شهر أبان فنعه أهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار إلى أذربيجان قاصدا إلى السلطان محمد وعاد ديبس بن صدقة وأيلغازي شحنة بغداد إلى مواضعهم .

﴿ ذكر وصول كشتكين القيصري شحنة إلى بغداد والفتنة

بينه وبين أيلغازي وسقمان وصدقة ﴾

في هذه السنة منتصف ربيع الأول ورد كشتكين القيصري إلى بغداد شحنة أرسله إليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركيارق من أصبهان إلى همدان فلما وصلها أرسل إلى بغداد كشتكين شحنة فلما سمع أيلغازي وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد أرسل إلى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه وسار إلى سيف الدولة صدقة بالحيلة واجتمع به وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركيارق فأجابه إلى ذلك وحلف فعاد أيلغازي وورد سقمان في عساكره ونهب في طريقه تكريت وسبب تمكنه منها أنه أرسل جماعة من التركان إلى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا ما معهم وأظهروا أن سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ووثب التركان تلك الليلة على الحراس فقتلوا وفتحوا الأبواب وورد إليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل إلى بغداد نزل بالرملة وأما كشتكين فوصل أول ربيع الأول إلى قرميسين وأرسل إلى من لدهرى مع بركيارق وأعلمهم بقربه منهم فخرج إليه جماعة منهم فلقوه بالبندنجين وأعلموه الأحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فأسرع السير فوصل إلى بغداد منتصف ربيع الأول ففارق أيلغازي داره واجتمع بأخيه سقمان وأصعدا من الرملة ونهبها بعض قري دجيل فسار طائفة من عسكر كشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فأرسل كشتكين القيصري إلى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة في طاعة بركيارق فلم يجب إلى ذلك وكشف القناع ببغداد في مخالفته وسار من الحلة إلى جسر صرصر فخطبت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة إلى صرصر أرسل إلى أيلغازي وسقمان وكان بحربي يعرفها أنه قد أتى لنصرتهم فعادة ونهبها دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الأموال واقتضت الأبقار ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك إلا أنهم لم ينقل عنهم مثل التركان من أخذل النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا في أخذ الأموال بالضرب والإحراق وبطلت معاش الناس وغلت الأسعار فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة

ذكر استيلاء صدقة على هيت

أرطال بقيراط وجميع الأشياء كذلك فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة في الإصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد أيلغازي وسقمان ومعهما ديبس بن سيف الدولة صدقة من دجيل نعيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الأمر شدة على الناس فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدمغاني وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة بأمره بالكف عن الأمر الذي هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الأمر عليه فأظهر طاعة الخليفة أن أخرج القيصري من بغداد وإلا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الأمر على إخراج القيصري من بغداد ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر وسار إلى النهروان وعاد سيف الدولة إلى بلده وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصري إلى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار منها ليأمنوا فنعهم القيصري وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار إلى واسط فدخلها وعدل في أهلها وكف عسكره عن أذاهم ووصل إليه أيلغازي بواسط وفارقها القيصري ونزل متحصنا بدجلة فقبل لسيف الدولة إن هناك مخاضة فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رأهم عسكر القيصري تفرقوا عنه وبقي في خواص أصحابه فطلب الأمان من سيف الدولة فأمنه فحضر عنده فأكرمه وقال له قد سمعت وتركتنا نسمن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الأمان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصري سوى رجلين فعادوا إليه فأمنهم وعاد القيصري إلى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وأيلغازي واستتاب كل واحد منهما فيها ولده وعاد عنها في العشرين من جمادى الأولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فأما أيلغازي فإنه أصدع إلى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فإنه عاد إلى الحلة وأرسل ولده الأصغر منصورا مع أيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فإنه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل إلى بغداد وخطب في ذلك فأجيب إليه .

(ذكر استيلاء صدقة على هيت) كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش أقطعه إياها السلطان ألب أرسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عمداً بغداد إلى أن مات السلطان ملكشاه ثم أخذها أخوه تش بن ألب أرسلان فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها لهما الدولة ثروان بن وهب بن وهيبه وأقام هو وجماعة من بني عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك أن صدقة زوج بنتا له من ابن همه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه إلى ذلك فتحالف عقيل وهم في حلة سيف الدولة أن يكونوا يدا واحدة عليه فأنكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد مريضاً فوكل به صدقة وقال لا بد من هيت فأرسل ثروان حاجبه وكتب خطاً بتسليم البلد إليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع ابن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وأرسل صدقة ابنه ديبسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم إليه محمد فعاد ديبس إلى أبيه فلما أخذ صدقة واسطاً هذه النوبة أصدع في عسكره إلى هيت فخرج إليه منصور بن كثير بن أخي ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم إن جماعة من الربيعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد إليه فلما يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد إلى حلته واستخاف عليه ابن عمه ثابت بن كامل .

(ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد) في هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصافى الخامس بين السلطان

بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد أران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الأمير غزغلي فلما طال مقام محمد بأصبهان محصورا توجه غزغلي والأمير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام قاصدين لصرته ليراهم بعين الطاعة وكان آخر ماتقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلي أذربيجان فوصلوا إلى الري في العشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين فقارقه عسكر بركيارق ودخلوه وأقاموا به ثلاثة أيام وصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من أصبهان وأنه وصل إلى ساوة فساروا إليه ولحقوه بهمدان ومعه ينال وعلى ابنا أنوشتكين الحسامي فبلغ عددهم سنة آلاف فارس فأقاموا بها إلى أواخر المحرم فأنام الخبر بأن السلطان بركيارق قد أنام فنزلوا في رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين إلى الري على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه إلى شروان فوصل إلى أردبيل فأرسل إليه الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتى صاحب بعض أذربيجان وكانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت أخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار أبيه وقد تقدم قتله أول دولة بركيارق وقال له ينبغي أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقاتل خصمنا فسار إليه مجدا وتصيد في طريقه بين أردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فخرج السلطان محمدا في عضده فأخذ سكيناً وشق بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا ثم إن مودود بن إسماعيل توفي في النصف من ربيع الأول وعمره اثنان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهما سكان القبطى ومحمد بن باغى سيان الذى كان أبوه صاحب أنطاكية وقزل أرسلان بن السبع الأحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت إلى العشاء الآخرة فانفق أن الأمير أياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسروهم وولوا الأدبار لابلوى أحد على أحد فأما السلطان بركيارق فإنه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فأقام به أياما وسار إلى زنجان وأما السلطان محمد فإنه سار مع جماعة من أصحابه إلى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الواقعة وهى من أعمال خلاط من جملة أقطاع الأمير سكان القبطى وسار منها إلى خلاط واتصل به الأمير على صاحب أرزن الروم وتوجه إلى آنى وصاحبها منو جهر أخو فضلون الروادى ومنها سار إلى تبريز من أذربيجان وسندكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلاحهم إن شاء الله وكان الأمير محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الواقعة فر منهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها إلى جزيرة ابن عمر وسار منها إلى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه إلى أبيه فكتب إلى كوهرايين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين إلى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك إلى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم .

(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة) فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا إليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فإنه قضى عمره فى أعمال

السلطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان ومن عجب ماجرى من الكلام الذي وقع بعد أيام أن سيد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جهير وجاس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي فانشدوا أبيانا ارتجلها .

سيد الملك سدت وخضت بحرا • عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل • لسان الصدق في الدنيا فتوحك
وفي الماضين معتبر فأسرج • مروحك في السلامة أوجوحك

ثم قال سيد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار إلى الدار وقرأ (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) فقبض على الوزير بعد أيام .

(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة) في هذه السنة في شعبان ملك الملك دقاق بن تنش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من ممالك السلطان ألب أرسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين أتاكبه إليه وحصره بها ثم رحل عنه وتوفي قايماز هذه السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن فأبعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق إليه وحصره فسلم العامة البلد إليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة إليه فأقطعه كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن إلى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها إلى دمشق .

(ذكر أخبار الفرنج بالشام) كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنقذ مملوكا لآبيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي إلى الشام لحرب الفرنج فلقبهم بين الرملة ويافا وبقدم الفرنج يعرف ببغديون لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة إنك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى أنه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالسلاط فقلعه خوفا أن تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الواقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فأرسل الأفضل بده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازوز بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقنلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغديون شدة الأمر وخاف القتل والأسر ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما أبعده المسلمون خرج منه إلى الرملة وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغديون فخرج متخفيا إلى يافا وقاتل ابن الأفضل من بقى خمسة عشر يوما ثم أخذها فقتل منهم أربعمائة صبورا وأسر ثلثمائة إلى مصر ثم اختاف أصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس وتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم في هذا الاختلاف إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغديون للزور معه فساروا إلى وسقلان وبها شرف المعالي فلم يكن يقوى بحربهم فانف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة وسقلان وخافوا البيات فرحلوا إلى يافا وعاد ولد الأناضل إلى أبيه فدير رجلا يقال له تاج العجم في البر وهو من أكبر مماليك أبيه وجهاز معه أربعة آلاف فارس وصير في البحر رجلا يقال له القاضي

ابن قادوس في الأسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكنني أن أنزل إليك إلا بالأمر الأفضل ولم يحضر عنده ولا أعانه فأرسل القادوسي إلى قاض عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوماً واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلاً فلما وقف الأفضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلاً لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله متقدماً العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وييد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضاً يافا وأرسوف وقيدارية وحيفا وطبرية ولاذقية وأنطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنعيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها نخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلو السواد بمن يزرع لثقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التي كانت زوجة السلطان طغرل بك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد أزمها بيتها لأنه أبلغ عنها أنها تسعى في إزالة دولته . وفيها في شعبان أيضاً استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة سبب مسيره إليها ، فلما قدم إلى بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس في الديوان ولقب قوام الدين . وفيه أيضاً قتل أبو المظفر بن الخنجدي بالري وكان يعظ الناس فقتله رجل علوي حين نزل من كرسيه وقتل العلوي ودفن الخنجدي بالجامع وأصل بيت الخنجدي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون إلى المهلب ابن أبي صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخنجدي يعظ بمرور فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله إلى أصبهان وصار مدرساً بمدرسته بها فنال جاهاً عريضاً ودنياً واسعة ، وكان نظام الملك يتردد إليه ويؤزره . وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعاً كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه في ملكها فضعف محمد خان عنه فأرسل إلى السلطان سنجر يستنجده فسار إلى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخانته واحتمى منه وأرسل يطلب الأمان من سنجر والعفو فأجابه إلى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه ، وعاد إلى خراسان فوصل إلى مرو في ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة . وفيها توفي أبو المعالي الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلاً من الدنيا له كرامات ظاهرة (١)

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة)

(ذكر ملك بلخ بن بهرام بن أرتق مدينة عانة) في هذه السنة في المحرم استولى بلخ بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخى أيلغازي بن أرتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومدهم مشايخهم

(١) وفيها توفي أحمد بن علي بن عبد الله بن سوار ، أبو طاهر المقرئ صاحب المصنفات في علوم القرآن ، كان ثقة ثباتاً مأموناً عالماً بهذا الشأن ، وقد جاوز الثمانين .

فسألوه الإصعاد إليها وأن يتسلها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهاثهم وعاد إلى حلقته فرجع بلك إليها ومعه ألفا رجل من التركان فسانعه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة إليها فخاضها وعبر ملكهم ونهبهم وسبي جميع حرمهم وانحدر طالبا هيت من الجانب الشامي فبلغ إلى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهاز العساكر ثم أعادهم عند عود بلك .

(ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر) في هذه السنة في صفر أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين وأبعدوا يوما واحداً تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغاروا واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت الذلعة والرقة لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها إليه السلطان بلكشاه سنة تسع وسبعين . وقد ذكرناه فيها (ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد) في هذه السنة في ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد بنى ملكشاه وكان سببه أن الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكما عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وإدلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجل وطبرستان وخوزستان وقارس وديار بكر والجزيرة وبالخرمين الشريفين وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له فيه وبيلاذ أرانية وأرمينية وأصبهان والعراق كلها ماعدا تكريت وأما أعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وبعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فإن السلطان سنجر كان يخطب له في جميعها وهي من حدود جرجان إلى ما وراء النهر ولأخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا أرسل القاضي أبا المظفر الجرجاني الخنفي وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمداني المعروف بصاحب قرانكين إلى أخيه محمد في تقرير قواعد الصلح فسار إليه وهو بالقرب من مراغة فذكر له ما أرسل فيه ورغباه في الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الإسلام في أطراف الأرض فأجاب إلى ذلك وأرسل فيه رسيلا واستقر الأمر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة أن السلطان بركيارق لا يعترض أخاه محمداً في الطبل وأن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له وأن لا يكتب أحدهما الآخر بل تكون المسكينة من الوزيرين ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيهما شاء وأن يكون للسلطان محمد من النهر المعروف بأسيندروذ إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فأجاب بركيارق إلى هذا وزال الخلف والشغب وأرسل السلطان محمد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه إلى أصحاب أخيه وسار السلطان بركيارق إلى أصفهان فلما سلمه إليه أصحاب أخيه دعاهم إلى أن يكونوا معه وفي خدمته فامتنعوا ورأوا لزوم خدمة صاحبهم فسماهم أهل العسكرين جميعاً أهل الوفا. وتوجهوا من أصفهان ومدهم حريم السلطان محمد إليه وأكرمهم بركيارق وحمل لأهل أخيه المال الكثير ومن الدواب ثلاثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسول السلطان بركيارق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر أيلغازي بالديوان وسأل في إقامة الخطبة لبركيارق فأجيب إلى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى وخطب له من الغيد

بالجوامع وخطبه أيضا بواسطة ، ولما خطب أيلغازي ببغداد لبركيارق وصار في جملة أرسل الأمير صدقة إلى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب إلى كل ما يتجدد من أيلغازي من إخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته للسلطان الذي استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لإخراجه عن بغداد فلما سمع أيلغازي ذلك شرح في جمع التركاني وورد صدقة بغداد نزل مقابل التاج وقبل الأرض ونزل في مخيمه بالجانب الغربي ففارق أيلغازي بغداد إلى يعقوبا وأرسل إلى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وأن إنطاعه حلوان وغيرها في جملة بلاده وأن بغداد التي هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذي أدخله في طاعته فرضى عنه صدقة وعاد إلى الحلة . وفي ذي القعدة سیرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللأمير أياز ولوزير بركيارق وهو الخطير العهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا .

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبعكا من الشام) في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة لاذقية فيها التجار والأجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحصرها معه برا وبحرا وضايقوها وقتلوا أياما فلم يروا فيها طعاما فرحلوا عنها إلى مدينة جبيل فحصرها وقتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا إليهم فلم تف الفرنج لهم بالأمان وأخذوا أموالهم واستقدوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا إلى مدينة بعكا استجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصرها في البر والبحر وكان الوالي بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبة إلى الملك الجيوش الأنضلي فقاتلهم أشد قتال فزحفوا إليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف فهرا وفلما بأهله الأفعال الشنيعة وسار الوالي به إلى دمشق فأقام بها ثم عاد إلى دصر واعتذر إلى الأنضلي فقبل عذره .

(ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج) لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الإسلام واتفق لهم اشتغال بتسكير الإسلام ودلوكة بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال وكانت حران لملوك من مماليك دليك شاه اسمه قراجه فاستخلف عليها إنسانا يقال له محمد الأصهباني وخرج في العام الماضي فمضى الأصهباني على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الأصهباني جلدأ شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركي يعرف بجاولي وجهه لاصف هسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولي مع خادم له عن قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج إلى حران وحصرها فلما سمع مدين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له إن شاء الله تعالى : أرسل كل منهما إلى صاحبه يدعوهم إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حران ويمدده أنه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا إلى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتلوا فأظهر المسلمون الانزمام فتبهتهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوا كيف شاؤوا وامتلات أيدي التركان من الغنائم ووصلوا إلى الأهوال العظيمة لأن سواد الفرنج كان قريبا وكان يميند صاحب أنطاكية وطنكري صاحب الساحل قد انفرد وراء جبل ليأتيا المسلمين من

وراء ظهورهم إذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما إلى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وأفلتا في ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهمز مع جماعة من قاصتهم وخاضوا نهر البليخ فو حلت خيولهم فجاء تركاني من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل إلى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لا يتابع يميند فرأى أصحاب جكر مش أن أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكر مش أي منزلة تكون لنا عند الناس وعنده التركان إذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فأخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب أصحابه للقتال فردم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاه غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين ورحل لوقته وأخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتي حصون شبحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم أن أصحابهم نصرروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون وأما جكر مش فإنه سار إلى حران فتسلها واستخلف بها صاحبه وسار إلى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد إلى المرصل ومعه القمص الذي أخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً ومائة وستين أسيراً من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يتارب اثني عشر ألف قتيل .

(ذكر وفاة دقاق وملك ولده) في هذه السنة في شهر رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب أتاكبة طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة وله عشرة سنة ثم إن طغتكين أشار عليه يقصد الرحبة فخرج إليها فملكها وعاد فمذه طغتكين من دخول البلد فمضى إلى حصون وأعاد طغتكين خطبة الطمل ولد دقاق وقيل إن سبب استيحاء بكتاش من طغتكين أن والدته خوفته منه وقالت إنه زوج والده دقاق وهي لا تتركه حتى تمتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم إنه حسن له من كان يحسد طغتكين بمفارقة دمشق وقصد بملكك وجمع الرجال والاستنجد بالفرنج والعود إلى دمشق وأخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الأمير أيتكين الحلبي وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فدأب في نواحي حوران ولحق بها كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجد فأجابها إلى ذلك وسار إليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الإفساد في أعمال دمشق وتخريبها فلما يتسا من نصره عادا من عنده وتوجها في البرية إلى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبد بالأمر وأحسن إلى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا .

(ذكر استيلاء صدقة علي واسط) في هذه السنة في شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة إلى واسط في عسكر كثير وأمر فتودى بها في الأتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم إلى بركيارق وجماعة إلى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم إنه أحضر مذهب الدولة بن أبي الجير صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار ، وعاد إلى الحلة وأقام مذهب الدولة بواسطة إلى سادس ذي القعدة وانحدر إلى بلده .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في ربيع الأول أطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال وهو الذي كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب إلى الحلة السيفية ومنها إلى السلطان بركيارق فولاه الإشراف على مملكة

وفیها توفی امین الدولة ابوسعید العلاء بن الحسن بن الموصلایا نجاة وكان قد اضر وكان بلیغنا فصیحا ، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثین وأربعمائة خدم الخلفاء خمساً وستین سنة كل يوم تزداد منزلته حتی ناب عن الوزارة وكان نصرانیا فألم سنة أربع وثمانین وكان كثير الصدقة جمیل المحضر صالح النیة ووقف ألاكه على أبواب البر ومكاتبه مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته أبی نصر ولقب نظام الحضرتین وفلده دیوان الإنشاء . وفیها كانت بیغداد بین العامة فتن كثيرة وانتشر العیارون وفیها قتل أبو نعیم ابن ساوة الطیب الواسطی ، وكان من الخذاق فی الطب وله فیہ إصابات حسنة . وفیها عزل السلطان سنجر وزیره المجر أبی الفتح الطغرانی وسبب ذلك أن الامیر بزغش وهو إصفهسلار العسکر السنجری ألقى إلیه ملطف فیہ لا یتم لك مع أمر مع هذا السلطان ووقع إلی سنجر لا یتم لك مع الامیر بزغش مع كثرة جموعه فجمع بزغش أصحاب العائم وعرض علیهم الملتزمین فانفقوا على كاتب الطغرانی وظهرت علیه فقتل وقبض سنجر على الطغرانی وأراد قتله فمنعه بزغش وقال له حق خدمة فأبعده إلی غزنة ، وفیها جمع بزغش كثیراً من عساكر خراسان وأناه كثير من المتطوعة وسار إلی قتال الإسماعیلیة فقصده طبر وهو لهم فخر بها وما جاورها من القلاع والقری وأكثر فیهم القتل والنهب والسبی وفعل بهم الأفعال العظيمة ثم إن أصحاب سنجر أشاروا بأن یؤمنوا بشرط علیهم أنهم لا یبنون حصناً ولا یشترون سلاحاً ولا یدعون أحداً إلی عفاتهم فسخط كثير من الناس هذا الأمان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم إن بزغش بعد عوده من هذه الغزاة توفی وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله . وفی هذه السنة توفی أبو بكر علی بن أحمد بن زکریاء الطریثیتی ، وكان صوفیا محدثاً مشهوراً . وفی رجب توفی القاضی أبو الحسن أحمد بن محمد الثقفی قاضی السكوفة ، وهو ولده فی ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلامیذ القاضی الدامغانی وولی القضاء بعده ابنه أبو البركات . وفی ربيع الآخر توفی أبو عبد الله الحسن بن علی بن البصری البندار المحدث وهو ولده سنة أربع وأربعمائة (۱)

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وفاة السلطان برکیارق ﴾ فی هذه السنة ثانی شهر ربيع الآخر توفی السلطان برکیارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصبهان بالسل والبواسیر فسار منها فی محفة طالباً ببغداد فلما وصل إلی بروجرذ ضعف عن الحركة فأقام بها أربعین يوماً فاشتد مرضه فلما آیس من نفسه خلع علی ولده ملكشاه وعمره حینئذ أربع سنین وثمانية أشهر وخلع على الامیر آیاز وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم أنه قد جعل ابنه ولی عهدہ فی السلطنة وجعل الامیر آیاز أتابکة وأمرهم بالطاعة لها ومما عادتہما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والأموال فی حفظ ولده وسلطنته علیه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم

(۱) وفیها توفی أزدشیر بن منصور أبو الحسن العبادی الواعظ ، قدم ببغداد فوعظ بها فأجبهت العامة فی سنة ست وثمانین ، وقد كانت له أحوال جيدة فیما یظهر والله أعلم . وفیها توفی إسماعیل بن محمد بن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج القومسانی ، من أهل همدان ، سمع من أبیه وجده . وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون مأموناً ، وفیها توفی محمد بن أحمد بن عمر أبو عمر الهاوردي . قاضی البصرة مدة طويلة ، وكان فقیهاً ، سمع من أبی الحسن الماوردي وغيره مولده فی سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربعمائة والله أعلم .

بالمسير إلى بغداد فساروا فلما كانوا على اثني عشر فرسخاً من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود إلى أصبهان فعاجلته منيته؛ فلما سمع الأمير أياز بموته أمر وزيره الخطير الميذني وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان فحمل إليها ودفن في تربة جدتها له سرية ثم ماتت بعد أيام فدفنت بإزائه، وأحضر أياز السراذقات والخيام والجار والشمسة وجميع ما يحتاج إليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه. (ذكر عمره وشيء من سيرته) لما توفي بركيارق كان عمره خمساً وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثني عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف في عدة نوب بعد إسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة، وكان أمراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى أنهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعاش والمساكن وكان أهلها مع ذلك يبغون ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الأحوال به ما رقت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هارباً من همه تنش فكفنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق أن أخاه محموداً مات فاضطروا إلى أن يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليماً كريماً صبوراً عاقلاً كثير الإدارة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته. (ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق) في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سابع ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك أن أيلغازي شحنة بغداد سار في المحرم إلى السلطان بركيارق وهو بأصبهان يحثه على الوصول إلى بغداد رحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والأمير أياز إلى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا في طريقهم برداً شديداً لم يشاهدوا مثله بحيث أنهم لم يقدرُوا على الماء لجوده وخرج الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقبهم من ديبالي وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر أيلغازي والأمير طغايك بالديوان وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه ابن بركيارق فأجيب إليها وخطب له ولقب بالقباب جده ملكشاه وهي جلال الدولة وغيره من الألقاب وثرت الدنانير عند الخطبة له.

(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل) لما اصطاح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه في السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان إلى بركيارق وسار إليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزره سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره كان في حفظ أصبهان وأقام إلى صفر من هذه السنة وسار إلى مراغة ثم إلى إربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره إليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج إلى إصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لأصحابه في نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل إلى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن في جملة ما استقر أن تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق إليه بذلك والإيمان على تسليمها إليه وقال له إن أطعت فأنا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لي بها فقال جكرمش إن كتب السلطان وردت إلى بعد الصلح تأمرني أن لا أسلم البلد إلى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف إليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبتهم لجكرمش لحسن

لحسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح في السور أبواب لطف يخرج منها الرجال يقاتلون فكانوا يكثرون القتل في العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب في السور أصحابه وأدركهم الليل فأصبحوا وقد همزه أهل البلد وشحنوه بالمقاتلة ، وكانت الأسعار عندم رخيصة في الحصار كانت الخنطة تساوي كل ثلاثين مكوكا ديناراً والشعير خمسون مكوكا ديناراً وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكان يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم إلى عاشر جمادى الأولى فوصل الخبر إلى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا أموالنا وأرواحنا بين يديك وأنت أعرف بشأنك فاستشر الجند فهم أعرف بذلك فاستشار أمراءه فقالوا لما كان السلطان حياً قد كنا على الامتناع ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا وحيث توفي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته أولى فأرسل إلى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل إليه فحضر الوزير عنده وأخذ بيده وقال المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان فإنه لا يخالفك في جميع ما نلتهمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه إلى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحشون التراب على رؤوسهم فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع إلى رعيتك فإن قلوبهم إليك وهم متطلعون إلى عودك فقبل الأرض وعاد معه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد أن يدخل البلد لتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطاً بظاهر الموصل عظيماً وحمل إلى السلطان من الهدايا والتحف ولو وزيره أشياء جليلة المقدار .

(ذكر وصول السلطان إلى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والأمير أياز) لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق إلى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للغزاة وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار إلى بغداد ومعه سكان القطبي وهو ينسب إلى قطب الدولة إسماعيل بن ياقوت بن داود وإسماعيل ابن عم ملكشاه وصار معه جكرمش وغيرهما من الأمراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقاً كثيراً من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران وديسا إلى السلطان محمد يستحثه على الحجى إلى بغداد فاستصحبهما معه إلى بغداد فلما سمع الأمير أياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصابور قائم بالغوا في الأطلاع في السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يا مولانا إن حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وأنا أكثر التزاماً بك من هؤلاء وليس الرأي ما أشاروا به فإن كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً وأن يقيم سوقاً لنفسه بك وأكثرهم بناؤك في المنزلة وإنما يقدمهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصلحة السلطان محمد وطاعته وهو يترك على أقطاعك ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأى الأمير أياز في الصلح والمباينة إلا أن حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التي ببغداد عنده وضبط المزارع من متطرق إلى عسكره وإلى البلد ووصل السلطان محمد إلى بغداد يوم الجمعة ثمان بقين من جمادى الأولى ونزل عند الجانب الغربي بأعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربي وملكشاه ابن بركيارق بالجانب الشرقي ، وأما جامع المنصور فإن الخطيب قال فيه اللهم أصلح سلطان العالم وسكت وخاف

ذكر قتل الأمير إياز

الناس من امتداد الشر والنهب فركب إياز في عسكره وهم عازمون على الحرب وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد إلى مخيمه فدعا الأمراء إلى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في إعادة اليمين لأننا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية ، وإن لم نفب بالأولى فلا نفي بالثانية فأمر إياز حينئذ وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة إليه وترك منازعته فيها فدبر يوم السبت اسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد وأدى الصفي رسالة صاحبه إياز واعتذر عما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد جواباً لطيفاً سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب إلى ما التمس منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفي وزير إياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك إن إياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللأمراء الذين معه فقال السلطان أما ملكشاه فإنه ولدي ولا فرق بيني وبين أخي وأما إياز والأمراء فاحلف لهم الأيغال الحسامي وصباوو فاستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الأمير إياز عند السلطان محمد فلقبه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعاً إلى السلطان فأكرمهما وأحسن إليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأقام السلطان بيغداد إلى شعبان وسار إلى أصبهان وفعل فيها ما ذكره أن شاء الله تعالى .

(ذكر قتل الأمير إياز) في هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الأمير إياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك أن إياز لما سلم السلطنة إلى السلطان محمد وسار في جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان إليها وقدم له شيئاً كثيراً من جملة الخيل البلخس الذي أخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة ابن مزيد وكان من الاتفاق الردي أن إياز تقدم إلى غلبانه ليلبسوا السلاح من خزائنه ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لا بد من أن تلبسك درعا وفعرضك فألبسوه الدرع تحت قبضه وتناولوه بأيديهم وهو يسألهم أن يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصماً بهم فرآه السلطان مذعوراً وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلسه من غير أن يعلم أحد ففعل فرأى الدرع تحت قبضه فأعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال إذا كان أصحاب العهائم قد لبسوا السلاح فكيف الأجناد وقوى استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنفض وفارق الدار وعاد إلى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة وإياز وجكرمش وغيرهم من الأمراء فلما حضروا أرسل إليهم أنه بلاننا أن قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش قصد ديار بكر ليملكها ويسير منها إلى الجزيرة وينبغي أن تجتمع آراؤكم على من يسير إليه ليمنع ويقانله فقال الجماعة ليس لهذا غير الأمير إياز ، فقال إياز : ينبغي أن اجتمع أما وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الأمر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فأعاد الجواب يستدعى إياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحضر الأمر في حضرته فنهضوا ليدخلوا إليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه ، فأما صدقة فنطى وجهه بكفه وأما الوزير فإنه غشى عليه ولف إياز في مسح وألقى على الطريق عند دار المملكة وركب

عسكر إياز فنبهوا ماقدروا عليه من داره فأرسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل وهزح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة رحمه الله ، وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة بمالك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر فأنخذ ولداً وكان غزير المرواة شجاعاً حسن الرأي في الحرب وأما وزيره الصفي فإنه اختفى ثم أخذ وحمل إلى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة ، وكان من بيت رياسة بهمدان .

(ذكر وفاة سقمان بن أرتق) كان نحر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه إلى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فيما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره أنه مريض قد أشفى على الموت وأنه يخاف إن مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى إليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع في السير عازماً على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وإبعادهم عنها فوصل إلى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ما صنع ، ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط في تدبيره وخوفه عاقبة ما فعل ، وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه إلى دمشق لينعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأي بأى حيلة يردونه أناهم الخبر بأنه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فأناهم فرج لم يحسبوه وكان مرضه الذي مات به الخوانيق يعتريه دائماً فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فإن عوفيت تمت ما عزمتم عليه ولا يراني الله تتأملت عن قتال الكفار خوفاً من الموت وإن أدركني أجلى كنت شهيداً سائراً في جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات في صفر وبقى ابنه إبراهيم في أصحابه وجعل في نابوت وحمل إلى الحصن وكان حازماً داهياً ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذ حصن كيفا وأما ملكه ماردین فإن كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركاني بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر حينئذ صبياً قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالتقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالاً شديداً فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتى بن أرتق فسجنه كربوقا بقلعة ماردین وكان صاحبها إنساناً مغنياً للسلطان بركيارق فطلب منه ماردین وأعمالها فأقطعها إياها فبقى ياقوتى في حبسه مدة فضمت زوجة أرتق إلى كربوقا وسأله إطلاقه فأطلقه فنزل عند ماردین وكانت قد أعجبه فأقام ليعمل في تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردین من الأكراد فدطمعوا في صاحبها المغنى وأغاروا على أعمال ماردین عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد وأغير على الأماكن وأخذ الأموال أنفقتها في بلدك وأقيم في الریض فأذن له في ذلك فجعل يغير من باب خلاط إلى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلباً للكسب وهو بكرمهم ولا يعترضهم فأمنوا إليه فاتفق أن في بعض الأوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بعضهم وتقييدهم وسبقهم إلى القلعة ونادى من بها من أهلهم إن فتحتم الباب وإلا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل إنساناً منهم فسلم القلعة من بها إليه وبقى بها ثم إنه جمع جمعاً وسار إلى نصيبين وأغار على بلد جزيرة أرمهر وهي الجكرمش فلما

عاد أصحابه بالغنيمة أنام جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل إلى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت يا ياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة أرتق إلى ابنتها سقمان وجمعت التركان وطلبت بشار ابن ابنتها وحصر سقمان نصيبين وهي لجكرمش فسير جكرمش إلى سقمان مالا كثيرا سرا فأخذه ورضى وقال إنه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد ياقوتى أخوه على وصار في طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فأرسل على الوالى بماردين إلى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين إلى جكرمش فصار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء إليه على ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه فقال إنما أخذتها لثلا يخرب البيت فأقطعه جبل جور ونقله إليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه أرسل على إلى جكرمش يطلب منه المال فقال إنما كنت أعطيتك احتراماً لماردين وخوفاً من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك على .

(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان) في هذه السنة سار جمع كثير من الأسمايلية من طريثيث عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة في تلك النواحي وأكثروا القتل في أهلها والنهب لأموالهم والسبي لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفي هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم إن قفل الحاج تجمع هذه السنة بماء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا إلى جوار الرى فأنام الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤوا وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئاً وقتلوا هذه السنة أباجعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الحنجدى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أنه باطنى فقتله .

(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام) في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب أنطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسبها أن طنكرى حصر حصن أرتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى أضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجال منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا إلى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكرى كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح فأراد أن يجيب فنهى أصهبند صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل إياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فإن كانت لنا وإلا انهزمتنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم وأسر كثير وأما الرجالة فإنهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج إلا الشريد فأخذ أسيراً وهرب من في أرتاح إلى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب أصهبند صباوو إلى طغتكين أتاك بدمشق فصار معه ومن أصحابه .

(ذكر حرب الفرنج والمصريين) في ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسبها أن الأفضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى في السنة الخالية إلى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما أن الفتح له فأتاهم سرية الفرنج

فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين في جماعة من الأمراء منهم جمار الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا إلى طغتكين أنابك بدمشق يطلبون منه عسكرياً فأرسل إليهم أصهبذ صبارو ومعه ألف وثلاثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكة ويافا في ألف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك أمير عسقلان فلما رأى المسلمون أنهم قد تكافؤوا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عسقلان وعاد صبارو إلى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تشش وكان طغتكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج والكون معهم.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عظم فساد التركان بطريق خراسان من أعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك يهبون الأموال ويقطعون الطريق إلا أنهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرخوا المراقبة وعملوا الإهمال الشنيعة فاستعمل أبلغازي بن أرتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن أرتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحى البلاد وكف الأيدي المتطاوله وسار بلك إلى حصن خانيجار وهو من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه . وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفاً بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمداً في حروبه كلها . وفيها أقطع السلطان محمد الكوفة للأمير قايمآز وأوصى صدقة أن يحمي أصحابه من خفاجة فأجاب إلى ذلك . وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد إلى أصهبان فأمن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هارباً متخفياً وعوده إليها سلطاناً متمكناً وعدل في أهلها وأزال عنهم ما يكرهون وكف الأيدي المتطرفة إليهم من الجند وغيرهم فصار كلفة العامي أقوى من كلفة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العامي من هيبة السلطان وعدله . وفيها كثرت الجدرى في كثير من البلدان لاسيما العراق فإنه كان به كلة ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم . وتوفي في هذه السنة في شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سماع ابن غيلان والبرمكي والعشاري وغيرهم . وتوفي أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سماع أبا بكر البرقاني وأبا علي بن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة . وفي رابع جمادى الأولى توفي أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أدبياً شاعراً فن قوله :

من قال لي جاه ولي حشمة • ولي قبول عند مولانا

ولم يعد ذاك بنفع علي • صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضاً توفي أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتباً للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثاً لأنه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل إلا أنه كان كثير الصدقة . وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظاً شاعراً كاتباً قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الأشعري وكان له

قبول عظيم وخرج منها فمات بإسفرين (١).

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة)

(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد) في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن ألب أرسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك أنه كان مقبلاً بأصبهان فلاحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار إلى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الأمراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الأمراء بنى برسق يدعوهم إلى طاعته ونصرتة وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي إخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وفيها من الأذى والخطر وأمرهم بتدبير الأمر في القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيه بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار إليهم وساروا إليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهي بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس إلى أصبهان فاعتقله السلطان مع بنى عمه تكش وأخرج زنكي بن برسق وأعادته إلى مرتبته واستنزه وإخوته عن أقطاعهم وهي ليشترو وسابور خواست وغيرها ما بين الأهواز وهمذان وأقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضاً في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فأطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندما في مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما أمره .

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج) في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين وأتابك صاحب دمشق وبين قص كبير من قمامصة الفرنج وسبب ذلك أنه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففي آخر الأمر بنى بغدوين حصناً بينه وبين دمشق نحو يومين تخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرور فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما إلى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناه عنه وأنه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه فعاد بغدوين إلى عكا وتقدم طغتكين إلى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلها وانهمزم الفرنج إلى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من أحسن قتالهم وطلب منى أمراً فعلته معه ومن أتاني بحجر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير فبذل الرجال نفوسهم وصعدوا إلى الحصن وخرّبوه وحملوا حجارته إلى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وأمر بالفناء الحجارة في الوادي وأسروا من الحصن فأمر بهم فقتلوا كلهم واستبق الفرسان أسراء وكانوا مائتي فارس ولم ينج من كان في الحصن إلا القليل وعاد طغتكين إلى دمشق منصوراً فزين البلد أربعة أيام وخرج منها إلى رمنية وهو من حصون الشام

(١) وفيها توفي محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني ، أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ . وفيها توفي أبو علي الخبالي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الأندلسي ، مصنف تقييد المهمل على الالفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً باللغة والشعر والأدب ، وكان يسمع في جامع قرطبة : توفي ليلة الجمعة لثاني عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن أخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس لحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة) في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها أن رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاء إليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فأخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواندت وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها وساروا مع جماعة من أمرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم إلى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا وقاتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت فكنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد أعبا الفريقان من القتال إذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الأموال من الخيل والإبل والغنم والبيد والإمام وكان الأمير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون إليه هنا هم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم ما زلت أقاتل وأضارب وأنا طامع في الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلت أنهم أجلبوا علينا بخيلك ورجلك وأتانا لاطاقة لنا بهم فنصرنا وأعلينا بمعوتك وقلونا بحدك فلم يجبه صدقة

(ذكر ملك صدقة البصرة) في هذه السنة في جمادى الأولى انحدر سيف الدولة من الحلة إلى البصرة فلما كان في طريقه قد ذكرنا فيما تقدم تمكن إسماعيل بن أرسلان ينجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذا الأمر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين وأخذ الأموال السلطانية وكان قد راسل صدقة وأظهر له أنه في طاعته وموافقته فلما استقر الأمر للسلطان محمد أراد أن يرسل إلى البصرة مقطعا يأخذها من إسماعيل فخاضب صدقة في معناه حتى أقرت البصرة عليه فأنفذ السلطان عميد إليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فتمعه إسماعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فأمر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وأنه على قصد واسط فسار إسماعيل بذلك وزاد انبساطه وأرسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم أباه وجده إلى إسماعيل بأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مذهب الدولة بن أبي الجبر لأنها كانت في ضمانه فوصل إلى الشرطة وأخذ منها أربعمائة دينار فأحضره إسماعيل وحبسه وأخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلاته وأظهر أنه يريد قصد الرحبة ثم جد السير إلى البصرة فلم يشعر إسماعيل إلا بقربه منه ففرق أصحابه في القلاع التي استجدها بطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرستها وأعيان أهلها ونازلهم صدقة لجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الوراى وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فما مدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم ابن أبي القاسم قول بعضهم :

تهن يا خير من يحيى حریم حمى فتحا أغشت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء في نخب غر كجيش على يوم صفين

هو أبو النجم كالنجم المنير بها لكنه كان رجماً للشياطين
 وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها وأعلموه
 أنهم لا يظفرون بطائل فأشار عليهم بالمقام وقالوا إن رحلتنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال
 إن تعذر على فتح البصرة لم يطأني أحد واستعجزني الناس ثم إن إسماعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض
 أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم إسماعيل خلقاً كثيراً وانهمز
 إسماعيل إلى قلعتة بالجزيرة فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ففداه أحد غلبانه بنفسه فوقعت
 الضربة فيه فأثخنته فهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم ما فيها ولم يسلم منهم إلا المحلة المجاورة لقبر
 طلحة والمربد فإن العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحملوا المربد وهمت المصيبة لأهل البلد سوى
 من ذكرنا وامتنع إسماعيل بقلعتة فاتفق أن المهذب بن أبي الجبر انحدر في سفن كثيرة وأخذ القلعة التي لإسماعيل
 بمطارا وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم فلما علم إسماعيل بذلك أرسل إلى
 صدقة يطلب الأمان على نفسه وأهله وأمواله فأجابته إلى ذلك وأجله سبعة أيام فأخذ كل ما يمكنه حمله بما يعز
 عليه وما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره ونزل إلى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل
 أذى ورتب عندهم شحنة وعاد إلى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوماً، وأما إسماعيل
 فإنه لما سار صدقة إلى الحلة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت
 أصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السم حتى مات، وكان قد
 مات في صفر من هذه السنة فقارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت إلى بغداد وأخذته الحى وقويت عليه
 فلما بلغ رامهرمز انفرد في خيمته ولم يظهر لأصحابه يوماً وليلة فظهر لهم موته فتهبوا ماله وتفرقوا فأرسل الأمير
 برامهرمز فردهم وأخذ ما معهم من أمواله ودفن بالقرب من أيدج، وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت
 سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيراً.

(ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها) في هذه السنة في شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تش
 نصيبين وسبب ذلك أنه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الأمراء أيلغازى بن أرتق الذى كان شحنة
 بغداد والإصبهذ صباوو وأبى بن أرسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال
 أيلغازى الرأى أننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والآوال ووافقه أبى فسار
 إلى نصيبين في عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه في عسكر فتحصنوا
 بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى أبى بن أرسلان تاش بنشابة فخرج جرحاً شديداً فعاد إلى سنجار وأما
 جكرمش فإنه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحامة التي بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه
 فرحل إلى الموصل وقد أجفل إليها أهل السواد فحجم على باب البلد عازماً على حرب رضوان واستعمل الخادعة
 فكاتب أعيان عسكر رضوان رغبهم حتى أفسد نياتهم وتقدم إلى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وبأخراج
 الإقامة إليه مع الاحتراز منه وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته والدخول في طاعته ويقول له إن السلطان
 محمداً قد حصرني ولم يبلغ منى غرضنا فترحل عن صلح وإن قبضت على أيلغازى الذى قد عرفت أنت وغيرك
 فساده وشره فأنا معك ومعينك بالرجال والأموال والسلاح، فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع أيلغازى

فازداد تغيراً وعزم على قبضه فاستدعاه يوماً وقال له هذه بلاد ممتعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة
مصالحه جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجميل ونعود إلى قتال الفرنج فان ذلك
بما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له أيلغازي إنك جئت بحكمك وأنت الآن بحكمي لا أمكنك من المسير
بدون اخذ هذه البلاد، فان أقتت وإلا بدأت بقتالك وكان أيلغازي قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من
التركان وكان الملك رضوان قد واهد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا
عليه وقيده فلما سمع التركان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤوا إلى سور المدينة
وأصعد أيلغازي إلى قلعتها وخرج من بنصيين من العسكر فأعانوه فلما رأى التركان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا
عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصد
الحرب فلما بلغ تل بمفرأناه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك إلى سنجار
ووصلت إليه رسل رضوان تستدعي منه النجدة ويمتد عليه ما فعل بأيلغازي فأجابته مغالطة ولم يف له بما
وعده ونازل سنجار ليشفي غيظه من صهره ألي بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه
وكان ألي على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيين فلما نزل جكرمش عليها أمر ألي أصحابه أن
يحملوه إليه فحملوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر بما كان منه وقال جئت مذنباً فافعل بي ما تراه فرق له
وأعادته إلى بلده فلما عاد قضى حبه، فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية
رمضان وشوال ولم يظفر منهم بشيء فجاء تيمرك أخو أرسلان تاش عم ألي فأصلح حاله مع جكرمش وبذل له
الخدمة فعاد إلى الموصل.

(ذكر ملك طغتكين بصرى) قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق
واقصاله بالفرنج ومعه آيتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما إلى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهم
سار طغتكين إلى بصرى فحصرها وبها أصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم إليه بعد أجل قرروه
بينهم فأجابهم إلى ذلك فرحل عنهم إلى دمشق فلما انقضى الأجل هذه السنة تسلمها واحسن إلى من بها ووفى
لهم بما وعدهم وبالغ في إكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس إليه وأحبوه .

(ذكر ملك الفرنج حصن أقامية) في هذه السنة ملك الفرنج حصن أقامية من بلد الشام وسبب ذلك
أن خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلباً على حصن وكان الضرر به عظيماً ورجاله يقطعون الطريق فكثرت الحرامية
عنده فأخذها منه تتش بن ألب أرسلان وأبعده عنها فتقلبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر فلم يلتفت إليه
من بها فأقام بها واتفق أن المتولى لأقامية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر وكان يميل إلى مذهبهم
يستدعي منهم من يسلم إليه الحصن وهو من أمنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به وقال
إنني أرغب في قتال الفرنج وأوتر الجهاد فسلوه إليه وأخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم
فأرسلوا إليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فأعاد الجواب أنني لا أنزل من مكاني وابعثوا إلى بعض
أعضاء ولدي حتى آكله فأيسوا من رجوعه إلى الطاعة وأقام بأقامية بخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع
عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم إن الفرنج ملكوا سرمين وهي من أعمال حلب وأهل غلاة في التشيع
فلما ملكه الفرنج تفرق أهل فتوجه القاضي الذي به إلى ابن ملاعب وأقام عنده فأكرمه وأحبه ووثق به فأعمل

القاضي الحيلة عليه وكتب إلى أبي طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وأن يسلم أفامية إلى الملك رضوان فظهر شيء من هذا فأتى إلى ابن ملاعب أولاده وكانوا قد تسلموا إليه من مصر وقلوا له قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا والرأى أن تعاجله وتحتاط لنفسك فإن الأمر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فأناه في كفه مصحف لأنه رأى أمارات الشرف فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له أيها الأمير قد علم كل أحد أني أتيتك خائفا جائعا فأمنتني وأغيتني وعززتني فصرت ذامال وجاه فإن كان بعض من حسدني على منزلي منك وما غمرني من نعمتك سعى بي إليك فأسالك أن تأخذ جميع مامعي وأخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن الصائغ وأشار عليه أن يوافق رضوانا على إنفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ويأتون إلى ابن ملاعب ويظهرون أنهم غزاه ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم وأنهم فارقه فلقبهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع مامعهم إليه فإذا أذن لهم في المقام اتفقت آراؤهم على أعمال الحيلة عليه فعمل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم إلى أفامية وقدموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وأمرهم بالمقام عنده وأزلهم في ريبض أفامية فلما كان في بعض الليالي نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من أهل سرمين ودلوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم وقصدوا أولاد ابن ملاعب وبني عمه وأصحابه فقتلوهم وأتى القاضي وجماعة معه إلى ابن ملاعب وهو مع امرأته فأحس بهم فقال من أنت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل أصحابه وهرب ابناه فقتل أحدهما والتحق الآخر بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها وهو لا يشك أنها له فقال له القاضي إن وافقتني وأقتت معي فبالرحب والسمة ونحن بحكمك وإلا فارجع من حيث جئت فأيس ابن الصائغ منه وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طفتكين غضبان على أبيه فولاه طفتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق وأخذ القوافل فاستغاثوا إلى طفتكين منه فأرسل إليه من طلبه فهرب إلى الفرنج واستدعاهم إلى حصن أفامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا عليه يحاصرونه فجاء أهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه وأخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم أن أبا طاهر بن الصائغ قتله الفرنج بأفامية وقد قيل إن ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله أعلم .

(ذكر نهب العرب للبصرة) قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة وأنه استناب بها بملوكا كان لجدته ديبس بن يزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم إليها من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسروه وانهم أصحابه ولم يقدرُوا من بها على حفظها فدخلوها بالسيف وأخردى القعدة وأحرقوا الأسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدرُوا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرذ أهل في السواد ونهبت خزائن كتب كانت موقوفة وقفها القاضي أبو الفرج ابن أبي البقاء وبلغ الخبر صدقة فأرسل عسكريا فوصلوا وقد فارقه الحرب ثم إن السلطان محمدا أرسل شحنة وعبيدا إلى البصرة وأخذها من صدقة وعاد أهلها إليها وشرعوا في عمارتها .

(ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج) كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد ملك مدينة جبلة وأقام على طرابلس يحصرها بحيث لم يقدر أن يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا وأقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة فيها يخرج الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس فأحرق ربضه ووقف صنجيل على بهض سقونه المنحرفة ومعه جماعة من القهامة والفرسان فانخسف بهم فرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل إلى القدس فدفن فيه ثم إن ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر فأخرج إليها نحر الملك بن عمار أسطولا فخرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت فهدمت الأقوات به وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمتهم فجلا الفقراء وافقر الأغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى شديد ومما أضر بالمسلمين فيها أن صاحبها استنجد سقمان بن أرتق فجمع العساكر وسار إليه فمات في الطريق على ما ذكرناه وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الأموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجهم في باب الجهاد فأخذ من رجلين من الأغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان إلى الفرنج وقالوا إن صاحبنا صادرنا فخرجنا إليكم لتكون معكم وذكر أنه أتته الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد فأرسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين إليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلها غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلبي والأواني الغربية مالا حده عليه حتى يبيع كل مائة درهم نقره بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيام السلطان ألب أرسلان وقد ذكرت ظفروه بهم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكان بعض أصحابه وهو كشتكين دواتي عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار إلى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركان فيهم الأفيشين وأحمد شاه فقتلاه وأرسل أمواله إلى ألب أرسلان ودخل الأفيشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب أنطاكية فهزموه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار الملك الروم من القسطنطينية إلى ملطية فدخل الأفيشين بلاده ووصل إلى عمورية وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ولما عاد إلى بلاد الإسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهي حينئذ للروم ومهم بنونمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزموهم ونهب بلاد الروم فأرسل ملك الروم رسولا إلى القائم بأمر الله يسأله الصلح فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغالا فشتان بين الحالين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استعجزهم وبين حال الناس في زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتروسقري ذلك مشروحا إن شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى أن ييسر الإسلام وأهله قائما يقوم بنصره وأن يدفع عنهم بمن أحب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ورد إلى بغداد إنسان من المثلثين ملوك الغرب قاصداً إلى دار الخلافة فأكرم وكان معه إنسان يقال له الفقيه من المثلثين أيضا فوعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا المثلثم قد حضر مع ابن الفضل أمير الجيوش بمصر وقعت مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه إلى بغداد أن المغاربة كانوا يمتقدون في العلويين أصحاب

مصر الاعتقاد القبيح فكانوا إذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم فلم يميلوا إليه ولا قاربوه فأمر بقتل من ظفر به منهم فلما ولي ابنه الأفضل أحسن إليهم واستعان بمن قاربهم منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود إلى بلاده فقدم بغداد ثم عاد إلى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج إلا وشهدوا فقتل في بعضها شهيدا وكان شجاعا فتاكا مقداما. وفيها في ربيع الآخر ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب إلى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب. وفيها وصل الملك قلاج أرسلان ابن سليمان بن قتلмыш صاحب بلاد الروم إلى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بجران ليسلوا إليها فسار إليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج فأقام بجران أياما ومرض مرضا شديدا أوجب عودته إلى ملطية فعاد مريضا وبقي أصحابه بجران. وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو منصور الخياط المقرئ إمام مسجد ابن جرادة وكان خيرا صالحا. وفيها قتل القاضي أبو العلاء صاعد بن أبي محمد النيسابوري الحنفي بجامع أصبهان قتله باطنى. وفيها توفي أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وهره سبعون سنة قيل إنه كتب خمسمائة ختمة. وفيها في المحرم توفي القاضي أبو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردي وأبي إسحق وأخذ النحو عن الرقي والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين. وفيها في المحاضرة توفي سهل بن أحمد بن علي الأرخياني أبو الفتح الحاكم تفقه على الجويني وبرز ثم ترك المناظرة وبني رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن. وفيها في صفر توفي الأمير مهارش بن مجلى وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحديث وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفي ذلك الحديث بعده ابنه سليمان (١)

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي) في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والأندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل إلى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الأندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء وأحسن إليهم فقالوا له ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجرب طاعتك على الكافة فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الإسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليدا من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت إليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو

(١) وفيها توفي أبو الفتح الحاكم سمع الحديث من البيهقي وغيره، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك وكان قد تفقه أولا على الشيخ أبي علي السنجى، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بحضرة، واستجاده وولى بلده مدة طويلة، وناظر، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن. قال ابن خلكان: وبني للصوفية رباطا من ماله، ولزم التعب إلى أن مات في مستهل المحرم من هذه السنة. وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور الخياط، أحد القراء والصلحاء، ختم ألوفا من الناس، وسمع الحديث الكثير، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعا لم يجتمع لغيره مثله، ولم يعهد له نظير في تلك الأزمان. وكان عمره يوم توفي سبعا وتسعين سنة رحمه الله، وقد رثاه الشعراء، ورآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقا: غفرتى بتعليمي الصبيان الفاتحة.

الذي بنى مدينة مراکش للرايطين وبقى على ملكه إلى خمسمائة فتوفى وملك بعده البلاد ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعدة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينيا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفازية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ثم أرسله إليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الأيام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطنته .

(ذكر قتل نخر الملك بن نظام الملك) في هذه السنة قتل نخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لأصحابه رأيت الليلة في المنام الحسين بن علي عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن إفطارك عندنا وقد اشتغل فكري به ولا تحيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحبيك الله والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك فأقام يومه يصلي ويقرأ القرآن وتصدق بشيء كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فأحضره عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع إليه رقعة فبينما نخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطني إلى سنجر فقررته فأقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال إنهم وضعوني على قتله وأراد أن يتمل بيده وسمايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطني بعدهم وكان عمر نخر الملك ستا وستين سنة .

(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت) في هذه السنة في صفر تسلم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ابن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم أنها كانت لبني مقن العقيليين وكانت إلى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات وولها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وولها ولده أبو غشام فلما كان سنة أربع وأربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والأموال فلما اجتاز به طغرل بك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته أن يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقي في الحبس أربع سنين واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان فسلبها إلى أصحاب السلطان طغرل بك فسارت إلى الموصل فقتلها ابن أبي غشام بأبيه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرل بك أمر القلعة إلى إنسان يعرف بأبي العباس الرازي فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو أبو جعفر محمد ابن أحمد بن خشنا من بلد الثغر فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات وولها ابنه سنتين وأخذتها منه ترکان خانون وولها لها كوهرايين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بأبي المصارع ثم عادت إلى كوهرايين أقطاعا ثم أخذها منه مجد الملك البلاساني

فولى فيها كيقباز بن هزار سب الديلى فأقام بها اثنتى عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما اجتاز به سقمان ابن أرتق سنة ست وتسعين ونمها ليلا وسقمان ينمها هارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بر كيارق أقطعها للأمير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار إليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباز الأمر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها إليه فسار إليها فى صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى ولم يملكها ومات كيقباز بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستتاب صدقة بها ورام بن أبى فراس بن ورام وكان كيقباز ينسب إلى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فإنه لو أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه .

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة) فى هذه السنة فى ربيع الأول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة وأخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك أن سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران فى جيش إلى طرف بلاده مما يلي البطيخة ليحميها من خفاجة لأنهم يؤذون أهل تلك النواحي فتمروا منه وتهددوا أهل البلاد فكتب إلى أبيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فأحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهزوا مع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فأدركوا حلة من خفاجة من بنى كايب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من أنتم فقالت عبادة نحن أصحاب الديون فعادوا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فيبيناهم فى القتال إذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجودهم وتركوا حرمهم فأمر صدقة بحراستهم وحمايتهم وأمر العسكر أن يؤثروا عبادة بما غنموا من أموال خفاجة خلفاهم عما أخذ منهم فى العام الماضى وأصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر تنظيم وانزحت إلى نواحي البصرة وأقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم إلى الأمير صدقة فقالت له إنك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا وأضعت حرمتنا قابلك الله فى نيتك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك وأعطاهما أربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه وأولاده فإن دعاء الملهوف عند الله بمكان .

(ذكر مسير جاولى سقارو إلى الموصل وأسر صاحبها جكرمش) فى هذه السنة فى المحرم أقطع السلطان محمد جاولى سقارو الموصل والأعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس وأقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة فى أهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خائنه جاولى وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التوتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية أشهر فأرسل جاولى إلى السلطان إننى لا أنزل إلى مودود فإن أرسلت غيره نزلت فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة بأصبهان فرأى من السلطان ما يحب وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم وأقطع الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان إلى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتناقل فى الخدمة وحمل المال فأقطع بلاده لجاولى فجاء إلى بغداد وأقام بها إلى أول ربيع الأول وسار إلى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونمها أربعة أيام بعد أن أمن أهلها وحلف لهم أنه يحميهم فلما ملكها سار إلى إربل وأما جكرمش فإنه لما بلغه مسيره إلى بلاده كتب فى جمع العساكر فأتاه

كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذلي صاحب إربل يذكر استيلاء جاوли على البوازيج ويقول له إن لم تعجل المجيء لنجتمع عليه ونمنعه وإلا اضطرت إلى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر إلى شرفي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده فاجتمعوا بقرية باكليا من أعمال إربل ووافقهم جاولي وهو في ألف فارس وكان جكرمش في ألفي فارس ولا يشك أنه يأخذ جاولي باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهمز من فيه وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لعالج كان به فهو لا يقدر يركب وإنما يحمل في محنة فلما انهزم أصحابه قاتل عنه ركابي أسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه أحمد فقاتل بين يديه فطعن فخرج وانهمز فمات بالموصل ولم يقدر أصحاب جاولي على الوصول إلى جكرمش حتى قتل الركابي الأسود فحينئذ أخذوه أسيرا وأحضروه عند جاولي فأمر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استدعاهما قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائد ليدركوا الحرب فلقبهم المنهزمون ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

(ذكر حصر جاولي سقاو و الموصل وموت جكرمش) لما انهزم العسكر وأسر جكرمش وصل الخبر إلى الموصل فأقعدوا في الأمر زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره إحدى عشر سنة وخطبوا له وأحضروا أعيان البلد والنسوا مهم المساعدة فأجابوا إلى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضى وفرق الأموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج أرسلان والبرسقي شحنة بغداد بالمبادرة إليهم ومنع جاولي عنهم ووعدها كلاً منهم أن يسلموا البلد إليه فأما صدقة فلم يجيبهم إلى ذلك ورأى طاعة السلطان ، وأما البرسقي وقاج أرسلان فنذكر حالهما ثم إن جاولي حصر الموصل ومعه كراموي بن خراسان التركاني وغيره من الأمراء وكثير جمعه وأمر أن يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادي أصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا أصحابهم مما هو فيه ويأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب ويوكل به من يحفظه لنلا يسرق فأخرج في بعض الأيام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزاته قد عظمت وكان قدشيد سور الموصل وقواه وبني عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب إلى إربل وكان أولاد أبي الهيجاء صاحب إربل قد حضروا الحرب مع جكرمش وأسرهم جاولي فأرسل إلى أبي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فأطلقه وسيره إليه فأطلق جاولي ابن أبي الهيجاء فلما حضر بن كسيرات هند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الأموال فاعتقله اعتقالاتا جليلا وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان عدواً لأبي طالب فأرسل إلى جاولي يقول له إن قتلت أبا طالب سلمت الموصل إليك فقتله وأرسل رأسه إليه فأظهر الشجاعة به وأخذ كثيراً من أمواله وودائعهم فسار به الأتراك غضباً لأبي طالب وانفرده بما أخذ من أمواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيراً وسمعنا مالا يحصىه من قرب وفاة أحد المتعادين بعد صاحبه .

(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج) في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين يميند الفرنجي فسار يميند إلى بلد ملك الروم ونهب وعزم على قصده فأرسل ملك الروم إلى

ذكر ملك قلع أرسلان الموصل

الملك قلع أرسلان بن سليمان صاحب قونية وأقصر وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فأمدّه بجمع من عسكره فقوى بهم وتوجه إلى يميند فالتقوا وتصافوا وافتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على أكثرهم وأمر كثير منهم والذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلع أرسلان إلى بلادهم عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة فأتاهم خبر قتله على ما ذكره إن شاء الله تعالى فتركو الحركة وأقاموا.

﴿ ذكر ملك قلع أرسلان الموصل ﴾ قد ذكرنا أن أصحاب جكرمش كتبوا إلى الأمير صدقة وقسم الدولة البرسقي والملك قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش السلاجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم إليهم ليسلموا البلد إليه فأما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان، وأما قلع أرسلان فإنه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاو و بوصوله إلى نصيبين رحل عن الموصل وأما البرسقي فإنه كان شحنة بغداد فسار منها إلى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد إليه ولا أرسلوا إليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم إن قلع أرسلان لما وصل إلى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سنجار وأودع رحله بها واتصل به الأمير أيلغازي بن أرتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه أربعة آلاف فارس فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام ويقول له إن الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار إلى الرحبة وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلع أرسلان وهو بنصيبين استخلفوه لهم فخافوا واستخلفهم على الطاعة له والمناجحة وسار معهم إلى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمروفة وخرج إليه ولد جكرمش وأصحابه فخلع عليهم وجلس على النخث وأسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن إلى العسكر وأخذ القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزداراً ورفع الرسوم المحدثه في الظلم وعدل في الناس وتآلفهم وقال من سعى إلى بأحد قتلته فلم يسع أحد بأحد وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لأبي البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا أبي الربيع سليمان وكان في جملة قلع أرسلان الأمير إبراهيم بن ينال الزكاني صاحب آمد ومحمد بن جبج التركاني صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فأما إبراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أن تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلبها إليه فبقيت بيده وأما محمد بن جبج فكان سبب ملكه لحصن زياد أن هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها وأنطاكية من أعماله فلما ملك سليمان بن قتلش والد هذا قلع أرسلان أنطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن إقامة ما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة والإقامة فأخذه جبج وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وأمره على الرها فلم يزل عليها حتى مات وأخذها الأمير بزبان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه إفرنجي وكان يقطع الطريق ويكثر قتل المسلمين فأرسل إليه جبج هدية وخطب إليه مودته وأن يعين كل واحد منهما صاحبه فأجابته إلى ذلك فكان جبج يعين إفرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك إفرنجي يعين جبج فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل إليه جبج أني أريد قصد بعض الأماكن وطلب أن يرسل إليه أصحابه فأرسلهم إليه فلما ساروا معه في الطريق تقدم يكتفهم وحملهم إلى قلعة إفرنجي وقال لأهلهم والله لئن لم تسلموا إلى إفرنجي لأضربن أعناقهم ولأخذن الحصن عنوة ولأقتلنكم

علی دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه إفرنجی فسلخه وأخذ أمواله وسلاحه وكان عظيماً ومات جبج فولى بعده ابنه محمد .

(ذكر قتل قباچ أرسلان وملك جاولی الموصل) قد ذكرنا أن قباچ أرسلان لما وصل إلى نصيبين سار جاولی عن الموصل إلى سنجار ثم إلى الرحبة فرصاها في رجب وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بني شيبان رتبته بها الملك دقاق لما فتحها وأخذ ولده رهينة وحمله معه إلى دمشق فلما توفي أرسل هذا الشيباني قوما سرقوا ولده وحملوه إليه ، فلما وصل إليه خلع الطاءة للدمشقيين وخطب في بعض الأوقات لقباح أرسلان فلما وصل إليها جاولی وحصرها أرسل إلى الملك رضوان يعرفه أنه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشترط عليه أنه إذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت التاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على أهل البلد وضائق عليهم الأمور واتفق جماعة كانوا بأحد الأبراج وأرسلوا إلى جاولی واستجأوه على حفظهم وحراستهم وأمروه أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من في البرج أصحابه إليهم في الحبال فضربوا بوقاتهم وطبولهم فخذل من في البلد ودخله أصحاب جاولی في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه إلى الظهر ثم أمر برفع النهب ونزل إليه محمد الشيباني صاحب البلد وأطاعه وصار معه ثم إن قباچ أرسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جاولی سقارو ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة وعمره إحدى عشرة سنة ومعه أمير ايدبر وجماعة من العسكر وكانت معه أربعة أسكركه أربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولی فاختلفوا وكان أول من خالف عليه إبراهيم بن ينال صاحب آمد فإنه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده وكذلك غيره وعمل قباچ أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولی وكثرة جموعه ، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنها كانت ملك الروم نجدة له عن قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل إلى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف ، وكان مع جاولی أربعة آلاف من جناتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره إلا أن شجيمانه أكثر واغتم جاولی قلة عسكر قباچ أرسلان فقاتله قبل وصول عساكره إليه فالتقوا في العشرين من ذي القعدة فحمل قباچ أرسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم بأبناها ووصل إلى جاولی بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكراغند ولم يصل إلى بدنه وحمل أصحاب جاولی على أصحابه فهزموهم واستباحوا نقلهم وسوادهم فلما رأى قباچ أرسلان انهزام عسكره علم أنه إن أسر فعل به فعل من لم يترك للضاح موضعاً لاسيما وقد نازع السلطان في بلاده واسم السلطنة فألقى نفسه في الخابور وحمل نفسه من أصحاب جاولی بالنشاب فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية وهي من قرى الخابور وسار جاولی إلى الموصل ، ولما وصل إليها فتح أهلها له بابها ولم يتمكن من بها من أصحاب قباچ أرسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد وأخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذي حضر الواقعة مع قباچ أرسلان إلى جهة فلما ملك جاولی الموصل أعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش وسار إلى جزيرة ابن مهر وبها حبشي بن جكرمش ومعه أمير من غلبان أبيه اسمه غزغلي فحصره مدة ثم إنهم صالحوه وحملوا إليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم إلى الموصل وأرسل ملكشاه بن قباچ أرسلان إلى السلطان محمد .

(ذكر أحوال الباطنية بأصبهان وقتل ابن عطاش) في هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التي كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها أحمد عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك أنه اتصل بدردار كان لها فلما استولى أحمد عليها وكان الباطنية بأصبهان قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وإنما فعلوا ذلك به لتقدم إليه عبد الملك في مذهبهم فإنه كان أدبيا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه أحمد جاملا لا يعرف شيئا وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان أبيه لأنه كان أستاذي وصار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن إحصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى فتعذر بذلك ارتفاع السلطان بقراء والناس بأملأكم وتمشى لهم الأمر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحرهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم لأن الأذى بها أكثر وهي متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فأرجفوا أن قلع أرسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها وانتعلوا في ذلك مكاتبات ثم أظهروا أن خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الأمر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حرهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربها ونصب له النخث في أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحرهم الأمم العظيمة للدحول التي يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضايق الأمر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عنهم الأقوات فلما اشتد الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسالته واليوم الآخر وأن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وإنما يخالفون في الإمام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز إقرارهم بمكاهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فإنهم يقال لهم أخبرونا عن إمامكم إذا أباح لكم ما حظه الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره فإنهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع وطالت المناظرة في ذلك ثم إن الباطنية سألوا السلطان أن يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية بأصبهان وقاضيا وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وإنما كان قصدهم التعلل والمطاوله فلعج حينئذ السلطان في حصرهم فلما رأوا عين المحاققة أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يعطوا عرضا عنها قلعة خالنجان وهي على سبعة فراسخ من أصبهان وقالوا إنا نخاف على دماننا وأموالنا من العامة فلا بد من مكان نجتمى به منهم فأشير على السلطان إجابتهم إلى ما طلبوا فسألوا أن يؤخرهم إلى النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا أن لا يسمع قول متصح فيهم وإن قال أحد عنهم شيئا سلبه اليهم وأن من أتاه منهم رده اليهم فأجابهم اليه وطلبوا أن يحمل اليهم من الإقامة ما يكفيهم يوما

يوم فأجيبوا إليه في كل هذا وقصدهم المطاولة انظاراً لفتق يفتق أو حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل إليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون إليه فخلعواهم برسولون ويتناعون من الأاطمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعته ثم إهم وضخوا من أصحابهم من يقتل أميراً كان يبائع في قنالم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم حينئذ أمر السلطان بإخرا ب قلعة خالنجان و جدد الحصار عليهم فطلبوا أن ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر بأرجان وهي لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم إلى طبس وأن يقيم البقية منهم في ضرس من القلعة إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعة الموت فأجيبوا إلى ذلك فنزل منهم إلى الناظر وإلى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخر بها ثم إن الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذي بقي بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذي قرره فأمر بالزحف إليه فزحف الناس عامة ثانی ذی القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقا تل فظهر منهم صبر عظیم وشجاعة زائدة ، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم فقال لهم إني أدلكم على عورة لهم فأتى بهم إلى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقبل إهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال إن الذي ترون أسلحة وكزاعنات قد جعلوها كهية الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واخيلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم وأما ابن عطاش فإنه أخذ أسيراً فترك أسبوعاً ثم إنه أمر به فشر في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبناً وقتل ولده وحمل رأسها إلى بغداد وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها ، فهلكت أيضاً وضاعت ، وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة .

(ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة) في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبي الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن أبي الجبر إلى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك أن صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستتاب في الأهمال أولاده وأصحابه فدوا أيديهم في الأموال وفرطوا فيها وفرقوها ، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصة بدران بن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فأخرجه من الحبس وأعادته إلى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبي الجبر واسطاً فأنحل على مهذب الدولة كثير من أمره فأل إلى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع إسماعيل جد حماد والمختص محمداً والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبي الجبر وكانت إليهما رياسة أهلها وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعا ن ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقا تلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة أيام كوهرايين وسلمه إلى كوهرايين فعمله إلى أصبهان فهلك طريقها فعظم أمر مهذب الدولة وصير كوهرايين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعة تحت حكمه وكان حماد شاباً فأكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاً له وزاد في أقطاعه فكثرت ماله فسار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما ظهر في بعض الأوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرايين انتقل حماد عن مهذب الدولة وأظهر مافي

نفسه فاجتهد مهذب الدولة في إعادته إلى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصدا حمادا فهرب منه إلى سيف الدولة بالحلة فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحمد مهذب الدولة فأرسل حماد إلى صدقة يعرفه ذلك فأرسل إليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لسلا يظن به العجز فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه وأصحابه في الأهر فجعل حماد وأخوه له الكمناء واندفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم إلا من لم يحضر أجله فقتل منهم وأسرى خلق كثير فقوى طمع حماد وأرسل إلى صدقة يستنجده فأرسل إليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المتقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول إليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فأرسل إلى سعيد بن حميد الإقامات الوافرة والصلوات الكثيرة واستماله فقال إليه واجتمع به وتقرر الأمر على أن أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة فرضى عنه وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا إلى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم في ذى الحجة سنة خمسائة .

(قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك) في شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه أما الوزير فنسب إلى خيانة السلطان، وأما الأربعة فنسبوا إلى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته مئتين وتسعة أشهر، وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الأتيةفاه وخدم السلطان محمدا لما حصره أخوه السلطان بركيارق بأصبهان خدمة حسنة ولما فارقتها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له في الإقطاع وحكمه في دولته ثم نكبه، وهذا آخر خدمة الملوك. وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أبوا بنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيراً فذكر له جماعة فقال السلطان إن آباءى دروا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذيا نعمتنا ولا معدل عنهم فأمر لأبي نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الإسلام وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمدان فاتفق أن رئيس همدان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار إلى السلطان شاكياً منه ومنظلاً فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل إليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فإنه حضر شاكياً فسار حاكماً .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم على بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئاً إليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فأرسل إليه صدقة من أخذه إليه إلى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فإن أباه أبا نصر بن جهير بناها بانقراض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استناب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدمغاني ثم تقرر الوزارة في المحرم من سنة إحدى وخمسةائة لأبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه. وفيها في شوال توفي الأمير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل

المعروف بابن أن الشوك الكردي وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولى الأمر بعده أبو منصور ابن بدر وقام مقامه وبقيت الإمارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية . وفي هذه السنة توفي أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الأصبهاني بن أخت عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية . وفيها توفي أبو محمد جعفر بن أحمد ابن الحسين المصراع البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد البشيرazy الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروي الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من أبي الطيب التبري والجوهري وغيرهما وكان إماما في النحو واللغة . (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة ﴾

(ذكر قتل صدقة بن يزيد) في هذه السنة في رجب قتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس ابن مزبد الأسدي أمير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فأجارهم وكان كثير العناية بأمور السلطان محمد والتقوية ليدنه والشدة منه على أخيه بركيارق حتى إنه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد أقطاعا من جلته مدينة واسط وأذن له في أخذ البصرة ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخي وقال في جملة ما قال عنه إن صدقة قد عظم أمره وزاد حاله وكثر إعدائه ويديس في الدولة وحمايته كل من يفر إليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأواله ثم إنه تعدى ذلك حتى طعن في اعتقاده ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنية وكذب وإنما كان مذهبه التشيع لا غير

(١) وفيها توفي أحمد بن محمد بن المظفر أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهورا بحسن المناظرة وإخام الخصوم . قال والخوافي بفتح الخاء والوون نسبة إلى خواف ، ناحية من نواحي نيسابور . وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن عبيد الأسدي الشاعر ، لقي الخنيسي النهامي ، وكان مغرما بما يعارض شعره ، وقد أقام باليمن وبالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا . قال ثقلت كاهلي بالأيادي

قلت طولت قال بل تطولت . قلت مزقت قال جبل ودادى

وفيها توفي يوسف بن علي أبو القاسم الزنجاني الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب ، قال : كنا يوما بجامع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المطر فقال الشاب : غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فنفض الناس هاربين وتبعته الحية ذلك الشاب من بينهم ، فقبل له تب تب . فقال تب ، فذهبت فلاندرى أين ذهبت . رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

ووافق أرغون السعدى أبا جعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهله فلم يؤاخذهم بشيء مما كان له أيضا هناك من بقايا خراج بيلدء فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه بأجمعه ويسلم إلى زوجته وأما سبب قتله فإن صدقة كان كاذبا كرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبي دلف سرخاب بن كينخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فأجاره فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلمه إلى نوابه فلم يفعل وأجاب إننى لا أتمكن منه بل أحامى عنه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ونسلمه حتى نصرع حوله ه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه إلى العراق ليتلافى هذا الأمر فلما سمع صدقة استشار أصحابه في الذى يفعله فأشار عليه ابنه ديبس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفرق المال فيهم واستطال في القول فقال صدقة إلى قوله وجمع العساكر واجتمع إليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فأرسل إليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فأجاب صدقة إننى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى في الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبي ثم أرسل السلطان أفضى القضاة أبا سعيد الهروى إلى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره بالانسياط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهيز للغزاة معه فأجاب إن السلطان قد أفسد أصحابه قلبه على وغيروا حالى معه وزال ما كان عليه فى حقى من الإنعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلاح السلطان مطمع واترين خيولنا يبخلون وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان إلى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك وسير البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الأمراء إلى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا إليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة فى جمادى الأولى يذكر أنه واقف عند ما يرسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمرته من ذلك أمثله فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان فقال السلطان أنا أمثله ما يأمر به الخليفة ولا مخالفة عندى فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له ويخلف السلطان على ما يتبع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال إذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج إليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وأن جاولى سقاوو وأبلغازى بن أرتق أرسلوا إلى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهم ما وصلوا إلى فى عساكرهما وورد إلى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خراسان الزركانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب اليلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين أنابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ إلى صدقة وعاقده فأكرمه صدقة وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع

ثم هرب إلى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وأزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البرية ليمنع صدقة من الحرب إن أراد ذلك فأذن له فعب بالأنبار وكان آخر العهد به وأنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمد بن بوقا التركاني فأخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم إلا أصحاب صدقة ففرقوا ولم ينهب أحد وأنفذ خيله إلى بلد قوسان وهو من أعمال صدقة فنهبه أقيح نهب وأقام عدة أيام فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر، فلما وصلوا إليها خرج منها الأتراك وأقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة، ثم إن ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً فقصدتهم ثابت وعسكره لم يقدرُوا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت في وجهه وكثر الجراح في أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الأتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجاله ثابت فذهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب إليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى في الناس بالأمان وأقطع السلطان أواخر جمادى الأولى مدينة واسط لتقسيم الدولة البرسقية وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه مالا يحد وأما السلطان محمد فإنه سار عن بغداد إلى الزعفرانية ثانی جمادى الآخرة فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدولة بن المطلب يأمره بالنوقف وترك العجلة خوفاً على الرعية من القتل والنهب وأشار قاضي أصبهان بذلك واتباع أمر الخليفة فأجاب السلطان إلى ذلك فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء على بن طراد وجمال الدولة مختصاً الخادم فسار إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطات وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا فطمت الخطية في بلدي وجهز ابنه ديبسا ليسيير معهما إلى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا الحديث إذ ورد الخبر أن طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطير أباذ وأن الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق فتمجد صدقة لأجل الرسل وهو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفاً عليهم وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدموا إلى العسكر عند عبورهم عليهم أنه لا يتعرض أحد منهم إلى حرب حتى تعود فإن الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف أثق أرسل ولدي الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ماترون فإن تكفتم برده إلى أنفذته فلم يتجاسروا على كفالاته فكتب إلى الخليفة يعذره عن إنفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الواقعة أن عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي أننا نهب شيئاً قبل الصلح فأجاب البعض وامتنع البعض فذهب من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لثلا ينسب إلى خوروجين ولثلا يتم على من عبروهن فيكون عاره وأداه عليهم فذهبوا بعدهم أيضاً فأنام أصحاب صدقة وقاتلوه فكانت الهزيمة على الأتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسروا جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الأمير محمد بن باغيسيان الذي كان أبوه صاحب أنطاكية وكان عمره نيفاً وعشرين سنة، وكان محباً للعلماء وأهل الدين وبنى بإقطاعه من أذربيجان عدة مدارس ولم يحسر الأتراك يعرفون السلطان بما أخذ منهم من الأموال والدواب خوفاً منه حيث فعلوا ذلك بغير أمره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا أنهم باعوا كل أسير بدينار، وأن ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً، وهريسة وجدلوا ينادون من يتغدى بأسير ويتعشى بآخر، وظهر من الأتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحريم أمر الصلح فأجاب أنه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة أيضاً إلى

السلطان يعتذر بما نقل عنه ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك وأن جند السلطان عبرت إلى أصحابه فنعوا عن أنفسهم بغير علمه وأنه لم يحضر الحرب ولم ينزع يداً من طاعة ولا فطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فأرسل الخليفة نقيب النقباء وأبا سعد الهروي إلى صدقة فقصد السلطان أولاً وأخذ يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة فلما وصلا إلى صدقة وقال له عن الخليفة إن إصلاح قلب السلطان موقوف على إطلاق الأسرى ورد جميع ما أخذ من العسكر المنبزم فأجاب أولاً بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت لكن ورائي من ظهري وظهر أبي وجدى ثمانية امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت أني إذا جئت السلطان مسة لما قباني واستخدمني لفعلت لكني أخاف أنه لا يقبل عترتي ولا يعفو عن زنتي وأما ما نهب فإن الخاق كثير وعندي من لأعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لي عليهم ولكن إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي ولا فيمن أجرته وأن يقر سرخاب ابن كينخسرو على إقطاعه بسارة وأن يتقدم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادى وأن يخرج وزير الخليفة يحلفه بما أثق إليه من الإيمان على المحاولة فيما بيني وبينه فينتد أخدم بالمال وأدوس بساطه بعد ذلك فمادوا بهذا ومدتهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة فقدم الخليفة وأرسل السلطان معهم قاضي أصهبان أبا اسمعيل فأما أبو اسمعيل فلم يصل إليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الأول فينتد سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة في عساكره إلى قرية مطر وأمر جنده بالباس السلاح واستأنم ثابت بن سلطان بن ديبس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة إلى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي تقدم ذكره أنه كان بواسط فأكرمه السلطان وأحسن إليه ووعدته الإقطاع ووردت العساكر إلى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز أبي جعفر بن كاكويه وآبؤه كانوا أصحاب أصهبان وفرامرز هو الذي سلمها إلى طغرل بك وقتل أبوه مع تنش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصاروا مع صدقة على أرض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه أصحاب صدقة ثم إن الأتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم إلا في فرس أو فارس وكان أصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادى يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الأكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذته الأمير أحمديل بعد قتل صدقة فسيره إلى بغداد في سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركب حاجبه أبو نصر بن تفاعحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الأتراك فضر به غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول أنا ملك العرب أنا صدقة فأصابه سهم في ظهره وأدركه غلام اسمه بزغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط إلى الأرض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا بزغش ارفق فضر به بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى البرسقي لحمله إلى السلطان فلما رآه عانقه وأمر لبزغش بصلة وبقى صدقة طريقا إلى أن سار السلطان فدفنه إنسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وحمل رأسه إلى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من بني شيان

خمس وتسعون رجلا وأسرا بنه ديبس بن صدقة وسرخاب بن كينخرو الديلي الذي كانت هذه الحرب بسببه وأحضر بين يدي السلطان فطلب الأمان فقال قد عاهدت الله أني لا أقتل أسيرا فإن ثبت عليك أنك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة إلى الحلة فأخذ من المال وغيره ما أمكنه وسير أمه ونساءه إلى البطيحة إلى مذهب الدولة أبي العباس أحمد بن أبي الجبر وكان بدران صهر مذهب الدولة على ابنته ونهب من الأموال ما لاحد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير ألوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حلما صدوقا كثير البر والإحسان مابرح ملجأ لكل ملهوف يلقي من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرايا معه في أمن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فظنك بغير هذا ولم يصدر أحدا من نوابه ولا أخذ عم بإساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أمواله في خزائنه ويدلون عليه إدلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحببت أميرها كح رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الأشعار ويبادر إلى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان إلى بغداد ولم يصل إلى الحلة وأرسل إلى البطيحة أمانا لزوجته صدقة وأمرها بالظهور فأصعدت إلى بغداد فأطلق السلطان ابنها ديبسا وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقاءها فلما لقيا ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت إلى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت أنه حمل إلى حتى كنت أفعل معه ما يعجب الناس به من الجميل والإحسان لكن الأقدار غلبتني واستحلف ابنها ديبسا أنه لا يسعى بفساد.

(ذكر وفاة تمیم بن المعز صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى) في هذه السنة في رجب توفي تمیم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حلما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فنه أنه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطالحوا وأهدروا دمه وكان صلحهم مما يضربه وبيلاده فقال أيا ما يحرض على الطلب بدمه وهي :

متى كانت دماؤكم تطل ه أما فيكم بثار مستقل
أغانم ثم سالم إن فشلتكم ه فما كانت أوائلكم تذل
ونتم عن طلاب الثار حتى ه كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي ه ولا يبيض تفل ولا تسل

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى أخرجوا بني عدى من إفريقية قيل إنه اشترى جارية بثمان كثير فبلغه أن مولاه الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فأحضرت تمیم بين يديه وأرسل الجارية إلى داره ومعها من الكسوات والأواني الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شيء كثير ثم أمر مولاه بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع غشيا عايبه لكثرة مروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله إلى دار تمیم فأنهره وأمره إعادة جميع ذلك إلى داره وكان له في البلاد أصحاب أخبار يجرى عليهم أرزاقا سنوية ليطلب العوه بأحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر في بعض الأيام التجار تمیما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكره فرفع ذلك إلى تمیم فأحضره إلى قصره وسأله هل ظلمتكم فقال لا مال فهل ظلمتكم ببعض أصحابي قال لا قال فلم أطلقت لسانك أمس بذي فسكت فقال لولا أن يقال شره في ماله لقتلتك ثم أمر به فصنع

في حضرة قليلا ثم أطلقه فخرج وأصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال أسرار الملوك لاتذاع فصارت بأفريقية مثلا ولما توفي كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ، ولما توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لأربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولى فرق أمواله جزيلة وأحسن السيرة في الرعية .

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية) لما ملك يحيى بن تميم بعد أبيه جرد عسكرا كثيرا إلى قلعة قليبية وهي من أحسن قلاع إفريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبو تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش .

(ذكر قدوم ابن عمار ببغداد مستنقرا) في هذه السنة في شهر رمضان ورد القاضي نجر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنقرا على الفرنج طالبا لتسيير العساكر لإزاحتهم والذي حثه على ذلك أنه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الأقوات وقلت واشتد الأمر عليه وعلى أهل البلد فمن الله عليهم سنة خمس مائة بميرة في البحر من جزيرة قبرس وأنطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقروا على حفظ البلد بعد أن كانوا استسلموا فلما بلغ نجر الملك انتظام الأمور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللإسليمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الأجناد برا وبحرا وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع إلى من يقرم بحفظه بحيث إن ابن عمه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك وسار إلى دمشق فأظهر ابن عمه الخلاف له والمصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف نجر الملك كتب إلى أمخابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله إلى حصن الخوابي ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة والخيل الرائفة فلما وصلها لقيه عسكرهما وطفتكين أتاك وخيم على ظاهر البلد وسأله طفتكين الدخول إليه فدخل يوما واحدا إلى الطعام وأدخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طفتكين يشيعه فلما وصل إلى بغداد أمر السلطان كافة الأمراء بتلقيه وإكرامه وأرسل إليه شبارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا أن يكون جلوسك في دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب بلقوه وأزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا والآخرة أكبر . ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه في مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن أنه إذا سيرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحو مما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداد في شوال فأحضره عنده بالنهروان قد تقدم إلى الأمير حسين بن أتاك قتلتنكين ليسير معه العساكر التي سيرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولى سقاو ولبعضوا معه إلى الشام وخلع عليه السلطان خلعا

نفيسة وأعطاه شيئاً كثيراً وودعه وسار ومعه الأمير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما ذكره بعد إن شاء الله تعالى ثم إن نجر الملك بن عمار عاد إلى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فأقام بها أياماً وتوجه منها مع العسكر من دمشق إلى جلة فدخلها وأطاعه أهله وأما أهل طرابلس فإنهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم ومعه الميرة في البحر فسير إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب والياً ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج إليه البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ما رجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع إلى مصر في البحر .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغلا ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الألواح وجدلت في الأسواق . وفيها في شهر رمضان ولي القاضي أبو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد . وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان وشرط عليه شروطاً منها العدل وحسن السيرة وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمة وفيها عاد الأصمبند صباوو من دمشق وكان هرب عند قتل أياز فلما قدم أكرمه السلطان وأقطعته رحبة مالك بن طوق . وفيها سابع شوال خرج السلطان إلى ظاهر بغداد عازماً على العود إلى أصهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً . وفيها في ذي الحجة احترقت خرابة ابن جرادة فهلك فيها كثير من الناس وأما الأمتعة والأموال وأثاث البيوت فهلك منها ما لا حد له وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلة إلى مقبرة باب أبرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيئاً لتسكهم بسبتهم وكان بعض أدله قد عبروا إلى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم في السبت الذي يلي العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت وأهلهم قد احترقوا وأموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك حريق في عدة أماكن منها درب القيار وقراح ابن زرین فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معاشهم وأقاموا ليلاً ونهاراً محرسون بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لإطفاء النار فظهر أن سبب هذا الحريق أن جارية أحببت رجلاً فوافقت على الميت عندها في دار مولاهما سرا وأعدت له ما يسرقه إذا خرج وبأخذها هي أيضاً معه فلما أخذها طرحا النار في الدار وخرجا فأظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فأخذوا وحبسوا ، وفيها جمع بغداديون ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المدشوقة وأقام شهراً محاصراً لها فصانعه والياً على سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحراً ونصب عليها البرج الخشب ووصل الأسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم أسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة ، وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبق ليالى كثيرة ثم غاب . وتوفي في هذه السنة في شعبان إبراهيم بن مياس بن مهدي أبو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة أبو سعيد إسماعيل بن عمرو بن النيسابوري المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة (١)

(١) قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صيبة عمياء تكلم على أسرار الناس ، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات ، وبالغ الناس في أنواع الخيل عابها ليعلموا حالها فلم يعلموا . قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الانتخاص =

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود) في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه على مدينة الموصل وأخذوها من أصحاب جاولى سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلعج أرسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والأموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل إليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والأموال وكان سبب أخذ البلاد منه أنه لما استولى عليها وعلى الأموال الكثيرة منها لم يحمل إلى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان إلى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة أرسل إلى جاولى يستدعيه إليه بالعساكر وكرر الرسل إليه فلم يحضر وغالط في الانحدار إليه وأظهر أنه يخاف أن يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة وأظهر له أنه معه ومساعدته على حرب السلطان وأطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم إلى الأمراء بنى برسق وسكان القطبي ومودود ابن التوتكين وأقسنقر البرسقي ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي وأبي الهيجاء صاحب إربل بالمسير إلى الموصل وبلاد جاولى وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولى عاصيا قد شيد سور الموصل وأحكم ما بناه جكرمش وأعد الميرة والأقوات والآلات واستظهر على الأعيان بالموصل فحبسهم وأخرج من أحداها ما يزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع عاميان على الحديث في هذا الأمر قتلتما وخرج من البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق وأسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقي بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت في الاحتراس عليهم فأوحشهم ذلك ودعاهم إلى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متابعا قتمادى الحصار بأهلها من خارج والظلم من داخل إلى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور فلما طال الأمر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التمساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا وأغلقوا أبوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشيء حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم والقوم إلى الأرض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الأمير مودود ونودي بالسكون والأمن وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم وأقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراست الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها وأن يحلف لها عن الصيانة والحراسة خلف وخرجت إلى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف إليها .

(ذكر حال جاولى مدة الحصار) وأما جاولى فإنه لما وصل عسكر السلطان إلى الموصل وحصرها

= وما في داخل البنادق من المشمع والطين المختلف ، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ أحدكم روضه يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله .

وسار عنها وأخذ معه القمص صاحب الرها الذي كان قد أسره سقمان وأخذه منه جكرهش وقد ذكرنا ذلك وسار إلى نصيبين وهي حينئذ للأمير أيلغازي بن أرتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه إلى معاظمته وأن يكونا يدا واحدة وأعلمه أن خوفهما من الساطان ينبغي أن يجعلهما على الاحتيا من جهة أيلغازي إلى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولي وأن يقاتله إن قصد وسار إلى ماردين فلما سمع جاولي ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل إلى أيلغازي ثانيا في المعاني وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند أيلغازي بماردين لم يشعر إلا وجاولي معه في القلعة وحده وقصد أن يتألفه ويستميله فلما رآه أيلغازي قام إليه وخدمه ولما رأى جاولي محسنا للظن فيه غير مستشعر منه لم يجد إلى دفعه سيلا فنزل معه وعكرا بظاهر نصيبين وسارا منها إلى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبه إلى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وأيلغازي يظهر لجاولي المساعدة ويطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصل إلى عرابان من الخابور هرب أيلغازي ليلا وقصد نصيبين .

(ذكر إطلاق جاولي للقمص الفرنجي) لما هرب أيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرحبة فلما وصل إلى ماكسين أطلق القمص الفرنجي الذي كان أسيرا بالموصل وأخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقي في الحبس إلى الآن وبذل الأموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولي وخلع عليه وكان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه أن يفدى نفسه بمال وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله ، فلما اتفقا على ذلك سار القمص إلى قلعة جعبر وسله إلى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجماها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسير مع القمص في تلك الواقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين إلى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار إلى أنطاكية وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه وأخذ عوضه أخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره إلى القمص ليقوى به وليحثه على إطلاق الأسرى وإنفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين إلى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولي فأنكروا عليه ذلك ونسبوه إلى الغدر فقال إن هذه المدينة ليست لكم .

(ذكرى ماجرى بين هذا القمص وبين صاحب أنطاكية) لما أطلق القمص وسار إلى أنطاكية أعطاه طنكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكري قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن في ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده إلى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولي سره ذلك وفرح به وسار إليهما طنكري صاحب أنطاكية بعساكره ليحاربهما قبل أن يقوى أمرهما ويجمعوا عسكرا ويلتحق بهما جاولي وينجدهما فكانوا يقتتلون فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الأسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكسام وسيرم وعاد طنكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرها فسار القمص وجوسلين وأغاروا على حصون طنكري صاحب أنطاكية والتجأ إلى ولاية كواسيل وهو رجل أرمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعيان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فأنجد القمص بألف فارس من المرتدين وألقى راجل فقصدهم طنكري فتنازعوا في أمر الرها فتوسط بينهم البطريرك الذي لهم وهو عندهم كالإمام الذي

للمسلمين لا يخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين أن يميند خال طنكري قال له لما أراد ركوب البحر والعود إلى بلاده أن يعيد الرها إلى القمص إذا خلص من الأسر فأعادها عليه طنكري تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم إلى أصحاب جاوولي المال والأسرى فأطلق في طريقه خلقا كثيرا من الأسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعيف فحضر أصحاب جاوولي مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب جاوولي يقول في الإسلام قولا شديدا فضربوه وجري بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله .

(ذكر حال جاوولي بعد إطلاق القمص) لما أطلق جاوولي بما كسب سار إلى الرحبة فاتاه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل أبيهما بقلعة جبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما أنه يسير معهما إلى الحلة وعزموا أن يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن ألب أرسلان فوصل إليهم وهم على هذا العزم الأصهب صباوو وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاوولي وأشار عليه أن يقصد الشام فإن بلاده خالية من الأجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه أنه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يأمن شر يصل إليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل إليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جبر شن النيرى ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب إلى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره إلى جاوولي فأخذه وأسر عددا منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم إلى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاوولي وسأله أن يرحل إلى الرقة ويأخذها ووعد بما يحتاج إليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فأرسل إلى سالم إنني في أمر أم من هذا وأنا بأزاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره ، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق فإن تم أمرى فالرقة وغيرها لك ولا أشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل إلى جاوولي الأمير حسين بن أبابك قتلغتكين وكان أبوه أنابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع نخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاوولي وبأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار إلى جهاد الكفار فحضر عند جاوولي وأمر بتسليم البلاد وطب قلبه عن السلطان وضمن الجليل إذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاوولي أنا ملوك السلطان وفي طاعته وحمل إليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر إلى الموصل ورحل العسكر عنها فأتى أرسل معك من يسلم ولدى إليك رهينة وينفذ السلطان إليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاوولي فلما وصلا إلى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فأمرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه قال لا أرحل إلا بأمر السلطان وقبض على صاحب جاوولي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين إلى السلطان فأحسن النياية عن جاوولي عنده وسار جاوولي إلى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتفى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حاب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد أن نقب برجا من أبراجها فوقع على النقبين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصاب جماعة من أعيانه عند النقب وأحضر القاضي محمد بن عبدالعزيز بن الياس فقتل وكان فيها صالحا ونهب البلد وأخذ منه مالا كثيرا .

(ذکر الحرب بين جاولى والفرنج) وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولى سقاو و بين طنكرى الفرنجى صاحب أنطاكية وسبب ذلك أن الملك رضوان كتب إلى طنكرى صاحب أنطاكية يعرفه ما عليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه أنه على قصد حلب وأنه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فأجابته طنكرى إلى منعه وبرز من أنطاكية فأرسل إليه رضوان ستائة فارس فلما سمع جاولى الخبر أرسل إلى القمص صاحب الرها يستدعيه إلى مساعدته وأطلق له ما بقى عليه من مال المفاداة فسار إلى جاولى ملحق به وهو على منبج فوصل الخبر إليه وهو على هذه الحال بأن الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتاك زنكى بن آقسنقر وبكتاش الهاوندى وبقى جاولى في ألف فارس وانضم إليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكرى وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى في ميمنته الأمير اقسيان والأمير التوتاش الأبرى وغيرهما وفي الميسرة الأمير بدران ابن صدقة والأصبهذ صباو وسنقر داراز وفي القلب القمص بغدو بن وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب أنطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فأزاح طنكرى القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولى على رجالة صاحب أنطاكية وقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولى إلى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوا وانهمزوا ففضى جاولى ورآهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى أنهم لا يعودون معه أهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقى عسكره، فأما الأصبهذ صباو فسار نحو الشام وأما بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جعبر وأما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر وأما جاولى فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين إلى تل باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين ففعلوا معهم الجميل وداووا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم إلى بلادهم.

(ذکر عود جاولى إلى السلطان) لما انهزم جاولى سقاو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق أن طائفة من عسكر الأمير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب بجاورون الرحبة فقاربوا جاولى وهم لا يشعرون به ولو علموا لأخذوه فلما رأى الحال كذلك علم أنه لا يقدر أن يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع إليه ويداوى به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا بالأمير حسين بن قنغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد أخفى شخصه وكنم أمره وسار إلى عسكر السلطان وكان بالقرب من أصبهان فوصل إليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجدته في السير فلما وصل المعسكر قصد الأمير حسين فحمله إلى السلطان فدخل إليه وكفنه تحت يده فأمنه وأناه الأمراء يهنونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه إليه فاعتقله بأصبهان.

(ذکر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بينها) في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتاك والفرنج وسببها أن طغتكين سار إلى طبرية وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجى ملك القدس فتعاربا واقتلا وكان طغتكين في ألفى فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

ولقي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن أخت الملك وحمل إلى طغتكين عليه الإسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار وإطلاق خمسمائة أسير فلم يفتح طغتكين منه بغير الإسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى ثم اصطاح طغتكين وبعثوا ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمراً عظيماً .

(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج) في هذه السنة في شعبان انهزم أتاك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك أن حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضي نحر الملك أبي علي بن همار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعه فعصى على مولاه فضايق به القوات وانقطعت عنه الميرة اطول مكث الفرنج في نواحيه فأرسل إلى أتاك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن مني قد عجزت عن حفظه ولأن يأخذه المسلمون خيراً لي دنيا وآخره من أن يأخذه الفرنج فبث إليه طغتكين صاحباً له اسمه إسرائيل في ثلثمائة رجل وتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه إسرائيل في الأخلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتاك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والأفوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلاً ونهاراً فتمعه فلما زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الآكمة فلما سمع السرداني الفرنجي بمجيء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه في ثلثمائة فارس أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا ثقلهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقوروا به وزاد في تجمعاتهم ووصل المسلمون إلى حصص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لأنه لم تجر حرب وقصد السرداني إلى عرقة فلما نازها طلب من كان بها الأمان فأمهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على إسرائيل وقال لا أطلق عنه إلا بإطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودي به وأطلقا معا ولما وصل طغتكين إلى دمشق بعد الهزيمة أرسل إليه ملك القدس يقول له لا تظن أني أنقض الهدنة للذي تم عليك من الهزيمة فالملك يناهم أكثر مما نالك ثم تعود أمورهم إلى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفاً أن يقصد بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد .

(ذكر صلاح السنة والشيعه ببغداد) في هذه السنة في شعبان اصطاح عامة بغداد السنة والشيعه وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في إصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك إلى أن أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك أن السلطان محمداً لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لأن صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بأنهم نالهم غم وهم لقتله تخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين إلى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزبارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على أن يجمعوا طريقهم في الكرخ فأظهروا ذلك فانفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم وأنهم يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير

وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير وأظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة، فدهج الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق أن أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرأ لهم قوم (الم تركيب فعل ربك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة. (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن يزيد إلى باب السلطان فتقبله وأكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده إلى الآن والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل فأكرمه وأحسن صحبته. وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارثة الدقيق الخشكار عشرة دنانير إمامية وعدم الخبز رأساً وأكل الناس التمر والباقلان الأخضر؛ وأما أهل السواد فإنهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت. وفيها في رجب عزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطلب ووزر له أبو القاسم علي بن أبي نصر بن جهير. وفيها في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهي أخت السلطان محمد وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة ألف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد بأصبهان. وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد وكان سبب ذلك أن السلطان محمداً كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب الخزن وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم الآن وقرر عليهم ما لا يحملونه إليه فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وأمره السلطان بعارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار وأحسن إلى الناس فلما قدم السلطان إلى بغداد ولاءه شحنة العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارماً حازماً ذا رأي وجلد. وفيها في شوال ملك الأمير سبكان القطبي صاحب خلاط مدينة ميفارقين بالأمان بعد أن حصرها وضيق على أهلها عدة شهور فهدمت الأقوات بها واشتد الجوع بأهلها فسلبوها. وفي هذه السنة في صفر قتل قاضي أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي بهمدان وكان قد تجرد في أمر الباطنية تجرداً عظيماً وصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط ويحترز فقصدته إنسان عجمي يوم الجمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد ابن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضي نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطني وقتل الباطني ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمئة وسمع الحديث وكان حنفي المذهب. وفي هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر فأتى الخبر إلى ملك الفرنج فسار إليه وعارضه في البر وأخذ كل من فيه ولم يسلم منهم إلا القليل ومن سلم أخذه العرب. وفيها في نصح النصارى نار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من أهله في مائة رجل فلكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا إلى القلعة فلكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا إلى هؤلاء الذين أفسدوا كل الإحسان فبادر أهل المدينة بالباشورة فأصعدهم النساء في الجبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الأمراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا إليهم فكبروا عليهم وقتلهم فانخذل الباطنية وأخذم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم

في البلد . وفيها وصل إلى المهديّة ثلاثة نفر غرباء فكتبوا إلى أميرها يحيى بن تميم يقولون إنهم يعملون الكيمياء فأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه إبراهيم ، وكانا يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خالياً من جمع ثاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين في عمامته فلم تصنع شيئاً ورفضه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه فضرب الثاني الشريف فقتله وأخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى أهل الأندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للأمير يحيى إن هؤلاء رأتم بعض الناس عند المقدم بن خليفة وانفق أن الأمير أبا الفتوح بن تميم أخا يحيى وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه قد لبسوا السلاح فنع من الدخول فثبت عند الأمير يحيى أن ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصاً لأنه قتل أباهم وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهي ابنة عمه ووكّل بهما في قصر زياد بين المهديّة وسفّاقس فبقي هناك إلى أن مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر فوصلوا إلى إسكندرية على ما نذكره إن شاء الله . وفيها في المحرم قتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الروياني الطبري الفقيه الشافعي مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان حافظاً للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من قلبي . وفيها في جمادى الآخرة توفى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي الشيباني اللغوي صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد . وفيها في رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسيني العلوي رئيس همدان وكان نافذ الحكم ماضى الأمر وكانت مدة رياسته لها سبعا وأربعين سنة وجده لأمه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جداً فن ذلك أنه أخذ منه السلطان محمد في دفعة واحدة سبعمائة ألف دينار لم يبيع لأجلها ملكاً ولا استدان ديناراً ، وأقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور في جميع ما يريده وكان قليل المعروف . وفيها في ذي الحجة توفى أبو الفوارس الحسن بن علي الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه :

غنت الدنيا لطالها • واستراح الزاهد الفطن • عرف الدنيا فلم يرها • وسواه حظّه الفتن
كل ملك نال زخرفها • حظّه بما حوى كفن • يقتنى مالا ويتركه • في كلا الحالين مفتن
أملى كوني على ثقة • من لقاء الله مرتين • أكره الدنيا وكيف بها • والذي تسخرو به وسن
لم تدم قبلي على أحد • فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ذكر هناك .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام ﴾ في هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك أن طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتي منه ، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أول شعبان وصل أسطول كبير من بلد الفرنج في البحر ومقدمهم قص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلاً عليها قبله السردي ابن أخى صنجيل وليس بابن أخت بل هو هذا ريمند قص آخر ففرت بينهما فتنة أدت إلى

الشر والقتال فوصل طنكري صاحب أنطاكية إليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فأصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان وأصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الأسطول المصري عنهم بالميرة والنجدة ، وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وسد الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف فهاجموا على البلد وملكوه عنوة وقهراً يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الأموال وغنموا من أهلها من الأموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحمد ولا يحصى فإن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة وسلم الوالي الذي كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها فوصلوا إلى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دقاتهم وذخائرهم من مكامنهم .

(ذكر ملك الفرنج جليل وبانياس) لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكري صاحب أنطاكية إلى بانياس وحصرها وافتتحها وأمن أهلها ونزل مدينة جليل وفيها نخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلاً فقائلها إلى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة بالأمان وخرج نخر الملك ابن عمار سالماً ووصل عقيب ملك طرابلس الأسطول المصري بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التي فيه والذخائر في الجهات المنفذة إليها صور وصيدا وبيروت وأما نخر الملك بن عمار فإنه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن علي بن منقذ الكناني واحترمه وسأله أن يقيم عنده فلم يفعل وسار إلى دمشق فأنزله طغتكين صاحبها وأجزل له في الحمل والعطية وأقطعه أعمال الزيداني وهو عمل كبير من أعمال دمشق وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة (ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك) في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان إلى سنجر يستنجد به فسير إليه الجنود واجتمع معه أيضاً كثير من العساكر وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانزمت ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم ما أخذها وكثر الأسر فيهم والنهب ، فلما فرغوا من حربهم وأمن محمد خان من شر ساغربك عاد العسكري السنجري إلى خراسان فعبروا النهر إلى بلخ .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك إلى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الإسماعيلية فحصرهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً وفيها في ربيع الآخر قدم السلطان إلى بغداد وعاد عنها في شوال من السنة أيضاً . وفيها في شعبان توجه الوزير نظام الملك إلى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح في رقبة فبقي مريضاً مدة ثم برأ وأخذ الباطني الذي جرحه فسقى الخمر حتى سكر ، ثم سئل أصحابه فأقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا . ونها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالي ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان . وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب إفريقية خمسة عشر سنيا وسيرها إلى بلاد الروم فلقبها أسطول الروم وهو كبير فقاتلهم وأخذوا ست قطع من شواني المسلمين

ولم ينهزم بعد ذلك ليحيي جيش في البحر والبر وسير ابنه أبا الفتح إلى مدينة سفاقر واليا عليها فثار به أهلها فتهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيي يعمل الخيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دماهم وذنوبهم . وفيها توفي الأمير إبراهيم بنال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهوراً بالظلم فجلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالاً منه . وفيها في ثامن ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجة ثم غاب^(١)

(ثم دخلت سنة أربع وخمسة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا) في هذه السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك أنه وصل في البحر إلى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزوا بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الأسطول المصري مقبياً على صور فلم يقدر على إنجاد صيدا فعمل الفرنج برجاً من الخشب وأحكوه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلباعاين أهل صيدا ذلك ضعفت ذنوبهم وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضياً ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج وطلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذي عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالي وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد في العشرين من جمادى الأولى إلى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوماً ورحل بغدوين عنها إلى القدس ثم عاد إلى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فأقرهم واستغرق أموالهم .

(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان) كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم إن الخليفة الأمر بأحكام الله استعمل عليها إنساناً يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى إليه مالا وعروضا

(١) وفيها توفي أحمد بن علي بن أحمد ، أبو بكر العلوي ، كان يعمل في تجميع الحيطان ، ولا ينقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئاً ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وتفقه عليه بشيء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطاً بعصاه ويقول يارب ههنا . فقيل إنه حج في هذه السنة فوق بعرفات محرماً فتوفي بها من آخر ذلك اليوم ، فغسل وكفن وظيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لومات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله . وفيها توفي عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الفتيان الدهقاني ، رحل في طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرج وانتخب ، وكان له نقة في هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين . كانت وفاته بسرخس في هذه السنة . وفيها توفي محمد ويعرف بأخي حماد . وكان أحد الصالحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعوفى ، فلزم مسجداً له أربعين سنة ، ولا يخرج إلا إلى الجمعة ، وانقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله .

فامتنع به من أحكام المصريين عليه إلا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الأخبار بذلك إلى الأمر بأحكام الله صاحب مصر وإلى وزيره الأفضل أمير الجيوش فعظم الأمر عليهما وجهزا عسكريا وسيراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا أنه يريد الغزاة وأنفذوا إلى القائد سرا أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم ويقوم هو عوضه بعسقلان أميراً فصار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصري وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم فلما عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان إلى الفرنج فأرسل إليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر، ثم إن شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فأحضر جماعة من الأرمز واتخذهم جنداً ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسة فأنكر الأمر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فخر حوه فأنزموهم منهم إلى داره فقبضوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحجة وأرسلوا إلى مصر بجملة الحال إلى الأمر والأفضل فسرا بذلك وأحسنوا إلى الواصلين بالبشارة وأرسلوا إليه واليا يقيم به ويـتـعمل مع أهل البلد الإحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه .

(ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره) في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الأمر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه ضبي أرمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهراً وعنوة وقتل من أهله ألفي رجل وسبي وأسر الباقين ثم سار إلى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الأثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنها وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا فطلب أهلها منهم الأمان فأمنوهم وتساؤوا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والممانع عنه فشرع أصحاب البلاد الإسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الإجابة إلا على قطيعة يأخذونها إلى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماة على ألفي دينار وكانت مدة الهدنة إلى وقت إدراك الغلة وحصادها ثم إن مراكب أفلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الأمتعة الكثيرة فرقع عليها مراكب الفرنج فأخذوها وغنموا مامع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان إنفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا إلى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغداد فنعمهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا إلى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة أيضا فأرسل الخليفة إلى السلطان في المنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعوداً مع الأمير مودود صاحب الموصل وتقدموا

إلى الموصل ليلحق بهم الأمراء ويسيرون إلى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد ابن الحسين الميمني . وفيها ورد رسول ملك الروم إلى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعتهم من البلاد وكان رسوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام حتى قد أرسل إليك في جهادهم . وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها . وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا وأخذت بأنفاس الناس ولم يقدر أحد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل وينس الناس من الحياة وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد إلى الصنيرة وكان ذلك من أول وقت العصر إلى بعد المغرب . وفيها في المحرم توفي الكيا الهراس الطبري واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن علي وكان من أعيان الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن إمام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ أبي إسحق ودرس بعده في النظامية الإمام أبو بكر الشاشي (١) وفيها توفي أبو الحسين إدريس ابن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي من أهل الرملة بفلسطين تفقه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وعلي الشيخ أبي إسحق الشيرازي ودخل خراسان وولى التدريس بسمرقند فتوفي بها .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)

(ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج) في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج فكانوا الأمير مودود صاحب الموصل والأمير سجان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والأمير أيلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همدان وما جاورها والأمير أحمد بن وله مراغة وكوتب الأمير أبو الهيجا صاحب إربل والأمير أيلغازي صاحب ماردين والأمراء البيكجية باللاحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ماعدا الأمير أيلغازي فإنه سير ولده أياز وأقام هو قلسا اجتمعوا وساروا إلى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرهامة ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها أن الفرنج اجتمعت جميعها فأرسلها وراجلها وساروا إلى الفرات ليعبروها

(١) وقد اتهم في وقت بأنه يمالي الباطنية ، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه ، وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث وينظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقابيس في مهاب الرياح ، وحكى السلفي عنه أنه استفتى في كنية الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي حديثا بعثه الله عالما ، واستفتى في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعبا وفسقا ، وحوز شتمه ، وأما الغزالي فإنه خالف في ذلك ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغا للعنه ، لآل القاتل لا يلعن ، لاسيما وباب التوبة مفتوح ، والذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الغزالي : أما الترحم عليه بخائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً في الصلوات .

لينعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه وأقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها إلى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر إلى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون إليه بعد أن كانوا قبلي الميرة وقد أشرفوا على أن يؤخذوا وأخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشامي وطرقوا أعمال حلب فأفسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك أن الفرنج لما عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا وأما العسكر السلطاني فإنه لما سمع بعود الفرنج وعبرهم الفرات رحلوا إلى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قريت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وأربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضهم ووصلوا إلى حلب فأغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الأمير سجان القطبي فبادر مريضاً فتوفي في بالس فجعله أصحابه في تابوت وحملوه عائدين إلى بلاده فقصدهم أيلغازي ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم أيلغازي وغنموا ماله وساروا إلى بلادهم، ولما أغلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا إلى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الأمير مودود فاطلع من الأمراء على نيات فاسدة في حقه فخاف أن تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم أن الأمير برسق بن برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سجان القطبي كما ذكرنا وأراد الأمير أحمد ديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان أن يقطعه ما كان لسكان من البلاد وأتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الأمراء على نفسه فلم ينصحهم إلا أنه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الأسباب وبقي مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الإسلام طمئعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا إلى قامية فسمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار إلى مودود وطغتكين وهون عليهما أمر الفرنج وحرصهما على الجهاد فرحلوا إلى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزومهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا إلى قامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من أدركوه في ساقهم وعادوا إلى شيزر في ربيع الأول .

(ذكر حصر الفرنج مدينة صور) لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا إليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الأولى وهملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعا، وفي كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها إلى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الأعز فأحضر أهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الأبراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالأسلح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا البرج المتصق بالمدينة فألقى الحطب من جهانه وألقى فيه النار ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين

في البرج بإطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بحرب كان قد أعدّها ملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلوث فتمكنت النار منه فهلك كل من به إلا القليل وأخذ منه المسلمون ما قدر عليه بالكلايب ثم أخذ لال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بصبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم إن أهل صور حفروا سرايب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم ولينخسف برج إن عملوه وسيروه إليهم فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج وأعلموهم بما عملوه فخذروا منها وأرسل أهل البلد إلى أنابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدون به ويطلبونه ليسلموا البلد إليه فسار في عساكره إلى نواحي نيباس وسير إليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فاستنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الأتراك فقاتلوا بالحشب وقتى النفط فظفروا بسرب تحت الأرض فيه نطف لا يعلم من خزنه ثم إن عز الملك صاحب صور أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم لملك البلد فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجى الرجال إليه فقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلا ناسم وإفرنجي فقال الإفرنجي نطلقه لعل فيه فرجالهم فلم يمكنه المسلم وحمله إلى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذي ذكر طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور فوصل إليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وحملوهم إلى الفرنج فقتلوهم وطعموا في أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع حياتها وتصد حصن الحبيس في السواد من أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد إلى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم في البر فأحضروها في البحر وخذقوا عليهم لم يخرجوا إليه فسار إلى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية وأحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات فخاف الفرنج أن طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال إلى عكا وعاد عسكر طغتكين إليه وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخذقها وكان الفرنج قد طموه .

(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس) في هذه السنة خرج أذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس إلى بلاد الإسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فأكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار إليه في عساكرها وجموعه فلقبه فاقبلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم بشر كثير وسبي منهم وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل أذفونش حينئذ وعلم أن في البلاد حاميا لها وذابا عنها ، وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفى الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الإمام المشهور (١)

(١) أبو حامد الغزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفقه على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه ، وساد في شيبته حتى أنه درس بالانظامية ببغداد في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، حضر عنده رؤس العلماء ، وكان من حضر عنده أبو الخطاب =

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

في هذه السنة في المحرم سار مودود صاحب الموصل إلى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها إلى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر إلا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فأخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تأهب المسلمون للقاءه عاد عنهم إلى سروج . وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القمي وسلمه إلى الأمير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل إلى الري أركبه كاميار على دابة بمركب ذهب وأظهر أن السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل القمي ثم صلبه وكان سبب قبضه أنه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان . وفيها كان ببغداد رجل مغربي يعمل الكيمياء بزمه اسمه أبو علي فحمل إلى دار الخلافة وكان آخر العهد به . وفيها ورد إلى بغداد يوسف بن أيوب الهمداني الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام إليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فأذاه في مسألة وعاوده فقال له اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الإسلام فانفق بعد مديدة أن ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم وتنصر . وفيها في ذي القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسما غيم حتى يظن أنه صوت رعد ولم يعلم أحد أي صوت كان ، وفيها توفي بسيل الأرمي صاحب الدروب ييلاد ابن لاون فسار طنكري صاحب أنطاكية أول جمادى الآخرة إلى بلاده طمعا في أن يملكها فرض في طريقه فعاد إلى أنطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن أخته سرخالة واستقام الأمر فيها بعد أن جرى بين الفرنج خلف بسببه فأصلح بينهم القسوس والرهبان . وفيها توفي قراجة صاحب حمص وكان ظلما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة . وفي هذه السنة توفي المعمر بن علي أبو سعد بن أبي عمارة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين . وتوفي أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري والد شهدة وكان يروي عن أبي يعلى ابن الفراء وابن المأمون وابن المهدي وابن النور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا . وتوفي أبو العلاء صاعد

= وابن عقيل ، وهما من رؤس الخنابلة ، فتعجبوا من فصاحته وإطلاعه ، قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ثم إنه خرج عن الدنيا بالكفاية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة ، وصنف في هذه المدة كتابه (إحياء علوم الدين) وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، ومزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرفائق والترغيب والترهيب أسهل أمرا من غيره ، وقد صنف ابن الجوزي كتابا على الإحياء وسماه علوم الأحياء بأغليط الإحياء ، قال ابن الجوزي : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطا واتخذ دارا حسنة ، وغرس فيها بستانا أنيقا ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته في يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال : أوصني ، فقال : عليك بالإخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

ابن منصور بن اسماعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري ، وكان من أعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود) في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود ابن التوتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخر به أواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الأسعار فيها وقلت الأوقات فأرسل طغتكين صاحبها إلى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول إليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار إليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا إلى الأردن فنزل المسلمون عند الأقحوة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم إن الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والأسر ومن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجأ وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الأردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج إلى مضيق دون طبرية فلقبهم عسكر طرابلس وأنطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فأحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج إلى جبل غرب طبرية فأقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون يازاتهم يرمونهم بالنشاب فيصيرون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلمهم يخرجون إلى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون إلى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود رآذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأول ليقم عند طغتكين إلى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأول ليصلي فيه وطغتكين ، فلما فرغوا من الصلاة وخرج إلى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطنى فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطنى وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فأحرق وكان صائما فحمل إلى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله إلا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل إن الباطنية بالشام خافوه وقتلوه ؛ وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله ؛ وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني والدي قال) كتب ملك الفرنج إلى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فضوله إن أمة قتلت هبيدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبديها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار مامعه من الخزان وحملها إلى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك إلى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل إلى أصبهان .

(ذكر الحلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما) في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مديده إلى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وأنه خرب البلاد بظلمه وشره

وأنه قد صار استخف بأوامر سنجر ولا يلتفت إلى شيء منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قضده بما وراء النهر فخاف محمد خان فأرسل إلى الأمير قاج وهو أكبر أمير مع سنجر يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجر وأرسل أيضا إلى خوارزمشاه يمثل ذلك وسألها في إرضاء السلطان عنه واعترف بأنه أخطأ فأجاب سنجر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويأبى بساطة فأرسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صديقه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان ويينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول إليه لحسنوا الإجابة إلى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم أجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان إلى الجانب الشرقي فترجل وقبل الأرض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما إلى خيامه ورجعوا إلى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق إلى مصر فأتى الخبر إلى بغدادين ملك الفرنج فسار إليه وعارضه في البر فأخذهم أجمعين ولم ينج منهم إلا القليل ومن سلم أخذه العرب. وفي هذه السنة توفي الوزير أبو القاسم علي بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان. وفيها توفي الملك رضوان بن تاج الدولة تمش بن ألب أرسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت أمور رضوان غير محمودة قتل أخويه أبا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلته دينه ولما ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم ولم يكن للأخرس معه إلا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن ألب أرسلان أخرس وإنما في لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت باغديان الذي كان صاحب أنطاكية وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه وهو من أبيه وأمه واسم الآخر مباركشاه وهو من أبيه وكان أبوه فعل مثله فلما توفي قتل ولداه مكافأة لما اعتمده مع أخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في أيامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها وأعيان أهلها فلما توفي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم والإيقاع بهم فأمره بذلك قبض على مقدمهم أبي طاهر الصائغ وعلى جميع أصحابه فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم وأخذ أموال الباقين وأطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد. وفي هذه السنة توفي بيغداد أبو بكر أحمد بن علي ابن بدران الحلواني الزاهد منتصف جمادى الأولى روى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وأبي محمد الجوهري وأبي طالب العشاري وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم أبو الفضل عبدالله بن الطوسي خطيب الموصل واسماعيل ابن أحمد بن الحسين بن علي أبو علي بن أبي بكر البيهقي الإمام ابن الإمام ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وتوفي بمدينة بيمق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة وروى عن أبيه وأبي القاسم وابن المهدي والجوهري وغيرهم والأديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردي الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره:

تفكر لي دهري ولم يدر أنني ه أعز وأحداث الزمان تهون
وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه ه وبت أريه الصبر كيف يكون
ركبت طرفي فأدرى دمه أسفا ه عند انصرافي منهم مضمير الياس
وقال حتام تؤذيني فإن سنت ه حوائج لك فاركني إلى الناس

وكانت وفاته بأصبهان وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان بن حرب الأيوبي . وتوفي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الإمام الفقيه الشافعي في شوال ومولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وأبا بعلی بن الفراء وغيرهم وتفقه على أبي عبد الله محمد بن الكازروني بديار بكر وعلى أبي اسحق الشيرازي ببغداد وعلى أبي نصر بن الصباغ وفيها توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبي اسحق وكان ثقة (١) .

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر مسير آقسنقر البرسقي إلى الشام لحرب الفرنج) في هذه السنة سير السلطان محمد الأمير آقسنقر البرسقي إلى الموصل وأعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا في جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته فوصل إلى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم حماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك هو وأولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة في الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجان وغيرهما فسار البرسقي إلى جزيرة ابن عمر فسلها إليه نائب مودود بها وسار معه إلى ماردين فنازلها البرسقي حتى أذعن له أياغازي صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده أياز فسار عنه

(١) وفيها فتح المارستان الذي أنشأ كشتكين الخادم ببغداد . وفيها توفي محمد بن طاهر بن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي الحافظ ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وأول سماعه سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيرا ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة وصنف كتابا مفيدة ، غير أنه صنف كتابا في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق فيه أحاديث منكورة جدا ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أتى على حفظه غير واحد من الأئمة . وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داودي المذهب ، فمن أتى عليه أنني لأجل حفظه للحديث وإلا فما بجرح به أولى . قال : وذكره أبو سعد السمعاني وانتصر له بغير حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحي فأكثر الثناء عليه وكان سيء الرأي فيه . قال وسمعنا أبا الفضل بن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يحتاج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية ، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات :

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به خوارج أقوام من الناس
وعج على دير داريا فان به الرهه بان ما بين قسين وشامس
واشرب معتقة من كف كافرة تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الأوتار من رشأه مهفهف طرفه أمضى من الماس
غنى بشعر امرئ في الناس مشتهر مدون عندهم في صدر قرطاس
لولا نسيم بدا منكم يروحني لكنت محترقا من حر أنفاسي
ثم قال السمعاني : لعله قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت :
وما كنتم تعرفون الجفاه فمن رى قد تعلمن
ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

البرسقي إلى الرها في خمسة عشر ألف فارس فنزلها في ذي الحجة وقتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غزاة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوا على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمل المسلمون وقتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم وأقام عليها شهرين وأياما وضاعت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها إلى سميساط بعد أن خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط وأطاعه صاحب مرعش على ما ذكره ثم عاد إلى شحنان فقبض على أياز بن أيلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب شواد ماردين .

(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقي) في هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت إلى الأجناد وراسلت أفسنقر البرسقي وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير إليها الأمير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل إليها أكرمه وحملت إليه مالا كثيرا وبينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج فواقفوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد أصبحت الهدايا للملك مسعود والبرسقي وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير من عندها إلى أنطاكية .

(ذكر الحرب بين البرسقي وأيلغازي وأسر أيلغازي) لما قبض البرسقي على أياز بن أيلغازي سار إلى حصن كيفا وصاحبها الأمير ركن الدولة داود بن أخيه سقمان فاستنجده فسار معه في عسكره وأحضر خلقا كثيرا من التركان وسارا إلى البرسقي فلقية أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه فانهزم البرسقي وعسكره وخلص أياز بن أيلغازي من الأسر فأرسل السلطان إليه يتمرده فخافه وسار إلى الشام إلى حميه طغتكين صاحب دمشق فأقام عنده أياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لأنه نسب إليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء إلى الفرنج والاحتماء بهم فراسل صاحب أنطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حصص وجددوا العهد وعاد إلى أنطاكية وعاد طغتكين إلى دمشق وسار أيلغازي إلى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الأمير قيرخان بن قراجه صاحب حصص وقد تفرق عن أيلغازي أصحابه فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل إلى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على أيلغازي ولما بلغ طغتكين الخبر عاد إلى حصص وأرسل في إطلاقه فامتنع قرجان وحلف إن لم يعد طغتكين لنقتل أيلغازي فأرسل أيلغازي إلى طغتكين أن الملاجحة تؤذي وتفسدك دمي والمصلحة عردك إلى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف أن ينخدع أصحابه لطغتكين ويسلبوا إليه حصص فعدل إلى الصلح مع أيلغازي على أن يطلقه ويأخذ ابنه أياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فأجابته إلى ذلك فأطلقه وتحالفا وسلم إليه ابنه أياز وسار عن حصص إلى حلب وجمع التركان وعاد إلى حصص وطالب بولده أياز وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانية فعاد أيلغازي على ما ذكره .

(ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر) في هذه السنة في شوال توفي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفر إبراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزاة بها وملك بعده ابنه أرسلان شاه وأمه سلجوقية وهي أخت السلطان ألب أرسلان بن داود فقبض على إخوته

وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام إلى خراسان فوصل إلى السلطان سنجر بن ملكشاه فأرسل إلى أرسلان شاه في معناه فلم يسمع منه ولا أصغى إلى قوله فتجهز سنجر للسير إلى غزنة وإقامة بهرامشاه في الملك فأرسل أرسلان شاه إلى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فأرسل السلطان إلى أخيه سنجر يأمره بمصالحة أرسلان شاه وترك التعرض له وقال للرسول إن رأيت أخي وقد قصدهم وصار نحوهم أو قارب أن يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فإن ذلك يفت في عضده ويوهنه ولا يعود ولأن يملك أخي الدنيا أحب إلى فوصل الرسول إلى سنجر وقد جهز العساكر إلى غزنة وجعل على مقدمته الأمير أنز مقدمه عسكريه ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع أرسلان شاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزماه ونهباه وعاد من سلم إلى غزنة على أسوأ حال فخضع حينئذ أرسلان شاه وأرسل إلى الأمير أنز يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد أنز للسير بنفسه فأرسل إليه أرسلان شاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهي أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبوسعدي قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن أرسلان شاه فلما وصلت إلى أخيه أوصلت مامعها من الأموال والهدايا وكان معها مائتا ألف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر أن يسلم أخاه بهرام إليه وكانت موغرة الصدر من أرسلان شاه فهونت أمره على سنجر وأطمعته في البلاد وسهلت الأمر عليه وذكرت له ما فعل ياخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل إلى بست أرسل خادما من خواصه إلى أرسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بدض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر إلى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهر أباذ وكان أرسلان شاه في ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجال ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الأتراك لرموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدت الفيلة عن القلب إلى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من في الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الأمير أنز وهو في الميسرة ما في الميسرة من الحرب يخاف عليها فحمل من وراءه عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا أنفسهم عليها بالسلاسل فلما انضمهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فأما القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهي عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان أرسلان شاه قد سجن فيها أخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم أرسلان شاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللأجناد الزيادات فسلموا القلعة إلى الملك سنجر وأما قلعة البلد فإن أرسلان شاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما أطلقه بقي غلمانه بها فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر أن يجلس بهرام على سرير مده محمود بن سبكتكين وحده وأن تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد والملك سنجر وبعدهم

لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهزاه شاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان هل عادة آباءه فكان هذا من أعجب ما يسمع به وحصل لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحصى ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان في دور ملوكها عدة دور نلى حيطانها ألواح الفضة وسواقي المياه إلى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب، فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهدده وصلب جماعة حتى كف الناس وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألف دينار وألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزته لسلاجوقى قبل هذا الوقت حتى إن السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما أرسلان شاه فإنه لما انهزم قصد هند وستان واجتمع عليه أصحابه فقويت شوكتة فلما عاد سنجر إلى خراسان توجه إلى غزته فلما عرف بهرامشاه قصده إياه توجه إلى باميان وأرسل إلى الملك سنجر يعلمه الحال فأرسل إليه عسكرا وأقام أرسلان شاه بغزته شهرا واحدا وسار يطلب أخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجر في أثره وأخربوا البلاد التي هو فيها وأرسلوا إلى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فأخذه متقدم جيش الملك سنجر وأراد حمله إلى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه إليه فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان أحسن إخوته صورة وكان قتله في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسة مائة وإنما ذكرناه ههنا لتصل الحادثة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها نخرت كثيرا من الرها وحران وسميساط وياس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم . وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه ابن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤا الخادم . وفيها توفي الشريف النسيب أبو القاسم علي بن ابراهيم بن العباس الحسيني في ربيع الآخر بدمشق (١) .

(ثم دخلت سنة تسع وخمسة مائة)

(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج) قد ذكرنا ما كان من عصيان أيلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الأمير برسق بن برسق صاحب همدان ومعه الأمير جيوش بك والأمير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداة بقتل أيلغازى وطغتكين فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقتلوه وحاصروا بلادهم فساروا في رمضان من سنة ثمان وخمسة مائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لأمرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص بأمر ونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالباني الجواب وأرسلوا إلى أيلغازى وطغتكين يستنجدانها فسارا إليهم في ألقى فارس

(١) وفيها ملكت زوجة مرعش الإفرنجية بعد وفاة زوجها .

ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الأمير برسق بن برسق إلى مدينة حماة وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلها إلى الأمير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد أمر أن يسلم إليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الأمراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم في القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم إلى قرجان فلما سلموا حماة إلى قرجان سلم إليهم أياز بن أيلغازي وكان قد سار أيلغازي وطغتكين وشمس الخواص إلى أنطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه أن يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرها من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا إنهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف أيلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد أيلغازي إلى ماردين وطغتكين إلى دمشق والفرنج إلى بلادها وكانت أفامية وكفر طاب للفرنج فقصد المسلمون كفر طاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا إلى قلعة أفامية فأوها حصينة فعادوا عنها إلى المعرة وهي للفرنج أيضا وفارقهم الأمير جيوش بك إلى وادي بزاعة فملكه وصارت المساكر عن المعرة إلى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جاري العادة والمساكر في أثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب أنطاكية لما بلغه حصر كفر طاب سار في خمسمائة فارس وألقى راجل للمنع فوصل إلى المكان الذي ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لأنهم لم يصلوا إليها فذهب جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلبان العسكر ووصلت المساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل إليهم ووصل الأمير برسق في نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلالا هناك ومعه أخوه زنكي وأحاط بهم السوقية والغلبان واحتموا بهم ومنعوا الأمير برسق من النزول فأشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا أفعل بل أقتل في سبيل الله وأكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجوا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل وأحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر وأخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالأسرى المأخوذين من كفر طاب ذلك قتلهم وكذلك فعل الموكل بأياز بن أيلغازي قتله أيضا وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام فإنهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فأتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت المساكر عنهم إلى بلادها وأما برسق وأخوه زنكي فإنهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينيا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود إلى الغزاة فأتاه أجله .

(ذكر ملك الفرنج رغبة وأخذها منهم) في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك الفرنج رغبة من أرض الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا في تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى نزمه على قصد بلاد الفرنج بالهلب لها والتخريب فأتاه الخبر عن رغبة لخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك إلا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار إليها جريدة فلم يشعر من بها إلا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكرائمهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا إلى بلادهم سالمين .

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي) في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية يوم عيد الأضحى فجأة وكان منجم قد قال له في منستير مولده إن عليه قطعا في هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتنهته وقرأ القراء وأنشد الشعراء وانصرفوا إلى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس فأحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل إلى التربة بالمنستير وكان عمره سنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال هب الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي يرثيه ويمني ابنه عليا بالملك :

ما أغمد العضب إلا جرد الذكر • ولا اختفى قر حتى بدا قر
بموت يحيى أميت الناس كلهم • حتى إذا ما على جاهم نشروا
ان يبعثوا بسرور من تملكه • فن منية يحيى بالأسى قبروا
أوفى عليّ فسن الملك ضاحكة • وعينها من أبيه دمعا همر
شقت جيوب المعالي بالأسى فبكت • في كل أفق عليه الأنجم الزهر
وقلّ لابن تميم حزن مادها • فكل حزن عظيم فيه محقر
قام الدليل ويحيى لاحياة له • إن المنية لا تبقى ولا تندر

وكان يحيى عادلا في رعيته ضابطا لأمور دولته مدبرا لجميع أحواله رحيا بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالأخبار وأيام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين إلى الطول ماهو ولما استقر على في الملك جهز أسطولا إلى جزيرة جربة وسديه أن أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا إصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل إليه أنابك طغتكين صاحب دمشق في ذي القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده إلى دمشق . وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البدرية وهي منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضي بالله ثم تهدمت وصارت تلافأمر القادر بالله أن يسور عليها سور لأنها مع الدار الإمامية ففعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس . وفيها في شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسبها أن الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت . وفيها أقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقي للأمير جيوش بك وصير ولده الملك مسعود وأقام البرسقي بالرحبة وهي أقطاعه إلى أن توفي السلطان محمد وكان مانذ كره إن شاء الله تعالى . وفيها توفي اسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الأصهباني أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السفطى أبو البركات ، له رحلة وله تصانيف وكان أدبيا .

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

(ذكر قتل أحمد بن وهب وبنوه) في هذه السنة أول المحرم حضر أتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الأمراء ومعهم أحمد بن إبراهيم بن وهب وبنوه الكردى صاحب مراغة وغيرهما من أذربيجان وهو جالس إلى جانب طغتكين فأناه رجل متظلم ويده رقعة وهو يبكي ويسأله أن يوصلها إلى السلطان فأخذها من يده فضربه بالرجل بسكين فجذبه أحمد بن وهب وتتركه تحته فوثب رفيق للباطني وضرب أحمد بن وهب سكيناً أخرى فأخذتها من يده فضربها وأقبل رفيق لها وضرب أحمد بن وهب أخرى فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون أن طغتكين كان المقصود بالقتل وأنه بأمر السلطان فلما علموا أنهم باطنية زال هذا الوهم.

(ذكر وفاة جاولى سقاووا وحال بلاد فارس معه) في هذه السنة توفي جاولى سقاووا وكان السلطان ببغداد عازماً على المقام بها فاضطر إلى المسير إلى أصهان ليكون قريباً من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالمرسل إلى أن ملكته منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه أقطعه بلاد فارس فسار جاولى إليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره بإصلاحها وقمع المفسدين بها فسار إليها فأول ما اعتمده فيها أنه لما توسط بلاد الأمير بلدجى وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماء وكان متمكناً بتلك البلاد راسله جاولى ليحضر خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى أن يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فأخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجى من جملة حصونه قلعة اصطخر وهى من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب فى حفظها وزيراً له يعرف بالجهرى فعصى عليه وأخرج إليه أهله وبعض المال ولم تزل يد الجهرى حتى وصل جاولى إلى فارس فأخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكاره وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى فأجاب إننى عبد السلطان وفى طاعته فأما الحضور فلا سبيل إليه لأننى قد عرفت عادتك مع بلدجى وغيره ولكننى أحمل إلى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولى جوابه علم أنه لا مقام له بفارس معه فأظهر العود إلى السلطان وحمل أثقاله على الدواب وسار كأنه يطلب السلطان ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره فأغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولى فإنه عاد من الطريق إلى خسرو وجريدة فى نفر يسير فوصل إليه وهو مخمور نائم فكبسه فأنبه أخوه فضلوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فأفاق وركب من وقته وانهمز وتفرق أصحابه ونهب جاولى ثقله وأمواله وأكثرت القتل فى أصحابه ونجا خسرو إلى حصنه وهو بين جبلين يقال لأحدهما انج وسار جاولى إلى مدينة فسا فتسلها ونهب كثيراً من بلاد فارس منهم جهرم وسار إلى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم أن المدة تطول عليه فصالحه ليشغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه إلى شيراز فأقام بها ثم توجه إلى كازرون فلما حاصرها وحصرها أبو سعد محمد بن ماما فى قلعتها وأقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولى فى الصلح فقتل الرسول فأرسل إليه قوماً من الصوفية فأطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخطت أديبارهم وألقوا فى الشمس فهلكوا ثم تقدما عند أبى سعد فطلب الأمان فأمنه

وتسلم الحصر ثم إن جاوли أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال في أثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيئا فقال مامعك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواه السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فأفر على أبي سعد وأنه يحمل ذلك إليه فقصدوه وهو في شعب جبل فأخذه الجندی وحمله إلى جاولي فقتله وشار إلى دارا مجرد وصاحبها اسمه إراهيم فهرب صاحبها منه إلى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو أرسلان شاه بن كرمان شاه بن أرسلان بك بن فاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رتته يعني مضيق رتته وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لأنه واد نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دار أجرد يتحصنون به إذا خافوا فأقاموا به وحفظوا أعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كأنما أمره ثم رجع من طريق كرمان إلى دار أجرد مظهرا أنه من عسكر الملك أرسلان شاه صاحب كرمان فلم يشك أهل الحصن أنهم مدد لهم مع صاحبهم فأظهروا السرور وأذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب أموال أهل دار أجرد وعاد إلى مكانه وراسل خسرو يعلمه أنه عازم على التوجه إلى كرمان ويدعوه إليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل إليه طائفا وسار معه إلى كرمان وأرسل إلى صاحبها القاضي أبا طاهر عبدالله بن طاهر قاضي شيراز يأمره بإعادة الشوائب لآلهم رعية السلطان ويقول إنه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده وإلا فصدده فأعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول إلى جاولي أحسن إليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه إعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة وأنه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأن أعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر والرأى أن تعاد العساكر إلى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولي في أثر الرسول فنزل بفرج وهي الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر فاعتذر إليه وكان مع الرسول فراش لجاولي ليعود إليه بالأخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فأقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر إلى المسير إلى جاولي فساروا في ستة آلاف فارس وكانت الولاية التي هي الحد بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال إن جاولي محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولي يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير أميرا في طائفة من عسكره ليلقي العسكر المنفذ من كرمان فسار الأمير فلم ير أحدا فظن أنهم قد عادوا فرجع إلى جاولي وقال إن العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمان حينئذ جاولي وأدمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان إليه ليلا وهو سكران نائم فأيقظه بعض أصحابه وأخبره فقطع لسانه فأناه غيره وأيقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهمز وقد تفرق عسكره منزمين فقتل منهم وأسر كثير وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه فسار معه في أصحابها فالتفت فلم ير معه أحدا من أصحابه الأتراك يخاف على نفسه منهم فقال له إنا لانقدر بك ولن تروى منا إلا الخير والسلامة وسار معه حتى وصل إلى مدينة فسا واتصل به المنزومون من أصحابه وأطلق صاحب كرمان الأسرى وجهزم وكانت

هذه الواقعة في شوال سنة ثمان وخمسة مائة وبينما جاوولي يدبر الأمر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفي الملك جفري ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته في ذى الحجة سنة تسع وخمسة مائة فقت ذلك في عضده فأرسل ملك كرمان رسولا إلى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاوولي عنه فأجابه السلطان إنه لا بد من إرضاء جاوولي وتسليم فرج إليه فعاد الرسول في ربيع الأول سنة عشر وخمسة مائة فتوفي جاوولي فأمنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان صار عن بغداد إلى أصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان .

(ذكر فتح جبل وسلات وتونس) في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب أفريقية مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما أراد . وفيها فتح أيضا جبل وسلات بأفريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل أهله طول الدهر يفتككون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير إليهم جيشا فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش ويقاثلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن أنه يصعد منه فلما صار في أعلاه في طائفة من أصحابه ثار إليه أهل الجبل فصر لهم وقتلهم فيمن معه أشد قتال وتتابع الجيش في الصعود إليه فانهمز أهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فمكسر ومنهم من أفلت واحتفى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل إليهم من يصلح حالهم فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم أولئك بال سلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون إلى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فأتوهم وقتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فألقى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم .

(ذكر الفتنة بطوس) في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها أن علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فأدى ذلك إلى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمّة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمع في فني عليه عضد الدين فرامرؤ بن علي شورا منيعا يحتفى به من المشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسة مائة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة وقعت النار في الحظائر للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الأخشاب التي بها واتصل الحريق إلى درب السلسلة وتطائر الشرر إلى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلبت الكتب لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها . وفيها توفي عبدالله بن يحيى بن محمد ابن بهلول أبو محمد الأندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسة مائة وسار إلى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن منه :

ومهفهف يختال في أبراده هـ مرح القضيبي اللدن تحت البارح

أبصرت في مرآة فكري خده هـ فحكيت فعل جفونه بجوارحي

ما كنت أحسب أن فعل توهمي هـ يقوى تعديبه فيجرح جارحي

لاغرو إن جرح التوهم خده هـ فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران . وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد ابن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فأحسن ماشاء . وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء (١)

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود) في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السباط فنهبه الناس ثم أذن لهم فدخلوا إلى السلطان محمد وقد تكلف القعود لم وبين يديه سباط كبير فأكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فأحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فقال لوالده إنه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فبإذنك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين أحضر الأمراء وأعلوا بوفاته وقرئت وصيته إلى ولده محمود يأمره بالعدل والإحسان . وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقي من المشاق والأخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيئته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر .

(ذكر بعض سيرته) كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله أنه اشترى بمالك من بعض التجار وأحلم بالثمن على عامل خوزستان فأعطاهم البعض وهطل بالباقي فحضروا مجلس الحكم وأخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو؟ قالوا السلطان . وذكروا قصتهم فأعلمه ذلك فاشتد عليه وأكره وأمر بإحضار العامل وأمره بإيصال أموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم إنه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم فيفتدي بي غيري ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق ومن عدله أنه كان له خازن يعرف بأبي أحمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج

(١) وفيها توفي عقيل بن الإمام أبي الوفا علي بن عقيل الحنبلي ، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعاني جيدا ، ولما توفي صبر أبوه وشكر وأظهر التجلده ، فقرا قارىء في العزاء (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا . وفيها توفي محمد بن أحمد بن طاهر بن أحمد بن منصور الخازن ، فقيه الإمامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان ، توفي في رمضان منها . وفيها توفي محمد بن علي بن محمد أبو بكر النسوي ، الفقيه الشافعي ، سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلا أديبا ورعا .

فيه جوهر كثير نفيس فقال إن هذا الجوهر عرضه على منذ أيام وهو في ملك أصحابه وسلته إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه نيسلم إليهم فسأل عنهم وكانوا تجاراً غريباء وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فأحضرهم وسلمه إليهم ومن عدله أنه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فذل قبيح وعلم الأمراء سيرته فلم يقدم أحد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية على ما ذكره .

(ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد) قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بأمرهم فإنه رحمه الله تعالى لما علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم وإخرا بديارهم وملك حصرهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في أيامه المقدم عليهم والقيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة الموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة الموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نساءهم فسير إليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما أعضل دأوه ندب الأمير أنوشتكين شريكير صاحب آية وساعة وغيرهما فملك مهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الأولى سنة خمس وخمسةائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فأمنه ومن معه وسيرهم إلى الموت وملك منهم أيضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوین وأمنهم وسيرهم إلى الموت أيضا وسار إلى قلعة الموت فيمن معه من العساكر وأمدده السلطان بعدة من الأمراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب التريجة والبصيرة في قتالهم مع جودة رأي وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الأمراء أشهرا يقيمونها فكانوا ينيبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل إليه الميرة والذخائر والرجال فضاقت الأمور على الباطنية وهدمت عندم القوات وغيرها فلما اشتد عليهم الأمر نزلوا نساءهم وأبنائهم مستأمنين ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا إلى ذلك وأعادهم إلى القلعة قصدا ليوت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم في اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعد يوم ولزموا على الرحيل فقال شريكير إن رحلنا عنهم وشاع الأمر نزلوا إلينا وأخذوا ما أعددناه من القوات والذخائر والرأي أن نقيم على قلعهم حتى نفتحها وإن لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفد منا ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذ العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شريكير ونزل إليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقتلهم وحمل من تخلف من سوقه العسكر وأتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم .

(ذكر حصار قابس والمهدية) في هذه السنة جهز علي بن يحيى صاحب أفريقية أسطولا في البحر إلى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك أن صاحبها رافع بن مكن الدهماني أنشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر أيام الأمير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولي على الأمر بعد أبيه أنف من ذلك وقال لا يكون لأحد من أهل أفريقية أن يناويني في إجراء المركب في البحر بالتجار فلما خاف رافع أن يمنعه على التجأ إلى اللامين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضده فوعده رجار أن ينصره ويمنه على إجراء مركبه في البحر وأنفذ في الحال أسطولا إلى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبها فلما جاز أسطول

رجار بالمهدية أخرج على أسطوله في أثره فتوافي الجميع إلى قابس فلما رأى صاحبها أسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد أسطول الفرنج وبقى أسطول علي يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا إلى المهديّة ونمادى رافع في المخالفة اعلى وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهديّة محاصرا لها وخادع عليا وقال إني إنما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعي في الصلح وأفعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف وأخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فألحقوهم بالبيوت ووصل العسكر إلى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعادت القتال واشتد حينئذ الأمر إلى المغرب ثم افرقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتلوا أشد من القتال الأول كان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع أنه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلا إلى القيروان فنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فأرسل علي إليه عسكرا من المهديّة فحصره فيها إلى أن خرج عنها وعاد إلى قابس ثم إن جماعة من أعيان أفريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فاستمع ثم أجاب إلى ذلك وتعاهد عليه .

(ذكر الوحشة بين رجار والأمير علي) كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الأمير علي صاحب أفريقية مودة وكيدة إلى أن أعان رافعا كما تقدم قبيل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت الوحشة فأرسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز علي منه وأمر بتجديد الأسطول وأعداد الأهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول إلى صقلية فكف رجار عما كان يعتمد عليه .

(ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء أيلغازي عليها) في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى أنا بكية ولده ألب أرسلان فلما مات أقام بعده في الملك سلطان شاه بن رضوان وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها إلى قلعة جعبر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الأتراك وصاحوا أرنب أرنب وأوهموا أنهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما ملك نهبوا خزانته فخرج إليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولى أنا بكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص ياروق تاش فبقى شهرا وعزلوه وولى بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ أنه أراد قتل سلطان شاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطان شاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسة مائة والله أعلم ثم إن أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد إلى نجم الدين أيلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لأن الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر فرزقه الله غير أولاده فلما رأى أيلغازي خلوا البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار إلى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمر تاش .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كبيرا . وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربيض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا . وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة

بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي . وفيها مات أحمد العربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها ، وفي هذه السنة في شوال توفي أبو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نهان الكاتب وعمره مائة سنة ، وكان عالي الإسناد روى عن أبي علي بن شاذان وغيره والحسن ابن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهدي وغيره . وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس أنطاكية وكفى الله شره (١)

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة)

(ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنة ببغداد) لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة ببغداد بهروز ثم إن الأمير ديبس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ما ذكرناه فأحسن إليه وأقطعه أقطاعاً كثيراً فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محموداً في العود إلى بلده الحلة فأذن له في ذلك فعاد إليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيماً بالرحبة وهي أقطاعه وليس بيده من الولايات شيء فاستخلف عليهم ابنه عز الدين مسعوداً وسار إلى السلطان محمد قبل موته عازماً على مخاطبته في زيادة أقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله إلى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل إليه بمنعه من دخولها فسار إلى السلطان محمود فلقبه توقيع السلطان بولاية شحنة ببغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز يحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا أن يزداد تقدماً عند السلطان محمود وحكماً فلما تولى البرسقي شحنة ببغداد هرب بهروز إلى تكريت وكانت له ثم إن السلطان ولي شحنة ببغداد الأمير منكورس وهو من أكابر الأمراء وقد حكم في دولة السلطان محمود

(١) وفيها توفي القاضي المرتضى أبو محمد عبدالله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد القاضي جمال الدين عبدالله الشهرزوري ، قاضي دمشق في أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وتفقه بها ، وكان شافعي المذهب ، بارعاً ديناً ، حسن النظم ، وله قصيدة في علم التصوف ، وكان يتكلم على القلوب ، أورد قصيدته بتمامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمعت نارهم وقد عسعس اللي • لي ومل الحادي وحر الدليل

فتأملتها وفكرى من اللي • ن عليل ولحظ عيني كليل

وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى • وغرامى ذاك الغرام الدخيل

ياليل ما جتكم زائراً • إلا وجدت الأرض تطوى لي

ولا ثنيت العزم عن بابكم • إلا تعثرت بأذيالي

يا قلب إلى متى لا يفيد النصح • دع مزحك كم جنى عليك المزح

ما جارحة منك غذاها جرح • ما تشع بالخمار حتى تصحو

قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بعد العشرين وخمسمائة فأنه أعلم ،

فلما أعطى الشحنة كيه سير إليها ربيبه الأمير حمزة بن أزيك أحد الأمراء الأتراك وهو صاحب أسد اباد لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همدان واتصل به جماعة الأمراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف إلى أن يكتب السلطان ويفعل ما يرد به الأمر عليه فأرسل إليه الخليفة فأجاب أن يرسم الخليفة بالعود عدت وإلا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار إليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ حسين وانهمزم هو ومن معه وعادوا إلى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الأول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام .

(ذكر وفاة المستظهر بالله) في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله وكان مرضه النراق وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبدالرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله ابن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وباب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم ناج الدولة تنس بن ألب أرسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابا ملكشاه ومن غريب الاتفاق أنه لما توفي السلطان ألب أرسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدى بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله .

(ذكر بعض أخلاقه وسيرته) كان رضى الله عنه لين الجانب كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البر واشتوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه . وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع ولا ملتفت إلى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الأعراض وكانت أيامه أيام سرور الرعيه فكأنهم من حسنها أعياد ، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسره وإذا تعرض سلطان أو نائب له إلى أذى أحد بالغ في إنكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير علم واسع . ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعاً ودفن في حجرة له كان يالفها ومن شعره قوله :

أذاب حر الهوى في القلب ما جدا ه لما مددت إلى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاضطبار وقد ه أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد خلف الوعد بدر قد شغفت به ه من بعد ما قد وفي دهري بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي ه من بعد هذا فلا عابنته أبدا

(ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله) لما توفي المستظهر بالله بويبع ولده المسترشد بالله أبو منصور المفضل ابن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله ، وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثاً وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان وكان المتولى لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني وكان نائباً عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبي دواد فإنه أخذها للوائق بالله والقاضي أبو علي

ذكر هرب الأمير أبو الحسن

اسماعيل بن اسحق أخذها للمعتضد بالله ثم إن المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر بأشجاع محمد بن الريب أبي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب الخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحزبي .

(ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخى المسترشد وعوده) لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر إلى المدائن وسار منها إلى ديبس بن صدقة بالحلة فأكرمه ديبس وعلم منه وفاة المستظهر بالله وأقام له الإقامة الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أمره ذلك وألقاه وأرسل إلى ديبس يطلب منه إعادته فأجاب بأنى عبد الخليفة وواقف عند أمره ومع هذا فقد استندم بي ودخل منزلى فلا أكرمه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبي فقصد الأمير أبا الحسن وتحدث معه في عودته وضمن له عن الخليفة كل ما يريد فاجاب إلى العود وقال لاني لم أفارق أخى لشر أريده وإنما الخوف حملني على مفارقتة فإذا أمنى قصده وتكفل ديبس بإصلاح الحال بنفسه والمسير معه إلى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال فأجاب إلى ما طلب منه ثم حدث من أمر البرسقي وديبس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال وأقام الأمير أبو الحسن عند ديبس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ثم سار عن الحلة إلى واسط وكثر جمعه وقوى الإرجاف بقوته ومملك مدينة واسط وخيف جانبه فنقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور وهره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد وكتب إلى البلاد بالخطبة له وأرسل إلى ديبس بن مزيد في معنى الأمير أبي الحسن وأنه الآن قد فارق جواره ومد يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلق به وأمره بقصده ومعاجلته قبل فوته فأرسل ديبس العساكر إليه فقارق واسط وقد تحير هو وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر ديبس فصادفهم عند الصلح فنهبوا أثقاله وهرب الأكراد من أصحابه والأتراك وعاد الباقون إلى ديبس وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فأيقن بال تلف وتبعه بدويان فأراد الهرب منهما فلم يقدر فأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحمله إلى ديبس فسيره إلى بغداد وحمله إلى الخليفة بعد أن بذل له عشرين ألف دينار فحمل إلى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده إليها أحد عشر شهرا، ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وأنزله داراً حسنة كان هو يسكها قبل أن يلى الخلافة وحمل إليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمنه (ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي وديبس) في هذه السنة في جمادى الأولى برز البرسقي ونزل بأسفل الرقة في عسكره ومن معه وأظهر أنه على قصد الحلة وإجلاء ديبس ابن صدقة عنها وجمع ديبس جموعا كثيرة من العرب والأكراد وفرق الأموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود بن السلطان محمد بالموصل مع أتاكه أى أبه جيوش بك فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فإنه لا مانع دونه فسارا في جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره نخر الملك أبو علي بن همار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي ابن آسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة في الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب إربل وكرباوى بن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقي قربهم خافهم وكان البرسقي قد بما قد جعله السلطان محمد أتاك ولد مسعود على ما ذكرناه وإنما كان خوفه من

جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار إليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلوا إليه الأمير كربارى في الصلح وأعلمه أنهم إنما جاؤا نجدة له على ديبس واصطالحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود إلى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كثير فسار البرسقى عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد العمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو وديبس بن صدقة وكان ديبس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فأهدى إلى مسعود هدية حسنة وللبرسقى وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه ، فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقى وجيوش بك رعين معهم إلى المدائن للقاء ديبس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرانهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهباً فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقى يذكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الأنبارى والإمام الأسعد الميهنى مدرس النظامية فأنكر البرسقى أن يكون جرى منهما شيء من ذلك وأجاب إلى العود إلى بغداد فوصل من أخبره أن منكبرس وديبس قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخى ديبس والأمير حسين بن أزبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عند ديبالى إلى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقى إلى بغداد وعبر الجسر لثلاثين نهاراً ولم يملوا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعوداً على عسكره بصرصر واستحجب معه عماد الدين زنى بن آقسنقر فوصل إلى ديبالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فأقام يومين فأتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره أن الصلح قد استقر بين الفريقين فأنكسر نشاطه حيث جرى هذا الأمر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر إلى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقى إلى الملك مسعود فأخذ بركة وماله وعاد إلى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة وأصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيارستان وأصعد ديبس ومنكبرس فخيم تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود البرسقى عند منكبرس منفرداً عن أبيه وكان سبب هذا الصلح أن جيوش بك كان قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له والملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنه لقي من السلطان إحساناً كثيراً وأنه أقطعهم أذربيجان فلما بلغه رحيلكم إلى بغداد اعتقد أنكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول إن السلطان قد جهز عسكر إلى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فأرسله إلى جيوش بك وضمن له إصلاح السلطان له والملك مسعود ، وكان منكبرس متزوجاً بأم الملك مسعود واسمها سرجهان ، وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخاناً من البرسقى أن يمنع منه فانفقاً على إرسال العسكر إلى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الأمر فى مسيره على ما تقدم وكان البرسقى محبوباً إلى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا إلى بغداد تفرق عن البرسقى أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق إلى الملك مسعود فأقام معه واستقر منكبرس فى شخصية بغداد وودعه ديبس بن صدقة وعاد إلى الحلة بعد أن طالب بدار أبيه بدر بفيروز ،

وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصوِّح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظالم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختنق أرباب الأموال وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه وبطلت معاش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى أن بعض أهل بغداد زفت إليه امرأة تزوجها فلم يعلم بعض أصحاب منكبرس فأنابه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجه فكثير الدعاء ليلاً ونهاراً واستغاث الناس لهذه الحال وأغلقوا الأسواق فأخذ الجندي إلى دار الخلافة فاعتقل أياماً ثم أطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فأرسل إليه يستدعيه ويحثه على اللجوء به وهو يغالط ويدافع، وكلما طلبه السلطان لجئ جمع الأموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاه إياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفاً أن يشوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستتراً.

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين) في ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسة مائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج قاصداً ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد إلى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاوولي سقاوو واتفق أن هذا القمص كان قد سار إلى القدس يزور بيعة قسامة فلما وصى إليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها، وكان أتاك طغتكين قدسار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً وبينهم نحو يومين فأتته رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحناة والصلت والغور فلم يجب إلى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين إلى طبرية فنهبا وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للبهريين وبها عساك كرم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين وأعلمه المقدم عليهم أن صاحبهم تقدم إليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على ما يحكم به فأقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يؤثر في الفرنج أثراً فعاد طغتكين إلى دمشق فأنابه الصريح بأن مائة وثلاثين فارساً من الفرنج أخذوا حصناً من أعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذرعاً فنهبوا فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فأنحازوا عنه إلى جبل هناك فنازله فأنابه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيسر الفرنج قاتلوا قتالاً مستقتل فزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزمهم بها وأسروا وقتلوا خلقاً كثيراً وعاد الفل إلى دمشق على أسوأ حال فسار طغتكين إلى حلب وبها أبلغا زى فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأن الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وأبلغا زى على عود طغتكين إلى دمشق وحماية بلاده وعود أبلغا زى إلى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح أبلغا زى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر إلى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة إن شاء الله تعالى.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة انقطع الغيث وعمدت الغلات في كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فنلت الأسعار وأجلى أهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الأمر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس

بهم . وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختص به كل جور وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما . وفيها تأخر مسير الحجاج تأخر أرفجف بسببه انقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الأديب نظر خادم أمير الجيوش يمن وولاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش وأعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه وسيره فأدركوا الحج وظهرت كفاية نظره وفيها وصل مر كبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام ففرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما . وفيها وصل رسول أيلغازي صاحب حلب وماردين إلى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وأنهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود . وفيها نقل المستظهر إلى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر أم المقتدى (١) وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد فعبر إليهم نائب الشحنة في خمسين غلاما أترا كافقاتلهم فانهمز منهم ثم عبر إليهم من الغد في مائتي غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطفاتا . وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنصاري من ولد جابر بن عبدالله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفي أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي نقيب النقباء ببغداد في صفر واستقال من النقابة فولها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير . وفيها في ذي الحجة توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة . وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن الحازن وكان أديبا ظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فأدخله غلماة إلى بستان في الدار وحمام فقال في ذلك :

وافيت منزله فلم أر صاحباً هـ إلا تلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة هـ لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت حجيمه هـ فشكرت رضوانا ورأفة مالك

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسة)

(ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود) كان الملك طغرل بن محمد لما توفي والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسة مائة في المحرم وأقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكة الأمير شير كير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الإسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شير كير من قلاعهم فأرسل إليه السلطان محمود الأمير كتنغدي ليكون أتابكا له ومدبراً لأمره ويحمله إليه فلما وصل إليه حسن له مخالفة أخيه وترك انجى إليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فأرسل شرف الدين أنوشروان ابن

(١) اسمها أرجوان الأرمنية وتدعى قره العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجت ثلاث حجيات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر المسترشد ، ورأت للمسترشد ولدا . وفي هذه السنة كان غلاء شديد ببغداد وانقطع الفيث وعدمت الأقوات وتفاقم أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور نهارا جهارا ولم يستطع الشرط دفع ذلك .

خالدومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه بإقطاع كثير زيادة على ماله إذا قصده واجتمع به فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع وأجاب كنتغدى بأنما في طاعة السلطان وأي جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما تقاوم بها من يرسم بقصده فبيها الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همدان في عشرة آلاف فارس جريدة في جمادى الأولى وكنتم مقصده وعزم على أن يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى أحد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فأعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا في ليلة ووصل إلى الامير كنتغدى وهو سكران فأيقظه بعد جهد وأعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك وأخذه متخفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق إلى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجما العساكر وكان ضلها هداية لها إلى السلامة فإن السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال إنها حصنهما الذي فيه الذخائر والأموال وإذا علما بوصولهما إليها فرما صادفهما في الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لها ووصل السلطان إلى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزامة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذي أنقذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه بها إلى الري وزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود .

(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود) في هذه السنة في جمادى الأولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك قد ذكرنا سنة ثمان وخمسة مائة مسير السلطان سنجر إلى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها إلى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلس ولده السلطان محمود في السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم إلى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية وإطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفي أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبي جعفر محمد بن نخر الملك أبي المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله أنه وحش الأمراء واستخف بهم فأبغضوه وكرهوه وشكوا منه إلى السلطان وهو بغزنة فأعلمهم أنه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لأسباب منها أنه أشار عليه بقصد غزنة فلما وصل إلى بست أرسل أرسلان شاه صاحبها إلى الوزير وضمن له خمسمائة ألف دينار ليثني سنجر عن قصده فأشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها أنه نقل عنه أنه أخذ من غزنة أموالا جلييلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من إباحة الأمراء وغير هذه الأسباب فلما عاد إلى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والأموال ما لا حد عليه والذي وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبدالرزاق بن أخي نظام الملك ويعرف بابن الفقيه إلا أنه لم تكن له منزلة ابن نخر الملك عند الناس في علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنه كان يبلغ به من الأغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه ومحلهم عندهم ثم إن السلطان محمود أرسل إلى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد ونخر الدين طغبارك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائة ألف دينار كل سنة فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة فتجهز ليسير إلى الري فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه في ذلك أن ولد أخى صبي

وقد تحمك عليه وزيره والحاجب علي فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الأمير أنز في مقدمته إلى جرجان تقدم إلى الأمير علي بن عمر وهو أمير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالسير وضمن له جمعا كثيرا من المساكر والأمراء فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس فساروا إلى أن قاربوا مقدمة سنجر التي عليها الأمير أنز فراسله الأمير علي بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع إلى أمره ونهيه والقبول منه وأنه ظن أن سنجر يحفظ السلطنة علي ولده السلطان محمود وأخذ عليها بذلك العهد فليس لنا أن نخالفه وحيث جئتم إلى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نقضي عليه وقد علمت أن معك خمسة آلاف فارس فأنا أرسل إليك أقل منهم لتعلم أنكم لا تفاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الأمير أنز ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فأخذوا قطعة من صواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل إلى الري وهو بها وعاد الأمير علي بن عمر إليه فشكره على فعله وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الري والمقام بها وقيل إن عساكر خراسان إذا عدوا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولا يتهتم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار إلى جرجان ووصل السلطان محمود الأمير منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس والأمير منصور بن صدقة أخو ديبس والأمراء البكجية وغيرهم وسار محمود إلى همدان وتوفي بها وزيره الربيب واستوزر أبا طالب السميري وبلغه وصول عمه سنجر إلى الري فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الأولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدي عسكر سنجر وهي ثمانية أيام فسبقوهم إلى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراساني في عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الأمراء الكبار ولده الأمير أبي الفضل صاحب سجستان وخرارزمشاه محمد والأمير أنز والأمير فجاج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر علي أختها وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما توفي السلطان محمود تأخر عنه فأقطع بلده لقراجه الساقى الذي صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة إلى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الأحوال والطريق إلى قصد البلاد وما فعله الأمراء من أخذ الأموال وما هم عليه من اختلاف الأهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا ومن الأمراء الكبار الأمير علي بن عمر أمير حاجب والأمير منكبرس وأتابكة غزغلي وبنو برسق البخارى وقراجه الساقى ومعهم تسعمائة حمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعف نفوس الخراسانية لما رأوا هذا العسكر من القوة والكثرة فانهمزت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه واضطرب أمرهم وساروا منهزمين لابلون علي شيء ونهب من أثقالهم شيء كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه وبيزائه السلطان محمود ومعهم أتابكة غزغلي فالجأت سنجر الضرورة عند تعاضم الخطب عليه أن يقدم الفيلة للحرب وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال إما النصر أو القتل، وأما الهزيمة فلا، فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت بأصحابها على أعقابها فأشفق سنجر على السلطان محمود في تلك الحال وقال لأصحابه لا تفرعوا الصبي بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهمز السلطان محمود ومن معه في القلب وأسر أتابكة غزغلي فكان يكاتب السلطان وبعده أنه يحمل إليه ابن أخيه فعاتبه علي ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ في ظلم أهل همدان فعبج الله عقوبته ولما تم النصر

والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه ووصل الخبر إلى بغداد في عشرة أيام فأرسل ديبس بن صدقة إلى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجر فخطب له في السادس والعشرين من جمادى الأولى وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فإنه سار من الكسرة إلى أصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرى والأمير على بن عمر وقراجه وأما سنجر فإنه سار إلى همدان فأرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه فرأسله في الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استولت على غزنة وأعمالها وماوراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على أصحابه فاجعل ولد أخيك كأخدم وكانت والدته سنجر هي جدة السلطان محمود فأجاب إلى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود بأذربيجان من حين خروجه عن بغداد إلى هذه الغاية فقوى بهم فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنهم لا يصلحونه حتى يعود إلى خراسان فلم يجب إلى ذلك وسار من همدان إلى كرج وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده أن يجعله ولي عهده فأجاب إلى ذلك واستقر الأمر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود إلى عمه سنجر في شعبان فزل على جدته والدته سنجر وأكرمه عمه وبالغ في ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهر اوردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب السلطان سنجر إلى سائر الأعمال التي بيده كخراسان وغزنة وماوراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود بعده وكتب إلى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الري وقصد بأخذها أن تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج .

(ذكر غزاة أيلغازى بلاد الفرنج) في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب فلجوا بزاعة وغيرها وأخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً وخافهم أهلها خوفاً شديداً ولو تمكنوا من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج أهل حلب على أن يقاسمهم على أملاكهم التي بياب حلب فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يفتأوا وكان الأمير أيلغازى صاحب حلب يبذل ماردن يجمع العساكر والمنطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلبي والأمير طغان أرسلان بن المكر صاحب بدليس وأرزن وسار بهم إلى الشام عازماً على قتال الفرنج ولما علم الفرنج قوة عزمهم على لغاتهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج أن أحداً لا يسلك إليهم اضيق الطريق فأخذوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم إذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا أيلغازى يقولون له لا تعب نفسك بالمسير إلينا فنحن واصلون إليك فاعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدتهم ففعل ذلك وسار إليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج أن أحداً يقدم عليهم لصعوبة المسلك إليهم فلم يشعروا إلا وأوائل المسلمين قد غشيم فحمل الفرنج حملة منكراً فولوا منهزمين فلقوا باقي العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان في جملة الأسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم وحملوا إلى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة

وأما سيرجال صاحب أنطاكية فإنه قتل وحمل رأسه وكانت الواقعة منتصف شهر ربيع الأول فما مدح به أيلغازى فى هذه الواقعة قول العظمى .

قل ماتشاء فقونك المقبول ه وهليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته ه وبكى لفقده رجاله الإنجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقبهم أيلغازى أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الأثارب وزردنا وعاد إلى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات إلى ماردين .

(ذكر وقعة أخرى مع الفرنج) فى هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر فى جمع من الفرنج نحو مائتى فارس من طبرية فكبس طائفة من طى يعرفون بنى خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألمهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم من وراء الحزن بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو فى خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بنى ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بنى ربيعة وكانوا فى مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج معتقدين أن جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فأضل الطريق وتساوت العدنان فاقتتلوا وطعنتم العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهره من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد فى فداء نفسه مالا جزىلا وعدة من الأسرى وأما جوسلين فإنه ضل فى الطريق وبلغه خبر الواقعة فسار إلى طرابلس فجمع بها جمعا وأمرى إلى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولا .

(ذكر قتل منكوبرس) فى هذه السنة قتل الأمير منكوبرس الذى كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله أنه لما هزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير إليه دبى بن صاقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل إليه ومعه سيف وكفن فقال له أنا لا أؤاخذ أحدا وسلمه إلى السلطان محمود وقال هذا مملوكك فاصنع به ما تريد فأخذه وكان فى نفسه منه غيظ شديد لأسباب منها أنه لما توفى السلطان محمد أخذ سريره والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها . ومنها جرائمه عليه واستبداده بالأمور دونه ومسيره إلى شحنة بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه . ومنها ما فعله بالعراق من الظلم إلى غير ذلك فقتله صبورا وأراح العباد والبلاد من شره .

(ذكر قتل الأمير على بن عمر) فى هذه السنة أيضا قتل الأمير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الأمراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب إلى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها فى مائتى فارس إلى خوزستان وكانت بيد أفبورى بن برسق وابنى أخويه أرغلى بن يلبكى وهندو بن زنىكى فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته فلما سارا إليهم أرسلوا عسكريا منعه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل إلى غيره فتشبث ذيله بسرجه الأول فأزاله فعاد التعلق فأبطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى أمره فأمرهم بقتله فقتل وحمل رأسه إليه .

ذكر ملك علي بن سركان البصرة

(ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة) في هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهل قرطبة وسببها أن أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان فقالوا المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتمصن بالقصر فحصره وتساقوا إليه فهرب منهم بعد مشقة وتمب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمي دمه وحرمة وماله فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وصعوا في الصلح فاجابهم إلى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة المرابطين ما يهوبه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم .

(ذكر ملك علي بن سركان البصرة) في هذه السنة استولى على البصرة وسبب ذلك أن السلطان محمدا كان قد أقطع البصرة الأمير آفسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتي فاحس السيرة إلى حد أن الماء بالبصرة ملح فأقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء الغذب فلما توفي السلطان محمد عزم هذا الأمير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلي مقدم الأتراك الإسماعيلية وهو مذكور وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى أمير آخر اسمه سنقر ألب وهو مقدم الأتراك البلديقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيدها وأخذوا القلعة وما وجداه له ثم إن سنقر ألب أراد قتله فنعه غزغلي فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلي على سنقر ألب فقتله ونادى في الناس بالسكون واطمأنوا وكان أمير الحاج من البصرة هذه السنة أمير اسمه علي بن سركان أحد الأمراء البلديقية وكان في نفس غزغلي عليه حقد حيث تم الحج على يده ولأنه خاف أن يأخذ بثار سنقر ألب إذ هو مقدم البلديقية فأرسل غزغلي إلى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوه وحامهم ابن سركان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة إلى أن بقى بينه وبين البصرة يومان فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل إلى العونى حمل على الغرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلي إلى علي بن سركان في عدد كثير وكان علي في قلة فتجاربا وافتلت الطائفتان فأصابت فرس غزغلي نشابة فسقط وقتل وسار هلى إلى البصرة فدخلها وملك القلعة وأقر عمال آفسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله أن يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آفسنقر إلى ذلك فطرد حينئذ نواب آفسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الأصحاب مستبدا واستقر فيه وأحسن السيرة إلى سنة أربع عشرة فسير السلطان محمود الأمير آفسنقر البخارى في عسكر إلى البصرة فأخذها من علي بن سركان .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين بهروز إلى شحنة العراق وكان بها نائب ديبس بن صدقة فعزل عنها . وفيها في ربيع الأول توفي الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرى وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو علي بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير وهو عم الوزير جلال الدين أبي الرضا صدقة الذي وزير للراشد والأتبك زنكى على ما ذكره . وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل وقبور ولديه إسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب ونفضة (هكذا ذكره حمزة بن أسد التيمي في تاريخه) والله أعلم . وفيها في المحرم توفي قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغانى ومولده في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد إلى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شيء لم يكن لغيره ولمات في ولى قضاء القضاة الاكمل أبو القاسم علي بن أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي وخلع عليه ثالث صفر . وفيها هدم تاج الخليفة علي دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين . وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وأرادوا كسر المنبر بجامع القصر فأرسل الخليفة إلى ديبس بن صدقة ليساعد الأمير نظر علي تسيير الحجاج فأجاب إلى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثاني عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الأمطار إلى الكوفة . وفيها أرسل ديبس بن صدقة للقاضي أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفي قاضي الكوفة إلى أيلغازى بن أرتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه أيلغازى وحملها الثقفي معه إلى الحلة واجتاز بالموصل . وفيها في جمادى الأولى توفي أبو الوفا علي بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة في وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حدائته على أبي الوليد فأراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون (١).

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما) في هذه السنة في ربيع الأول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وممسعود حينئذ له الموصل وأذربيجان وكان سبب ذلك أن ديبس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتاك مسعود بحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسم الدولة البرسقى أتاك الملك مسعود قد فارق شحنة بغداد وقد أقطمه مسعود مراغة مضافة إلى الرحبة وبينه وبين ديبس عداوة محكمة فكاتب ديبس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقى

(١) وفيها توفي المبارك بن علي بن الحسين أبو سعد الخرمي ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفق ودرس ، وجمع كتبا كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب في القضاء ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، شديد الأفضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهي المذنوبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيل الحنبلي ، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة ، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفي في المحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند قبر أحمد .

وينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقي ذلك ففارقهم إلى السلطان محمود فأكرمه وأعلى محله وزاد في تقديمه واتصل الأستاذ أبو اسماعيل الحسين بن علي الأصمباني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبي اسماعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوى فحسن ما كان ديبس يكتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فباغ السلطان محمود الخبر فكتب إليهم يخوفهم إن خالفوه ويعدم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا إلى قوله وأظهروا ما كانوا عليه ومايسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له التوب الخمس وكان ذلك على تفرق من هساكر السلطان محمود فقوى طمعهم وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع إليه خمسة عشر ألفا فسار أيضا إليهم فالتقوا عند عقبة أسد أباذ منتصف ربيع الأول واقتتلوا من بكرة إلى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاء حسنا فانهمز عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم وأسر الأستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهراً وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل إلى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالاً لا تحصى ، وأما الملك مسعود فإنه لما انهزم أصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثني عشر فرسخا فاختنق فيه ومعه غلامان صغار فأرسل ركابه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان فسار إلى السلطان محمود وأعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الأمان وأمر آقسنقر البرسقي بالسير إليه وتطبيب قلبه وإعلامه بعفوه وإحضاره فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها أذربيجان وأشار عليه بمكاتبة ديبس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فأخبر بمسيره فسار في أثره وعزم على طلبه ولو إلى الموصل وجد في السير فأدركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو أخيه عنه وضمن له ما أراد وأعادته إلى العسكر فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتمظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان أن ينزل عند والدته وجلس له وأحضره واعتنقها وبكى وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه في كل أفعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأذربيجان وبلد الموصل والجزيرة وثمانية وعشرين يوما ، وأما أتاكه جيوش بك فإنه سار إلى عقبة أساد أباذ وانتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل إليه فلما آيس منه سار إلى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد إليها واجتمع إليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وأنه عنده علم أنه لا مقام له على هذا الحال فسار كأنه يريد الصيد فوصل إلى الزاب وقال لمن معه إنني قد هزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسى فسار إليه فوصل وهو بهمدان ودخل إليه فطيب قلبه وأمنه وأحسن إليه وأما ديبس فإنه كان بالمرابق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وأخربها وفعل فيها الأفاعيل القبيحة إلى أن أتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

(ذكر حال ديبس وما كان منه) لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فأرسل إليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه إلى بغداد وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة وأظهر

الضغائن التي في نفسه وكيف طيف برأس أبيه وتهدد الخليفة وقال إنك أرسلت تستدعي السلطان فإن أعدتموه وإلا فعلت وصنعت فأعيد جواب رسالته إن عود السلطان وقد سار عن همدان غير يمكن ولكننا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل فكف على أن يسير الرسل في الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد في رجب ووصل السلطان في رجب إلى بغداد فأرسل ديبس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير إليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفيح عنه فأجيب إلى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجأه ونهب جشيرا للسلطان فسار السلطان عن بغداد في شوال إلى قصد ديبس بالحلة واستصحب ألف سفينة ليبر فيها فلما علم ديبس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان فأمنه وكان قصده أن يغالطه ليتجهز فأرسل نساءه إلى البطيحة وأخذ أمواله وسار عن الحلة بعد أن نهبا إلى أيلغازي ملتجئا إليه ووصل السلطان إلى الحلة فلم ير أحدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وأقام ديبس عند أيلغازي وتردد معه ثم إنه أرسل أخاه منصورا في جيش من قلعة جمبر إلى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر إلى البصرة وأرسل إلى برنقش الزكوي يسأله أن يصلح حاله مع السلطان فلم يتم أمره فأرسل إلى أخيه ديبس يعرفه بذلك ويدعوه إلى العراق فسار من قلعة جمبر إلى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب إلى ذلك وميرت إليه العساكر فلما قابوه فارق الحلة ودخل إلى الأزير وهو نهر سنداد ووصل العسكر إليها وهي فارغة قد أجلى أهلها عنها وليس بها إقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوي قرك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على ديبس وأرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان إلى ديبس فتيق بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل برنقش وديبس واتفقا على أن يرسل ديبس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر إلى بغداد سنة ست عشرة.

(ذكر خروج الكرج إلى بلاد الإسلام وملك تفليس) في هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر إلى بلاد الإسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه إلى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الأمم المجاورة لهم فمكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الأمير أيلغازي وديبس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدي وكان لطرغرل بلدانان ونقجوان إلى أرس فاجتمعوا وساروا إلى الكرج فلما قابوا تفليس وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائمتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون إنهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد أنها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وأيغازي وديبس وعاد الكرج فحبر بلاد الإسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظام الأمر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار إلى سنة خمس عشر فملكوها عنوة وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكرج في طلب الأمان فلم تصغ الكرج إليهما فأخرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنقرون منهم إلى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم أن السلطان محمود همدان

فقصدوه واستغاثوا به فسار إلى أذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكريا إلى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم إن شاء الله تعالى .

(ذكر غزوات أبلغازى هذه السنة) في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلدن مع سيد الدولة بن الأنبارى لنجم الدين أبلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج وأمره بإبعاد ديبس عنه وسار أبو علي بن عمار الذى كان صاحب طرابلس مع ابن الأنبارى إلى أبلغازى ليقيم عنده. يعبر الأوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بإبعاد ديبس ووعد به ثم سار إلى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فابتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع أبلغازى وأتابك طغتكين صاحب دمشق وحاصروا الفرنج في معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أتابك طغتكين بالإفراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا إلى المسلمين فرما ظفروا وكان أكثر خوفا من درخيل التركان وجودة خيل الفرنج فأفرج لهم أبلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان أبلغازى لا يطيل المقام في بلد الفرنج لأنه كان يجمع التركان للطمع فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فإذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الأموال ما يفرقها فيهم .

(ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملاكهما) في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرقة في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لتتبع بعض الحادثة بمضا وكان ابن تومرت قد رحل في شببته إلى بلاد الشرق في طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصول الدين والفقهاء متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل في سفره إلى العراق واجتمع بالغازى والكيما واجتمع بأبي بكر الطرطوشى بالإسكندرية . وقيل أنه جرى له حديث مع الغازى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغازى إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا ، كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به فخرج من هناك وعاد إلى المغرب ولما ركب البحر من الإسكندرية مغربا غير المنكر في المركب وألزم من به بإقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى إلى المهدي وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسة فزل بمسجد قبل مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم وكان إذا مر به منكر فيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار إلى بجاية (١) ففعل فيها مثل ذلك فأخرج عنها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقبه بها عبد المؤمن

(١) بجاية - بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياه وهاء - : مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب . كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٨٥٤ بينها وبين جزيرة بنى مزغناى أربعة أيام كانت قديما ميناء فقط ، ثم بنيت المدينة وهي لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بنى حماد وتسمى الناصرية أيضا باسم بانها وهي مفترقة إلى جميع البلاد لا يخصصها من المنافع شيء إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتساخر إلى جميع الجهات ، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام ، وكان السبب في اختطاطها أن تميم بن المعز

ابن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالأمر فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيس من قيس فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلفاقته وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من أعمال تلمسان وهو من عائد قبيل من كومرة نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مراکش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثرت أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة المثلثين يسفرنساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دواهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فأحضره وأحضر الفقهاء لينظروه فأخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن ينظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزراءه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين إن هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يريد إثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقته وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال إذ لم تقتله فاحبسها وخلده في السجن وإلا أثار شرا لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فنعه رجل من أكابر المثلثين يسمى بيان بن عثمان فأمر بإخراجه من مراکش فسار إلى أغمات (١) ولحق بالجليل

= ابن باديس صاحب أفريقية أنفذ إلى ابن عمه الناصر بن علناس محمد بن البعبع رسولا لإصلاح حال كانت بينهما فاسدة فرأى ابن البعبع بموضع بجاية وفيه أبيات من البربر قليلة فتأملها حق التأمل ، فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه واستخلى الناصر ودله على عورة تميم وقرر بينه وبين الناصر الحرب من تميم والرجوع إليه وأشار عليه ببناء بجاية واستركبه وأراه المصلحة في ذلك والفائدة التي تحصل له من الصناعة بها وكيد العدو ، فأمر من وقته بوضع الأساس وبنائها ونزلها بعسكره ، ونهى الخبر إلى تميم فأرصد لابن البعبع العيون ، فلما أراد الحرب قبض عليه وقتله وألحق به عاقبة الغدر .

(١) أغمات : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراکش ، وهي مدينتان متقابلتان ، كثيرة الخير ، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ومن سجلماسة ثمان مراحل في بحر المغرب وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظا ولا خصبان منها ، تجمع بين فواكه الصرود والجروم ، وأهلها فرقتان : يقال لإحدهما الموسوية من أصحاب ابن ورسند والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة ، والفرقة الأخرى مالكية حشوية وبينهما القتال الدائم ، وكل فرقة تصلي في الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى ، كذا ذكر ابن حوقل التاجر الموصل في كتابه وكان شاهدا قديما بعد الثلثمائة من الهجرة وقد تداولتهم عدة دول منها دولة المثلثين وكان فيهم جد وصلابة في الدين ، ثم عبد المؤمن وبنوه ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الاخلاط ، والله أعلم . وبين مدينة أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ هي في سفح جبل هناك وهي للصامدة يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها ، وينسب إليها أبو هارون موسى بن عبدالله بن ابراهيم بن محمد ابن سنان بن عطاء الأغماتي المغربي رحل إلى الشرق وأوغل حتى بلغ سمرقند وكان فاضلا ، وله شعر حسن منه : =

فسار فيه حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فأتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر أعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الإسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فأقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى أتباعه الموحدين وأعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذي يملأ الأرض عدلاً وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى فقام إليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدى فبايعوه على ذلك فأنهى خبره إلى أمير المسلمين فجهز جيشاً من أصحابه وسيرهم إليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لأصحابه إن هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم فالرأى أن أخرج بنفسى إلى غير هذه البلاد لتسلموا أتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل نخاف شيئاً من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فيأ تاكل من في الأرض ووافقهم جميع قبيلته فقال المهدى أبشروا بالنصر والظفر بهذه الشريعة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزمهم وأخذوا أسلابهم وقوى ظهم في صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم وأقبلت إليه أفواج القبائل من الحلال التي حوله شرقاً وغرباً وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتانة وهي من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن إليهم وأتاه رسل أهل تينممل بطاعتهم وطلبوه إليهم فتوجه إلى جبل تينممل واستوطنه وألف لهم كتاباً في التوحيد وكتاباً في العقيدة ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرصهم على قتال عدوهم وإخراج الأشرار من بين أظهرهم وأقام بتينممل وبني له مسجداً خارج المدينة فكان يصلى فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم إنه أمر أصحابه أن يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر وسبي الحرير ونهب الأموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفاً وقسم المساكن والأرض بين أصحابه وبني على المدينة سوراً وقلعة على رأس جبل عال وفي جبل تينممل أنهار جارياً وأشجار وزروع والطريق إليه صعب فلا جبل أحصن منه وقيل إنه لما خاف أهل تينممل نظر فرأى كثيراً من أولادهم شقراً زرقاً والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لأمير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة وياخذون ما لهم فيه من الأموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا ينسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدى أولادهم سألهم ما لي أراكم سمر الألوان وأرى أولادكم شقراً زرقاً فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين

لعمري الهوى إني وإن شطت النوى • لذك كبد حذى وذو مدمع سكب
فإن كنت في أقصى خراسان ثاوريا • فجسسى في شرق وقلبي في غرب
وقال أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة يذكر المعتمد بن عباد صاحب أشيلية - وكان لما أزيل أمره
وانتزع منه مملكته حمل إلى أغمات فحبس بها - :

انفض يدك من الدنيا وساكنها • فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضى قد كنت • سريرة العالم العلوى أغمات

فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الأمر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال إذا حضروا عندهم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم إلى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فإنه لا يرام ولا يتدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فاستنصروا في الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك إليهم فتوالت نفس المهدي بذلك ثم إن أمير المسلمين أرسل إليهم جيشاً قوياً فحصرهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعدوا عنهم الميرة نقلت عند أصحاب المهدي الأقات حتى صار الخبز معدوماً عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم فكانت قوت كل واحد منهم أن يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها فما علق عليها وقع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينمل وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الوشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجرى على صدره وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول إن الله سرا في هذا الرجل سوف يظهر وكان الوشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل خرج يوماً للصلاة الصبح فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب طيب الريح فأظهر أنه لا يعرفه وقال من هذا فقال أنا أبو عبد الله الوشريشي فقال له المهدي إن أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال إن هذا الرجل يزعم أنه الوشريشي فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ما قصتك قال إنني إناني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والأحاديث فبكي المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتداً يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والأصول فمجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم إن الله تعالى قد أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وأمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معه وهم يبكون إلى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله إن أبا عبد الله الوشريشي قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجلاً يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي إن هذه مطهرة مقدسة قد نزل إليها الملائكة والمصلحة أن تطمئنا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمئنا ثم نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الوشريشي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولاً وإلى الشباب الغرو من لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفاً فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز وسمعت منهم من يقول إن ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد في أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم إنكم لا يصح لكم دين ولا يقوى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندهم من أهل الشر والفساد فانهم عن ذلك فإن اتهموا وإلا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إلى الله لأنظر في أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الأسماء

فأثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الأسماء التي كتبها ودفعها إلى الونشريشي المعروف بالبشير وأمره أن يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر أن يكتف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال إن هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم إلى جبال أغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلهم فانهم أصحاب ابن تومرت وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاني وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي أما إنه لم يموت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته إليه فافتتنوا به وعادوا منزمين إلى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم هلى صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين فإذا رأوا عسكريا تعلقوا بالجبل فأمنوا وكان المهدي قد رتب أصحابه مراتب فالأولى يسمون أيت عشرة يعني أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أبو حفص الهنتاني وغيرهما وهم أشرف أصحابه وأهل الثقة عنده والسابقون إلى متابعتة والثانية أيت خمسين يعني أهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة أيت سبعين يعني أهل سبعين وهم دون التي قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين في طاعته موحدون فإذا ذكر الموحدون في أخبارهم فإنما يعني أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربع وعشرين فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا أكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشي وسير منهم عبد المؤمن فنزلوا وصاروا إلى مرا كش فحاصروها وضيقوا عليها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فأرسل أمير المسلمين إلى متولى سجلماسة يأمره أن يحضرو معه الجيوش فجمع جيشا كثيرا ومار فلما قارب عسكر المهدي خرج أهل مرا كش من غير الجهة التي أقبل منها فاقتلوا واشتد القتال وكثر القتل وأصحاب المهدي فقتل الونشريشي أميرهم فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلماذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة أكثرهم وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل صار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى إلى الجبل .

(ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن) لما سير الجيش إلى حصار مرا كش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال مامات أحدا لأمر قائم وهو الذي يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الأمر إليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدي وكان عمره إحدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن إلى تينمل وأقام بها يتألف القلوب ويحسن إلى الناس وكان جرادا مقداما في الحروب ثابتا في الهزاهز إلى أن دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار في جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل إلى أن وصل إلى تادلة فسانعه أهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما استنع عليه وأطاعه صنهجة الجبل وكان أمير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير فمات فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس وكان أميرا

ههنا فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة إحدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشى في الصحراء قبالة عبدالمؤمن في الجبال وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبدالمؤمن في النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين في الوطاة ويخرج من الطائمتين قوم يترامون ويتطاردون ولم يكن بينهما لقاء ويسمى عام النواظر وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبدالمؤمن مع الجبل في الشعراء حتى انتهى إلى جبل كرتاظة فنزل في أرض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالة في الوطاة في أرض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالى الأمطار أياما كثيرة لا يقلع فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها ويعجز الرجل عن المشي فيها وتقطعت الطرق عنها فأوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبرداً وسوء حال وكان عبدالمؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل لا يباليون بشيء والميرة متصلة إليهم وفي ذلك الوقت سير عبدالمؤمن جيشا إلى وجرة من أعمال تلسان ومقدمهم أبو عبدالله محمد بن رغو وهو من أيت خمسين فبلغ خبرهم إلى محمد بن يحيى بن فانومتولى تلسان فخرج في جيش من المثلثين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبدالمؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه وغنموا مامعهم ورجعوا فتوجه عبدالمؤمن بجميع جيشه إلى غمارة فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة وأقام عندهم مدة وما برح يمشى في الجبال وتاشفين يحاذيه في الصحاري فلم يزل عبدالمؤمن كذلك إلى سنة خمس وثلاثين فتوفي أمير المسلمين علي بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبدالمؤمن في البلاد إلا أنه لم ينزل الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبدالمؤمن إلى تلسان فإزها وضرب خيامه في جبل بأعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك إلى سنة تسع وثلاثين فرحل عبدالمؤمن عنها إلى جبل تاجرة ووجه جيشا مع همر الهنتاني إلى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار إليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به إلا نفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاني فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبد وأحاطوا به وهلكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة ورفعت جثته على خشبة وقفل كل من كان معه وقيل إن تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق أن عمر الهنتاني مقدم عسكر عبدالمؤمن سير سرية إلى ذلك الحصن يعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا أن تاشفين فيه فآلقوا النار في بابه فاحترق فأراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور فسقط في النار فأخذ تاشفين فاعترف فأرادوا حمله إلى عبدالمؤمن فمات في الحال لأن رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده أخوه إسحق ابن علي بن يوسف ولما قتل تاشفين أرسل عمر إلى عبدالمؤمن بالخبر فجاء من تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر أمير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبدالمؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها مالا يحصى ثم سار إلى تلسان وهما مدينتان بينهما شرط فرس أحدهما تاجررت وبها عسكر المسلمين والآخر

أقادير وهي بناء قديم فامتعت أقادير وغلقت أبوابها وتأهب أهلها للقتال وأما تاجررت فكان فيها يحيى ابن الصحراوية فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن إليها فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم ودخلها عسكره ورتب أمرها ورجل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين فزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة أشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكروه بالأخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرّب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد أراد عبد المؤمن أن يدخل البلد فقاتله أهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس محمد بن خبار الجياني عاملا عليها وعلى جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس فأجابهم إليه ففتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة وسار إلى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فتودي في أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح إليه فأخذهم منهم ثم رجع إلى مكناسة ففعل بأهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والأجناد وأما العسكر الذي كان على تلمسان فإنهم قاتلوا أهلها ونصبوا المحانيق وأبراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وأدخلوهم البلد فلم يشعر أهله إلا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الأموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحصى قيمته ومن لم يقتل بيع بأوكس الأثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل إن عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها إلى فاس والله أعلم وسير عبد المؤمن سرية إلى مكناسة فحصرها مدة ثم سلبها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طائفة فاجابهم إلى بذل الأمان وكان ذلك سنة إحدى وأربعين .

(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراکش) لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار إلى مراکش وهي كرسى مملكة الملمثمين وهي من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ إسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة إحدى وأربعين فحضر خيامه في غربها على جبل صغير وبني عليه مدينة له ولعسكره وبني بها جامعاً وبني له بناء عالياً يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالاً كثيراً وأقام عليها أحد عشر شهراً فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهله وتعذرت الأقوات عندهم ثم زحف إليهم يوماً وجعل لهم كميناً وقال لهم إذا سمعتم صوت الطبل فأخرجوا وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم إنهم انهزموا لأهل مراکش ليتبدؤهم إلى الكمين الذي لهم فتبعهم الملمثمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل بضرب الكمين عليهم ورجع المصامدة المهزومون إلى الملمثمين فقتلهم كيف شاؤوا وعادت الهزيمة على الملمثمين فسات في زحمة الأبواب

ملا يحصيه إلا الله سبحانه وكان شيوخ المثلثين يدبرون دولة إسحق بن علي بن يوسف أصغر سنه فانفق أن إنسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنقيات والأبراج ونفيت أقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان فأذن البلد من ربح الموتي وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدا بهم فجاؤا إليهم نجدة فلما طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان فأجابهم إليه ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا إلى دار أمير المسلمين فأخرجوا الأمير إسحق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا وجعل إسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام إليه الأمير سير بن الحاج وكان إلى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأملك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف ولا يدين بدين فقام الموحدون إليه بالحشب نضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم إسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولى منهم أربعة يوسف وعلي وتاشفين وإسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر فتودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصادمة قتلهم فنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسراق من نتفع به فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم وبني بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فأحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف ابن تاشفين في فعله بالاعتماد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه في عقابه من أربى في الأخذ عليه وزاد فتبارك الحى الدائم الملك الذى لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فأف لها ثم أف نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمحمد وآله .

(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة) في سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة سار بعض المرابطين من المثلثين إلى دكالة فاجتمع إليه قبائلها وصاروا يغيرون على أعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم فلما كثر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم إلى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكثروا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه فن الاتفاق الحسن له أنه قصد من غير الجهة التى فيها الكمناء فأحبل عليهم ما قدره وفارقوا ذلك الموضع فأخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل أكثرهم وغنمت إبلهم وأغنابهم وأموالهم وسبي نسائهم وذرائعهم فبيعت الجارية الحسناء بدرهم بصيرة وعاد عبد المؤمن إلى مراكش نظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب وأذعنوا له بالطاعة .

(ذكر حصر مدينة كتندة) في هذه السنة يعنى سنة أربع عشرة وخمسة مائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى إلى كتندة وهى بالقرب من مرسية في شرق الأندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين على بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد

المتطوعة فسيرهم إلى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيهم قتل أبو عبدالله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة كسر بك بن أرتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد يد كان وأسر عفراس وكثير من عسكر . وفيها أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة . وفيها تسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف . وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طغرل فسار إليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك فسار إلى كنجة من بين يدهي العسكر ولم يجر قتال . وفيها في المحرم توفى خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكاه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف . وفي جمادى الأولى منها توفى أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الإمام ابن الإمام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس في البلاد البعيدة للجزاء به حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ .^(١)

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)

(ذكر إقطاع البرسقي الموصل) في هذه السنة في صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف إليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الأمير آقسنقر البرسقي وسبب ذلك أنه كان في خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الأثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذي أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولي عليها البرسقي وتقدم إلى سائر الأمراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار إليها في عسكر كثير وملكها وأقام يدير أمورها ويصلح أحوالها

(ذكر وفاة الأمير علي وولاية ابنه الحسن أفريقية) في هذه السنة توفى الأمير علي بن يحيى بن تميم صاحب أفريقية في العشر الأخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ، ولما توفى ولي الملك بعده ابنه الحسن بمهدأبيه وقام بأمر دولته صندل الخصى لأنه كان عمره حينئذ اثني عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفى فوق الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول أنا المقدم على الجميع ويبدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك إلى أن فوض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق فصلحت الأمور .

(١) وفيها توفى عبد العزيز بن علي بن حامد أبو حامد الدينوري ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان ملبح الإيراد حلوا المنطق ، توفى بالري والله أعلم .

(ذكر قتل أمير الجيوش) في هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الأفاضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الأمر والحكم بمصر وكان ركب إلى خزائن السلام ليفرقه على الأجناد على جاري العادة في الأعياد فسار معه عالم كثير من الرجال والخيالة فتأذى بالغباب فأمر بالبعد عنه وسار منفرداً معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياغة فضرباه بالسكاكين فخرجاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه إلى دار الأفاضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الأموال فقال أما الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة، وأما الباطن فابن البطائحي يعرفه فقلاً صدق فلما توفي الأفاضل ثقل من أمواله ما لا يعلمه إلا الله تعالى وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوماً والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً ووجد له من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعاً وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلي إلى هذه السنة من أيام الأمر وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييعه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثير الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلاً. حكى أنه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا إلى الخليفة وكان من جملة قولهم إنهم لعنوا الأفاضل فسألهم عن سبب لعنهم إياه فقالوا إنه عدل وأحسن السيرة، ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة إليهم وأمر بالإحسان إلى الناس ومنها أن صاحبه الأمر بأحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل ففسد الأمر بينهما فأراد الأمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام أو في أيام الأعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذي ولي الأمر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لأنه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يدلم الناس منهم إلا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكاباة الشنيعة ومع هذا فلا بد وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه متمكن مثله أو ما يقاربه فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول إلينا خوفاً على نفسه وإن دخل علينا كان خائفاً مستعداً للامتناع وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى أن ترأسل أبا عبد الله بن البطائحي فإنه الغالب على أمر الأفاضل والمطلع على سره وتعهده أن توليه منصبه وتطلب منه أن يدير الأمر في قتله لمن يقاتله إذا ركب فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الأحدث ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله ابن البطائحي الأمر ولقب المأمون ونحكم في الدولة فبقي كذلك حاكماً في البلاد إلى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر عصيان سليمان بن أيلغازي على أبيه) في هذه السنة عصا سليمان بن أيلغازي بن أرتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج إليه معتذراً فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك منهم أمير كان قد النقطة أرتق والد أيلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم إنسان من أهل حماة من بيت

قرناص كان قد قدمه أيلغازي على أهل حلب وجعل إليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات وأحضر ولده وهو سكران فأراد قتله ففعله رقة الوالد فاستبقاه فهرب إلى دمشق فأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه إلى ذلك واستتاب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق ولقبه بدر الدولة وعاد إلى ماردين ﴿ذكر إقطاع ميفارقين أيلغازي﴾ في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميفارقين للأمير أيلغازي وسبب ذلك أنه أرسل ولده حسام الدين تمرناش وعمره سبع عشرة سنة إلى السلطان ليشفع في ديبس بن صدقة ويبدل عنه الطاعة وحمل الأموال والخيل وغيرها وأن يضمن الحلة كل يوم بألف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم بن الشهرزوري فتردد الخطاب في ذلك ولم ينفصل حال ؛ فلما أراد العود أقطع السلطان إياه مدينة ميفارقين وكانت مع الأمير سكران صاحب خلاط تسلمها أيلغازي وبقيت في يده ويد أولاده إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك إن شاء الله ﴿ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها﴾ في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد أخى أيلغازي إلى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه إنسان تركاني وأعلمه أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه ؛ وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي في أربعمائة فارس فوق مستعدا لقتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين أن الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الإسراع والجري فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه أن يسلم الرها ولم يفعل وبذل في فداء نفسه أموالا جزيلة وأسرى كثيرة فلم يجبه إلى ذلك وحمله إلى قلعة خر تبرت فسجنه بها وأسر معه ابن خالته واسمها كليام وكان من شياطين الكفار وأسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه .

﴿ذكر عدة حوادث﴾ في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لآبيه وهي والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفيرية وكان موتها بمرور مجلس محمود ببغداد للعزاء فيها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفي الخطير محمد بن الحسين الميذبي ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع أن الأبيوردي هجاه فلما سمع الهجو مضه فعرض على إبهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله . وفيها توفي الشهاب أبو المحاسن عبدالرزاق عبدالله وزير السلطان سنجر وهو ابن أخى نظام الملك وكان يتفقه قديما على إمام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن هلي بن عيسى القمي ، وتوفي بعد شهرين فوزر بعده عثمان القمي . وفيها في جمادى الأولى أوقع أنابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة . وفيها تضعع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها . وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة إلى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا جد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب وأقيم الغسالون يخلصون

الذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك إلا الياقوت الأحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لأن أباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من أموالهم الشيء العظيم واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق بإشارة الوزير السمرى عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله وانمظ فأعرض عنه . وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة . وفيها ظهر بمكة إنسان هلوى وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوى أمره وعزم على أن يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز إلى البحرين وكان هذا العلوى من فقهاء النظامية ببغداد . وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار . وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب السمرى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الأمراء . وفيها في ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير وبقي على الأرض خمسة عشر يوما وسمكة ذراع وهدكت أشجار النارج والأترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء :

يا صدور الزمان ليس بوفره ما رأينا في نواحي العراق
إنما عم ظلمكم سائر الخلق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فأهدكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات . وفيها توفى أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات المشهورة وهزارسب بن عوض الهروى وكان قد سمع الحديث كثيرا .^(١)

(١) ترجمة الحريرى صاحب المقامات : هو القاسم بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان نخر الدولة أبو محمد الحريرى : مؤلف المقامات التى سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سبحان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمئة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو ، وصنف فى ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببغداد وعمل صناعة الإنشاء مع الكتاب فى باب الخليفة ، ولم يكن ممن تنكر بديته ولا تتعكر فكرته وقريحته . قال ابن الجوزى : صنف وقرأ الأدب واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والعظنة والفصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التى من تأملها عرف ذكاء مذهبها ، وقدره وفصاحته وعلمه . توفى فى هذه السنة بالبصرة . وقد قيل (إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر) لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الامثال ، ومنهم من يقول : أبو زيد بن سلام السروجى كان له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللغة فانه أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا فى النحو واللغة ، وكان يشتغل عليه الحريرى بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فإنه غنى بنفسه ، لما جاء فى الحديث : كلكم حارث وكلكم همام ، كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ : أصدق الاسماء حارث وهمام ، لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل أو همام من الهمة وهو العزم والمخاطر ، وذكر أن أول مقامة عملها (الثامنة والأربعون وهى الحرامية) وكان =

(٢٩ - كامل - ٨)

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود ﴾ وفي المحرم من هذه السنة أطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد أذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أنابه كمتغدي يحسن له : ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفي في شوال سنة خمس عشرة وكان الأمير آفستقر الإحمدي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه في المضي إلى أقطاعه فأذن له فلما سار عن السلطان

== سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجي ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي المعز بن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلدكان : كذا رأيت في نسخة بخط المصنف ، علي حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريري كان قد عمها أربعين مقامة فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأتمها خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * يفتق عنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله (بالمشان) هو مكان بالبصرة ، وكان الحريري صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميمة الخاق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول سار غره قر * ورائد أعجبتة خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري لاني رجل * مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

ويقال : إن المعيدي اسم حصان جواد كان في العرب ذميمة الخاق والله اعلم .

وفيها توفي ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد بن أحمد بن الحسين بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي ، ثم المصري اللغوي المصنف (كتاب الأفعال) الذي برز فيه علي ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر في حدود سنة خمسمائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا في إكرامه ، وكان يذهب إلى التسهل في الدين ، وله شعر جيد قوي ، مات وقد جاوز الثمانين . وفيها توفي أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش بمصر ، والعامية تقول مرجوش ، وأبوه باني الجامع الذي بثغر الإسكندرية بسوق العطارين ، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً ، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل على عكا ، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر ، فسدد الأمور بعد فسادها ، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا ، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة ، ولما مات المستنصر أقام المستعلي واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلاً حسن السيرة ، موصوفاً بجودة السريرة : فانه أعلم ، ضربه فداوى وهو راكب فقتله في رمضان من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة ، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجد له أموال عديدة جداً ، تفوق العد والإحصاء ، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرس ، والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي ، فجعل في خزائنه ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب ، على الفتييل من ذلك والنقير والقطير واعتاض عنه الخليفة بأبي =

ظن أنه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار إليه واجتمع به وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود وقال له إذا وصلت إلى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس ورجال فسار معه فلما وصلوا إلى أردبيل أغلقت أبوابها دونهم فساروا عنها إلى قريب تبريز فأنام الخبر أن السلطان محمود سير الأمير جيوش بك إلى أذربيجان وأقطعها البلاد وأنه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا إلى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتاك طغرل أيام أبيه يدعونه إلى إجمادهم وقد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم أطلقه السلطان سنجر فعاد إلى إقطاعه أهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم إلى أهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فأجابهم إلى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت .

(ذكر حال ديبس بن صدقة وما كان منه) قد ذكرنا سنة أربع عشرة حال ديبس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوى ومقامه بالحلة وعود برنقش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة أخو ديبس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا في إبعاد ديبس عن العراق إلى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير إلى همدان فأعاد الخليفة الشكوى من ديبس وذكر أنه يطالب الناس بمحموده منها قتل أبيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقى من الموصل ويوليه شحنة بغداد والعراق ويجعله في وجه ديبس ففعل السلطان ذلك وأحضر البرسقى فلما وصل إليه زوجته والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وأمره بقتال ديبس إن تعرض إلى البلاد وسار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد : سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر ديبس بأمور تأثر بها المسترشد باقه وتقدم إلى البرسقى بالمسير إليه وإزعاجه عن الحلة فأرسل البرسقى إلى الموصل وأحضر عما كرم وسار إلى الحلة وأقبل ديبس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرق الفرات واقتتلوا فانهمز عسكر البرسقى وكان سبب الهزيمة أنه رأى في ميسرته خلا وبها الأمراء البكجية فأمر بإلقاء خيمته وأن تنهب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت ظنوها عن هزيمة فانهمزوا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل أعطى رقعة فيها إن جماعة من الأمراء منهم إسماعيل البكجي يريدون الفتك به فانهمز وتبعه العسكر ودخل بغداد ثاني ربيع الآخر وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبي الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لأنها كانت من جملة أقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبي الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى إلى واسط محتفيا وسار منها إلى البطيحة

== عبدالله البطائحي ، ولقبه المأمون . قال ابن خلكان : ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهرة بائني عشر ألف دينار ، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال ، في عشرة مجالس كان يجلس فيها ؛ على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه ، قال : وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحلى ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل ، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي الإنسان من ذكره ، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين مملوءين بذهب يرسم النساء .

وتغلب عليها وكاتب ديبسا وأطاعه وأما ديبس فإنه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وأرسل إلى الخليفة أنه على الطاعة ولولا ذلك لأخذ البرسقى وجميع من معه وسأل أن يخرج الناظر إلى القرى التي لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة في حزيران وحى البلد فأحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي على بن صدقة ليعود إلى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخى ديبس وولده ورفقهما إلى قلعة برحين وهي تجاور كرج ثم إن ديبسا أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسطة فساروا إليها فمنعهم أتراك واسط فجهز إليهم عسكريا مقدمهم مهلهل بن أبي العسكر وأرسل إلى المظفر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون إلى البرسقى يطلبون منه المدد فأمدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل في عسكر ديبس ولم ينتظر المظفر ظنا منه أنه بمفرده ينال منهم ما أراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل ما يزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبي الجبر فإنه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسط سمع بالهزيمة فعاد منجدرا وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط ديبس بأمره فيها بقبض المظفر بن أبي الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة فأرسلوا الخط إلى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد أسخطت الله تعالى والخلق كلهم لأجله فال إليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب ديبس من الواسطيين ما ذكرنا شمر عن ساعده في الشر وبلغه أن السلطان كحل أخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فأجلى الناس إلى بغداد وسار عسكر واسط إلى النعمانية فأجلوا عنها عسكر ديبس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة إلى البرسقى بالتبريز إلى حرب ديبس فبرز في رمضان وكان ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر قتل السميرى) وفي هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرى وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همدان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو في موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خمارتكين التنشى واجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم أصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقع في البغلة وهرب إلى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة إلى الأرض وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلاً وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وإن تأخرت نفوت طالع السعد فأسرع وركب وأراد أن يأكل طعاما فنعوه لأجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وانتهى ماله وأخذ السلطان خزائنه ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرى قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة

أحرانا فبجان من لا يزول ملكه ، وكان السميرى ظالما كثير المصادرة للناس سبي السيرة فلما قتل أطلق السلطان ما كان جده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة .

(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة علي بن طراد) في جمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل . وأقيم نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فأجيب إلى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمس مائة ثم عزل ولزم دار استجدها ببغداد إلى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب أن يخرج ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يسير إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مهارش فأجيب إلى ما طلب وسار إلى الحديثة فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدى التركان يقال له يونس الخرامى فأسره ونهب أصحابه فخاف الوزير أن يعلم ديس فأرسل إلى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يعجل منها ثلثمائة ويؤخر الباقي إلى أن يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات في تخليصه وإنفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فأعمل العامل الحيلة في ذلك فأحضر إنسانا فلاحا وألبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسير معه غلمانا وأمره أن يمضى إلى يونس ويدعى أنه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقي من المال فسار السوادى إلى يونس فلما حصر عن الوزير ويونس احتراماه وضمن السوادى الوزير منه وقال له أقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحبك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على من معه منهم فأطلق يونس ذلك السوادى والمال الذى أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التي تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لنى إنسانا أنكره فأخذه فرأى معه كتابا من ديس إلى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير إليه وكان خلاصه من أعجب الأشياء .

(ذكر قتل جيوش بك) في هذه السنة قتل الأمير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده إلى خدمته فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات فأغروا به السلطان فقتله في رمضان على باب تبريز وكان تركيا من ممالك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم في ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الأكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضائق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته .

(ذكر وفاة أيلغازى وأحوال حلب بعده) في هذه السنة في شهر رمضان توفى أيلغازى بن أرتق بميفارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميفارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق فبقى بها إلى أن أخذها ابن عمه .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأمير آقسنقر البرسقى مدينة واسط وأعمالها مضافا إلى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقى سير إليها عماد الدين زنكى ابن آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار إليها في شعبان وولياها وقد ذكرنا أخبار زنكى

في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه ، وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذى القرنين . وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يهد مثلها فدخل الماء إلى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعي ، وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها في شعبان قدم إلى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ في جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الخنابلة وحصل له مال كثير لأنه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتح الإسفرايني ونزل رباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ في هذه المواضع وفي النظامية وأظهر مذهب الأشعري فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم إليه رباط الأرجوانية والدة المقتدى بالله بدر زاخى . وفيها توفي عبدالله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندي أخو أبي القاسم بن السمرقندي ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفي وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفي ذى الحجة توفي عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكي والجوهري والعشاري وكان ثقة حافظا للحديث .

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب ديبس) في هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين ديبس ابن صدقة وكان سبب ذلك أن ديبسا أطلق عفيفا خادما الخليفة وكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقي إلى قتاله وتقويته بالمال وأن السلطان كل أخاه وبالغ في الوعد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهب بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم إلى البرسقي بالتبريز إلى حرب ديبس فبرز في رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في عقيل وأناه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل ديبس إلى نهر ملك قتهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله إلى بغداد فأمر الخليفة فتودى ببغداد لا يتخلف من الأجناد أحد ومن أحب الجندي من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الأموال والسلاح فلما علم ديبس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب إلى ذلك وأخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرة ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء وهمامة سوداء وطرحته وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة جديد صيني ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبين ونقيب النقباء علي بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل وغيرهم من الأعيان وكان البرسقي قد نزل بقرية جهار طاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا إلى خدمته فلما رأوا الشمس ترجلوا بأجدهم وقبلوا الأرض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل الحرم بالحديثة بنهر الملك واحتدعي البرسقي والأمراء واستحلفهم على المناصحة في الحرب ثم صاروا إلى النيل ونزلوا

بالمباركة وعبي البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصته وجعل دبس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدي الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداد وسبي النساء فلما تراءت الفتان بادر أصحاب دبس وبين أيديهم الإماء يضربن بالدنوف والمخانيث بالملاهي ولم ير في عسكر الخليفة غير قارى ومسيح وذاع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الأمير كرباوى بن خراسان وفي الساقة سليمان بن مهارش . وفي ميمنة عسكر البرسقى الأمير أبو بكر بن الياس مع الأمراء البكجية فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دبس على ميمنة البرسقى فتراجعت هلى أعقابها وقتل ابن أخ للأمير أبى بكر البكجى وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الأول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقى عنتر في الوسط وحماد الدين وعسكر واسط من ورائه والأمراء البكجية بين يديه فأسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقى واقفا على نشز من الأرض وكان الأمير آق بورى فى السكمين فى خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج السكمين على عسكر دبس فاهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم فى الماء ففرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم إلى الحرب فلما انهزم عسكر دبس وحملت الأسرى إلى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبس عشرة آلاف فارس واثنى عشر ألفا رجل وعسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبس وسراريه تحت الأمر سوى بنت أيلغازى وبنت حميد الدولة بن جهير فإنه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة إلى بغداد تار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظر أمير الحاج بالركوب إلى المشهد وتأديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب بفعل وأعاد البعض وحنى الباقي عليه وأما دبس بن صدقة فإنه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل فقاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجيء واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره أنه قصد غزوة من عرب نجد فطلب منهم أن يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا إنا نسنخ الخليفة والسلطان فرحل إلى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا إليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الأمير سنجت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فأرسل الخليفة إلى البرسقى يعاتبه على إهماله أمر دبس حتى تم له من أمر البصرة ما أخرجه فتجهز البرسقى للانحدار إليه فسمع دبس ذلك ففارق البصرة وسار على البر إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم فى أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فأقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين إن شاء الله تعالى .

(ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب) فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الأثارب من أعمال حلب وسبب ذلك أنهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالإغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على أن يسلم الأثارب ويكفوا عن بلاده فأجابوه إلى ذلك وتسلبوا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر الرعية

بأعمال حلب و جلبت إليهم الأقوات وغيرها ولم تزل الأثارب بأيدي الفرنج إلى أن ملكها أتابك زنكي بن آقسنقر على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر ملك بلک حران و حلب) في هذه السنة في ربيع الأول ملك بلک بن بهرام مدينة حران و كان حصرها فلما ملكها سار منها إلى مدينة حلب و سبب مسيره إليها أنه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الأثارب إلى الفرنج فعظم ذلك عليه و علم عجزه من حفظ بلاده فقوى طمعه في ملكها فسار إليها و نازلها في ربيع الأول و ضايقها و منع الميرة عنها و أحرق زروعها فسلم إليه ابن عمه البلد و القلعة بالأمان غرة جمادى الأولى من السنة و تزوج ابنه الملك رضوان و بقي مالها إلى أن قتل على ما نذكره .

(ذكر الحرب بين الفرنج و المسلمين بأفريقية) قد ذكرنا أن الأمير على بن يحيى صاحب أفريقية لما استوحش من رجال صاحب صقلية جدد الأسطول الذي له و كثر عدده و عدده و كاتب أمير المسلمين على بن يوسف ابن ناشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق أن عليا مات سنة خمس عشرة و ولى ابنه الحسن و قد ذكرناه فلما خلت سنة ست سير أمير المسلمين أسطولا ففتحوا نقوطة بساحل بلاد قلوبية فلم يشك رجار أن عليا كان سبب ذلك فجد في تعمير الشوانى و المراكب و حشد فأكثر و منع من السفر إلى أفريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قبل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن أفريقية توقع الأمير الحسن بن على خروج العدو إلى المهدي فامر باتخاذ العدد و تجديد الأسوار و جمع المقاتلة فأتاه من أهل البلاد و من العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الأسطول الفرنجى في ثلثمائة قطعة فيها ألف فارس و فرس واحد إلا أنهم لما ساروا من مرسى على فرقتهم الريح و غرق منهم مراكب كثيرة و نازل من سلم منهم جزيرة قوضرة ففتحها و قتل من بها و سبى و غنموا و ساروا عنها فوصلوا إلى أفريقية و نزلوا الحصن المعروف بالديماس أو آخر جمادى الأولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك و الديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر و هو مشرف على البحر و سير الحسن من عنده من الجموع إلى الفرنج و أقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها و أخذ الفرنج حصن الديماس و جنود المسلمين محيطة بهم ، فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارجحت لها الأرض و كبروا فوقع الرعب في قلوب الفرنج فلم يشكوا أن المسلمين يهجمون عليهم فبادروا إلى شوانيهم و قتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم و غنم المسلمون منها أربعمائة فرس و لم يسلم معهم غير فرس واحد و غنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج و قتلوا كل من عجز عن الطلوع إلى المراكب فلما صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدر على النزول إلى الأرض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا و المسلمون يكبرون عليهم و يصيحون بهم و أقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يحصون كثرة فحصره فلم يمكنهم فتحه لخصائمه و قوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج و ضجروا من مواصلة القتال ليلاً و نهاراً ففتحوا باب الحصن و خرجوا فقتلوا عن آخرهم و ذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة و كانت مدة إقامتهم في الحصن ستة عشر يوماً ؛ و لما رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البشرى إلى سائر البلاد و قال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا و تركنا ذلك خوف التطويل .

(ذكر استيلاء الفرنج على خرترب و أخذها منهم) في هذه السنة في ربيع الأول استولى الفرنج على

خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك أن بلك بن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهي تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج في جموعه إليه ليرحله عنم أخوفا أن يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل إليه والتقى في صفر واقتلا فانهزم الفرنج وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد أسرم سنة خمس عشرة وصار بلك عن خرتبرت إلى حراز في ربيع الأول فملكها فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فأملك الملك بغدوين فإنه اتخذ الليل جملا ومضى إلى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فماد في عما كره إليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها .

(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة إلى وزارة الخليفة) في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك أنه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة في مخالفته تغير عليه وذكره أعداؤه عنده بسوء ونهبوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقد رأى السلطان فيه ثم إن الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن أخى نظام الملك وزير بديد أبو طاهر القمى وهو عدو لببيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل إلى السلطان محمود بأمره بالقبض على وزيره شمس الملك بصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه إلى طغابرك فبعثه إلى بلده خاخال فحبسه فيها ثم إن أبانصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لأناهن أن يرسل السلطان سنجر بطلب الوزير ومتى اتصل به لأناهن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السيف ليقتله قال امهلى حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسيف سبى أجود من سيفك فاقتلني به ولا تعذبني فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد باقه ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أباعلى بن صدقة إلى الوزارة وأقام نظام الدين بالمشمة التى فى المدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفى فإنه لم تطل أيامه حتى قتل على ما ذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير .

(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج) فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلد الإسلام وعظم الأمر على الناس لاسيما أهل دوبند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان وشكوا إليه ما يلحقون منهم وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار إليهم والكرج قد وصلوا إلى شىء أخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج إليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان ابن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما أتت عندنا وإن تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على رجل عظيم وهم بنية المصاف فاتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج وقفجاق اخلافا وهداوة فاقتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد إلى ممدان فوصلها فى جمادى الآخرة .

(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر) فى هذه السنة وصل جمع كثير من لوانة من الغرب إلى ديار مصر فأفسدوا فيها ونهبوها وعملوا أعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائى الذى وزير بمصر بعد الأفضل

عسكر مصر وسار إليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خرجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا إلى بلادهم وعاد المأمون إلى مصر مظفرا منصورا .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وأن يجبي ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل إن الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقي على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل بعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار علي بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر أنهما عين لديس يطالعانه بالأخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين إلى علي بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الأمير بلك عساكره وسار إلى غزة بالشام فلقبه الفرنج فاقتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالهم . وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس . وفيها في صفر توفي قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليته وكان أعدل منه وأحسن سيرة فأسقط المكوس وأحسن إلى الناس . وفيها توفي هبة الله بن الحسن ابن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبي علي الحداد الأصماني ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير في طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق إلى حصص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها فرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان أرسلان فسار إليه في جمع كثير فعاد طغتكين إلى دمشق . وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالما وفيها سار الأمير محمود بن قراجه صاحب حماة إلى حصن أرامية فهجم على الرض بغتة فأصابه سهم من القلعة في يده فاشتد ألمه فعاد إلى حماة وقلع الزجاج من يده ثم عملت عليه فسات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير إلى حماة عسكرا فملكها وصارت في جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها . (١)

(١) وفيها توفي أحمد بن محمد بن علي بن صدقة ، التغلبي ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثرًا لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لولم يكن له سواها لكفته وهي التي يقول فيها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه • فقد كاد رباها يطير بلبه
وإيا كما ذاك النسيم فإنه • متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى ، لو أحببتنا لعلتنا • محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى • يتوق ومن يعاق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه • وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوى الضلوع على جوى • متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطرت من جانب الرمل نفعة • تضمن منها داؤه دون محبه

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسة)

(ذكر قتل بلك بن بهرام بن أرتق وملك تمرناش حلب) في هذه السنة في صفر قبض بلك بن بهرام ابن أرتق صاحب حلب على الأمير حسان البعلبكي صاحب منبج وسار إليها فحصرها فملك المدينة وحضر العلة فامتعت عليه فسار الفرنج إليه ليرحلوه عنها لثلاثا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار في باقي عسكره إلى الفرنج فلقبهم وقاتلهم فكسروهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد إلى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدري من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرناش بن أيلغازي بن أرتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا إلى ظاهر حلب وتسلمها في العشرين من ربيع الأول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد إليها صاحبها حسان واستقر تمرناش بحلب واستولى عليها ثم إنه جعل فيها نائبا له يثق إليه ورتب عنده ما يحتاج إليه من جند وغيرهم وعاد إلى ماردين لأنه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعوة والرفاهة فلما عاد إلى ماردين أخذت حلب منه على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام) كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك إلى سنة ست وخمسة فكان بها وال من جهة الأفضل أمير الجيوش وزير الأمر بأحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصرها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير إلى صور فخافهم أهل صور فأرسلوا إلى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له إن أرسلت إلينا واليا وعسكراً وإلا سلنا البلد إلى الفرنج فسير إليهم عسكراً وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمدّه بعسكر وصير إليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للأمر صاحب مصر ، ولا السكة وكتب إلى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل إليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه ويطلب أن الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الأفضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهاز أسطولا وسيره إلى صور فاستقام أحوال أهلها ولم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة بعد قتل الأفضل فسير إليها أسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك أن أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الأمر بأحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والإضرار بهم فسار الأسطول فأرسي عند صور فخرج مسعود إليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد إلى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الأسطول إلى مصر وفيه الأمير مسعود فأكرم وأحسن إليه وأعيد إلى دمشق وأما الوالي من قبل المصريين فإنه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين بخدمة بالدعاء والاعتضاد وأن سبب ما فعل هو شكوى

وحتجب بين الأسنة معرض ه وفي القلب من إعراضه مثل جحفه

أغار إذا آنت في الحى أنة ه حذاراً وخوفاً أن تكون لجه

توفي في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

أهل صور من مسعود فأحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها القلة من بهام من الجند والميرة فأرسل إلى الأمر بذلك فرأى أن يرد ولاية صور إلى طغتكين صاحب دمشق فأرسل إليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج إليهم ونازلوهم في ربيع الأول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الأقوات وصتم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين إلى بانياس ليقترب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج إذا رأوا قربهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين إلى مسعود يستنجد بهم فلم ينجدوه وتمادت الأيام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الأمر على أن يسلم المدينة إليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج إلى أحد منهم ولم يبق إلا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الأولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فإنه من أحسن البلاد وأمنعها فآله يعيده إلى الإسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله .

(ذكر عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برنقش الزكوي) في هذه السنة عزل البرسقي عن شحنة العراق ووليها سعد الدولة برنقش الزكوي وسبب ذلك أن البرسقي نفر عنه المسترشد بالله فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقي عن العراق ويعيده إلى الموصل فأجابه السلطان إلى ذلك وأرسل إلى البرسقي بأمره بالعود إلى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقي الخبر شرع في جباية الأموال ووصل نائب برنقش فسلم إليه البرسقي الأمر وأرسل السلطان ولد له صغيرا مع أمه إلى البرسقي ليكون عنده فلما وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر والمواكب إلى لقائه وحملت له الإقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقي وسار إلى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقي إلى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقي إليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاثلهم في حملتهم حتى أبعدهوا إلى البر فأرسل إليه البرسقي يأمره بالحقاق به فقال لأصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد وزيد نخدمه وقد رأيت أن أسير إلى السلطان فأكون معه فأشاروا عليه بذلك فسار إليه فقدم عليه فأصهبا فأكرمه وأقطعته البصرة وأعادته إليها .

(ذكر ملك البرسقي مدينة حلب) في هذه السنة في ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك أن الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجوع ثم وصل إليهم ديبس بن صدقة صاحب الحلة فأطمعهم طمعا ثانيا لاسيما في حلب وقال لهم إن أهلها شيعة وهم يميلون إلى لأجل المذهب فتى رأوني سلموا البلد إليّ وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال إنني أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه إليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وأنهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لأجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرناش الوهن والعجز وقلت

الأقوات عندم فلما رأوا مادفعوا إليه من هذه الأسباب أهملوا الرأي في طريق يتخلصون به فرأوا أنه ليس لهم غير البرسقى صاحب الموصل فأرسلوا إليه يستنجدون ويأصلونه الجيء إليهم ليسلموا البلد إليه لجمع عساكره وقصدهم وأرسل إلى من بالبلد وهو في الطريق يقول إنني لأقدر على الوصول إليكم والفرنج يقاتلونكم إلا إذا سلمتم القلعة إلى نوابي وصار أصحابي فيها لأنني لأدري ما يقدره الله تعالى إذا أنا لقيت الفرنج فإن انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتى أحتسب أنا وعسكري بها لم يبق منا أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فأجابوه إلى ذلك وسلبوا القلعة إلى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار في العساكر التي معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فأراد من في مقدمة عسكره أن يحمل عليهم فنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخايرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به وأقام عنده حتى أصلح الأمور وقررها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة انقطعت الأمطار في العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الأقوات وغلبت الأسعار في جميع البلاد ودام إلى سنة تسع عشرة . وفيها وصل منصور بن صدقة أخو ديبس إلى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فأحضر الخليفة الأطباء وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل في حجرة وأدخل أصحابه إليه وفيها سار ديبس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فأغراه بالخليفة وأطمعه في العراق وكان ما ذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الإسماعيلية صاحب الموت وقد تقدم من أخباره ما يدل به محله من الشجاعة والرأى والتجربة . وفيها أيضا توفى داود ملك الأبخاز وشمس الدولة بن نجم الدين أيلغازي وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الإسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو مائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الواقعة . وفيها توفى أحمد بن علي بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامي لأن أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالي والشاشي .^(١)

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل وديبس بن صدقة إلى العراق وعودهما عنه) قد ذكرنا مسير ديبس بن صدقة إلى الملك طغرل من الشام فلما وصل إليه لقيه وأكرمه وأحسن إليه وجعله من أعيان خواصه وأمرائه فحين إليه ديبس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه إلى العراق فوصلوا دقوقا في عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للمسير وانهما وأمر برنقش الزكوى شحنة العراق أن يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والأمراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة

(١) وفيها توفى عبد الله بن محمد بن جعفر أبو علي الدامغانى ، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب في الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك كله ، وولى حجابة باب النوى ، ثم عزل ثم أعيد توفى في جمادى . وفيها توفى أحمد بن محمد ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الامثال ، ليس له مثله في بابيه ، له شعر جيد ، توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان ، والله سبحانه أعلم .

العساكر اثني عشر ألفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الأيام وسماء باب النصر ونزل صحراء الشامسية ونزل برنقش عند السيتي ثم سار فنزل الخالص ناسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خراسان وتفرق أصحابه في النهب والفساد ونزل هو رباط جلولا فسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل وديس إلى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الأمر بين ديبس وطغرل أن يسيرا حتى يعبرا ديبالي وتامرا ويقطعا جسر النهران ويقم ديبس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل إلى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديبالي وسار ديبس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى أن الملك طغرل لحقه حتى شديدة ونزل عليهم من المطر ماء يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار ديبس في مائة فارس وقصد معرة النهران وهو تعب سهران وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد وإذا قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والأقبية والقلائس وغيرها من الملابس وتحمل أيضا أنواع الاطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد إلى الخليفة فأخذ ديبس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر إلى الخليفة والعسكر الذين معه أن ديبسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر إلى النهران وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمي الملك طغرل وتأخره وإلا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا وأخذوا وكان السواقى مملوءة بالوحد والماء من السيل فتمزقوا ولولحقتهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة وديس وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديبالي وديس نازل غرب النهران والجسر ممدود شرق النهران فلما أبصر ديبس شمة الخليفة قبل الأرض بين يدي الخليفة وقال أنا العبد المطرود فليعف أمير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب ديبس ووقف بإزاء عسكر برنقش الزكوى يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ ديبس عائدا إلى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير في أثره وعاد إلى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم إن الملك طغرل وديسا عادا وسارا إلى السلطان سنجر فاجتازا بهمدان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وغابوا في تلك الأعمال فبلغ خبرهم السلطان محمود فجد السير إليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان إلى السلطان سنجر وشكيا إليه من الخليفة و برنقش الزكوى .

(ذكر فتح البرسقي كفرطاب وانزاهه من الفرنج) في هذه السنة جمع البرسقي عساكره وسار إلى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار إلى قلعة عزاز وهي من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فأرسلها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقبهم وضرب معهم مصافا واقتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما إلى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات إلى الموصل ليجمع

العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر قتل المأمون بن البطائحي) في هذه السنة في رمضان قبض الأمر بأحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله بن البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه وإخوته وكان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق فمات ولم يخاف شيئا فتزوجت أمه وتركته فقيرا فانصل بإنسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير فدخل مع الجمالين إلى دار الأفضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الأفضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلوا الكلام فأعجبه فسأل عنه فقبل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيراً وكان كريماً واسع الصدر قنالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع إلى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغازون في أيامه وأما سبب قتله فإنه كان قد أرسل الأمير جعفر أخا الأمر ليقتل الأمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصاً بالأمر قريباً منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الأمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديماً بقلعة دوس . وفيها قتل القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان قتله الباطنية وكان قد مضى إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذامراً وأه غزيرة وتقدم كثير في الدولة السلجوقية . وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند .

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس) في هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجي بالأندلس واستطال على المسلمين نخرج في عساكر كثيرة من الفرنج وجاس في بلاد الإسلام وخاضها حتى وصل إلى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة وقصدوه فلم يكن لهم طاقة فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصره وكبسهم ليلاً فاهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد إلى بلاده .

(ذكر قصد بلاد الإسماعيلية بخراسان) في هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهاز جيشاً إلى طريثيث وهي لهم وجيشاً إلى بهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين وسير إلى كل طرف من أعمالهم جمعاً من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة إلى الجهة التي سيرت إليها فأما القرية التي بأعمال بهق فقصدتها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ إلى طريثيث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا .

(ذكر ملك الإسماعيلية قلعة بانياس) في هذه السنة عظم أمر الإسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة منها وسبب ذلك أن بهرام ابن أخت الأسد اباضى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب

إلى الشام وصار داعي الإسماعيلية فيه وكان يتردد في البلاد ويدعو أوباش الناس وطغماهم إلى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثرت جمعه إلا أنه يخفي شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق على أيلغازي صاحبها وأراد أيلغازي أن يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لأنهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار أيلغازي على طغتكين صاحب دمشق بأن يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذته إليه فأظهر حينئذ شخصه وأعلن عداوته فكثرت أتباعه من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغيناني قصداً للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه أضعافاً مما كانوا فلولا أن عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وأنهم يشددون عليه فيما ذهب إليه لملك البلد ثم إن بهرام رأى من أهل دمشق فظاظه وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصناً يأوي إليه هو ومن اتبعه فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه فسلمت إليه فلما سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين لاسيما أهل السنة والستر والسلامة إلا أنهم لا يقدر على أن ينطقوا بحرف واحد خوفاً من سلطانهم أولاً ومن شر الإسماعيلية ثانياً ، فلم يقدم أحد على إنكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر .

﴿ ذكر قتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود ﴾ في هذه السنة ثامن ذي القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلي الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة في منامه أن عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقي ما أذاه فقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام فقال لا أترك الجمعة لشيء أبداً فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى ﴿ وكان أمر الله قديراً مقدوراً ﴾ فركب إلى الجامع على عادته وكان يصلي في الصف الأول فوثب عليه بضعة عشر نفساً عدة الكلاب التي رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكاً تركيا خيراً يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها ويصلي من الليل منهجداً حكى لي والدي رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشاً معه فكان يصلي كل ليلة كثيراً وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد ولقد رأيت في بعض ليالي الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر بيده إبريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمعنى البرد من القيام ثم إنني خفته فقممت بين يديه لأخذ الإبريق منه فمعنى وقال يامسكين ارجع إلى مكانك فإنه برد فاجتمدت لأخذ الإبريق فلم يعطني ورددني إلى مكاني ثم توضأ وقام يصلي ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فأرسل إليه أصحاب أبيه بالخبر فسار إلى الموصل ودخلها أول ذي الحجة وأحسن إلى أصحاب أبيه بها وأقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق ابن عبد الرزاق هلي وزارته وأطاعه الأمراء والأجناد وانحدر إلى خدمة السلطان محمود فأحسن إليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقبل إنهم كانوا يجلسون إلى إسكاف بدرج إيليا فأحضر ووعده بالإحسان إن أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال إنهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه إلى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب أن صاحب أنطاكية أرسل إلى عز الدين بن البرسقي يخبره بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر وكان

قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الأحوال الإسلامية ولما استقر عز الدين في الولاية قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل وهو من أكابر الأمراء وطلب منه أن يسلم ابن أخيه قلعة إربل إلى الأمير فضل وأبي علي ابني أبي الهيجاء وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن أخيه فسلم إربل إلى المذكورين .

(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود) كان قد جرى بين برنقش الزكوي شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد إلى السلطان محمود في رجب من هذه السنة وشكا إليه وحذره جانب الخليفة وأعلمه أنه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بتصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فأرسل إليه الخليفة يعرفه ما بالبلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن بسبب ديبس وإفساد عسكره فيها وأن الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والأقوات لهرب الأكره عن بلادهم ويطلب منه أن يتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيراً فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوي وأبي أن يجيب إلى التأخر وصمم العزم وسار إليها مجدداً فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمة ومن عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهراً للغضب والانتزاع عن بغداد إن تصدتها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وباع منه كل مبلغ فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العود إلى داره فأعاد الجواب أنه لا بد من عودك هذه الدفعة فإن الناس هلكت بشدة الغلاء وخراب البلاد وأنه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم وهو يشاهد أنهم فإن عاد السلطان وإلا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجيء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربي فلما حضر عيد الأضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفاً الخادم وهو من خواصه في عسكر إلى واسط لينع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقي واتصل بالسلطان فأقطعه البصرة فلما وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقي وكان عفيف بالجانب الغربي فأرسل إليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاع عنها فأبى ولم يفعل فعبه إليه عماد الدين واقتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها إليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبي وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه ووصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره إلى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس ذلك إلى السلطان فأمر بإخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يرسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجري بين العسكرين مناوشة والعامه من الجانب الغربي يسبون السلطان أخش سب ثم إن جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة إحدى وعشرين وضحج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فأقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته يالهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل

مختفين في السرايب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الأمراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الأمراء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم أوحده الزمان الطيب وقتل منهم خلق كثير في الدروب ثم سار الخليفة إلى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الأمر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة إلى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الأرض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في أعينهم وملا صدورهم وركب السلطان والعسكر إلى لقاءهم فنظروا إلى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة وخروج الأمير أبي الهيجاء من عنده أجاب إلى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه بأذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وحمل الخليفة من المال إليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بمفارقتها فرحل إلى همدان فلما وصلها عوفي .

(ذكر مصاف بين طغتكين أنابك والفرنج بالشام) في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقامصتها وكنودها وساروا إلى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها سقجا بالقرب من دمشق فعظم الأمر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أنابك صاحبها أمراء التركان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيرهم إلى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين إلى الفرنج فالتقوا أواخر ذي الحجة واقتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه نظن أصحابه أنه قتل فانهمزوا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقي التركان لم يقدرُوا أن يلاحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المهزمين وأن معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجال فقتلوه ولم يسلم منهم إلا الشريدونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم وفي جملة كنيسة فيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا إلى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالهم قتلى وأموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الأخ على أخيه وكان هذا من الغريب أن طائفتين تنهزتان كل واحدة منهما من صاحبها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة حصر الفرنج رغبة من أرض الشام وهي بيد المسلمين وضيقوا عليها

فلكرها . وفيها توفي أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الغزالي الراعظ وهو أخو الإمام أبي حامد محمد وقد ذمه أبو الفرج بن الجوزي بأشياء كثيرة منها روايته في وعظه الأحاديث التي ليست له بصحيحة والعجب أنه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشوبه بملوه منه نسأل الله أن يعيدنا من الوقعة في الناس ثم ياليت شعري أما كان للغزالي حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوي التي نسبها إليه لثلاثين ألفاً والغرض . (١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكي شحنة العراق ﴾ في هذه السنة في ربيع الآخر أسند السلطان محمود شحنة العراق إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان سبب ذلك أن عماد الدين لما أصعد من واسط في التجمل والجمع الذي ذكرناه وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام الذي عجز غيره عنه عظم في صدر السلطان وصدور أمرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح أن يلي شحنة العراق يأمن معه من الخليفة فاعتبر أمراء وأعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم في هذا الأمر مقام عماد الدين فاستشار في ذلك فكل أشار به وقالوا لا تقدر على رقع هذا الخرق وإعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي فوافق ما عنده فأسند إليه الولاية وفوضها إليه مضافة إلى ماله من الأقطاع وسار من بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق فكان الأمر كما ظن .

﴿ ذكر عود السلطان من بغداد ووزارة أنوشروان بن خالد ﴾ في هذه السنة في عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل إليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما أبعده عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم علي بن القاسم الأتسبادي في رجب لأنه اتهمه بمالأة المسترشد بالله لقيامه في أمره وإنمام الصلاح مقاما ظهر أثره فسمى به أعداؤه فلما قبض عليه أرسل السلطان إلى بغداد أحضر شرف الدين أنوشروان بن خالد وكان مقبياً بها فلما علم بذلك جاءت الهدايا من كل أحد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل إلى السلطان وهو بأصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد إلى بغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وأما الوزير أبو القاسم فإنه بقي مقبوضاً إلى أن خرج السلطان منبجراً إلى الري سنة اثنتين وعشرين فأخرجه من الحبس في ذي الحجة وأعادته إلى وزارة السلطان محمود وهي الوزارة الثانية .

﴿ ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها ﴾ في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره إليها أنه لما استقامت أموره في ولايته ورأسل السلطان محموداً وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاه من الموصل وغيرها فأجاب السلطان

(١) وفيها توفي أحمد بن علي بن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي ، تفقه على الغزالي وعلى الكيا الهراس ، وعلى الشاشي وكان بارعاً في الأصول ، وله كتاب الذخيرة في أصول الفقه وكان يعرف فنونا جيدة ، بعينها . وولي تدريس النظامية ببغداد دون شهر . وفيها توفي بهرام بن بهرام أبوشجاع البيوع ، سمع الحديث وبني مدرسة لأصحاب أحمد بكلواذي ، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها . وفيها توفي صاعد بن سيار بن محمد ابن عبد الله بن إبراهيم أبو الاعلا الإسحاق الهروي الحافظ ، أحد المتقنين ، سمع الحديث ، وتوفي بعنبرج قرية على باب هراة .

إلى ما طلب فرتب الأمور وقررها فكثرت جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام لجمع
حساكره وسار إلى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرخبة فوصل إليها ونازلها وقام يحاصرها فأخذته مرض
حاد وهو محاصر لها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها إليه ولما مات بقي دطروحا على بساط لم
يُدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فمشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده أخ له صغير واستولى
على البلاد ملوك للبرسقى يعرف بالجاولي ودبر أمر الصبي وأرسل إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد على ولد
البرسقى وبذل الأموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الأمر القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن
القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقى فحضر أدركاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا
يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جعفر الذي صار
نائباً عن أتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفتى إليه سره
نخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه أنه إنما أبقاه وأمثاله لحاجته إليهم ومتى
أجيب إلى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات
والإقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فأبه إلى ذلك وأحضره معه عند القاضي بهاء
الدين وخاطباه في هذا الأمر وضمننا له كل ما أراد فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين إلى دار
الوزير وهو حينئذ شرف الدين أنوشروان بن خالد وقال له قد علمت أنت والسلطان أن ديار الجزيرة والشام
قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على أكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردین إلى
عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقى مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر إليه يكف بهض
عاديتهم وشرمهم فذقتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهيم شجاع ذي رأى
وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد أمينا الحال لثلاث مجرى خال أووهن على الإسلام والمسلمين
فيختص اللوم بنا ويقال لم لأنهم البنا جلية الحال فرفع الوزير قولها إلى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه
وأحضرهما واستشارهما فيمن يصاح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا إلى خزانه
السلطان ما لاجيلا فأجاب السلطان إلى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فأحضره وولاه البلاد كلها وكتب
منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليلكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لأنه خاف من جاولي أنه ربما صده عن
البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها إلى الموصل فلما سمع جاولي بقربه من البلد خرج إلى تلقيه ومعه جميع
العسكر فلما رآه جاولي نزل عن فرسه وقبل الأرض بين يديه وعاد في خدمته إلى الموصل فدخلها في رمضان
وأقطع جاولي الرخبة وسيره إليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية
القلعة بالموصل وجعل إليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضي
قضاة بلاده جميعها وزاده أهلا وأقطعا واحتراما وكان لا يصدر إلا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل
سار عنها إلى جزيرة ابن عمر وبها عماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول
الكثيرة إن سلموا فلم يجيبوه إلى ذلك فجذب في قتالهم وبينه وبين البلاد دجلة فأمر الناس فالتقوا أنفسهم
في الماء ليعبروه إلى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم في السفن وبعضهم في الأكلاك وتكاثروا
على أهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة لمتنعوا من

يريد عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوه ومانعوه فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهم أهل البلد ودخلوه وتحصنوا بأسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وأيقنوا أن البلد يملك سلما أو عنوة فأرسلوا يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد إليه فدخله هو وعسكره ثم إن دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحمت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلما أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم أحد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وأيقنوا أن أمراً هذا بدايته العظيم ثم سار عن الجزيرة إلى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرناش صاحب ماردين فلما نزلها سار لحسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على أتاك زندي فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرناش إلى ماردين وأرسل رقاعا على أجنحة الطيور إلى نصيبين يعرف من بها من العسكر أنه وابن عمه سائران في العسكر الكثير اليهم وإزاحة عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام فبينما أتاك في خيمته إذ سقط طائر على خيمة تقابله فأمر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فأمر أن يكتب غيرها يقول فيها إنني قصدت ابن عمي ركن الدولة وقد وعدني النصر وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة إلى أن يصلوا وجعلها في الطائر وأرسله فدخل نصيبين فلما وقف من على الرقعة سقط في أيديهم وعلوا أنهم لا يقدر أن يحفظوا البلد هذه المدة فأرسلوا إلى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد إليه فبطل على تمرناش وداود وما كانا عزا عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها إلى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد إليه وسير منها الشحن إلى الخابور فلما جمعهم ثم سار إلى حران وهي للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحي جميعها للفرنج وأهل حران معهم في ضرر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد وأطاعوه وسلموا إليه فلما ملكها أرسل إلى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد ورأسه وهدانته مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لإصلاح البلاد وجند الأجناد وكان أهم الأور إلى أن يعبر الفرات إلى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصالح بينهم وأمن الناس . ونحن نذكر ملك حلب إن شاء الله تعالى .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتله الباطنية وكان له في قتلهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة . وفيها ولي السلطان شحنة بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار أتاك زندي إلى الموصل ، وفيها رتب الحسن بن سليمان في تدريس النظامية ببغداد وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنية في الموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس . وتوفي هذه السنة علي بن المبرك أبو الحسن المقرئ المعروف بابن الفاعوس الحنبلي ببغداد في شوال وكان صالحا . وفي شوال توفي محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني الغرضي صاحب التاريخ (١) .

(١) وفيها توفيت فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضالويه سمعت الخطيب وابن المسلة وغيرهما ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره . وفيها توفي أبو محمد عبدالله بن محمد ابن السيد البطليوسي ، ثم النيسبي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها ، جمع المثلث في مجلدين ، وزاد فيه على قطرب =

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب) في هذه السنة أول المحرم ملك عماد الدين زنكي ابن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقي لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقي سار مسعود عنها إلى الموصل وملكها واستناب بحلب أمير اسمه قومان ثم إنه ولي عليها أميراً اسمه قتلغ أبه وسيره بتوقيع إلى قومان بتسليمها فقال بين وبين عز الدين علامة لم أرها . ولا أسلم إلا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقي حسن التصوير فعاد قتلغ أبه إلى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد إلى حلب مسرعاً وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد وأطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد أن صح عنده وفاة صاحبه مسعود وأعطوه ألف دينار فتسلم قلعة القلعة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين فظهر منه بعد أيام جور شديد وظلم عظيم ومد يده إلى أموال الناس لاسياً التركات فإنه أخذها وتقرب إليه الأشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الذي كان قديماً صاحبها فأطاعه أهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ أبه وكان أكثرهم يشربون في البلد صبغة العيد وزحفوا إلى القلعة فتحصن قتلغ أبه فيها بمن معه فحسروه ووصل إلى حلب حسان صاحب منبج وحين صاحب بزاعة لإصلاح الأمر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جو سلين بعسكره إلى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب أنطاكية في جمع من الفرنج فخذق الحلبيون حول القلعة فمغ الداخل والخارج إليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذي الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير إلى حلب الأمير سنقر دراز والأمير حسن قراقوش وهما من أكابر أمراء البرسقي وقد صاروا معه في عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقلغ أبه إلى الموصل إلى عماد الدين فساروا إليه وأقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقلغ أبه إلى عماد الدين أصلح بينهما ولم يرد واحداً منهما إلى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيساني إليها في عسكر فصعد إلى القلعة ورتب الأمور وجعل فيها والياً وسار عماد الدين زنكي إلى الشام في جيوشه وعساكره فملك في طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج أهل حلب إليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب أموره وأقطع أعماله الأجناد والأمراء فلما فرغ من الذي أراد قبض على قتلغ أبه وسلبه إلى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ أبه واستوحش ابن بديع فهرب إلى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فأجاره وجعل عماد الدين في رياضة حلب أبا الحسن علي بن عبد الزراق ولولا أن الله

= شيئاً كثيراً جداً ، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذي أورده له ابن خلكان :

أخو العلم حتى خالد بعد موته ، وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ، يظن من الأحياء وهو عديم

تعالى من على المسلمين بملك أنابك بلاد الشام لملكها الفرنج لأنهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية وإذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها فيضطر الفرنج إلى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفي هذه السنة نخلالهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله فلفظ الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما بذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر قدوم السلطان سنجر إلى الري) في هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان إلى الري في جيش كثير وكان سبب ذلك أن ديبس بن صدقة لما وصل إليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ويلقى في نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى أجابه إلى المسير إلى العراق فلما ساروا وصل إلى الري وكان السلطان محمود بهمدان فأرسل إليه السلطان سنجر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على ما زعم ديبس فلما جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى همه فلما وصل إليه أمر العسكر جميعه بلفائه وأجلسه معه على التخت وبالغ في إكرامه وأقام عنده إلى منتصف ذي الحجة ثم عاد السلطان سنجر إلى خراسان وسلم ديبسا إلى السلطان محمود ووصاه بإكرامه وإعادته إلى بلده ورجع محمود إلى همدان وديبس معه ثم سارا إلى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير إلى لفته وكان قدومه ناسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير أبو الفاسم الأنساباذي قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر أمر بإطلاقه فأطلقه وقرره سنجر في وزارة ابنته التي زوجها السلطان محمود فلما وصل معه إلى بغداد أعاده محمود إلى وزارته في الرابع والعشرين من المحرم وهي وزارته الثانية .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ثامن صفر توفي أنابك طغتكين صاحب ديشق وهو مملوك الملك تنش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة في رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الملوك بوري وهو أكبر أولاده بوصية من والده له بالملك وأقر وزير أبيه أبا علي طاهر بن سعد المزدقاني هلي وزارته . وفيها مستهل رجب توفي الوزير جلال الدين أبو علي بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لأهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فنه في مدح المسترشد بالله :

وجدت الوري كالماء طعما ورقة . وأن أمير المؤمنين زلاله

وصورت معنى العقل شخصامصورا . وأن أمير المؤمنين مثاله

ولولا طريق الدين والشرع والتقى . لقلت من الإعظام جل جلاله

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين هلي بن طراد الزينبي ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بني العباس هاشمي غيره . وفيها هبت ريح شديدة أسود لها الآفاق وجاءت بتراب أحمر يشبه الرمل وظهر في السماء أعمدة كأنها نار تخاف الناس وعدلوا إلى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه (١) .

(١) وفيها توفي الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامتنى ، من أهل سمرقند ، روى الحديث وتفقه ، وكان يضرب به المثل في المناظرة ، وكان خيرا دينا على طريقة السلف ، مطرحا لتكلف أمارا بالمعروف ، قدم من عند الخاقان =

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداد ﴾ في هذه السنة في المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه ديبس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر ديبس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الإجابة إلى أن تولى ديبس شيئاً من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم أنابك زنكي أن السلطان يريد أن يولى ديبس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه إلى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به إلا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فأقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعادته إلى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزقة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله إلى حمام في داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فأقام السلطان إلى رابع جمادى الآخرة وسار عنها إلى همدان وجعل بهروز على شحنة بغداد وسلمت إليه الحلة أيضاً .

﴿ ذكر ما فعله ديبس بالعراق وعود السلطان إلى بغداد ﴾ لما رحل السلطان إلى همدان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر ديبس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر ديبس ثم إن السلطان مرض مرضاً شديداً فأخذ ديبس ابناً له صغيراً وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جنداً الأجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها ديبس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن ديبس أحضر الأميرين قزل والأحمديلي وقال أنتما ضمنتما ديبساً مني وأريده منكما فسار الأحمديلي إلى العراق إلى ديبس ليكشف شره عن البلاد ويحضره إلى السلطان فلما سمع ديبس الخبر أرسل إلى الخليفة يستعطفه ويقول إن رضيت عني فأنا أردت أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل وديبس يجمع الأموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثاء فارس ووصل الأحمديلي ببغداد في شوال وسار في أثر ديبس ثم إن السلطان سار إلى العراق فلما سمع ديبس بذلك أرسل إليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثمانمائة حصان منقولة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى به السلطان والخليفة فلم يجبه إلى ذلك ووصل السلطان إلى بغداد في ذي القعدة فلقبه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن ديبس وصوله رحل إلى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسار السلطان أثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية .

﴿ ذكر قتل الإسماعيلية بدمشق ﴾ قد ذكرنا فيما تقدم قتل إبراهيم الأسد اباذي ببغداد وهرب ابن أخته بهرام إلى الشام وملاكه قلعة بانياس ومسيره إليها ولما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدهو الناس إلى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو هدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصرانية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار إليهم بهرام سنة اثنين وعشرين وحصرهم وقائلهم فخرج إليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهمز من سلم وعادوا إلى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف

= ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة ، فقيل له ألا تحب عامك هذا ؟ فقال : لا أجمل الحج تبعاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلده لبات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

فی بانیاس رجلا من اعیان اصحابہ اسمہ اسمعیل فقام مقامہ وجمع شمل من عاد إلیہ منهم وبث دعائہ فی البلاد وعاضدہ المزدقانی ایضا وقوی نفسہ علی ما عندہ من الامتعاض ہذہ الحادئۃ والہم بسببہا ثم إن المزدقانی أقام بدمشق عوض بہرام انسانا اسمہ أبو الوفا فقوی أمرہ وعلا شأنہ وکثر أتباعہ وقام بدمشق فصار المستولی علی من بہامن المسلمین وحکمہ اکثر من حکم صاحبہا تاج الملوک ثم إن المزدقانی راسل الفرنج لیسلم إلیہم مدینۃ دمشق ویسلموا إلیہ مدینۃ صور واستقر الأمر بیہم علی ذلک وتقرر بیہم المیعاد یوم جمعہ ذکر وہ وقرر المزدقانی مع الإسماعیلیۃ أن یحناطوا ذلک الیوم بأبواب الجامع فلا یمکنون أحدا یمخرج منہ لیجی۔ الفرنج ویملکوا البلاد فبلغ الخبر تاج الملوک صاحب دمشق فا۔ تدعی المزدقانی إلیہ لحضر وخلا معہ فقتلہ تاج الملوک وعلق رأسہ علی باب القلعۃ ونادی فی البلد بقتل الباطنیۃ فقتل منهم ستۃ آلاف نفس وكان ذلک منتصف رمضان من السنۃ ، وکفی اللہ المسلمین شرم ورد علی الکافرین کیدم . ولما تمت ہذہ الحادئۃ بدمشق علی الإسماعیلیۃ خاف إسماعیل والی بانیاس أن یثور بہ ویمن معہ الناس فیملکوا فراسل الفرنج وبذل لہم تسلیم بانیاس إلیہم والانتقال إلی بلادہم فأجابوہ فسلم القلعۃ إلیہم وانتقل هو ومن معہ من أصحابہ إلی بلادہم ولقوا شدۃ وذلة وهو انا ، وتوفی إسماعیل أوائل سنۃ أربع وعشرین وکفی اللہ المؤمنین شرم .

(ذکر حصر الفرنج دمشق وانہزامہم) لما بلغ الفرنج قتل المزدقانی والإسماعیلیۃ بدمشق عظم علیہم ذلک وتأسفوا علی دمشق حیث لم یتیم ملکها وعتیم المصیبۃ فاجتمعوا کلہم صاحب القدس وصاحب أنطاکیۃ وصاحب طرابلس وغیرہم من الفرنج وقامصتہم ، ومن وصل إلیہم فی البحر للتجارۃ والزیارۃ ، فاجتمعوا فی خلق عظیم نحو النی فارس ، وأما الراجل فلا یحصی ، وساروا إلی دمشق لیحصروہا ؛ ولما سمع تاج الملوک بذلک ، جمع العرب والترکان ، فاجتمع معہم ثمانیۃ آلاف فارس ، ووصل الفرنج فی ذی الحجۃ ، فنازلوا البلد وأرسلوا إلی أعمال دمشق لجمع المیرۃ والإغارة علی البلاد فلما سمع تاج الملوک أن جمعا کثیرا قد ساروا إلی حوران لنہبہ وإحضار المیرۃ سیر أمیرا من أمرائہ یعرف بشمس الخواص فی جمع من المسلمین إلیہم وكان خروجہم فی لیلۃ شاتیۃ کثیرۃ المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوہم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بہم المسلمون وقتلوہم فلم یفلت منهم غیر مقدمہم ومعہ أربعون رجلا وأخذوا ما معہم وہی عشرۃ آلاف دابۃ موقرة وثلاثانۃ أسیر وعادوا إلی دمشق لم یبمسسہم قرح فلما علم من علیہا من الفرنج ذلک ألقى اللہ فی قلوبہم الرعب فرحلوا عنہا شبہ المنزمنین وأحرقوا ما تعذر علیہم حملہ من سلاح ومیرۃ وغیر ذلک وتبعہم المسلمون والمطر شدید والبرد عظیم یقتلون کل من تخلف منهم فکثر القتلی منهم وكان نزولہم ورحیلہم فی ذی الحجۃ من ہذہ السنۃ .

(ذکر ملک عماد الدین زنکی مدینۃ حماہ) فی ہذہ السنۃ ملک عماد الدین زنکی بن آفسنقر صاحب الموصل مدینۃ حماہ وسبب ذلک أنه عبر الفرات إلی الشام وأظهر أنه یرید جہاد الفرنج وأرسل إلی تاج الملوک بوری بن طغتكین صاحب دمشق یرستنجده ویطلب منہ المعونۃ علی جہادہم فأجاب إلی المراد وأرسل من أخذ لہ العہود والموائیق فلما وصلت التوثیقۃ جرد عسکرا من دمشق مع جماعۃ من الامراء وأرسل إلی ابنہ سورنج وهو بمدینۃ حماہ بأمرہ بالنزول إلی العسکر والمسیر معہم الی زنکی ففعل ذلک فساروا جمیعہم فوصلوا إلیہ

(۴۲ - کامل - ۸)

فأكرمهم وأحسن لقاءهم وتركهم أياماً ثم إنه قدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الأمراء المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه إلى حماة فوصل إليها وهي خالية من الجند الحماة الذابين فلما استولى عليها ورحل عنها إلى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه في عسكره وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها أن يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فأرسل إليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا انفتوا إلى قوله فأقام عليها محاصراً لها ومقاتلاً لمن فيها مدة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائداً إلى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الأمراء الدمشقيين وترددت الرسل في إطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الأمر على خمسين ألف دينار فأجاب تاج الملوك إلى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ملك بيمند صاحب أنطاكية حصن القدموس من المسلمين . وفي هذه السنة أيضاً وثب الإسماعيلية على عبداللطيف بن الحنجدي رئيس الشافعية بأصبهان فقتلوه وكان ذارياً عظيمة وتحكم كثير . وفي هذه السنة توفي الإمام أبو الفتح أحمد بن أبي نصر الميهني الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة في الخلاف وتفقه على أبي المظفر السمعاني وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس . وفيها توفي حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي الحنفي النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب .

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور) في هذه السنة في ربيع الأول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك أنه كان قد رتب فيها لما ملكها أولاً أرسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فأصابه فالج فاستناب ابنه له يعرف بنصر خان وكان شهماً شجاعاً وكان بسمرقند إنسان علوي فقيه مدرس إليه الحل والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصر خان فقتلاه ليلاً وكان أبوه محمد خان غائباً فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان فأرسل إليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوي ورئيس البلد إلى استقباله فقتل العلوي في الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان سنجر رسولاً يستدعيه ظناً منه أن ابنه لا يتم أمره مع العلوي والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فأرسل إليه يعرفه أنه قد ظفر بالعلوي والرئيس وأنه وابنه على الطاعة ويسأله العود إلى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياماً فبينما هو في الصيد إذ رأى اثني عشر رجلاً في السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فأقروا أن محمد خان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار إلى سمرقند فلما عتوه ونهب بعضها ومنع من الباقي وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بأمان بعد مدة فلما نزل إليه أكرمه وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقي عندها إلى أن توفي وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد إلى الأمير حسن تكين وعاد إلى خراسان فلم يلبث حسن تكين أن مات فملك سنجر بعده عليها محمود

ابن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل إن السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة إلى ذكره هناك .

(ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأثارب وهزيمة الفرنج) لما فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشامية حلب وأعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد إلى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا وأعدوا واستعدوا وعاد إلى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الأثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين أنطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم في ضر شديد وضيق كل يوم قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صم العزم على حصر هذا الحصن فسار إليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلبوا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئا إلا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار أصحابه فيما يفعل وكل أشار بالعود عن الحصن فإن لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يدرى على أي شيء تكون العاقبة فقال لهم إن الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وساروا في أثرنا وخرّبوا بلادنا ولا بد من لقاءهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم إليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الأمر بينهم ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وانهمز الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الأسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين إلى عسكره بالإنجاز وقال هذا أول مصاف عملائه معهم فلندقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الأرض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقبل لي إن كثيرا من العظام باق إلى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا إلى الحصن فتسلطوه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخرب عماد الدين وجهه دكا وبقي إلى الآن خرابا ثم صار منه إلى قلعة حارم وهي بالقرب من أنطاكية فحصرها وهي أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فأجابهم إلى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال وضعفت قوى الكافرين وعلبوا أن البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب وصار قصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع .

(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجى ودارا) لما فرغ من أمر الأثارب وتلك النواحي عاد إلى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرناش بن أيلغازى صاحب ماردين وابن همه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد إليهم وحصر مدينة سرجى وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا إليه فتصافوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجى فخكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار إلى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الأعمال .

(ذكر وفاة الأمر وخلافة الحافظ العلوي) في هذه السنة ثانی ذی القعدة قتل الأمر بأحكام الله أبو علی

ابن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج إلى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لأنه كان سيء السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعاً وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيدالله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهديّة بأفريقية . وهو أيضاً العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضاً . ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمه الميمون عبدالمجيد ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وإنما بويع له لينظر في الأمر نيابة حتى يكشف عن حمل إن كان للأمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائباً عنه ومولد الحافظ بعسقلان لأن أباه خرج من مصر إليها في الشدة فأقام بها فولد ابنه عبدالمجيد هناك ولما ولي استوزر أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي واستبد بالأمر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وأودعه في خزانة ولا يدخل إليه إلا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له إسم لامعنى تحته ونقل أبو علي كل ما في القصر إلى داره من الأموال وغيرها ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قتل أبو علي سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود . وفيها قتل بيمند الفرنجي صاحب أنطاكية . وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي حظائر الحطب والسوق التتشي فذهب من الناس أموال كثيرة . وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفي لصاحب دمشق تاج الملوك . وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد تولاه البديع الاضطرابي ولم يتم . وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فقال الناس منها خوف شديد وأذى عظيم . وفيها في ذي الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل إلى ساوة ووقع الإرجاف أن عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قوی وأن همه سنجر أمره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد إلى همدان فلما وصل إلى كرمانشاهان وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للإرجاف أثر فأقطعه السلطان مدينة كنجة وأعمالها وسيره إليها . وفيها كانت زلزلة عظيمة في ربيع الأول بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيراً . وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت . وفيها توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزي من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين ، فن قوله من قصيدة يصف فيها الأتراك :

في فتية من جيوش الترك ماتركت ه للرعء كراتهم صوتا ولاصيتا

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ه حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وله في الزهد : إنما هذه الحياة متاع ه والسفيه الغوى من يصطفها

مامضى فات والمؤمل غيب ه ولك الساعة التي أنت فيها

وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبد الله النحوي الشاعر المعروف

بالبارع أخو أبي الكرم بن فاخر النحوي لأمه ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وله شعر مليح فنه قوله :

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى ه فقد قنعت بطيف منك في الوسن

لاتحسبي النوم قد أوحشت أطلبه ه إلا رجاء خيال منك يؤنسني

تركنتي والهوى فرداً أغالبه ه ونام ليك عن هم يورقني

وهي طويلة . وفيها توفي هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهرواني النيسابوري ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا .

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسماية)

(ذكر أسر ديبس بن صدقة وتسليمه إلى عماد الدين زنكي) في هذه السنة في شعبان أسر تاج الملوك بوري ابن طغتكين صاحب دمشق الأمير ديبس بن صدقة صاحب الحلة وسله إلى أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب ذلك أنه لما فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام صرخد يستدعيه إليها لأن صاحبها كان خصيا فتوفي هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت أنها لا يتم لها ذلك إلا بأن تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها ديبس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فأرسلت تدعوه إلى صرخد لتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره إليه فأخذ الأدلاء معه وسار من أرض العراق إلى الشام ففضل به الأدلاء بنواحي دمشق فنزل بنام من كلب كانوا شرقي الغوطة فأخذه وحملوه إلى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكي الخبر وكان ديبس يقع فيه وينال منه فأرسل إلى تاج الملوك يطلب منه ديبسا ليسله إليه ويطلق ولده ومن معه من الأمراء المأسورين وإن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فأجاب تاج الملوك إلى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والأمراء الذين معه وأرسل تاج الملوك ديبسا فأيقن ديبس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ما ظن وأحسن إليه وحمل له الأقوات والسلاح والدواب وسائر أمتعة الخزان وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع أكبر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الأنباري وأبا بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر إلى تاج الملوك يطلب منه أن يسلم ديبسا إليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الأنباري بتسليمه إلى عماد الدين وهو في الطريق فسار إلى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكي بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فأرسل إلى طريقه من يأخذه إذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما إليه فأما ابن بشر فأهانته وجرى في حقه مكروه وأما ابن الأنباري فسجنه ثم إن المسترشد بالله شفيع فيه فأطلق ولم يزل ديبس مع زنكي حتى انحدر معه إلى العراق على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود) في هذه السنة في شوال توفي السلطان محمود بن السلطان محمد بهمدان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الأنساباذي من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المسعودي والأمير أنوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو أمير حاجب السلطان وغيرهم فأما عزيز الدين فأرسله مقبوضا عليه إلى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها وأما شيركير وولده فقتلا في جمادى الآخرة ثم إن السلطان مرض وتوفي في شوال وأقعد ولده الملك داود في السلطنة باتفاق من الوزير أبي القاسم وأتابك آقسنقر الأحمدي وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمدان وسائر بلاد الجبل ثم مكنت فلما أطمأن الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الري فأمن فيها حيث هي للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثني عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب

عليه مع القدرة قليل الطمع في أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لأصحابه عن التقاطق إلى شيء منها .
 (ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بوري بن طعنكين صاحب دمشق فجرحوه
 جرحين فبرأ أحدهما وتذسر الآخر وبقي فيه ألمه إلا أنه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه . وفيها
 توفي الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله في رجب . وفيها في شوال توفي الحسن بن سلمان
 ابن عبدالله أبو علي الفقيه الشافعي الواعظ مدرس النظامية ببغداد وأصله من الزوزان والخطيب أبو نصر أحمد
 ابن عبدالقاهر المعروف بابن الطوسي خطيب الموصل توفي في ربيع الأول وحماد بن مسلم الدباس الرحبي
 الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورأيت الشيخ أبا الفرج
 ابن الجوزي قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ أسوة بغيره من الصالحين فإن ابن الجوزي قد صنف كتابا سماه تلبس
 إبليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين وصالحهم وهبة الله بن محمد بن عبدالواحد بن الحصين الشيباني
 الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة سمع أبا علي بن المهذب وأباطال بن غيلان وغيرهما وهو راوي
 مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن علي بن الحسن أبو غالب الماوردي ولد سنة
 خمسين وأربعمئة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن أبي داود السجستاني وكان صالحا . (١)

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قتل أبي علي وزير الحافظ ووزارة يانس وموته) في هذه السنة في المحرم قتل الأفاضل أبو علي
 ابن الأفاضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ

(١) ومن توفي فيها أحمد بن محمد بن عبدالقاهر الصوفي سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان
 شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزي أنشدني :

على كل حال فاجعل الحزم عدة • تقدمها بين النوائب والدهر
 فان نلت خيراً نلته بعزيمة • وإن قصرت عنك الأمور فغن عذر

قال وأنشدني أيضاً :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا • وقت أشكو إلى مولاي ما أجد
 وقلت يا عدتي في كل نائبة • ومن عليه لكشف الضر أعتمد
 وقد مددت يدي والضر مشتمل • إليك يا خير من مدت إليه يد
 فلا تردنها يارب خائبة • فبجر جودك يروي كل من يرد

وفيها توفي الحسن بن سليمان بن عبد الله بن عبد الغني أبو علي الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر
 وكان يقول ما في الفقه منتهى ، ولا في الوعظ مبتدى . توفي فيها وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن عند
 أبي إسحاق .

وفيها توفي حماد بن مسلم الرحبي الدباس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك
 من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول : كان عربياً من العلوم الشرعية ، وإنما كان ينفق على الجهال
 وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عدوي . قال ابن الجوزي : وكان الناس
 يندرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفي في رمضان ودفن بالشونيزية .

ومنعه أن يحكم في شيء من الأمور قليل أو جليل وأخذ ما في قصر الخلافة إلى داره وأسقط من الدعاء ذكر إسماعيل الذي هو جدم وإليه تنسب الإسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق وأسقط من الأذان حتى هلى خير العمل ولم يخطب للحافظ وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم وهي (السيد الأفاضل الأجل سيد بمالك أرباب الدول والمحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ناصر إمام الحق في حال غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده مولى النعم ورافع الجور عن الأمم ومالك فضيلتى السيف والقلم أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفاضل شاهنشاه أمير الجيوش) وكان إمامى المذهب يكثر ذم الأمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين وبماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة إلى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه فكن له جماعة منهم مملوك لإفرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الإفرنجى عليه فطعنه فقتله وحزوا رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التى كان فيها ونهب الناس دار أبى على وأخذ منها مالا يحصى وركب الناس والحافظ إلى داره فأخذ مابقى فيها وحمله إلى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وأن يكون كافلا للحمل إن كان للأمر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب لجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشرف نخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فراشه فى بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود فى سفله وقيل له: متى تمت من مكانك هلكت، فكان يعالج بأن يجعل اللحم الطرى فى المحل، فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ إنه قد صلح وان تحرك هلك فركب إليه الحافظ كأنه يعود فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفى من ليلته وكان موته فى السادس والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وإنما ذكرت ألقاب أبى على تعجبا منها، ومن حماقة ذلك الرجل فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغى أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كمنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على أن تربة مصر هكذا تولد الأترى إلى فرعون يقول أنا ربكم الأعلى وإلى أشياء آخر لا تطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفى السلطان محمود بن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل وأذربيجان لولده الملك داود هلى ما ذكرناه سار الملك داود من همدان فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين إلى زنجان فأناه الخبر أن عمه السلطان مسعود قد سار من جرجان ووصل إلى تبريز واستولى عليهم فانسار الملك داود إليه وحصره بها وجرى بينهما قتال إلى صلح المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطالحا وتأخر الملك داود وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت فى طلب الخطبة فأجاب المسترشد بالله أن الحكم فى الخطبة إلى السلطان سنجر أن لا يأذن لأحد فى الخطبة فإن الخطبة ينبغى أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا، ثم إن السلطان مسعوداً كاتب همدان زنى صاحب الموصل وغيرها يستبجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم إن الملك سلجوق شاه بن السلطان محمد سار به أنابك قراجه

الساقى صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير إلى بغداد فوصل إليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد إن منعها فلم يجب إلى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوق شاه وقرابة الساقى نحو مسعود إلى أن يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوماً وليلة إلى المشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيراً من أصحابه وسار زنكي منهزماً إلى تكريت فغير فيها دجلة وكان المزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فأقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار إلى بلاده لإصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سبباً لا اتصاله به والمصير في جملة حتى آل بهم الأمر إلى ملك دصر والشام وغيرهما على ما ذكره وأما السلطان مسعود فإنه سار من العباسية إلى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ، ثم لم تنزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوق شاه يومين وأرسل سلجوق شاه إلى قرابة يستحثه على المبادرة ، فعاد سريعاً وعبر دجلة إلى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بأنه زام عماد الدين زنكي رجع إلى ماورائه وأرسل إلى الخليفة يعرفه ووصول السلطان سنجر إلى الري وأنه عازم على قصد الخليفة وغيره وإن رأيتم أن تنفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لو كبل الخليفة فأنا موافق على ذلك فأعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل في الصلح فاصطلحوا على أن يكون العراق لو كبل الخليفة وتكون السلطنة ويكون سلجوق شاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود إلى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوق شاه في دار الشحنة وكان اجتماعهم في جمادى الأولى .

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر) لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر إلى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل بن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل إلى الري ثم سار منها إلى همدان فوصل الخبر إلى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله إلى همدان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وأن يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قرابة الساقى والسلطان مسعود وسلجوق شاه نحو السلطان سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فأرسل إلى قرابة وألزمه وقال إن الذي نخاف من سنجر آجلاً أنا ففعله عاجلاً فبرز حينئذ وسار على تريت وتوقف إلى أن بلغ إلى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الأخبار بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة إلى قريب بغداد فأما دبيس فإنه ذكر أن السلطان سنجر أقطعته الحلة وأرسل إلى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من إجابته إلى ذلك وأما عماد الدين زنكي فإنه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنة بغيره فغاد المسترشد بالله إلى بغداد وأمر أهلها بالاستعداد للدفاع عنها وجنداً جناداً جعلهم معهم ، ثم إن السلطان مسعود وصل إلى دامرج فلقبهم طلائع السلطان سنجر في خاق كثير فتأخر السلطان مسعود إلى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر في أسد أباد في مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوق شاه إلى جبلين يقال لهما كار وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنگور فلما سمع بانحرافهم أسرع في طلبهم فرجعوا إلى ماورائهم مسيرة أربعة أيام في يوم وإيلة ، فالنقى العسكران يعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظاراً لقدم المسترشد ، فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بداً من المصافى وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماح وأهـر أميران وعلى ميسرته خوارزم شاه أسد بن محمد مع جمع من الأمراء وجعل مسعوداً على ميمنة قرابة الساقى والأمير قزل وعلى

میسرتہ یرنقش بازدار و یوسف جاوش و غیرہما و کان قزل قد واطا سنجر علی الانہزام و وقعت الحرب و قامت علی ساق و کان یوما مشہودا فحمل قراچة الساقی علی القلب و فیہ السلطان سنجر فی عشرة آلاف فارس من شجعمان العسکر و بین یدیه الفیلة فلما حمل قراچة علی القلب رجع الملك طغرل و خوارزمشاہ إلی وراء ظهرہ فصار قراچة فی الوسط فقاتل إلی أن جرح عدة جرحات و قتل کثیر من أصحابہ و أخذ هو أسیرا و بہ جرحات کثیرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم و سلم من المعركة و قتل یوسف جاوش و حسین أربک و ہما من أکبر الأمراء و كانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة علی مسعود نزل سنجر و أحصر قراچة فلما حضر قراچة سبہ و قال یا منسدد أى شیء کنت ترجو بقنالی قال کنت أرجو أن أقتلك و أقیم سلطانا أحکم علیہ فقتله صبرا و أرسل إلی السلطان مسعود یستدعیہ فحضر عنده و کان قد بلغ خروج فلما رآه قبله و أکرمه و عاتبه علی العصیان علیہ و مخالفته و أعاده إلی کنجة و أجلس الملك طغرل ابن أخیه محمد فی السلطنة و خطب له فی جمیع البلاد و جعل فی وزارته أبا القاسم الأتساباذی وزیر السلطان محمود و عاد إلی خراسان فوصل إلی نيسابور فی العشرين من رمضان سنة ست و عشرين و أما المسترشد بالله فکان منه ما نذکره .

(ذکر مسیر عماد الدین زنکی إلی بغداد و انہزامه) لما سار المسترشد بالله من بغداد و بلغه انہزام السلطان مسعود عزم علی العود إلی بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدین زنکی إلی بغداد و معه دبیس بن صدقة و کان السلطان سنجر قد کاتبهما و أمرهما بقصد العراق و الاستیلاء علیہ فلما علم الخلیفة بذلك أسرع العود إلیها و عبر إلی الجانب الغربی و سار فزل بالعباسیة و نزل عماد الدین بالمناریة من دجیل و التقیا بمحصن البرامکة سابع عشری رجب فابتدأ زنکی فحمل علی میمنة الخلیفة و ہما جمال الدولة إقبال فانہزموا منه و حمل نظر الخادم من میسرة الخلیفة علی میمنة عماد الدین و دبیس و حمل الخلیفة بنفسه و اشتد القتال فانہزم دبیس و أراد عماد الدین الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانہزم ایضا و قتل من العسکر جماعہ و أسر جماعہ و بات الخلیفة هناك لیلته و عاد من الغد إلی بغداد .

(ذکر حال دبیس بعد الهزيمة) و فیہا عاد دبیس بعد انہزامه المذکور یلوذ ببلاد الحلة و تلك النواحي و جمع جمعا و كانت تلك الولاية بیید إقبال المسترشدی فأمد بعسکر من بغداد فالتقی هو و دبیس فانہزم دبیس و اختفی فی أجمة هناك و بقی ثلاثة أيام لم یطعم شیئا و لم یقدر علی التخلص منها حتی أخرجه حماس علی ظهرہ ثم جمع جمعا و قصد واسط و انضم إلیہ عسکرها و بختیار و شاق و ابن أبی الجبر و لم یزل فیہا إلی أن دخلت سنة سبع و عشرين فنفذ إلیہم یرنقش بازدار و إقبال الخادم المسترشدی فی عسکر فاقتلوا فی الماء و البر فانہزم الواسطیون و دبیس و أسر بختیار و شاق و غیرہ من الأمراء .

(ذکر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق) فی هذه السنة فی رجب توفي تاج الملوك بوری بن طغتكین صاحب دمشق و سبب موته أن الجرح الذى کان به من الباطنیة و قد ذکرناه اشتد علیہ الآن و أضعفه و أسقط قوته فتوفي فی الحادى و العشرين من رجب و وصى بالملك بعده لولده شمس الملوك إسمعیل و وصى بمدينة بعلبک و أعمالها لولده شمس الدولة محمد و کان بوری کثیر الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبیه و فاق علیہ و کان ممدحا أكثر الشعراء مدائمه لاسیما ابن الخياط و ملک بعده ابنه شمس الملوك و قام بتدبیر الأمرین بیدیه الحاجب یوسف بن فیروز شحنة دمشق و هو حاجب أبیه و اعتمد علیہ و ابتدأ أمره بالرفق بالرحیة و الإحسان إلیہم فکثر الدعاء له و القصد علیہ

(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك) في هذه السنة ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك أنهما كانا لأبيه تاج الملوك وفي كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه أن أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلها واستمالها إليه فسلبها الحصنين إليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب أن يعيدهما إليه فلم يفعل فأغضى على ذلك ونجهز من غير أن يعلم أحدا وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة إلا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا لنصب منحنيق ولا غيره فطلبوا الأمان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار إلى حصن راس فبغتهم وجرى الأمر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل إلى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج إليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فلك البلد بعد قتال شديد وفنلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الأمر أرسل يبذل الطاعة ويسأل أن يقر على ما يده وجعله أبوه باسمه فأجابه إلى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك إلى دمشق وقد استقامت له الأمور .

(ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود) في هذه السنة في رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها أن السلطان سنجر أجلس الملك طغرل في السلطنة كما ذكرناه وطاد إلى خراسان لأنه بلغه أن صاحب ماوراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر إلى العود لتلافي ذلك الخرق فلما عاد إلى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع المساكر بأذربيجان وبلاد كنجة وسار إلى همدان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همدان وخرج إليه طغرل وهبى كل واحد منه أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل بن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود برنقش الزكوى ولم يقاتل فلما رأى التركان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف في عسكر داود ، فلما رأى أنابكه آق سنقر الأحمدى ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوى وعلى جماعة من الأمراء وأما الملك داود فإنه لما انهزم بقي متحيرا إلى أوائل ذى القعدة فقدم بغداد ومعه أنابكه آق سنقر الأحمدى فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن طراد الزينبي واستوزر أنوشروان بن خالد بعد أن امتنع وسأل الإقالة . وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفى السلطان محمود الملقب بلعزير بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين . وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفراء الخنبلى ، وولده في شعبان في سنة إحدى وخمسين وأربعمئة وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر وابن الحسين بن المهدي وغيرهما وتفقه ، قتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله . وفي جمادى الأولى توفي أحمد بن عبيد الله بن كادش أبو العز العكبرى وكان محدثا مكثرا . وتوفي فيها أبو الفضل عبيد الله بن المغيرة بن رئيس الرؤساء ، وكان أديبا وله شعر حسن ، فنه ما كتبه إلى جلال الدين بن صدقة الوزير .

أمولانا جلال الدين يامن • أذكركه بخدمتي القديمة
لم تك قد عزمت على اصطناعي • فاذا صد عن تلك العزيمة

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك بانياس) في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار إلى شمس الملوك فرأى في إعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الأنفة من هذه الحالة والغيظ على أن جمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أو آخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتله لساعته وزحف إليه زحفًا متتابعًا وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا إلى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج إلى الحصن وتمحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج وأسر كثيرا ونهبت الأموال وقاتل القامة قتالا شديدا ليلا ونهارا فلما رابع صفر بالآمان وعاد إلى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فإنهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسرون إليه فأنهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه .

(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج) في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالاته ورجالاته إلى أطراف أعمال حلب فتوجه إليه الأمير أسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف إليه كثير من التركان فاقتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهمزم المسلمون إلى حلب وتردد ملك الفرنج في أعمال حلب فعاد أسوار وخرج إليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم والأمر فعاد من سلم منهزما إلى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الأسرى ورؤوس القتلى وكان يوما مشهودا ثم إن طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم أسوار فخرج إليهم هو والأمير حسان البعلبكي فأوقعوا بهم وقتلوا عن آخرهم في بلد الشمال وأسروا من لم يقتل ورجعوا إلى حلب سالمين .

(ذكر عود السلطان مسعود إلى السلطنة وانهمزام الملك طغرل) قد تقدم ذكر انهمزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وهو دة إلى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وأنه تحارب هو والملك داود ابن أخيه محمود وانهمزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعود انهمزام داود وقصده بغداد سار هو إلى بغداد أيضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة وغاطب في الخطبة له فأجيب إلى ذلك وخطب له ولد داود بعده وخلع عليهما ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربيجان وأن يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا إلى مراغة حمل آقسنقر الأحديلي مالا كثيرا وإقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان وانهمزم من بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتمحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فتصدعهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهمزم الباقون ثم سار بعد ذلك إلى همدان لمحاربة أخيه الملك طغرل ، فلما سمع طغرل

بقربه برز إلى لقائه فاقتلوا إلى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الري واستولى السلطان مسعود على همدان في شعبان ولما استقر مسعود بهمدان قتل آقسنقر الأحمد بلى قتله الباطنية فقبيل إن السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم إن طغرل لما بلغ قم عاد إلى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار إليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل أن أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم إلى بلاد فارس واحتوى مسعود على أصبهان وفرح أهلها به وسار من أصبهان نحو فارس يقتص أثر أخيه طغرل فوصل إلى موضع بقرب البيضاء فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمئة فارس فأمنه فخاف طغرل من عسكره أن ينحازوا إلى أخيه فانهزم من بين يديه وقصد الري في رمضان وقتل وزيره أبا القاسم الأنساباذي في الطريق . وفي شوال قتله غلبان الأمير شيركير الذي سعى في قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكر اور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره في أرض قد نضب عنها الماء وهي وحل فأسر منهم جماعة من الأمراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فأطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل في هذا المصاف إلا نفر يسير ورجع السلطان مسعود إلى همدان .

(ذكر حصر المسترشد بالله الموصل) في هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل في العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصة الشهيد زنكي ببغداد على ما ذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الأمراء السلجوقية باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجوقية بالخلف الواقع بينهم فأرسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الإسفرايني الواعظ إلى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة زادها أبا الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكي وأهانته ولقيه بما يكره فأرسل المسترشد بالله إلى السلطان مسعود يرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعلمه أنه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الأيام إلى شعبان فسار عن بغداد في النصف منه في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها أتاك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جقردز دارها والحاكم في دولته وأمرهم بحفظها ونازلها الخليفة وقائلها وضيق على من بها وأما عماد الدين فإنه سار إلى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر بأحد من العسكر أخذه ونكل به وضائق الأمور بالعسكر أيضا وتواطأ جماعة من الخصاصين بالموصل دلى تسليم البلد فسعى بهم فأخذوا وصلبوا وبقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظهر منها بشيء ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا إلى بغداد فقيل إن نصر الخادم وصل إليه من عسكر السلطان وأبلغه عن عسكر السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده إلى بغداد وقيل بلغه إن السلطان مسعودا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وإنه رحل عنها منحدراني شبارة في دجلة فوصل إلى بغداد يوم عرفة .

(ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة) وفي هذه السنة أيضا في شوال ملك شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهي لأتابك زنكي بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانيس أقام بدهشق إلى شهر رمضان من هذه السنة وسار إلى حماة في العشر الأخير منه وسبب طمعه أنه بلغه أن المسترشد بالله يريد أن يحصر الموصل فطمع وكان الوالي بجماه قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق أحد من أصحاب شمس الملوك إلا وأشار عليه بترك قصد حماة لقوة صاحبها فلم يسمع

منهم وسار إليها وحضر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف إليها من وقته فتحصنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر إليهم وزحف إلى البلاد من جوانبه فملكه قهراً وعنوة وطلب من به الأمان فأمّنهم وحصر القلعة ولم تكن في الحصانة والدلو على ما هي اليوم فإن تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا في سنين كثيرة فلما حصرها عجز الوالي بها عن حفظها فسلّمها إليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك وسار منها إلى قلعة شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله إليه فعاد عنه إلى دمشق فوصل إليها في ذي القعدة من السنة المذكورة .

(ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجي) وفي هذه السنة عبر إلى الشام جمع كثير من التركان من بلاد الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيراً فخرج القمصع صاحب طرابلس في جموعه فأنزاح التركان من بين يديه فتبعهم فعادوا إليه وقاتلوه فهزموه وأكثروا القتل في عسكره ومضى هو ومن سلم معه إلى قلعة بعين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركان فحصرهم التركان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارساً من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا إلى طرابلس وترك الباقين في بعين يحفظونها فلما وصل إلى طرابلس كاتب الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركان ليرحلهم عن بعين فلما سمع التركان بذلك تصدوهم والتقوم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حمية إلى رفية فتعذر على التركان اللحاق بهم إلى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة اشترى الإسماعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن همرون وصعدوا إليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم يكرهون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضاً ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة . وفيها في جمادى الآخرة أغار الأمير سوار مقدم عسكر زنكي بحلب على ولاية تل باشرفغتم الكثير فخرج إليه الفرنج في جموع كثيرة فقاتلوه نظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو ألف قتيل وعاد سالمًا . وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض بمالك جده طغديكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئاً وتكاثر عليه بمالك شمس الملوك فأخذوه وقرر ما الذي حمله على ما فعل فقال أردت إراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة أنهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه . وفيها توفي الشيخ أبو الوفاء الفارسي وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد . وفيها في رجب توفي القاضي أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي الفقيه الشافعي قاضي الكرخ وتفقه على أبي إسحق وأبي نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريباً من الخليفة يؤدب أولاده . وتوفي أبو الحسين علي بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغوني الفقيه الحنبلي الواعظ وكان ذا فنون توفي في المحرم . وتوفي علي بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروي كان واعظاً وله بحراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ومحمد بن أحمد بن علي أبو عبد الله الحراني وهو من أولاد محمد بن هبة بن عمرو بن عثمان بن هفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه أصله من مكة وهو من أهل نابلس وكان مغالياً في مذهب الأشعري وكان يعظ توفي في صفر وفيها توفي أبو فليحة أمير مكة وولي الإمارة بعده ابنه القاسم وفيها توفي العزيز بن هبة بن علي الشريف العلوي الحسيني فجأة بنيسابور وكان جده نقيب النقباء

بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بأمر آخرته . وفيها توفي قاضي قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعدة وكان خيرا صالحا . (١)

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك شقيق تيرون ونهبه بلد الفرنج) في هذه السنة في المحرم سار شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق منها إلى شقيق تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج محتسب على كل طائفة بالآخرين فسار شمس الملوك إليه في هذه السنة وأخذه منه في المحرم وعظم أخذه على الفرنج لأن الضحاك كان لا يعترض إلى شيء من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا إلى بلد حوران فغربوا أمهات البلد ونهبوا أما كنهم نهبية وكان شمس الملوك لما رأهم يجمعون جمع هو أيضا وحشدوا وحضر عنده جمع كثير من التركان وغيرهم فنزل بإزاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة أيام ثم إن شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقي قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلادهم طبرية والناصرية وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرّب وأحرق وسبى النساء والذرية وامتلات أيدي من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فأنزعجوا ورحلوا في الحال لا يلوى أخ على أخيه وطلبوا بلادهم وأما شمس الملوك فإنه عاد إلى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا فقتل في أعضادهم وتفرقوا وراسلوا في تجديد الهدنة فهادتهم شمس الملوك في ذي القعدة للسنة .

(ذكر عود الملك طغرل إلى الجبل وانهزام الملك مسعود) في هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها وأجلى عنها أخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك أن مسعودا لما عاد من حرب أخيه طغرل بلغه عصيان داود ابن أخيه السلطان محمود بأذربيجان فسار إليه وحصره بقلعة روتزرو وكان فتحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من أمرائه من كان قد استماله طغرل فبقى في قلة من العسكر فولى منهزما وأواخر رمضان وأرسل إلى المسترشد باق في التندوم لبغداد فأذن له وكان نائبه بأصفهان البقش السلاحي ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام مسعود قصد بغداد أيضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فأكرمه الخليفة وأنفذ إليه عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود

(١) وفيها توفي محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الاخيار ، توفي في صفر منها وفيها توفي أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ، أنشد له ابن خلكان أشعارا رائعة فنما قوله :

قم هاتها من كف ذات الوشاح • فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر إلى اللذات واركب لها • سوابق اللهور ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحا • ريق الغواصي من ثغور الأقاح

ومن جملة معانيه النادرة :

زادت على كحل الجفون تكحلا • وتسم نصل السهم وهو قتول

بغداد وأكثر أصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقى في طريقه شدة فأرسل إليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الأموال والياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمدان .
 (ذكر حصر أتاك زنكي آمد وملكه قلعة الصور) في هذه السنة اجتمع أتاك زنكي وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد ؛ فحصرها ، فأرسل صاحبها إلى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلها عنها فالتقوا على باب آمد وتضافوا في جمادى الآخرة فاقتلوا فانهزم داود وعاد مفلولا وقتل جماعة من عسكره وأقام زنكي وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم عاد عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكي قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فللكها في رجب من هذه السنة واتصل به ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثي فاستوزره زنكي وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير .

(ذكر ملك زنكي قلاع الأكراد الحميدية) في هذه السنة استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الأكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرها وكان لما ملك الموصل أقر صاحبها الأمير عيسى الحميدي على ولايتها وأعمالها ولم يعترضه على شيء مما هو بيده فلما حضر المسترشد إلى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجميع الأكراد عنده فأكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل أمر زنكي أن تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتت قتالا شديداً إلى أن ملكت هذه السنة فاطمان إذاً أهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فإنهم كانوا معهم في ضائقة كبيرة من نهب أموالهم وخراب البلاد .

(ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشي) وحكى عن بعض العلماء من الأكراد بمن له معرفة بأحوالهم أن أتاك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلام عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة أشب والجزيرة ونوشى فأرسل إلى أتاك زنكي من استخلفه له وحمل إليه مالا وحضر عند زنكي بالموصل فبقي مدة ثم مات فدفن بتل توفة ، ولما سار عن أشب إلى الموصل أخرج ولده أحمد بن أبي الهيجاء منها خوفاً أن يتغلب عليها وأعطاه قلعة نوشى ، وأحمد هذا هو والد علي بن أحمد المعروف بالمشطوب من أكابر أمراء صلاح الدين بن أيوب بالشام ولما أخرج أبوه من أشب استتاب بها كرديا يقال له باو الأرجى ، فلما مات أبو الهيجاء سار ولده أحمد من نوشى إلى أشب ليملكها فنهه باو وأراد حفظها لولد صغير لأبي الهيجاء اسمه علي فسار زنكي بعسكره فنزل على أشب وملكها وسبب ملكها أن أهلها نزلوا كلهم إلى القتال فتركهم زنكي حتى قاربوه واستجروا حتى أبعثوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا فوضع السيف فيهم فأكثر القتل والأسر ، وملك زنكي القلعة في الحال وأحضر جماعة من مقدمى الأكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها إلى الموصل ثم سار عنها ، فني غيبته أرسل نصير الدين جقر نائب زنكي وخرّب أشب وخلي كهيجة ونوشى وقلعة الجلاب وهي قلعة العمادية وأرسل إلى قلعة الشعباني وفرح وكوش والزعفران والتي وسرورة وهي حصون المهرانية فحصرها فلك الجميع واستقام أمر الجبل والزوزان ، وأمنت الرعايا من الأكراد ، وأما باقى الهكارية جبل صور وهرور والملاسى وما برما وبابوخلو باكزا ونسباس فإن قراجا صاحب العمادية فتحها من مدة طويلة بعد قتل زنكي وهذا قراجا كان أميراً قد أقطعه زين الدين على بلد الهكارية بعد قتل زنكي ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته ههنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الأكراد وخالف فيه فقال إن زنكي لما فتح قلعة أشب وخرّبها وبني قلعة

العمادية ولم يبق في الهكارية إلا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لها شوكة يخاف منها عاد إلى الموصل فخافه أصحاب القلاع الجبلية فاتفق أن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم صاحب الرية وألتي وفرح وغيرها توفي وملكها بعده ولده علي وكانت والدته خديجة بنت الحسن أخت إبراهيم وعيسى وهما من الأمراء مع زنكي وكانا بالموصل فأرسلها ولدها علي إلى أخويها وطلب إليه الأمان من زنكي وحلفاه له ففعل ونزل إلى خدمة زنكي وأقره على قلاعه واشتغل زنكي بفتح قلاع الهكارية وكان الشعباني بيد أمير من المهرانية اسمه الحسن بن هر فأخذه منه وقربه منه لكبره وقلة أهمله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الرية وغيرها فحسن لزنكي القبض عليه فأذن له في ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكي على قبضه فأرسل إلى نصير الدين أن يطلقه فرآه قد مات قيل إن نصير الدين قتله ثم أرسل العسكر إلى قلعة الرية فنزلوها بغتة فملكوها في ساعة وأمروا كل من بها من ولد علي وإخوته وأخوانه وكانت والدته علي خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكي الخبر بفتح الرية سره وأمر أن تسير العساكر إلى باقي القلاع التي لعل فساتر العساكر فحصروها فأرأوها منيعة فراسلهم زنكي ووعدهم بالإحسان فأجابوه إلى التسليم على شرط أن يطلق كل من في السجن منهم فلم يجبههم إلى ذلك إلا أن يسلموا أيضا قلعة كواشي فضت خديجة والدته علي إلى صاحب كواشي واسمه خول وهرون وهو من المهرانية فسأله النزول عن كواشي فأجابها إلى ذلك وتسلم زنكي القلاع وأطلق الأسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل عن مثل كواشي لقول امرأة فيما أن يكون أعظم الناس مروءة لا يرد من دخل بيته وإما أن يكون أقل الناس عقلا واستقامت ولاية الجبال .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة أوقع الدانشمذ صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم وفيها اصطالح الخليفة وأتابك زنكي . وفيها في ربيع الأول عزل أنوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة . وفيها توفيت أم المسترشد بالله وفيها سير المسترشد عسكر إلى تكريت يحصروا مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر السنجرية مع الأمير أرغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهي للإسماعيلية وضيقوا على أهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الأقوات فأصاب أهلها تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت أمارات الفتح رحل الأمير أرغش فقبل إنهم حملوا إليه مالا كثيرا وأعلقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفي الأمير سليمان بن مهارش العقيلي أمير بني عقيل وولي الإمارة بعده أولاده مع صغر سنهم وطيف بهم في بغداد رعاية لحق جدهم مهارش فإنه هو الذي كان الخليفة القائم بأمر الله عنده لما فعل به البساسيري ما ذكرنا . وفيها توفي الفقيه أبو علي الحسن بن إبراهيم بن هر هون الشافعي الفارقي ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي عبد الله الكازروني فلما توفي الكازروني انحدر إلى بغداد وتفقه على أبي إسحق الشيرازي وأبي نصر الصباغ وولي القضاء بواسط وكان خيرا فاضلا لا يوارى ولا يجاني أحدا في الحكم . وفيها توفي عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن وأبو محمد بن أبي بكر الفقيه الشافعي تفقه على أبيه وكان يمظ ويكثر في كلامه من التجانس فن ذلك قوله أين القدود العالية والحدود الوردية مثلت بها والله العافية والوردية وهما مقبرتان بنهر معلى ومن شعره :

الدمع دما يسيل من أجفاني . إن عشت مع البكا فاجفاني
سجني شجني وهمني سمان . العاذل بالسلام قد سمان

والذكر لم يزيد في أشجاني • والنوح مع الحمام قد أشجاني
صاقت ببعاد منيتي أعطاني • والبين يد الهموم قد أعطاني

وفيهما توفي ابن أبي الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلًا :

لي صديق عجبت كيف استطاعت • هذه الأرض والجبال تقله
أما أرعاه مكرما وبقلي • منه ما يتلف الجبال أقله
هو مثل المشيب أكره رؤيا • ولكن أصونه وأجله

وله أيضا :

سباد صغار الناس من عصرنا • لا دام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم أن ينقضى • صار به البيدق فرزانا

وفيهما توفي محمد بن علي بن عبد الوهاب أبو رشيد الفقيه الشافعي من أهل طبرستان وسمع الحديث أيضا
ورواه وكان زاهدا عابدا أقام بالجزيرة وهي جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد إلى
آهل وقبره بها .

*(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة) *

(ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل) قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود إلى بغداد منهزما
من أخيه الملك طغرل وأن الخليفة أكرمه وحمل إليه ما يحتاج إليه مثله وأمره بالمسير إلى همدان وجمع العساكر
ومنازعة أخيه طغرل في السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الأيام والخليفة يحثه على ذلك ووعدته أن
يسير معه بنفسه وأمر أن يبرز خيامه إلى باب الخليفة وكان قد اتصل الأمير البقش السلاحى وغيره من الأمراء
بالخليفة وطلبوا خدمته فأجابهم وصاروا معه واتفق أن إنسانا أخذ فوجد معه ملطقات من طغرل إلى هؤلاء
الأمراء بالاقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من
الأمراء الذين مع الخليفة فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة إليه في إعادتهم إليه فلم يفعل
واحتج بأشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة أوجبت تأخره عن المسير معه وأرسل إليه
يلزمه بالمسير معه. أمرا جزما فبينما الأمر على هذا إذ جاءه الخبر بوفاة أخيه طغرل وكانت وفاته في المحرم
من هذه السنة وكان ولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم ، وكان خيرا عادلا قريبا إلى الرعية محسنا إليهم
وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال أخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بخيرنا للمسلمين
ولمّا توفي ووصل الخبر إلى مسعود سار من ساعته نحو همدان وأقبلت العساكر جميعها إليه واستوزر شرف
الدين أنو شروان بن خالد وكان قد خرج صحبته هو وأهله ووصل مسعود إلى همدان واستولى عليها
وأطاعته البلاد جميعها وأهلها .

(ذكر قتل شمس الملوك حوملك أخيه) في هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل
ابن تاج الملوك بوري بن طغديكين صاحب دمشق وسبب قتله أنه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال
وغيرهم في أعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الأموال وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس بحيث أنه لا يأنف

(٤٤ - كامل - ٨)

ذكر حصر أتابك زنكي دمشق

من أخذ الشيء الحقيق بالعدوان إلى غير ذلك من الأخلاق الدنيئة وكرهه أهله وأصحابه ورهيته ثم إنه ظهر عنه أنه كاتب عماد الدين زنكي أنه يسلم إليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول وأخلى المدينة من الذخائر والأموال ونقل الجميع إلى صوبه وتابع الرسل إلى زنكي يحثه على الوصول إليه ، ويقول له إن أهملت الحجى سلبت البلد إلى الفرنج فسار زنكي فظهر الخبر بذلك فامتعض أصحاب أيه وجده وأفلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها وأشفتت منه ووعدهم بالراحة من هذا الأمر ثم لأنها ارتقت الفرصة في الخلوة من غلباه فلما رآته على ذلك أمرت غلمانها بقتله فقتل وأمرت بإلقائه على موضع في الدار ليشاهده غلباه وأصحابه فلما رأوه قتيلا سروا مصرعه وبالراحة من شره ، وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسة و قيل كان حبيب قتله أن والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز ، وكان متمكنا منه ما كنا في دولته ثم في دولة شمس الملوك بعده فاتهم بأم شمس الملوك ووصل الخبر إليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه إلى تدمر وتحصن بها وأظهر الطاعة لشمس الملوك ؛ فأراد قتل أمه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله أعلم . ولما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده ؛ والله أعلم .

(ذكر حصر أتابك زنكي دمشق) في هذه السنة حصر أتابك زنكي دمشق ونازلها أول جمادى الأولى وسببه ما ذكرنا من إرسال شمس الملوك صاحبها إليه واستدعائه ليسلمها إليه فلما وصلت كتبه ورسله سار إليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما عبر الفرات أرسل إليه رسلا في تقرير قواعد التسليم فأرأوا الأمر قد فات إلا أنهم أكرموا وأحسن إليهم وأعيدوا بأجل هيئة وعرفوا زنكي بقتل شمس الملوك وأن القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والسكامة متفقة على طاعته فلم يحفل زنكي بهذا الجواب وسار إلى دمشق فنازلها وأجفل أهل السواد إليها واجتمعوا فيها على محاربتة ونزل أولا شمالها ثم انتقل إلى ميدان الحصى وزحف وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربتة وقام معين الدين أنزى بملوك جده طغديكين في هذه الحادثة بدمشق قياما مشهورا وظهر من معرفته بأمور الحصار والقتال وكفايته ما لم ير وما كان سبب تقدمه واستيلائه على الأمور بأسرها - على ما نذكر إن شاء الله تعالى - فبينما هو يحاصرهما وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو أبو بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر بخلع أتابك زنكي ويأمره بصلح صاحب دمشق الملك ألب أرسلان محمود الذي مع أتابك زنكي فرحل عنها لليلتين مضين من جمادى الأولى من السنة المذكورة .

(ذكر قتل حسن بن الحافظ) قد ذكرنا سنة ست وعشرين وخمسة أن الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقي إلى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك أنه كان جريئا على سفك الدماء وكان في نفس الحافظ على الأمراء الذين أعانوا أبا علي بن الأفضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه ، فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الأمر جميعه ، واستبد به ولم يبق لآبيه معه حكم وقتل من الأمراء المصريين ومن أعيان البلاد جمعا حتى قيل إنه قتل في ليلة واحدة أربعين أميرا فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الأكبر لجمع الجوع وحشد من الرجال خلقا كثيرا وتقدم إلى القاهرة ليقاتل حسنا ويخرجه منها فأرسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهمز الخادم وقتل الرجال

الذين معه وعبر الباقون إلى الجزيرة فاستكان الحافظ فصر تحت الحجر ثم إن الباقين من الأمراء المصريين اجتمعوا وانفقوا على قتل حسن وأرسلوا إلى أبيه الحافظ وقالوا له إما أنك تسلم ابنك إلينا لنقتله أو نقتلكما جميعا فاستدعى ولده إليه واحتاط عليه وأرسل إلى الأمراء بذلك فقالوا لا نرضى إلا بقتله فرأى أنه إن سلمه إليهم طمعوا فيه وليس إلى إبقائه سبيل فأحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليوت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لأعرف غير النعوق وماء الشعير وما شاكل هذا من الأدوية فقال أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئا فأحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فأرسل الحافظ إلى الجند يقول لهم إنه قد مات فقالوا نريد ننظر إليه فأحضر بعضهم عنده فرأوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا أسافل رجله فلم يجر منها دم فعدوا موته ودفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع مالك من الإناعام والجامكية باق عليك وأحضر اليهودى وقال اعلم أنك تعرف ما طلبته منك ولكنك عاقل فتقم في القصر عندنا وكان حسن سبي السيرة ظالما جريئا على سفك الدماء، وأخذ الأموال، فهجاه الشعراء، فمن ذلك ما قال المعتمد بن الأنصارى صاحب الترسل المشهور:

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا • ولم تر الحق في دنيا ولا دين

قتل النفوس بلا جرم ولا سبب • والجور في أخذ أموال المساكين

لقد جمعت بلا علم ولا أدب • تيه الملوك وأخلاق المجانين

وقيل إن الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله أعلم، ولما مات حسن استوزر الحافظ الأمير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الأرمين على الناس فاستدلوا المسلمين وسنذكر أخباره سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة إن شاء الله تعالى.

(ذكر مسير المسترشد إلى حرب السلطان مسعود وانهزامه) في هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود في شهر رمضان وسبب ذلك أن السلطان مسعود لما سافر من بغداد إلى همدان بعد موت أخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من أعيان الأمراء منهم برتقش بازدار وقزل آخر وسنقر الخمار تكين والى همدان وعبد الرحمن بن طغايك وغيرهم خائفين منه مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم ديبس بن صدقة وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون منه الأمان ليحضروا في خدمته فقبل له لأنها مكيدة لأن ديبسا معهم وساروا نحو خوزستان وانفقوا مع برسق بن برسق فأرسل الخليفة إليهم صديد الدولة ابن الأنبارى بتوقيعات إلى الأمراء المذكورين بتطيب نفوسهم الأمر بحضورهم وكان الأمراء المذكورون قد عزموا على قبض ديبس والتقرب إلى الخليفة بحمله إليه فبلغه ذلك فهرب إلى السلطان مسعود وسارا الأمراء إلى بغداد في رجب فأكرمهم الخليفة وحمل إليهم الإقامات والخلع وقطعت خطب السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة في العشرين من رجب على هزم المسير إلى قتال مسعود وأقام في الشفيعى فعصى عليه بكبه صاحب البصرة فهرب إليها فراسله وبذل له الأمان فلم يمد إليه وتريث الخليفة عن المسير وهو لاء الأمراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الأمر ويضعون عنده أمر السلطان مسعود فسير مقدمته إلى حلوان فتهبوا البلاد وأفسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن شعبان ولحق به في الطريق الأمير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس وتخلف بالعراق

مع إقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود بهمذان في نحو ألف وخمسة مائة فارس وكان أكثر أصحاب الأطراف يكتبون الخليفة ، ويبدلون له الطاعة ، فترى في طريقه فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم حتى عادوا إليه فصاروا نحو خمسة عشر ألف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقي في خمسة آلاف وأرسل أتابك زنكي نجدة فلم يلحق وأرسل الملك داود بن السلطان محمود وهو بأذربيجان إلى الخليفة يشير بالميل إلى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم يفعل المسترشد وسار حتى بلغ هايمرج وعبي أصحابه فجعل في الميمنة برنقش بازدار ونور الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل في الميسرة جاولي وبرسق شراب ثلاروغلبلا الذي كان الخليفة قد قبض عليه وأخرجه من محبسه ولما سمع السلطان مسعود خبرهم سار إليهم مجدا فواقعهم بدايمرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة إلى السلطان مسعود فصاروا معه واقتتل ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهمزم عسكره وأخذ هو أسيرا ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي وقاضي القضاة وصاحب الخزن ابن طلحة وابن الأنباري والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم وأنزل الخليفة في خيمة وغنموا ما في معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير وقاضي القضاة وابن الأنباري وصاحب الخزن وغيرهم من الأكارب إلى قلعة سرجهان وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل في هذه المعركة أحد وهذا أعجب ما يحكى وعاد السلطان إلى همذان وأمر فنودي من تبغنا إلى همذان من البغادة قتلناه فرجع الناس كلهم على أتبج حال لا يعرفون طريقا وليس معهم ما يحملهم وسير السلطان الأمير بك أبو المحمودى إلى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد فقبضوا جميع أملاك الخليفة وأخذوا غلاتها ونار جماعة من عامة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الأسواق يمشون التراب على رؤسهم ويصيحون وخرج النساء حاسرات في الأسواق يلبطن واقتتل أصحاب الشحنة وعامة بغداد فقتل من الهامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى وحاجب الباب وأما السلطان فإنه سار في شوال من همذان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان في الصلح فاستقرت القاعدة على ما ذكره إن شاء الله والله الموفق .

(ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله) لما قبض المسترشد بالله أبو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد على ما ذكرناه جعله السلطان مسعود في خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته وترددت الرسل بينهما في تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر وأن لا يخرج من داره فأجاب السلطان إلى ذلك وأركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق إلا أن يعود إلى بغداد فوصل الخبر أن الأمير قزان خوان قد ورد رسولا من السلطان منجر فتأخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود إلى لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به ، وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصدته أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عربانا وقتل معه نفر من أصحابه منهم أبو عبد الله بن سكينه وكان قتله يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقي حتى دفنه أهل مراغة وأما الباطنية فقتل منهم عشرة ، وقيل بل قتلوا جميعهم

والله أعلم، وكان عمره لما قتل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر؛ وكانت خلافته سبعة عشر سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان شهما شجاعا كثير الإقدام بعيد الهمة وأخباره المذكورة ترى على ما ذكرناه وكان فصيحاً بليغاً حسن الخط رائد رأيت خطه في غاية الجودة ورأيت أجوبته على الرقاع من أحسن ما يكتب وأفصحه ولما قتل المسترشد بالله بويغ ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد في حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي القعدة وكتب السلطان مسعود إلى بك آبه اشحنة ببغداد يبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته أحد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء ويايع له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالغ في الموعظة وأما جمال الدولة المسترشدى فكأنه كان ببغداد في طائفة من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربي وأصعد إلى تكريت وراسل مجاهد الدين جهروز وحلفه وصعد إليه إلى القلعة.

(ذكر مسير السلطان سنجر إلى غزنة وعوده عنها) في هذه السنة في ذي القعدة سار السلطان سنجر من خراسان إلى غزنة وسبب ذلك أنه نقل إليه عن صاحبها بهرام شاه أنه تغير عن طاعته وأنه قد مديده إلى ظلم الرعايا واغتصاب أموالهم وكان السلطان سنجر هو الذي ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسة فلهذا سمع هذه الأخبار المزعجة سار إلى غزنة ليأخذها أو يصلحها فلما رأى الطريق أبعد أدركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الأقوات والعلوفات فشكا العسكر إلى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون إليه فلم يجب عنه بغير التقدم أمامه فلما قارب غزنه أرسل بهرام شاه إلى سنجر رسلاً يتضرع ويسأل الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فأرسل إليه سنجر المقرب جوهر الخادم وهو أكبر أمير عنده ومن جملة أقطاعه مدينة الري في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه إن حضر عنده وعاد إلى طاعته فلما وصل إلى بهرام شاه أجابه إلى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه وأظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئاً كثيراً وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه إلى سنجر فلما قاربه سبق المقرب إلى السلطان سنجر وأعلمه بوصول بهرام شاه وأنه بكره غد يكون عنده وعاد المقرب إلى بهرام شاه ليحجى بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقديم بهرام شاه ومعه المغرب فلما عين موكب سنجر والشر على رأسه نكص على عقبيه عائداً فأمسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته ظناً منه أن سنجرأ يأخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من أصحابه وخواصه ولم يرجع على غزنة وسار سنجر إلى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى أموالها وكتب إلى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له أنه ما أراد به شراً ولا له في بلده مطمع ولا هو ممن تلون صنيعته وتعقب حسدته معه سيئة وإنما قصده لإصلاحه فأعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل ويقول إن الخوف من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع في عودته إلى الإحسان فأجابه سنجر إلى أن يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائداً إلى بلاده فوصل إلى بلخ في شوال سنة ثلاثين وخمسة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع إليها.

(ذكر قتل ديس بن صدقة بالتاريخ) في هذه السنة قتل السلطان مسعود ديس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر غلاماً أرمنياً بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الأرض بأصبعه فضرب

رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع إليه عسكر أبيه وبماليكه وكثر جمعه واستأمن إليه الأمير قنغغ تكين وأمر السلطان مسعود بك آبه أن يأخذ الحلة فسار بمض عسكره إلى المدائن وأقاموا مدة ينتظرون لحاق بك آبه فلم يسر إليهم جينا وعجزاً عن قصد الحلة لكثرة العسكر بها مع صدقة وبقى صدقة بالحلة إلى أن قدم السلطان مسعود إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فقصده وأصاح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة تقع كثيراً وهو قرب موت المتعاضدين فإن دببسا كان يعادى المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله أعلم

(ذكر حصر عسكري المهدي) في هذه السنة سير يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكراً ليحصروا المهدي وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك أن الحسن أحب ميمون بن زيادة أمير طائفة كبيرة من العرب ومال إليه وأكثر الإنعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا إلى يحيى ابن العزيز بأولادهم وجعلوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكراً ليلكوا المهدي فأجابهم إلى ذلك وهو متباطيء فاتفق أنه وصله كتب من بعض مشايخ المهدي بمثل ذلك فوثق إلى ما أتاه وسير عسكراً كثيراً واستعمل عليهم قائداً كبيراً من فقهاء أصحابه يقال له مطرف بن حمدون؛ وكان هذا يحيى بن العزيز هو وإياه يحضرون المعز بن باديس وأولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدي وحصروها براً وبحراً وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال إنما أتيت الآن لآتسلم البلد بغير قتال نخاب ظنه فبقي أياماً لم يقاتل ثم إنهم باشروا فظهروا أهل المهدي عليهم وأثروا فيهم وتتابع القتال، وفي كل ذلك الظفر لأهل البلد وقتل من الخارجين الجرم الغفير وجمع مطرف عسكره براً وبحراً لما يئس من التسليم وقابل أشد قتال فملك شرايته شاطئ البحر وقربوا من السور فاشتد الأمر فأمر الحسن بفتح الباب وخرج أول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال أما الحسن؛ فلما سمع من يقاتله ذلك سلخوا عليه وانهمزوا عنه إجلالاً له؛ ثم أخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من المينا، فأخذ من تلك الشواني أربع قطع وهرب الباقون؛ ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجي صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فأمرهم الحسن بإطلاقها فأطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما رأى ذلك مطرف وأن النجدة تأتي الحسن في البر والبحر علم أنه لا طاقة له بهم فرحل عن المهدي خائباً وأقام رجار الفرنجي مظهراً للحسن أنه مهاده وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشواني ويكثر عددها وآلاتها.

(ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة) كانت جزيرة جربة من بلاد أفريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها، غير أن أهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج إليها جمع من الفرنج أهل صقلية في أسطول كثير وجم غفير فيه من مشهورى فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها واجتمع أهلها وقاتلوا قتالاً شديداً فوق بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت أهل جربة فقتل منهم بشر كثير فانهمزوا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ومن بقي منهم أخذوا لأنفسهم أماناً من صاحب صقلية وافتسكوا أسرارهم وسببهم وحرهم والله أعلم

(ذكر ملك الفرنج حصن روطه من بلاد الأندلس) في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود ومسلطين الفرنجي صاحب طليطلة مدة عشر سنين وكان السلطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف

صاحبها عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى أن يصلح مدة يستريح فيها هو وجنوده ويعتدون للباودة فتددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على أن يسلم المستنصر إلى السليطين حصن روضة وهو من أمنع الحصون وأحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلمت منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد .

(ذكر حصر ابن ردمير مدينة أفراغة وهزيمته وموته) وفي هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجى لعنه الله مدينة أفراغة من شرق الأندلس وكان الأمير تاشفين بن على بن يوسف بمدينة قرطبة أميراً على الأندلس لآبيه فجهز الزبير بن عمرو اللتوني من قرطبة ومعه ألف فارس وسير معه ميرة كثيرة إلى أفراغة وكان يحيى ابن غانية الأمير المشهور أمير مرسية وبلنسية من شرق الأندلس وإليه الأمر بها لأمر المسلمين على بن يوسف فتجهز في خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهز في مائتي فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة أفراغة وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة وابن عياض أمام ابن غانية وكان شجاعاً وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير في اثني عشر ألف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لأصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم وأدركه العجب ونفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والنجم القتال وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعاً مدلين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض في صدورهم واشتد الأمر بينهم وعظم القتال وكثر القتل في الفرنج وخرج في الحال أهل أفراغة جميعهم ذكراً وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم إلى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا في العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك إلى المدينة من قوت وعداد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج في القتال إذ وصل إليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم إلا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطه فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مضجوعاً بعد عشرين يوماً من الهزيمة وكان أشد ملوك الفرنج بأساً وأكثرهم تجرداً لحزب المسلمين وأعظمهم صبراً كان ينام على طارقه بغير وطاء وقيل له هلا تسريت من بنات أكابر المسلمين اللاتي سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغي أن يعاشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شهراً .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في شعبان زلزلت الأرض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت الزلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس والله أعلم . (١)

(ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان) في هذه السنة وصل برتقش الزكوى من عند السلطان

(١) وفيها توفي أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو ، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي ، تفقه بأبيه واخترمته المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية وفيها توفي إسماعيل بن عبدالله بن على أبو القاسم الحاكم ، تفقه بإمام الحرمين ، وكان رفيق الغزالي يحترمه ويكرمه ، وكان فقيهاً بارعاً ، وعابداً ورعاً ، توفي بطوس ودفن إلى جانب الغزالي . وفيها توفي على بن محمد النروجاني كان عابداً زاهداً ، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات ، ثم أنكر ذلك ، وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

ذكر اجتماع أصحاب الأطراف

مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو أربع مائة ألف دينار فذكر أنه لا شيء عنده وأن المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله أن برتقش يريد التهجم على دار الخلافة وتفتيشها ليأخذ المال فجمع العساكر لمنعها وأمر عليهم كبح أبه وأعاد عمارة السور فلما علم برتقش بذلك اتفق هو وبك أبه شحنة بغداد وهو من أمراء السلطان على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب برتقش ومعه العسكر والأمراء البيكجية ومحمد بن عكر في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فأخرجوا عسكر السلطان إلى دار السلطان فساروا إلى طريق خراسان ثم انحدر بك أبه إلى واسط وسار برتقش إلى البندينجين ونهبت العامة دار السلطان .

(ذكر اجتماع أصحاب الأطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته) في هذه السنة اجتمع كثير من الأمراء وأصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر أذربيجان إلى بغداد فوصلها في رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل أتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل ووصل برتقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب أصفهان وصدقة ابن ديبس صاحب الحلة ومعه هنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبره ويتم نقص صباه وابن برسق وابن الأحمديلي وخرج إليهم من عسكر بغداد كبح أبه والطرناطى وغيرهما وجعل الملك داود في شحنة بغداد برتقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبي عبدالله الحسن بن جهير أستاذ الدار وهو كان السبب في ولايته وعلى جمال الدولة إقبال المسترشدى وكان قدم إليه من تكريت وعلى غيرهما من أعيان دولته فتغيرت بنات أصحابه عليه وخافوه فأما جمال الدولة فإن أتابك زنكي شفيع فيه شفاعته تختمها لإلزام فأطلق وصار إليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبي الرضا بن صدقة إلى عماد الدين انتهته بالقدوم فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنعه من الخليفة فأجابه إلى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وأرسل زنكي من حرس دار الوزير من النهب ثم أصلح حاله مع الخليفة وأعادته إلى وزارته وكذلك أيضا عبر عليه قاضى القضاة الزينبي وسار معه إلى الموصل ثم إن الخليفة جد في عمارة السور فأرسل له الملك داود من قلع أبوابه وأخرب قطعة منه فزعج الناس ببغداد ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكي وأرسل الخليفة إلى أتابك زنكي مائتي ألف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه إلى واسط فدخلها وقبض على الأمير بك أبه ونهب ماله وانحدر أتابك زنكي إليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكي إلى بغداد وعبر إلى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصات الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد وفارق الملك داود وأظهر له أنه يمضى إلى مراغة إذا فارق السلطان مسعود همدان فبرز الراشد بالله إلى ظاهر بغداد أول رمضان وسار إلى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة أيام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل إلى بغداد خامس رمضان وأرسل إلى داود وسائر الأمراء يأمرهم بالعود إلى بغداد فعادوا ونزلوا في الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم رأى قتاله فقال لهم الخليفة : وأنا أيضا معكم على ذلك .

(ذکر ملک شہاب الدین حمص) فی هذه السنة فی الثانی والعشیرین من ربیع الاول تسلّم شہاب الدین محمود صاحب دمشق مدینة حمص وقلعتها وسبب ذلك أن أصحابها أولاد الأمير خیرخان بن قراجا والوالی بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسکر عمادالدین زنکی إليها وإلى أعمالها وتضییقهم علی من بها من جندی وعامی فراسلوا شہاب الدین فی أن یسلوہا إلیه ویعطیهم عوضا عنها تدمر فأجابهم إلى ذلك وسار إليها وتسلّمها منهم فی التاریخ المارکور و- لم إلیهم تدمر وأقطع حمص بملوک جده معین الدین أنز وجعل فیها نائباً عنه بمن یشق إلیه من أعیان أصحابه وعاد عنها إلى دمشق فلما رأى عسکر زنکی بحلب وحماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات إلى بلدتها والنهب له والاستیلاء علی كثير منه فجری بينهم عدة وقائع وأرسل شہاب الدین إلى زنکی فی المدنی واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه .

(ذکر الفتنة بدمشق) فی هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بین صاحبها والجند وسبب ذلك أن الحاجب یوسف بن فیروز كان أكبر حاجب عند أبيه وجده ثم إنه خاف أباه شمس الملوك وهرب منه إلى تدمر فلما كان فی هذه السنة سأل أن یحضر إلى دمشق وكان یخاف جماعة الممالیک لأنه كان أساء إلیهم وعاملهم أقبح معاملة فكلهم علیه حنق لاسیما فی الحادثة التي خرج فیها شمس الملوك وقد تقدمت فإنه أشار بقتل جماعة برأیه وبقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلهم أعداء مبغضین فلما طلب الأمان والحضور إلى دمشق أجیب إلى ذلك فأنكر جماعة الأمراء والممالیک قربه وخافوه أن یفعل بهم مثل فعله الاول فلم یزل یتوصل معهم حتی حلف لهم واستحلفهم وشرط علی نفسه أنه لا یتولی من الأمور شیئاً ثم إنه جعل یدخل نفسه فی كثير من الأمور فاتفق أعداؤه علی قتله فبینما هو یسیر مع شہاب الدین وإلى جانبه أمير اسمه تراوش یهادثه إذ ضربه تراوش بالسيف فقتله فحمل ودفن فی تربة والده بالعقبة ثم إن تراوش والممالیک خافوا فلم یدخلوا البلد ونزلوا بظاہره وأرسلوا یطلبون قواعد استطالوا فیها فأجابهم إلى البعض فلم یقبلوا منه ثم ساروا إلى بعلبک وبها شمس الملوك محمد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التریکان وغيرهم وشرعوا فی العیث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا واستقرت الأحوال علی ذلك وحلف كل منهم لصاحبه فعادوا إلى ظاهر دمشق ولم یدخلوا البلد وخرج شہاب الدین صاحب دمشق إلیهم واجتمع بهم وتجددت الایمان وسار تراوش مقدم العسکر وإلیه الحل والعقد وذلك فی شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله أعلم .

(ذکر غزاة العسکر الاتابکی إلى بلاد الفرنج) فی هذه السنة فی شعبان اجتمعت عساكر أنابک زنکی صاحب حلب وحماة مع الأمير أسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج علی حین غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاذقية ولم یتمکن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما یزید عن الوصف وقتلوا وأسروا وفعلوا فی بلاد الفرنج ما لم یفعله بهم غیرهم وكان الأسرى سبعة آلاف أسیر ما بین رجل وامرأة وصبی ومائة ألف رأس من الدواب ما بین فرس وبغل وحمار وبقرة وغنم وأما ما سوى ذلك من الأقمشة والعین والحلی فیخرج عن الحد وأخربوا بلد اللاذقية وما جاورها ولم یسلم منها إلا القلیل وخرجوا إلى شیزر بما معهم من الغنائم سالمین منتصف رجب فامتلا من الأسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظیماً ولم یقیدر الفرنج علی شیء یفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزاً منهم ووهناً وضعفاً .

(ذكر وصول السلطان مسعود إلى العراق وتفرق أصحاب الأطراف ومسير الراشد بالله إلى الموصل) قبل لما بلغ السلطان مسعود اجتماع الملك داود والأمراء ببغداد على خلافه وخطاب للملك داود ابن أخيه السلطان محمود جمع العساكر؛ وسار إلى بغداد فنزل بالملكية فسار بهض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردهم وكان في الجماعة زين الدين علي أمير من أمراء أتاك زنيكي ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر فيها وثار العيارون ببغداد وسائر محالها وأفسدوا ونهبوا وقتلوا حتى أنه وصل صاحب لآتاك زنيكي ومعه كتب فخرجوا عليه وأخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من أهل المحال عند لآتاك زنيكي وأشاروا عليه بنهب المحال الغربية؛ فليس فيها غير عيار ومفسد فامتنع من ذلك ثم أرسل بنهب الحرم الظاهري فأخذ منه من الأموال الشيء الكثير وسبب ذلك أن العيارين فيه وأخذوا أموال الناس ونهبت العساكر غير الحرم من المحال وحصرهم السلطان نيفا وخمسين يوماً فلم يظفر بهم فعاد إلى النهروان عازماً على العود إلى همدان فوصله طر نطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد إليها وعبر فيها إلى غربي دجلة وأراد العسكر البغدادي منعه فسبقهم إلى العبور واختلعت كلمتهم فعاد الملك داود إلى بلاده في ذي القعدة وتفرق الأمراء وكان همدان زنيكي بالجانب الغربي فعبر إليه الخليفة الراشد بالله وسار معه إلى الموصل في نفر يسير من أصحابه فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنيكي ببغداد سار إليها واستقر بها ومنع أصحابه من الأذى والنهب؛ وكان وصوله منتصف ذي القعدة فسكن الناس واطمأنوا بعد الخوف الشديد وأمر بجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرضوا عليهم اليمين التي حلف بها الراشد بالله لمسعود؛ وفيها بخط يده إن متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر فافتوا بخروجه من الخلافة وقيل غير ذلك وسند كرهه في خلافة المقتدى لأمر الله وكان الوزير شرف الدين علي بن طراد وصاحب الخزن كمال الدين بن البقشلاقي وابن الأنباري مع السلطان لأنهم عنده مذ أسرهم مع المسترشد بالله فقد حوا في الراشد ووافقهم على ذلك أصحاب المناصب ببغداد إلا اليسير لأنهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضاً وانفقوا على ذمه فتقدم السلطان بخلمه وإقامة من يصالح نخاع وقطعت خطبته في بغداد في ذي القعدة وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً وقتله الباطنية على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر خلافة المقتدى لأمر الله) لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من أعيان بغداد منهم الوزير علي بن طراد وصاحب الخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يبلى الخلافة فقال الوزير أحد عمومة الراشد وهو رجل صالح قال من هو؟ قال: من لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل فيتقدم إليهم بعمل محض في خلع الراشد فعملوا محضاً ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الأموال، وأشياء تقدح في الإمامة ثم كتبوا فتوى ماتقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للإمامة أم لا؛ فافتوا أن من هذه صفته لا يصلح أن يكون إماماً؛ فلما فرغوا من ذلك أحضروا القاضي أباطاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك فيكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضياً للقضاة حاضرًا فإنه كان عند لآتاك زنيكي بالموصل ثم إن شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبد الله الحسين وقيل محمد بن المستظهر بالله ردينه وعقله وعفته ولين جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب الخزن البقشلاقي وغيرهما وأمر بإحضار الأمير أبي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فأحضر وأجلس في الميمنة ودخل السلطان إليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من

عنده وحضر الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن شرذمى الحجة ولقب المقتنى لأمر الله قيل سبب اللقب إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلى الخلافة بستة أيام وهو يقول له إن هذا الأمر يصير إليك فاقتف بي فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتبة الحكيمية بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرف الدين على بن طراد الزينبي فأرسل إلى الموصل وأحضر قاضى القضاة أبا الفاسم على بن الحسين الزينبي ابن عم الوزير وأعادته إلى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الأمور على أحسن نظام وبلغنى أن السلطان مسعوداً أرسل إلى الخليفة المقتنى لأمر الله فى تقرير إقطاع يكون لخاصته فكان جوابه إن فى الدار ثمانين بغلاً تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج إليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على أن يجعل له ما كان للمستظهر بالله فأجاب إلى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا فى الخلافة رجلاً عظيماً والمقتنى عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمصور أخوان وكذلك المهدي والرشيد أخوان وكذلك الواثق والمتوكل أخوان وأما ثلاثة إخوة ولوا الخلافة فالأمين والمأمون والمنتصم وهم أولاد الرشيد والمكتنى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر وأما أربعة إخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك ابن مروان لا يعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتنى أرسل إليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول أتابك زنكى وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى فأحضر فى الديوان وسمعت رسالته وحكى لى والدى عنه قال لما حضرت الديوان قيل لى تباع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا فى الموصل وله فى أعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت إلى منزلى فلما كان الليل جاءتنى امرأة عجوز سرا واجتمعت بى وأبلغتنى رسالة عن المقتنى لأمر الله مضمونها عتابى على ما قلته واستنزالى عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر أثرها فلما كان الغد حضرت إلى الديوان وقيل لى فى تعيين البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاضى ولا يجوز لى أن أباع إلا أن يثبت هدى خلع المتقدم فأحضروا الشهود وشهدوا عندى فى الديوان بما أوجب خلعهم فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا فى هذه الدعوى من نصيب لأن أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله فى أرضه والسلطان فقد استراح بمن كان يقصده ونحن بأى شىء نعود فرجع الأمر إلى الخليفة فأمر أن يعطى أتابك زنكى صريفين ودرج هرون وجرى ملكا وهى من خاص الخليفة ويزداد فى القابله وقال هذه قاعدة لم يسمع بها لأحد من زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال الدين الشهرزورى سير على يده المحضر الذى همل بخلع الراشد لحكم به قاضى القضاة الزينبي بالموصل وكان عند أتابك زنكى .

(ذكر عدة حوادث) فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد وعاد إلى بغداد وقام بداره معزولا ووزر من بعده كمال الدين أبو البركات بن سلمة الزركزى وهو من خراسان . وفيها نار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا فى البلد ونهبوا الأموال ظاهرا وأكثر الشر فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيارين فثار عليه أهل المحال الغربية فقاتلهم وأحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس أموالهم إلى الحرم الظاهرى فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج وبين أهل المأمونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا . وفيها سارقا سنقر فى عساكر

كثيرة في طلب الملك داود بن السلطان محمود فأقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى أدركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود وأقام قراسنقر بأذربيجان وأما داود فإنه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فتصدتستر وحاصرها وكان همه الملك سلجوق شاه بن السلطان محمد بواسطة فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده فأمدته بالعساكر فسار إلى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه . وفيها توفي محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفي أيضا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري الصوفي مصنف شرح الشهاب وأنشد لما احتضر :

هاقد مددت يدي إليك فردها • بالعفو لابشامة الأعداء

وتوفي أيضا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي الصاعدي راوي صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي وطريقه اليوم أعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم العرباء بنفسه وكان يقال الغراوي ألف راوي رحمه الله ورضي عنه .

*(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة) *

(ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود) في هذه السنة في المحرم أذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعودة إلى بلادهم لما بلغه أن الراشد بالله قد فارق أتابك زنكي من الموصل فإنه كان يتمسك بالعساكر عنده خوفا أن ينحدر به إلى العراق فيملكه عليه فلما أراد أن يأذن للأمير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجته ابنته تمسكا به وقدم على السلطان مسعود جماعة من الأمراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخزاز تكيين شحمة همدان فرضى عنهم وأمنهم وولى البقش شحنية ببغداد فعسف الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقى معه ألف فارس وتزوج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود في رجب والصداق مائة ألف دينار وكان الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد الزينبي والوكيل عن السلطان وزيره الزركزبني ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة ابن دبيس بن صدقة صهرية وحيث صار الراشد بالله من عند زنكي الأتابك والله أعلم .

(ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان) في هذه السنة في جمادى الأولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن في البلاد واستعمل الأردن وهزل المسلمين وأساء السيرة فيهم وأهانهم هو والأرمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن في أهل مصر أنف من ذلك إلا رضوان بن الريحيني فإنه لما ساء ذلك وأقلقه جمعا كثيرا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب إلى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة أسوان فمنعه واليهما من الدخول إليها وقاتله فقتل السودان من الأرمن كثيرا فلما لم يقدر على الدخول إلى أسوان أرسل إلى الحافظ يطلب الأمان فأمنه فعاد إلى القاهرة فسجن بالقصر فبقي مدة ثم ترهب وخرج من الحبس وأما رضوان فإنه وزر للحافظ واقب بالملك الأفضل وهو أول وزير للبصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ في إخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فتهب الناس منها ما لا يحصى وركب

الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقى في دار رضوان إلى قصره وأما رضوان فسار يريد الشام يستنجد الأتراك ويستنصرهم فأرسل إليه الحافظ الأمير بن مصال ليرده بالأمان والعهد أنه لا يؤذيه فرجع إلى القاهرة فحبسه الحافظ. عنده في القصر وقيل إنه توجه إلى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل إليها في ذى القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة كمشتكين فأكرمه وعظمه وأقام عنده ثم سار إلى مصر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة وأقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود إلى الشام فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله وأهله فأقام في القصر إلى سنة ثلاث وأربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد أعدت له خيل فهرب عليها وعبر النيل إلى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد إلى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الأقر فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عاداتهم فإنهم كانوا إذا وزروا وزيراً أرسلوا إليه عشرين ألف ديناراً ليفرقها فأرسل الحافظ عشرين ألف ديناراً فقسّمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فأرسل إليه عشرين ألف ديناراً ففرقها فتفرق الناس وخفوا عنه فإذا الصوت قد وقع وخرج إليه جمع كثير من السودان وضمهم الحافظ. عليه فحملوا على غلمانهم فقاتلهم فقام يركب فقدم إليه بعض أصحابه فرسا ليركبه فلما أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه إلى الحافظ فأرسله إلى زوجته فوضع في حجرها فألقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ أحداً وباشر الأمور بنفسه إلى أن مات.

(ذكر فتح المسلمين حصن وادي ابن الأحمر من الفرنج) وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الأمير تراوش إلى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضاً خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار إليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم وانهمز الفرنج وحادوا إلى طرابلس في صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من أعمالهم أكثرها وحصروا حصن وادي ابن الأحمر وضيقوا عليه فملكها عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحرير والذرية وأسر الرجال فاشترى أنفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون إلى دمشق سالمين والله أعلم.

(ذكر حصار زنكي مدينة حمص) في هذه السنة في شعبان سار أتابك زنكي إلى مدينة حمص وقدم إليها حاجبه صلاح الدين محمد الباغياني وهو أكبر أمير معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلوا إليه فوصل إليها وفيها معين الدين أنز وهو الوالي عليها والحاكم فيها وهو أيضاً أكبر أمير بدمشق وحصن أقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكي إليها وحصرها وعاوداً مراسلة أنز في التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بأنها ملك صاحبه شهاب الدين وأنها بيده أمانة ولا يسلمها إلا عن غلبة فأقام عليها إلى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرضه إلى بعشرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر ملك زنكي قلعة بعين وهزيمة الفرنج) وفي هذه السنة في شوال سار أتابك زنكي من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعين وهي للفرنج تمارب مدينة حماة وهي من أمنع الحصون وأحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف إليها لجمع الفرنج فارسلهم وراجلهم وساروا في قضيضهم وقضيضهم وملوكهم وقسامتهم وكنودهم

الى انايك زنكي ليرحلوه عن بعين فلم ير حل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقبهم وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وصبر الفريقتان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتفى بملوكهم بحصن بعين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع انايك زنكي عنهم كل شيء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده ثم إن القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستفرين على المسلمين وأعلموهم أن زنكي إن أخذ قلعة بعين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت لعدم المحامي عنها وأن المسلمين ليس لهم نية إلا إفساد البيت المقدس حينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره وأما زنكي فإنه جد في قتال الفرنج فصرخوا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يفتقدون أن أحدا يتدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة أكلوا دوابهم وأذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبههم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقي من الفرنج أعطى لمن في الحصن الأمان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين ألف دينار يحملونها اليه فأجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندوا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلحهم شيء من الأخبار البتة فلماذا سلموه وكان زنكي في مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفر طاب من الفرنج فكان أهلها وأهل سائر الولايات التي بينها وبين حلب وحماة مع أهل بعين في الخزي لأن الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملك أمن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحاً مبيناً ومن رآه علم صحة قولي ومن أحسن الأعمال ما عمله زنكي مع أهل المعرة فإن الفرنج لما ملكوها كانوا قد أخذوا أملاكهم فلما فتحها زنكي الآن حضر من بقي من أهلها ومعهم أعقاب من هلك وطلبوا أملاكهم فطلب منهم كتبها فقتلوا إن الفرنج أخذوا كل مالنا والكتب التي للأملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك وأعاد على الناس أملاكهم وهذا من أحسن الأفعال وأعدلها.

(ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام) قد تقدم أن الفرنج أرساروا الى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكي فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل أن تملك ولا ينفعه حينئذ المجيء فتجهز وسار مجداً فابتدأ وركب البحر وسار الى مدينة أنطاكية وهي له على ساحل البحر فأرسى فيها وأقام ينتظر وصول المراكب التي فيها أثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها الى مدينة نيقية فحصرها وأن أصحابها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة أذنة ومدينة المصيعة وهما بيد ابن ليون الأرميني صاحب قلاع الدروب فحصرها وملكها ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل أهله الى جزيرة قبرس وعبر ميناء الإسكندرية وخرج الى الشام فحصر مدينة أنطاكية في ذي القعدة وضيق على أهلها وسار صاحبها الفرنجي ريمند فترددت الرسل إليهم وهدسوا بينهم فتصالحوا ورحل عنها الى بفراس ودخل منها إلى بلاد ابن ليون الأرميني فبذل له ابن ليون أموالاً كثيرة ودخل في طاعته والله أعلم.

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة رابع وعشرين في أيار ظهر بالشام سحاب أسود وأظلمت له الدنيا

وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب أحمر كأنه النار أضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة ألقت كثيرا من الشجر وكان أشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد مؤيد الدين أبو الفوارس المسيب علي بن الحسين المعروف بابن الصوفي من صرخد إلى دمشق وكان قد أخرج هو وأهله من دمشق إلى صرخد فبقوا فيها إلى الآن وعادوا وولى أبو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومرورة ظاهرة فيها كثرت الأمراض ببغداد وكثر الموت فجأة بأصفهان وهمذان وفيها سار أنابك زنكي إلى دقوقا فحضرها وملكها بعد أن قاتل علي قلعتها قتالا شديدا . وفيها توفي أبو سعيد أحمد بن محمد بن ثابت الخجندی رئيس الشافعية بأصفهان وتهقه علي والده ودرس بالنظامية بأصفهان . وتوفي أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو آخر من روى عن أبي الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب أبو بكر بن ثابت عن زوج الحرة أيضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك أنابك زنكي حمص وغيرها من عمل دمشق ﴾ وفي هذه السنة في المحرم وصل أنابك زنكي إلى حماة وسار منها إلى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وهو أيضا لصاحب دمشق وسار إلى حمص فحصرها وأدام قتلها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها إلى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ما ذكرناه عاود منازلة حمص وأرسل إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه أمه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون إليه في رمضان وإنما حمله على الزوج بها ما رأى من تحكيمها في دمشق فظن أنه يملك البلد بالاتصال إليها فلما تزوجها خاب أمه ولم يحصل على شيء فأعرض عنها .

﴿ ذكر وصول ملك الروم إلى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين ﴾ قد ذكرنا سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنجة وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل إلى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من أعيان حلب إلى أنابك زنكي وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا إلى حلب لينعوا من الروم إن حصرها ثم إن ملك الروم قاتل بزاعة ونصب عليها منجنقات وضيق على من بها فملكها بالأمان في الخامس والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم وأسروسي وكان عدة من جرح فيها من أهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من أهلها نحو أربعمائة نفس وأقام الروم بعد ملكها عشرة أيام يتطلبون من اختفى . فقبل لهم إن جمعوا كثيرا من أهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخلوا عليهم وهلكوا في المغاير ثم رحلوا إلى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج إليهم أحداث حلب فقاتلهم قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين وأقاموا ثلاثة أيام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا إلى قلعة الأتاب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والأسرى ومعهم جمع من الروم

يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الأمير أسوار بحاب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر إلى الأثارب فأوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخص الأسمرى والسبي وعادوا إلى حاب ، وأما همدالدين زنكى فإنه فارق حمص وسار إلى سلمية فإزها وعبر نعله الفرات إلى الرقة وأقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة ، وأما الروم فإنهم قصدوا قلعة شيزر بإمها من أمنع الحصون وإنما حصرها لأنها لم تكن لزنى فلا يكون له في حفظها اهتمام وإنما كانت للأمير أبي العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فإزها وحصرها وأنصب عليها ثمانية عشر من جنيقا فأرسل صاحبها إلى زنكى يستنجده فسار إليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير إلى شيزرهو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم ثم انه أرسل إلى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها ولم يكن لهم قوة وإنما كان يرههم بهذا القول وأشباهه فأشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافقته وهونوا أمره عليه فلم يفعل وقال أتظنون أن ليس له من العسكر إلا ماترون إنما هو يريد أن تلقونه فيجيبته من نجدات المسلمين ما لا حد له وكان زنكى يرسل أيضا إلى ملك الروم ويوقمهم بأن فرنج الشام خائفون منه فلوفارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل إلى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم إن ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان ، وكان مقامه عليها أربعين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها فسار أنابك زنكى يتبع ساقية العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم وأخذ جميع ما تركوه ولما كان الفرنج على براعة أرسل زنكى القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى إلى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى إلى بغداد وأنهى الخذل إلى السلطان وعرفه عاقبة الإهمال وأنه ليس بينه وبين الروم إلا أن تملك حلب وينحدروا مع الفرات إلى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع إنسانا من أصحابه يوم جمعة فمضى إلى جامع القصر ومعه جماعة من زنود العجم وأمرهم أن يثور بهم إذا طلع الخطيب المنبر ويصيح ويصيحون معه والإسلاماء وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمى عمامته من رأسه ويخرج إلى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع إنسانا آخر يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم رأسه وألقى عمامته وشق ثوبه وأولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا الساطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ إلى دار السلطان يستغيثون ويكون تخاف السلطان فقال : احضروا إلى ابن الشهرزورى ؛ فأحضر . فقال كمال الدين لقد خفت منه بما رأيت ، فلما دخلت قال لى : أى فتنة أثرت ، فقلت ما فعلت شيئا ، أنا كنت فى بيتى ، وإنما الناس يغارون للدين والإسلام ويخافون عاقبة هذا التواني ، فقال : أخرج إلى الناس ففرقهم عنا واحضر غداً واختر من العسكر ما تريد وفرقت الناس وعرفتهم ما أمر به من تجهيز العساكر وحضرت الغد إلى الديوان فجزوا إلى طائفة عظيمة من الجيش فأرسلت إلى نصير الدين بالموصل أعرفه ذلك وأخوفه من العسكر إن طرخوا البلاد فإنهم يملكونها فأعاد الجواب يقول البلاد لاشك مأخوذة فلان يأخذها المسلمون خير من أن يأخذها الكافرون فشرعنا فى التحميل وإذا قد وصلنى كتاب أنابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويأمرنى بأن لا أستحصب من العسكر أحدا فمرفت السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهزت ولا بد من الغزاة إلى

الشام فأعد الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيرمدح الشعراء أتاك
زنكى وأكثروا فن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموى من جملة قصيدة أولها :
بمزمت أيها الملك العظيم ه تذل لك الصعاب وتستقيم
ومن جملتها هذه الأبيات :

ألم تر أن كلب الروم لما ه تبين أنه الملك الرحيم
لجاء فطبق الفلوات خيلا ه كان الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه ه ودان لخطبه الخطب العظيم
لحين رميته بك في خميس ه تيقن أن ذلك لا يدوم
وأبصر في المفاضة منك جيشا ه فاحرب لايسير ولا يقيم
كأنك في المعجاج شهاب نور ه توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى ه وليس سوى الحمام له حميم

وهي قصيدة طويلة ومن عجيب ما يحكى أن ملك الروم لما عزم على حصر شيرمدح سمع من بها ذلك فقال الأمير مرشد
ابن على صاحبها وهو يتبع صحيفا اللهم بحق من أنزله عليه إن قضيت بمجى ه ملك الروم فأقبضني إليك فتوفى بعد أيام .
(ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الأمراء) لما فارق الراشد باقه أتاك
زنكى من الموصل سار نحو أذربيجان فوصل مراغة وكان الأمير منكبرس صاحب فارس ونائبه
بخوزستان الأمير بوزابه والأمير عبد الرحمن طغايك خلخان والملك داود بن السلطان محمود مستشعرين
من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون أيديهم واحدة ويردوه إلى
الخلافة فأجابهم إلى ذلك إلا أنه لم يجتمع معهم ووصل الخبر إلى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم
فسار عنها في شعبان نحوهم فالتقوا ببتجن كشت فاقتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الأمير منكبرس
أسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود في النهب وأتباع المنزمين ، وكان بوزابه وعبد الرحمن طغايك
على نشز من الأرض فرأيا السلطان مسعودا وقد تفرق عسكره عنه لخملا عليه وهو في قلة فلم يثبت لهما وانهمز
وقبض بوزابه على جماعة من الأمراء منهم صدقة بن ديبس صاحب الحلة ومنهم ولد أتاك قراسنقر صاحب
أذربيجان وعنتر بن أبي العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم أجمعين وصار
العسكران منزمين وكان هذا من أعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود أذربيجان وقصد الملك داود همدان
ووصل الراشد بعد الواقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم أشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم أشار باتباع
السلطان مسعود للفراغ منه ، فإن ما بعده يهون عليهم وكان بوزابه أكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير
إلى بلاد فارس وأخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل أن يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وصار
إليها فلما وصارت له مع خوزستان وصار سلجوق شاه ابن السلطان محمد إلى بغداد لملكها فخرج إليه البقش
الشحنة بها ونظر الخادم أمير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن ديبس أقر السلطان
مسعود الحلة على أخيه محمد بن ديبس وجعل معه مهلهل بن أبي العسكر أخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش
شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه نار العيارون ببغداد ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون

أرباب الأموال ظاهرا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الأمتعة على رؤوس الجمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الأسمار وأكثر الظلم منه وأخذ المستورين بحجة العيارين فجلا الناس عن بغداد إلى الموصل وغيرها من البلاد.

(ذكر قتل الراشد بالله) لما وصل الراشد بالله إلى همدان وبها الملك داود بوزابة ومن معها من الأمراء والمساکر على ما تقدم ذكره ثم سار إلى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود لينهم عن العراق فعاد الملك داود إلى فارس وعاد خوارزم شاه إلى بلاده بقي الراشد وحده فلما أيس من عساكر العجم سار إلى أصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القبلولة وكان في أعقاب مرض برى منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر إلى بغداد جلسوا للعزاء به في بيت النوبة يوما واجدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش، قال أبو بكر الصولي الناس يقولون إن كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد من أن يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيت كما قيل (إن أول من قام بأمر هذه الأمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير فخلع ثم عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم أمر بني أمية ثم ولي السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشد والأمين فخلع وقتل، والمأمون والمعتمد والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل. والمعز والمهتدي والمعتمد والمعتمد والمعتضد والمعتضد والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل. والمعز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمعتضد والمعتصم والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع. ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل) قلت وفي هذا نظر لأن البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك بن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولي إنما ذكر إلى أيام المطيع لله ومن بعد ذكره غيره.

(ذكر حال ابن بكران العيار) في هذه السنة في ذي الحجة عظم أمر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت أتباعه وصار يركب ظاهرا في جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالي ببغداد فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامى باب الأزج أن يشتد إليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البراز فأنهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الأنبار فأرسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبي إلى الوالي أبي الكرم وقالوا إما أن تقتل ابن بكران وإما أن نقتلك فأحضر ابن أخيه وعرفه ماجرى وقال له إما أن تختارني ونفك وإما أن تختار ابن بكران فقال أنا أقتله وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض الليالي إلى ابن أخيه أبي الكرم فيقيم في داره ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب أخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح الناس من شره، ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البراز وصلب وقتل معه جماعة من الجرامية فسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة.

(ذكر قتل الوزير الدرگزيني ووزارة الخازن) في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدرگزيني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا

عادلا نافذ الحكم حسن السيرة أزال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزائن كثيرة وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها ويسرق فيقتل على المتصرفين وأرباب الأعمال فأوقعوا بينه وبين الأمراء لاسيما قراسنقر صاحب أذربيجان فإنه فارق السلطان وأرسل يقول إما أن تفتد رأس الوزير وإما خدمنا سلطانا آخر فأشار من حضر من الأمراء بقتله وحذروه فتنة لا تتلافى فقتله على كره منه وأرسل إلى قراسنقر فرضى وكانت وزارته سبعة أشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده أبو العز طاهر بن محمد البرزجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاعت الأمور على السلطان مسعود واستقطع الأمراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة إلا اسم السلطنة لاغير .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة ملك حسام الدين تمر تاش أيلغازي صاحب ماردين قلعة المحتاخ من بلاد ديار بكر أخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بتمى فسبحان الحى الدائم الذى لا يزول ملكه ولا يتطرق إليه النقص ولا التغيير . وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسى كساها من الثياب الفاخرة بكل ما وجد إليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين إلى الهند كثير المال . وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفري ابنة ديبس بن صدقة في جمادى الأولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقى إلا أنه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فلهذا سقط اسمه وذكره . وفيها قتل السلطان مسعود بن البقش السلاحى شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وهسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره إلى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر بقتله فلما أرادوا قتله ألقى بنفسه في دجلة فغرق فأخذ رأسه وحمل إلى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل أعمالا صالحة منها أنه حمل مسنة النهروان وأشباهاها وكان حسن السيرة كثير الإحسان وفيها درس الشيخ أبو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها أرسل الخليفة إلى أتابك زنكى في إطلاق قاضى القضاة الزينبي فأطلق وانحدر إلى بغداد فخلع عليه الخليفة وأقره على منصبه . وفيها كان بخراسان غلاء شديد طال مدة وعظم أمره حتى أكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق أكثر أهل البلاد من الجوع . وفيها توفى طغان أرسلان صاحب بدليس وأرزن من ديار بكر وولى بعده ابنه فرنى واستقام له الأمر . وفيها في شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير . وفيها توفى أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن أبي الفتح الدينورى الفقيه الحنبل ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الأبيات :

تمنيت أن تسمى فقها منظرا به بغير عياء والجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة . تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفى محمد بن عبد الملك بن عمر أبو الحسن الكرخى ومولده سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ وأصفهان وهمدان وغيرها . وفي شعبان منها توفى القاضى أبو العلاء صاعد بن الحسين ابن إسماعيل بن صاعد وهو ابن عم القاضى أبي سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد أبي سعيد .

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان سنجر و خوارزم شاه) في هذه السنة في المحرم سار السلطان سنجر إلى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربا لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك أن سنجر باغاه أن اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وأن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه فأوجب ذلك قصده وأخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجه نحوه فلما قرب من خوارزم شاه في عساكره خرج خوارزم شاه إليه في عساكره فلقىه مقابلا وعنى كل واحد منهما عساكره وأصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فخرن عليه أبوه حزنا عظيما ووجد وجددا شديدا وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمد ورتب له وزيرا وأتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد إلى مرو في جمادى الآخرة من هذه السنة فلما فارق خوارزم عائدا انتهى خوارزم شاه الفرصة فرجع إليها وكان أهلها يكرهون العسكر السنجرى ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد أعانوه على ملك البلد ففارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه في خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره إن شاء الله .

(ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك أخيه محمد) في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلبانه هم خواصه وأقرب الناس إليه في خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجوا أحدهم وأخذ الآخرا فصلبا وكتب معين الدين أنز من دمشق إلى أخيه جمال الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه لملك بعد أخيه فحضر في أسرع وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء بأخيه وحلف له الجند وأعيان الرعية وسكن الناس وفوض أمر دولته إلى معين الدين أنز مملوك جده وزاد في علو مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل وأقطع بعلبك وزوجه بأمه وكان أنز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الأمور عنده على أحسن نظام .

(ذكر ملك زنكي بعلبك) في هذه السنة في ذي القعدة سار عماد الدين أتابك زنكي بن آقسنقر إلى بعلبك فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك أن محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند أتابك زنكي بحلب قد تزوجها فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدا وحزنت عليه وأرسلت إلى زنكي وهو بديار الجزيرة تعرفه الحادثة وتطلب منه أن يقصد دمشق ويطلب بثأر ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقف ولا تريب وسار مجدا ليجعل ذلك طريقا إلى ملك البلد وعبر الفرات عازما على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئا مما يحتاجون إليه إلا وبذلوا الجهد في تحصيله وأقاموا يبنظرون وصوله إليهم فتركهم وسار إلى بعلبك وقيل كان السبب في ملكها أنها كانت لمعين الدين أنز كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج أم جمال الدين سيرها إلى بعلبك فلما سار زنكي إلى الشام عازما على قصد دمشق سير إلى أنز ببذل له البذول المظيمة ليسلم إليه دمشق فلم يفعل وسار أتابك إلى بعلبك فوصل إليها في العشرين من ذي الحجة في السنة فنازلها في عساكره وضيق عليها وجد في محاربتها ونصب عليها من الخجنيقات أربعة عشر عددا ترى ليلها ونهارا فأشرف من بها على الهلاك وطلبوا الأمان وسلموا إليه المدينة

وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الأتراك فقاتلهم فلما أيسوا من معين ونصير طلبوا الأمان فأمّنهم فسلّوا إليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم إلا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لاسيما أهل دمشق فقالوا لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فزادوا نفورا وجدوا في محاربتهم ولما ملك زنديق بملك أخذ الجارية التي كانت لمعين الدين أنز بها فتزوجها بحلب فلم تنزل بها إلى أن قتل فسيرها ابنه نور الدين محمود إلى معين الدين أنز وهي كانت أعظم الأسباب في المودة بين نور الدين وبين أنز والله أعلم .

(ذكر استيلاء قرا سنقر على بلاد فارس وعوده عنها) وفي هذه السنة جمع أنابك قرا سنقر صاحب أذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبا بثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصافى المقدم ذكره فلما قارب السلطان مسعودا أرسل إليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قرا سنقر إلى بلاد فارس فلما قاربها تحصن بوزابة منه في القلعة البيضاء ووطى قرا سنقر البلاد وتصرف فيها وليس له دافع ولا مانع إلا أنه لم يمكح المقام وملك المدن التي في فارس فسلم البلاد إلى الملك سلجوق شاه بن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقي وعاد إلى أذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد وأسر سلجوق شاه وسجن في قلعة بفارس .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة في صفر توفي الوزير شرف الدين أنوشروان بن خاله معزولا ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فن دونه ودفن في داره ثم نقل إلى الكوفة فدفن في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب في همل المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما ديناً خيراً وزير للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقبل من الوزارة فيجاء إلى ذلك ثم يخطب إليها فيجيب كارها . وفيها قدم السلطان مسعود ببغداد في ربيع الأول وكان الزمان شتاء وصار يشتى بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها أزال المكوس وكتب الألواح بإزالتها ووضعت على أبواب الجوامع والأسواق وتقدم أن لا ينزل جندي في دار عامي من أهل بغداد إلا بإذن فكثرت الدعاء له وإنشاء عليه وكان السبب في ذلك الكمال الخازن وزير السلطان . وفيها في صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان أشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرّب كثير من البلاد ولاسيما حلب فإن أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا إلى الصحراء وعدوا ليلة واحدة جاتهم ثمانين مرة ولم تنزل بالشام تنعاهم من رابع صفر إلى ناسع عشرة وكان معها صوت وهزة شديدة . وفيها أغار الفرنج على أعمال بانياس فسار عسكر دمشق في أثرهم فلم يدركوهم فعادوا . وفيها توفي أبو القاسم طاهر بن طاهر الشجاعى النيسابورى بها ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وكان إماما في الحديث مكثرا على الإسناد . وتوفي عبدالله بن أحمد بن عبدالقاهر بن محمد بن يوسف أبو القاسم بن أبي الحسين البغدادي بها ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . وعبدالعزيز بن عثمان بن إبراهيم بن محمد الأسدي البخارى كان قاضى بخارا وكان من الفقهاء أولاد الأئمة حسن السيرة . وتوفي محمد بن شجاع بن أبي بكر بن علي بن إبراهيم اللفتوانى الأصفهانى بأصفهان في جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين وأربعمائة . وسمع الحديث الكثير

بأصفهان وبغداد وغيرهما (۱).

(۱) وفيها توفي يحيى بن يحيى بن علي بن أنصح ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانب نهبين كهن واتخذ مكانها دارا هائلة ، طولها ستون ذراعا في عرض أربعين ذراعا ، وأطلق له الخليفة أخشابها وآجرها وطرقاتها ، وكتب عليها أشبارا حسنة من نظمه ونظم غيره ، فمن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شد باني من كنه منزلة * يخجل منها العارض الصيب
ورنحت روضة أخلاقه * في ديار نورها مذهب
صدر كسي صدرى من نوره * شمسا على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخرة
هاتيك وافيت بما * وعدت وهاتي بازه

وفي موضع آخر مكتوب :

وناد كأن جنان الخلاء * دأعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزمان * ن أن لا يلم به موبقا
فأضحى يذنبه على كل ما * بن مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وبمسي الضيوف به طزقا
بقيت له يا جمال الملو * ك وذا الفضل مهما أردت البقا
وساله فيك ريب الزمان * ن ووقيت فيه الذي يتقى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب ديبسا فأمر بحراب داره تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعدما كانت قرعة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشر والبطر ، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعارا حسنة من نظمه ؛ وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لأناس يعرفون به * قد مارسوا الحب حتى أصعبه
أدخلت نفسك فيما لست تجر به * والشىء صعب على من لا يجربه
أمن اصطبار وإن لم تستطع خلدا * قرب مدرك أمر عز مطابه
أحن الضلوع على قلب يخيرنى * في كل يوم يعينى قلبه
تأرجح الريح من نجد يهيجه * ولا مع البرق من نغمات يطربه
هذه الخيف وهاتيك منى * فترفق أيها الحادى بنا
واحبس الركب علينا ساعة * تندب الدار ونبكي الدنا
فلذا الموقف أعددت البكا * ولذا اليوم الدموع تقنى
زماننا كان وكنا جيرة * فأعاد الله ذاك الزمانا
بيننا يوم اتتلاف نلتقى * كان من غير تراضى بيننا

وقوله

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر حصار آتابك زنكي دمشق) في هذه السنة حصر آتابك زنكي دمشق مرتين فأما المرة الأولى فإنه سار إليها في ربيع الأول من بعلبك بعد الفراغ من أمرها وتقرير قواعدها وإصلاح ما تشعث منها ليحاصرها فنزل البقاع وأرسل إلى جمال الدين محمد صاحبها يبذل إليه بلدا يقترحه ليدسلم إليه دمشق فلم يجبه إلى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الأول فالتقت الطلائع واتفقوا وكان الظفر لعسكر زنكي وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكي إلى الموصل فنزل هناك واقبه جمع كثير من جنود دمشق وأحداها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون وأخذهم السيف فقتل فيهم وأكثر وأسر كذلك ومن سلم عاد جريحا وأشرف البلد ذلك اليوم على الأخذ وأن يملك لكن عاد زنكي وأمسك عنه عشرة أيام وتابع الرسل إلى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فقال إلى أن يسلم وامتنع غيره من أصحابه من ذلك وخوفوه عاقبة فعله وأن يفعل ويندر كما فعل بأهل بعلبك فلما لم يسلموا إليه عاد القتال والزحف ثم إن جمال الدين محمد صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكي حينئذ في البلد وزحف إليه زحفا شديدا ظنا منه أنه ربما يقع بين المقدمين والأمراء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما أمله بعيدا فلما مات جمال الدين ولى بعده مجير الدين أبق ولده وتولى ترتيب دولته معين الدين أنز فلم يظهر لموت أبيه أثر مع أن عدوهم على باب المدينة فلما رأى أنز أن زنكي لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم إلى نصرته وأن يتفقوا على دفع زنكي عن دمشق وبذل لهم بدولا وأن يحضروا بانياس ويأخذوها ويسلموها وخوفهم من زنكي إن ملك دمشق فعلوا صحة قوله وعلوا أنه إن ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وأن الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير إلى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكي فحين علم زنكي بذلك سار إلى حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد إلى حصر دمشق ونزل بعذرا شمالها سادس شوال فأحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا إلى بلاده ووصل الفرنج إلى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكي فعادوا فساد معين الدين أنز إلى بانياس في عسكر دمشق وهي في طاعة زنكي كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها إلى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعة إلى مدينة صور للإغارة على بلاده فصادفه صاحب أنطاكية وهو قاصد إلى دمشق نجدة لصاحبها على زنكي فافتتلا فانهزم المسلمون وأخذوا إلى بانياس فقتل ونجا من سلم منهم إلى بانياس وجمعوا معهم كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم ومعه طائفة من الفرنج فأخذها وسلمها إلى الفرنج وأما الحصر الثاني لدمشق فإن آتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد إلى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فأقام هناك فلما عاد عسكر دمشق بعد أن ملكوها وسلموها إلى الفرنج فرق آتابك زنكي عسكره على الإغارة على حوران وأعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به أحد من أهلها فلما أصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتجى البلد واجتمع العسكر والعامّة على السور وفتحت الأبواب وخرج الجند والرجالة

فقاتلوه فلم يمكن زنگي عسكره من الإقدام في القتال لأن عامة عسكره كانوا قد تفرقوا في البلاد والنهب والتخريب وإنما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر إلى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم أحجم زنگي عنهم وعاد إلى خيامه ورجل إلى مرج راهط وأقام ينتظر عودة عسكره فعادوا إليه وقد ألدوا أيديهم من الغنائم لأنهم طرقتوا البلاد وأهلها غابلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا إلى بلادهم .

(ذكر ملك زنگي شهر زور وأعمالها) في هذه السنة ملك أتاك زنگي شهر زور وأعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت بيد قيجاق بن أرسلان تاش التركاني وكان حكمه نافذا على قاصي التركان ودانيم وكلته لا تخالف يرون طاعته فرضا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرضوا لولايته لأنها منيعة كثيرة المضايق فعظم شأنه وازداد جمعه وأناه التركان من كل فج عميق فلما كان هذه السنة سير إليه أتاك زنگي عسكرا لجمع أصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قيجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الأتابكي في أعقابهم فحصروا الحصون والفلاع فملكوها جميعها وبذلوا الأمان لقيجاق فصار إليهم وانخرط في سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه في خدمة البيت على أحسن قضية إلى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة جرى بين أمير المؤمنين المقتني لأمر الله وبين الوزير شرف الدين على ابن طراد الزينبي منافرة وسبها أن الوزير كان يعترض الخليفة في كل ما يأمر به فنفر الخليفة من ذلك . فغضب الوزير . ثم خاف فقصد دار السلطان في سميرية وقت الظهر ودخل إليها واحتفى بها فأرسل إليه الخليفة في العود إلى منصبه فاستنعى وكانت الكتب تصدر باسمه واستناب قاضي القضاة الزينبي ، وهو ابن عم الوزير وأرسل الخليفة إلى دار السلطان رسلا في معنى الوزير فأرخص له السلطان في عزله فحينئذ أسقط اسمه من الكتب وأقام بدار السلطان ، ثم عزل الزينبي من النيابة وناب سعيد الدولة بن الأنباري . وفيها قتل المقرب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم في دولته وجميعها من جملة أقطاعه الري . ومن بمالكة عباس صاحب الري وكان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزى النساء واستغثن به فوقف يسمع كلامهم فقاتلوه . فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم وأكثر وفعل بهم ما لم يفعل غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم إلى أن مات . وفيها زلزلت كنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأران إلا أن أشدها كان بكنجة فخرّب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتي ألف وثلاثين ألفا وكان من جملة الهلكى ابنان لفراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والأموال شيء عظيم . وفيها شرع مجاهد الدين بهروز في حمل الهروانات سكر سكر عظيم يرد الماء إلى مجراه الأول وحفر مجرى الماء القديم وخرق إليه مجراه فأخذ من ديبالي ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقي السكر في البر لا ينفع به أحد ولم يتعرض أحد إلى رده إلى مجراه عند السكر إلى وقتنا هذا . وفيها انقطع الفيث ببغداد والعراق ولم يجيء غير مرة واحدة في أذار ثم انقطع ووقع الغلاء وهدمت الأقوات . وفيها في جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها إلى دار الخليفة يوما مشهودا غلقت ببغداد عشرة أيام وزينت وتزوج السلطان

مسعود بابنة الخليفة . وفيها في ربيع الأول توفي القاضي أبو الفضل يحيى ابن قاضي دمشق المعروف بالزكي .

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر مسير جهاردانكي إلى العراق وما كان منه) في هذه السنة أمر السلطان مسعود الأمير اسماعيل المعروف بجهاردانكي والبقيش كون خر بالمسير إلى خوزستان وفارس وأخذها من بوزابة وأطلق لهم نفقة على بغداد فساروا فيمن معهما إلى بغداد ففتحهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فأرسل إلى المعابر فحفظها وغرقها وجد في عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذي وأغلق باقي الأبواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للبقالة فلما علموا بذلك عبروا بصرصر وقصدوا الحلة ففجعوا منها فقصدوا واسط فخرج إليهم الأمير طر نطاي وتقاتلوا فانهزم طر نطاي ودخلوا واسط فمهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولفهم طر نطاي إلى حماد بن أبي الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسماعيل والبقيش عسكرهما وصارا مع طر نطاي فضعف أولئك نصار إلى تستر واستشفع اسماعيل إلى السلطان فعفا عنه .

(ذكر عدة حوادث) في هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب وكان قد أخذ من المسترشد فأعادها الآن إلى المقتني . وفي هذه السنة توفي أنابك قراسنقر صاحب أذربيجان وأرانية بمدينة أردبيل وكان مرضه السل ، وكان من عماليك الملك طغرل وسلمت أذربيجان وأرانية إلى الأمير جاولي الطغرلي وكان قراسنقر عظم محله على سلطانه وخافه السلطان . وفيها كان بين أنابك زنكي وبين داود سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكي من بلاده قلعة بهمود وأدرکه الشتاء فعاد إلى الموصل . وفيها ملك الإسماعيلية حصن مصيات بالشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ أصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعداوا إليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بأيديهم إلى الآن . وفيها توفي سديد الدولة بن الأنباري واستوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا نصر محمد بن محمد بن جبير وكان قبل ذلك أستاذ الدار . وفيها توفي برتقش بازدار صاحب قزوين . وفيها في رجب ظفر ابن الداشمند صاحب ملاطية وغيرها من تلك النواحي بجمع من الروم فقتلهم وغنم مامعهم . وفيها في رمضان سارت طائفة من الفرنج فخرج إليهم العسكر الذي بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين . وفيها بنيت المدرسة الكجالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ، ولما فرغت درس فيها الشيخ أبو الحسن بن الحل وحضره أرباب المناصب وسائر الفقهاء . وفيها في رجب مات القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي الأنصاري قاضي المارستان عن نيف وسبعين سنة . وله الإسناد والعوالي . وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الأوائل ، وهو آخر من حدث في الدنيا عن اسحق البرمكي والقاضي أبي بكر الطبري وأبي طالب العشاري وأبي محمد الجوهري وغيرهم . وتوفي الإمام الحافظ أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني عشر ذي الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة . وتوفي يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمداني من أهل بروجرد وسكن مرو وتفقه على أبي اسحق الشيرازي . وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام إليه متفقه يقال له ابن السقاء . وسأله وآذاه في السؤال . فقال اسكت اني أشم منك ريح الكفر . فسافر الرجل إلى بلد الروم وتنصر . وفيها مات أبو القاسم علي بن أفلح بن أفلح الشاعر المشهور

تم الجزء الثامن ، ويليه الجزء التاسع ، وأوله (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة)

فهرست الجزء الثامن

صفحة	صفحة	صفحة
١٧ ملك أبي الشوك مدينة خولنجان	٨ ظهور أحمد بن التكين العسيان وقتله	٢ (سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة)
١٨ الخطبة العباسية بجران والرقه	٩ ملك مسعود جرجان وطبرستان	٢ وثوب الاجناد بجلال الدولة
١٨ عدة حوادث	٩ مسير ابن وثاب والروم إلى بلد	وإخراجه من بغداد
١٩ (سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة)	ابن مروان	٢ انضمام علاء الدولة بن كاكويه
١٩ ملك الملك أبي كاليبجار البصرة	٩ عدة حوادث	من عسكر مسعود بن محمود
٢٠ ماجرى بعمان بعد موت	١٠ (سنة سبع وعشرين وأربعمائة)	ابن سبكتكين
أبي القاسم بن مكرم	١٠ وثوب الجند بجلال الدولة	٣ عدة حوادث
٢٠ الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك	١٠ الحرب بين أبي سهل الحمدوني	٤ (سنة أربع وعشرين وأربعمائة)
وبين عمه مهلهل	وعلاء الدولة	٤ عود مسعود إلى غزنة والتمن
٢١ شغب الأتراك على جلال الدولة	١٠ وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر	بالرى وبلد الجبل
ببغداد	١١ فتح السويداء وربض الرها	٤ ظفر مسعود بصاحب ساوة
٢١ عدة حوادث	١١ غدر السناسنة وأخذ الحاج	وقتله
٢١ (سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)	وإعادة ما أخذوه	٤ استيلاء جلال الدولة على البصرة
٢١ ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة	١٢ الحرب بين المعز وزناتة	وخروجها عن طاعته
أخبارهم متتابعة	١٢ عدة حوادث	٥ إخراج جلال الدولة من دار
٢٦ قبض السلطان مسعود وقتله	١٣ (سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)	المملكة وإعادته إليها
وملك أخيه محمد	١٣ الفتنة بين جلال الدولة وبين	٥ عدة حوادث
٢٧ ملك مودود بن مسعود وقتله	بارسطغان	٥ (سنة خمس وعشرين وأربعمائة)
عمه محمدا	١٤ الصلح بين جلال الدولة وأبي	٥ فتح قلعة سرستي وغيرها من
٢٨ الخلف بين جلال الدولة وقرقراش	كاليبجار والمصاهرة بينهما	بلد الهند
صاحب الموصل	١٤ عدة حوادث	٦ حصر قلعة بالهند أيضا
٢٨ ملك أبي الشوك دقوقا	١٥ (سنة تسع وعشرين وأربعمائة)	٦ الفتنة بنيسابور
٢٩ الحرب بين عسكر مصر والروم	١٥ محاصرة الأبخاز تفليس وعودهم	٦ الحرب بين علاء الدولة وعسكر
الخلف بين المعز وبني حماد	عنها	خراسان
٢٩ صلح أبي الشوك وعلاء الدولة	١٥ مافعله طغرابك بخراسان	٧ الحرب بين نور الدولة دبيس
٢٩ عدة حوادث	١٦ مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك	وأخيه ثابت
٣٠ (سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة)	١٦ عدة حوادث	٧ ملك الروم قلعة بركوى
٣٠ وفاة علاء الدولة بن كاكويه	١٧ (سنة ثلاثين وأربعمائة)	٧ عدة حوادث
٣٠ ملك طغربك جرجان وطبرستان	١٧ وصول الملك مسعود من غزنة إلى	٨ (سنة ست وعشرين وأربعمائة)
٣٠ أحوال ملوك الروم	خراسان وإجلاء السلجوقية عنها	٨ حال الخلافة والسلطنة ببغداد

صفحة	صفحة	صفحة
۵۱ الوحشة بين طغرل بك وأخيه ابراهيم ينال	۴۱ وصول ابراهيم ينال إلى همدان وبلد الجبل	۳۲ فساد حال الدزبري بالشام وما صار الامر إليه بالبلاد
۵۲ الحرب بين ديبس بن مزيد وعسكر واسط	۴۲ عدة حوادث	۳۲ عدة حوادث
۵۲ وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد	۴۳ (سنة ثمان وثلاثين واربعمائة)	۳۳ (سنة أربع وثلاثين واربعمائة)
۵۳ استيلاء البساسيري على الأنبار	۴۳ ملك مهمل قريميسين والدينور	۳۳ ملك طغرل بك مدينة خوارزم
۵۳ انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس	۴۳ اتصال سعدى بن أبي الشوك بابراهيم ينال وما كان منه	۳۴ قصد ابراهيم ينال همدان وما كان منه
۵۳ عدة حوادث	۴۴ حصار طغرل بك اصبهان	۳۴ خروج طغرل بك إلى الري وملك بلد الجبل
۵۴ (سنة اثنتين واربعين واربعمائة)	۴۴ عدة حوادث	۳۵ مسير عساكر طغرل بك إلى كرمان
۵۴ ملك طغرل بك اصبهان	۴۴ (سنة تسع وثلاثين واربعمائة)	۳۶ الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة
۵۴ عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها	۴۴ صلح الملك أبي كالجبار والسلطان طغرل بك	۳۶ محاصرة شهر زور وغيرها
۵۴ استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش	۴۴ القبض على سرخان أخى أبي الشوك	۳۶ خروج سكين بمصر
۵۵ استيلاء الغزى على مدينة فسا	۴۴ ملك ابراهيم ينال قلعة كنگور وغيرها	۳۶ عدة حوادث
۵۵ استيلاء الخوارج على عمان	۴۶ استيلاء أبي كالجبار على البطيحة	۳۷ (سنة خمس وثلاثين واربعمائة)
۵۵ دخول العرب إلى أفريقية	۴۶ ظهور الأصفر وأسرهم	۳۷ إخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية
۵۷ عدة حوادث	۴۶ عدة حوادث	۳۷ وفاة جلال الدولة وملك أبي كالجبار
۵۷ (سنة ثلاث واربعين واربعمائة)	۴۷ (سنة أربعين واربعمائة)	۳۸ حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين
۵۷ نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز	۴۷ رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهمل إلى شهر زور	۳۸ ملك مودود عدة حصون من بلد الهند
۵۸ ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز	۴۸ موت الملك أبي كالجبار وملك ابنه الملك الرحيم	۳۸ الخلف بين الملك أبي كالجبار وفرامرزين علاء الدولة
۵۸ انهزام الملك الرحيم بالأهواز	۴۹ محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب	۳۸ أخبار الترك بما وراء النهر
۵۹ الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد (على ساكنيه السلام)	۴۹ الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهدبانية	۳۹ أخبار الروم والقسطنطينية
۶ عصيان بني قرعة على المستنصر بالله بمصر	۴۹ عدة حوادث	۳۹ طاعة المعز بأفريقية للقائم بأمر الله
۶۰ وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش ابن بدران	۵۰ (سنة إحدى واربعين واربعمائة)	۳۹ (سنة ست وثلاثين واربعمائة)
۶۱ (سنة أربع واربعين واربعمائة)	۵۰ ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما	۳۹ قتل الاسماعيلية بما وراء النهر
۶۱ قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخزاد	۵۱ مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها	۴۰ الخطبة للملك أبي كالجبار واصعاده إلى بغداد
	۵۱ الحرب بين البساسيري وعقيل	۴۰ عدة حوادث
		۴۱ (سنة سبع وثلاثين واربعمائة)

صفحة	صفحة	صفحة
۸۷ وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم	۷۰ وصول طغرلبك إلى بغداد والخطبة له بها	۶۲ وصول الغز إلى فارس وانهمامهم
۸۸ الصلح بين الملك ابراهيم وجفري بك داود	۷۱ وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم ۷۲ عدة حوادث	۶۲ الحرب بين قریش وأخيه المقلد
۸۸ وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان حريق بغداد	۷۴ (سنة ثمان وأربعين وأربعمائة)	۶۳ وفاة قرواش
۸۱ ائحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح ديبس عدة حوادث	۷۴ نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرلبك	۶۳ استيلاء الملك الرحيم على البصرة
۸۹ (سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)	۷۴ الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم	۶۴ ورود سعدى العراق
۸۹ عود ولى العهد إلى بغداد مع أبى الغنائم بن المحلبان	۷۴ ابتداء الدولة الملتهمين	۶۴ عدة حوادث
۸۹ ملك محمود بن شبل الدولة حلب عدة حوادث	۷۵ ولاية يوسف بن تاشفين	۶۵ (سنة خمس وأربعين وأربعمائة)
۹۰ (سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)	۷۶ تبيض أبى الغنائم بن المحلبان	۶۵ الفتنة بين السفية والشيعة ببغداد
۹۰ وزارة ابن دارست للخليفة	۷۷ الواقعة بين البساسيرى وقریش	۶۵ استيلاء الملك على ارجان ونواحيها
۹۱ موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم	۷۷ مسير السلطان طغرلبك إلى الموصل	۶۵ مرض السلطان طغرلبك
۹۱ وفاة قریش صاحب الموصل وإبارة ابنه شرف الدولة	۷۸ عود نور الدولة ديبس بن مزبد وقریش بن بدران إلى طاعة طغرلبك	۶۵ عود سعدى بن أبى الشوك إلى طاعة الرحيم
۹۱ وفاة نصر الدولة بن مروان عدة حوادث	۷۸ قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار ۷۹ عدة حوادث	۶۶ عود الامير أبى منصور إلى شيراز
۹۲ (سنة أربع وخمسين وأربعمائة)	۸۰ (سنة تسع وأربعين وأربعمائة)	۶۶ إيقاع البساسيرى بالآكراد والاعراب
۹۲ نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة	۸۰ هود السلطان طغرلبك إلى بغداد	۶۶ عدة حوادث
۹۳ عزل ابن دارست ووزارة ابن جبير	۸۰ الحرب بين هزارسب وفولاذ	۶۶ (سنة ست وأربعين وأربعمائة)
۹۳ عدة حوادث	۸۱ القبض على الوزير اليازورى بمصر عدة حوادث	۶۶ فتنة الأتراك ببغداد
۹۴ (سنة خمس وخمسين وأربعمائة)	۸۲ (سنة خمسين وأربعمائة)	۶۷ استيلاء طغرلبك على أذربيجان وغزو الروم
۹۴ ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة	۸۲ مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيرى عليها وأخذها منه	۶۷ محاربة بنى خفاجة وهزيمتهم
۹۴ وفاة السلطان طغرلبك	۸۳ الخطبة بالعراق للعلوى المصرى وما كان إلى قتل البساسيرى	۶۷ استيلاء قریش بن بدران على الأنبار والخطبة لطرلبك بأعماله
۹۵ شىء من سيرته	۸۵ عود الخليفة إلى بغداد	۶۸ وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده
۹۵ ملك السلطان ألب أرسلان	۸۶ قتل البساسيرى	۶۸ ابتداء الوحشة بين البساسيرى والخليفة
	۸۷ عدة حوادث	۶۸ وصول الغز إلى الدسكرة وغيرها
	۸۷ (سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)	۶۹ عدة حوادث

صحيفة	صحيفة	صحيفة
والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند	۱۰۷ عدة حوادث	۹۵ خروج حوعن طاعة تميم بن المعز
۱۱۹ عدة حوادث	(سنة ثلاث وستين وأربعمائة)	بافريقية
۱۲۰ (سنة سبع وستين وأربعمائة)	۱۰۸ الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان	۹۶ عدة حوادث
۱۲۰ وفاة القائم بأمر الله وذكر	بجلب	۹۶ (سنة ست وخمسين وأربعمائة)
بعض سيرته	۱۰۹ استيلاء السلطان ألب أرسلان	۹۶ القبض على عميد الملك وقتله
۱۲۰ خلافة المقتدى بأمر الله	على حلب	۹۷ ملك ألب أرسلان ختلان وهرارة
۱۲۱ عدة حوادث	۱۰۹ خروج ملك الروم إلى خلاط	وصغانيان
۱۲۲ (سنة ثمان وستين وأربعمائة)	وأسره	۹۸ عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة
۱۲۲ ملك الأقبس دمشق	۱۱۰ ملك أنسز الرملة وبيت المقدس	للسلطان ألب أرسلان ببغداد
۱۲۲ عدة حوادث	۱۱۰ عدة حوادث	۹۸ الحرب بين ألب أرسلان وقتلش
۱۲۳ (سنة تسع وستين وأربعمائة)	۱۱۱ (سنة أربع وستين وأربعمائة)	۹۸ فتح ألب أرسلان مدينة آني
۱۲۳ حصر اقبس مصر وعوده عنها	۱۱۱ ولاية سعد الدولة كوهرايين	وغيرها من بلاد النصرانية
۱۲۴ عدة حوادث	شوكية بغداد	۱۰۰ عدة حوادث
۱۲۴ (سنة سبعين وأربعمائة)	۱۱۱ تزويج ولي العهد بابنة السلطان	۱۰۱ (سنة سبع وخمسين وأربعمائة)
۱۲۴ عدة حوادث	۱۱۱ ولاية أبي الحسن بن عمار طرابلس	۱۰۱ الحرب بين بني حماد والعرب
۱۲۵ (سنة إحدى وسبعين وأربعمائة)	۱۱۱ ملك السلطان ألب أرسلان قلعة	۱۰۲ بناء مدينة بجاية
۱۲۵ عزل ابن جهير من وزارة الخليفة	فضلون بفارس	۱۰۳ ملك ألب أرسلان جند وصران
۱۲۶ استيلاء تنش على دمشق	۱۱۲ عدة حوادث	۱۰۳ عدة حوادث
۱۲۶ عدة حوادث	۱۱۲ (سنة خمس وستين وأربعمائة)	۱۰۳ (سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)
۱۲۷ (سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة)	۱۱۲ قتل السلطان ألب أرسلان	۱۰۳ عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه
۱۲۷ فتوح ابراهيم صاحب غزنة في	نسب ألب أرسلان وبعض سيرته	ملكشاه
بلاد الهند	۱۱۳ ملك السلطان ملك شاه	۱۰۴ استيلاء تميم على مدينة تونس
۱۲۷ ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب	۱۱۳ ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ	۱۰۴ ملك شرف الدولة الانبار وهيت
۱۲۸ مسير ملك شاه إلى كرمان	۱۱۴ قصد صاحب غزنة سكاكد	وغيرها
۱۲۸ عدة حوادث	۱۱۴ الحرب بين السلطان ملكشاه	۱۰۴ عدة حوادث
۱۲۸ (سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة)	وعم، قاورت، بك	۱۰۵ (سنة تسع وخمسين وأربعمائة)
۱۲۸ استيلاء تكش على بعض خراسان	۱۱۴ تفويض الأمور إلى نظام الملك	۱۰۵ عصيان ملك كرمان على ألب
وأخذها منه	۱۱۵ قتل ناصر الدولة بن حمدان	أرسلان وعوده إلى طاعته
۱۲۹ عدة حوادث	۱۱۸ عدة حوادث	۱۰۵ عدة حوادث
۱۲۹ (سنة أربع وسبعين وأربعمائة)	۱۱۸ (سنة ست وستين وأربعمائة)	۱۰۶ (سنة ستين وأربعمائة)
۱۲۹ خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه	۱۱۸ تقليد السلطان ملكشاه السلطنة	۱۰۶ عدة حوادث
۱۳۰ وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة	والخلع عليه	۱۰۶ (سنة إحدى وستين وأربعمائة)
ولده منصور	۱۱۹ غرق بغداد	۱۰۶ عدة حوادث
۱۳۰ محاصرة تميم بن المعز مدنة قابس	۱۱۹ ملك السلطان ملكشاه ترمذ	۱۰۷ (سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

صحيفة	صحيفة	صحيفة
من الشام	استيلاء ابن جهير على آمد	۱۳۰ عدة حوادث
الفتنة بن أهل بغداد ثانية ۱۵۰	ملكة أيضا ميفارقين ۱۳۸	۱۳۱ (سنة خمس وسبعين وأربعمائة)
حيلة لأمير المسلمين ظهرت ۱۵۱	ملك جزيرة ابن عمر ۱۲۹	۱۳۱ وفاة جمال الملك بن نظام الملك
ظهور اغريبا	عدة حوادث ۱۳۹	۱۳۱ الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
ملك العرب مدينة سوسة وأخذها ۱۵۱	(سنة تسع وسبعين وأربعمائة) ۱۴۰	۱۳۱ مسير الشيخ أبي اسحق إلى السلطان في رسالة
منهم	قتل سليمان بن قتلش ۱۴۰	۱۳۲ حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها
عدة حوادث ۱۵۲	ملك السلطان حلب وغيرها ۱۴۰	۱۳۲ عدة حوادث
(سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة) ۱۵۲	وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة ۱۴۱	۱۳۳ (سنة ست وسبعين وأربعمائة)
وفاة نحر الدولة أبي نصر بن جهير ۱۵۲	وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج ۱۴۱	۱۳۳ عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده نحر الدولة إلى ديار بكر
نهب العرب البصرة ۱۵۳	دخول السلطان إلى بغداد ۱۴۳	۱۳۳ عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها
عدة حوادث ۱۵۳	عدة حوادث ۱۴۳	۱۳۳ وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة
(سنة أربع وثمانين وأربعمائة) ۱۵۴	(سنة ثمانين وأربعمائة) ۱۴۳	۱۳۳ قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا
عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير ۱۵۴	زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة ۱۴۵	۱۳۴ استيلاء مالك بن علوي على القيروان وأخذها منه
ملك أمير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين ۱۵۴	عدة حوادث ۱۴۵	۱۳۴ عدة حوادث
ملك الفرنج جزيرة صقلية ۱۵۷	(سنة إحدى وثمانين وأربعمائة) ۱۴۶	(سنة سبع وسبعين وأربعمائة) ۱۳۴
وصول السلطان إلى بغداد ۱۵۹	الفتنة ببغداد ۱۴۶	۱۳۴ الحرب بين نحر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة
عدة حوادث ۱۵۹	إخراج الأتراك من حريم الخلافة ۱۴۷	۱۳۵ استيلاء عميد الدولة على الموصل
(سنة خمس وثمانين وأربعمائة) ۱۶۰	ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها ۱۴۷	۱۳۶ عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه
الحرب بين المسلمين والفرنج بجميان ۱۶۰	وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور ۱۴۷	۱۳۶ فتح سليمان بن قتلش انطاكية
استيلاء تنش على حمص وغيرها ۱۶۰	وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود ۱۴۷	۱۳۷ قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم
من ساحل الشام	عدة حوادث ۱۴۸	۱۳۷ عدة حوادث
ملك السلطان اليمن ۱۶۱	(سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة) ۱۴۸	(سنة ثمان وسبعين وأربعمائة) ۱۳۸
مقتل نظام الملك ۱۶۱	الفتنة ببغداد بين العامة ۱۴۸	۱۳۸ استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة
ابتداء حاله وشيء من أخباره ۱۶۲	ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر ۱۴۸	
وفاة السلطان وذكر بعض سيرته ۱۶۳	عصيان سمرقند ۱۴۹	
ملك ابيه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق إلى أن ملك ۱۶۴	فتح سمرقند الثاني ۱۴۸	
قتل تاج الملك ۱۶۵	عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها ۱۵۰	
ما فعله العرب بالحجاج والكوفة ۱۶۵	فتح عسكر مصر عكا وغيرها ۱۵۰	
عدة حوادث ۱۶۶		
(سنة ست وثمانين وأربعمائة) ۱۶۶		

صفحة	صفحة	صفحة
۱۹۰	۱۷۷	۱۶۶
ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد	الفتنة بنيسابور	وزارة عز الملك بن نظام الملك
ابن ملكشاه	۱۷۸	۱۶۶
۱۹۱	۱۷۹	۱۶۷
الخطبة ببغداد للذک محمد	(سنة تسع وثمانين وأربعمائة)	مخال تش بن ألب أرسلان
۱۹۱	۱۷۹	۱۶۷
قتل مجد الملك البلاساني	قتل يوسف بن آبق والمجن الحلبي	وقعة المضبع وأخذ الموصل من العرب
۱۹۲	۱۷۹	۱۶۷
عدة حوادث	وفاة منصور بن مروان	ملك تش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام
۱۹۳	۱۸۰	۱۶۸
(سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة)	ملك تميم مدينة قابس أيضا	حصر عسكر مصر وروم انهم لها
۱۹۳	۱۸۰	۱۶۸
أعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد	ملك كربوقا الموصل	قتل اسمعيل بن ياقوق خال بركيارق
۱۹۳	۱۸۱	۱۶۸
الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد وإعادة خطبة محمد ببغداد	عدة حوادث	أخذ الحجاج
۱۹۴	۱۸۲	۱۶۸
قتل سعد الدولة كوهرايين	(سنة تسعين وأربعمائة)	عدة حوادث
۱۹۴	۱۸۲	۱۷۰
حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانتهامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشي	قتل أرسلان أرغون	(سنة سبع وثمانين وأربعمائة)
۱۹۴	۱۸۲	۱۷۰
فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس	استيلاء عسكر مصر على مدينة صور	الخطبة للسلطان بركيارق
۱۹۵	۱۸۳	۱۷۰
عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته	ملك بركيارق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر	وفاة المقتدى بأمر الله
۱۹۵	۱۸۳	۱۷۰
ظفر المسلمين بالفرنج	خروج أمير أميران بخراسان مخالفا	خلافة المستظهر بالله
۱۹۵	۱۸۳	۱۷۰
عدة حوادث	عصيان الأمير قودن وبارق طاش	قتل قسيم الدولة آقسنقر ملك تش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمدان والخطبة له ببغداد
۱۹۶	۱۸۴	۱۷۱
(سنة أربع وتسعين وأربعمائة)	الحرب بين رضوان وأخيه دقاق	انتهام بركيارق من عمه تش وملكه اصهبان بعد ذلك
۱۹۶	۱۸۴	۱۷۲
الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك	الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان	وفاة أمير الجيوش بمصر
۱۹۷	۱۸۵	۱۷۲
حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر	عدة حوادث	وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي
۱۹۷	۱۸۵	۱۷۳
ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد	(سنة إحدى وتسعين وأربعمائة)	عدة حوادث
۱۹۸	۱۸۵	۱۷۴
خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق	ملك الفرنج مدينة انطاكية	(سنة ثمان وثمانين وأربعمائة)
۱۹۸	۱۸۶	۱۷۴
وصول السلطان محمد إلى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها	مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم	دخول جمع من الترك افریقیة وما كان منهم
۱۹۹	۱۸۷	۱۷۵
قتل الباطنية	ملك الفرنج معزة النعمان	قتل أحمد خان صاحب سمرقند
۲۰۰	۱۸۸	۱۷۵
ما فعل بهم الغامة باصبهان	الحرب بين الملك سنجر ودولت شاه	ما فعله يوسف بن آبق ببغداد
۲۰۰	۱۸۸	۱۷۵
	عدة حوادث	الحرب بين بركيارق وتش وقتل تش
	۱۸۸	۱۷۵
	(سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)	حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما
	۱۸۸	۱۷۷
	عصيان الأمير أنز وقتله	وفاة المعتمد بن عباد
	۱۸۹	۱۷۷
	ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس	وفاة الوزير أبي شجاع
	۱۹۰	
	الحرب بين المصريين والفرنج	

